بسم الله الرحمن الرحيم

الإتقان

في علوم القرآن

لخاتمة المحققين وأوحد المجتهدين

حافظ العصر ووحيد الدهر

الإمام جلال الدين

السيوطي الشافعي

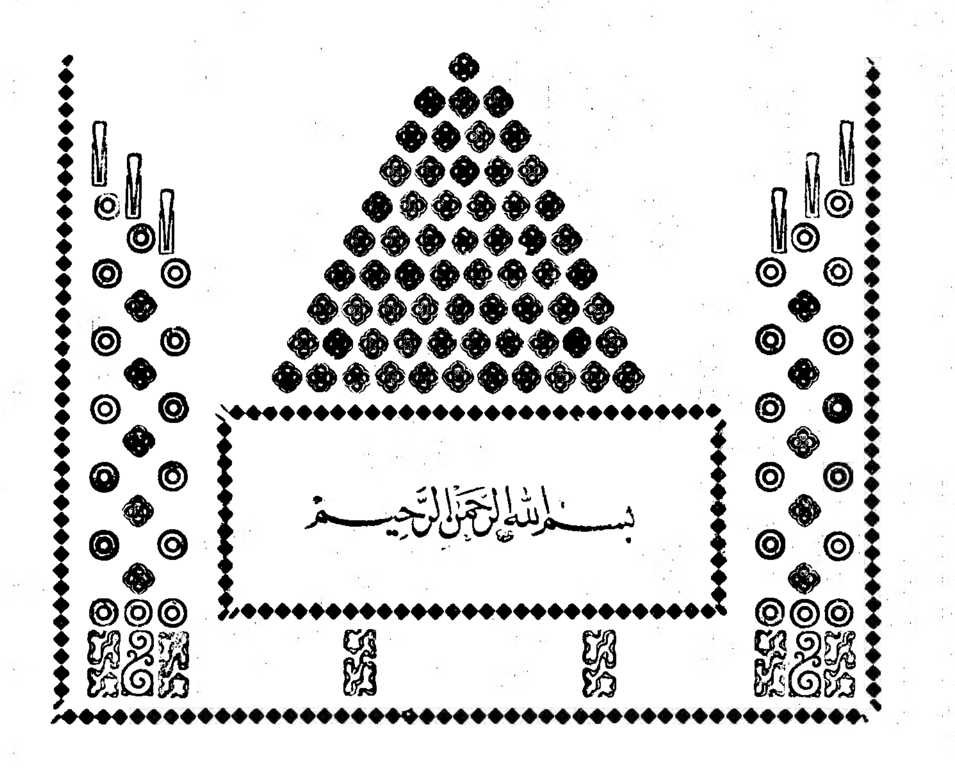
الجزء الثاني

وبهامشه كتاب اعجاز القرآن تأليف الامام الكبير والقدوة الشهير شمس سماء المحققين وعمدة الأئمة المدققين القاضي أبي بكر الباقلاني رحمه الله تعالى ونفعنا بعلومه آمين

يطلب من المكتبة التجارية الكبرى بأول شارع محمد علي بمصر

لصاحبها : مصطفي محمد

مطبعة حجازي بالقاهرة



﴿ النوع الثالث والأربعون فى المحكم والمتشابه ﴾

قال تعالى (هو الذى انزل عليك الكتاب منه آيات محكمات هن أم الكتاب وأخر متشابهات) وقد حكى ابن حبيب النيسابورى فى المسئلة ثلاثة أقوال (أحدها) أن القرآن كله محكم لقوله تعالى (كتاب أحكمت آياته) (الثانى) كله متشابه لقوله تعالى (كتابا متشابها مثانى) (الثالث) وهو الصحيح انقسامه إلى محكم ومتشابه للآية المصدر بها والجواب عن الآيتين أن المراد باحكامه اتقانه وعدم تطرق النقص والاختلاف اليه وبتشابهه كونه يشبه بعضه بعضا فى الحق والصدق والاعجاز وقال بعضهم الآية لاتدل على الحصر فى الشيئين إذ ليس فيها شىء من طرقه وقد قال تعالى (لتبين للناس ما نزل اليهم) والمحكم لاتتوقف معرفته على البيان والمتشابه لا يرجى بيانه وقد اختلف فى تعيين المحكم والمتشابه على أقوال فقيل المحكم ماعرف المراد منه اما بالظهور واما بالتأويل والمتشابه مااستأثر الله بعلمه كقيام الساعة وخروج الدجال والحروف المقطعة فى أوائل السور وقيل المحكم ماوضح معناه والمتشابه نقيضه وقيل المحكم مالايحتمل من التأويل الا وجها واحدا والمتشابه ما احتمل اوجها وقيل المحكم ما كان معقول المعنى والمتشابه بخلافه كاعداد الصلوات واختصاص الصيام برمضان دون شعبان قاله الماوردى وقيل المحكم ما استقل بنفسه والمتشابه مالايستقل بنفسه الا برده إلى غيره وقيل المحكم ما تأويله تنزيله والمتشابه مالايدرك إلا بالتأويل وقيل المحكم مالم تتكرر ألفاظه ومقابله المتشابه وقيل المحكم الفرائض والوعد والوعيد والمتشابه القصص والامثال (أخرج) ابن أبى حاتم من طريق على بن أبى طلحة عن ابن عباس قال المحكمات ناسخه وحلاله وحرامه وحدوده وفرائضه ومايؤمن به ويعمل به والمتشابهات منسوخه ومقدمه ومؤخره وأمثاله وأقسامه ومايؤمن به ولا يعمل به (وأخرج) الفريابى

* (خطبة لابى طالب) * الحمد لله الذى جعلنا من ذرية ابراهيم وزرع اسماعيل وجعل لنا بلدا حراما وبيتا محجوجا وجعلنا الحكام على الناس وان محمد بن عبد الله ابن أخى لا يوازن به فتى من قريش الارجح به بركة وفضلا وعدلا ومجدا ونبلا وان كان فى المال مقلا فان المال عارية مسترجعة وظل زائل وله فى خديجة بنت خويلد رغبة ولها فيه مثل ذلك وما أردتم من الصداق فعلى * قد نسخت لك جملا من كلام الصدر الأول ومحاوراتهم وخطبهم واحيلك فيما لم أنسخ على التواريخ والكتب المصنفة فى هذا الشأن فتأمل ذلك وسائر ماهو مسطر من الاخبار المأثورة عن

عن مجاهد قال المحكمات ما فيه الحلال والحرام وما سوى ذلك منه متشابه يصدق بعضه بعضا (وأخرج) ابن أبي حاتم عن الربيع قال المحكمات هي أوامره الزاجرة (وأخرج) عن اسحق بن سويد أن يحيى بن يعمر وأبا فاختة تراجعا في هذه الآية فقال أبو فاختة فواتح السور وقال يحيى الفرائض والأمر والنهي والحلال (وأخرج) الحاكم وغيره عن ابن عباس قال الثلاث آيات من آخر سورة الانعام محكمات قل تعالوا والآيتان بعدها (وأخرج) ابن أبي حاتم من وجه آخر عن ابن عباس في قوله تعالى (فيه آيات محكمات) قال من هاهنا (قل تعالوا) إلى ثلاث آيات ومن هاهنا (وقضى ربك ألا تعبدوا إلا إياه) إلى ثلاث آيات بعدها (وأخرج) عبد بن حميد عن الضحاك قال المحكمات ما لم ينسخ منه والمتشابهات ما قد نسخ (وأخرج) ابن أبي حاتم عن مقاتل بن حيان قال المتشابهات فيما بلغنا الم والمص والمر والر قال ابن أبي حاتم وقد روي عن عكرمة وقتادة وغيرهما أن المحكم الذي يعمل به والمتشابه الذي يؤمن به ولا يعمل به

* (فصل) اختلف هل المتشابه مما يمكن الاطلاع على علمه أو لا يعلمه إلا الله على قولين منشؤهما الاختلاف في قوله والراسخون في العلم هل هو معطوف ويقولون حال أو مبتدأ خبره يقولون والواو للاستئناف وعلى الاول طائفة يسيرة منهم مجاهد وهو رواية عن ابن عباس فأخرج ابن المنذر من طريق مجاهد عن ابن عباس في قوله (وما يعلم تأويله إلا الله والراسخون في العلم) قال أنا ممن يعلمون تأويله (وأخرج) عبد بن حميد عن مجاهد في قوله والراسخون في العلم يعلمون تأويله ويقولون آمنا به (وأخرج) ابن أبي حاتم عن الضحاك قال الراسخون في العلم يعلمون تأويله لو لم يعلموا تأويله لم يعلموا ناسخه من منسوخه ولا حلاله من حرامه ولا محكمه من متشابهه واختار هذا القول النووي فقال في شرح مسلم انه الاصح لانه يبعد أن يخاطب الله عباده بما لا سبيل لاحد من الخلق إلى معرفته وقال ابن الحاجب انه الظاهر وأما الاكثرون من الصحابة والتابعين وأتباعهم ومن بعدهم خصوصا أهل السنة فذهبوا إلى الثاني وهو أصح الروايات عن ابن عباس قال السمعاني لم يذهب إلى القول الاول إلا شرذمة قليلة واختاره العتبي قال وقد كان يعتقد مذهب أهل السنة لكنه سها في هذه المسئلة قال ولا غرو فان لكل جواد كبوة ولكل عالم هفوة قلت ويدل لصحة مذهب الاكثرين ما أخرجه عبد الرزاق في تفسيره والحاكم في مستدركه عن ابن عباس انه كان يقرأ (وما يعلم تأويله إلا الله ويقول الراسخون في العلم آمنا به) فهذا يدل على ان الواو للاستئناف لان هذه الرواية وان لم تثبت بها القراءة فأقل درجتها أن تكون خبرا باسناد صحيح إلى ترجمان القرآن فيقدم كلامه في ذلك على من دونه ويؤيد ذلك أن الآية دلت على ذم متبعي المتشابه ووصفهم بالزيغ وابتغاء الفتنة وعلى مدح الذين فوضوا العلم إلى الله وسلموا اليه كما مدح الله المؤمنين بالغيب وحكى القراء ان في قراءة أبي بن كعب أيضا ويقول الراسخون (وأخرج) ابن أبي داود في المصاحف من طريق الاعمش قال في قراءة ابن مسعود (وان تأويله الا عند الله والراسخون في العلم يقولون آمنا به) (وأخرج) الشيخان وغيرهما عن عائشة قالت تلا رسول الله صلى الله عليه وسلم هذه الآية (هو الذي انزل عليك الكتاب الى قوله أولو الالباب) قالت قال رسول الله صلى الله عليه وسلم فاذا رأيت الذين يتبعون ما تشابه منه فأولئك الذين سمى الله فاحذرهم (وأخرج) الطبراني في الكبير عن أبي مالك الاشعري أنه سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول لا أخاف على أمتي الا ثلاث خلال أن يكثر لهم المال فيتحاسدوا فيقتتلوا وأن يفتح لهم الكتاب فيأخذه المؤمن يبتغي تأويله وما يعلم تأويله إلا الله الحديث (وأخرج) ابن مردويه من حديث عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ان القرآن لم ينزل ليكذب بعضه بعضا فما عرفتم منه فاعملوا به وما تشابه فآمنوا به (وأخرج) الحاكم عن

السلف واهل البيان واللسان والفصاحة والفطن والالفاظ المنثورة والمخاطبات الدائرة بينهم والامثال المنقولة عنهم ثم انظر بسكون طائر وخفض جناح وتفريغ لب وجمع عقل في ذلك فسيقع لك الفصل بين كلام الناس وبين كلام رب العالمين وتعلم ان نظم القرآن يخالف نظم كلام الآدميين وتعلم الحد الذي يتفاوت بين كلام البليغ والبليغ والخطيب والخطيب والشاعر والشاعر وبين نظم القرآن جملة فان خيل اليك أو شبه عليك وظننت أنه يحتاج ان يوازن بين نظم الشعر والقرآن لان الشعر أفصح من الخطب وابرع من الرسائل وأدق مسلكا من جميع أصناف المحاورات ولذلك قالوا له صلى الله عليه وسلم هو شاعر أو ساحر وسول اليك الشيطان ان الشعر ابلغ واعجب

ابن مسعود عن النبي صلى الله عليه وسلم قال كان الكتاب الاول ينزل من باب واحد على حرف واحد ونزل القرآن من سبعة أبواب على سبعة أحرف زاجر وآمر وحلال وحرام ومتشابه وأمثال فأحلوا حلاله وحرموا حرامه وافعلوا ما أمرتم به وانتهوا عما نهيتم عنه واعتبروا بأمثاله واعملوا بمحكمه وآمنوا بمتشابهه وقولوا آمنا به كل من عند ربنا (وأخرج) البيهقي في الشعب نحوه من حديث أبي هريرة (وأخرج) ابن جرير عن ابن عباس مرفوعا أنزل القرآن على أربعة أحرف حلال وحرام لا يعذر أحد بجهالته وتفسير تفسره العرب وتفسير تفسره العلماء ومتشابه لا يعلمه إلا الله ومن ادعى علمه سوى الله فهو كاذب ثم أخرجه من وجه آخر عن ابن عباس موقوفا بنحوه (وأخرج) ابن أبي حاتم من طريق العوفي عن ابن عباس قال نؤمن بالمحكم وندين به ونؤمن بالمتشابه ولا ندين به وهو من عند الله كله (وأخرج) أيضا عن عائشة قالت كان رسوخهم في العلم أن آمنوا بمتشابهه ولا يعلمونه (وأخرج) أيضا عن أبي الشعثاء وأبي نهيك قال إنكم تصلون هذه الآية وهي مقطوعة (وأخرج) الدارمي في مسنده عن سليمان بن يسار أن رجلا يقال له صبيغ قدم المدينة فجعل يسأل عن متشابه القرآن فأرسل اليه عمر وقد أعد له عراجين النخل فقال من أنت قال أنا عبد الله بن صبيغ فأخذ عمر عرجونا من تلك العراجين فضربه حتى دمي رأسه وفي رواية عنده فضربه بالجريد حتى ترك ظهره دبرة ثم تركه ثم حتى برأ ثم عاد ثم تركه حتى برأ فدعا به ليعود فقال ان كنت تريد قتلي فاقتلني قتلا جميلا فأذن له إلى أرضه وكتب إلى أبي موسى الأشعري لا يجالسه أحد من المسلمين (وأخرج) الدارمي عن عمر بن الخطاب قال انه سيأتيكم ناس يجادلونكم بمشتبهات القرآن فخذوهم بالسنن فان أصحاب السنن أعلم بكتاب الله فهذه الاحاديث والآثار تدل على أن المتشابه مما لا يعلمه إلا الله وان الخوض فيه مذموم وسيأتي قريبا زيادة على ذلك قال القطيبي المراد بالمحكم ما اتضح معناه والمتشابه بخلافه لان اللفظ الذي يقبل معنى اما أن يحتمل غيره أو لا والثاني النص والاول اما أن تكون دلالته على ذلك الغير أرجح أو لا والاول هو الظاهر والثاني اما أن يكون مساويه أو لا والاول هو المجمل والثاني المؤول فالمشترك بين النص والظاهر هو المحكم والمشترك بين المجمل والمؤول هو المتشابه ويؤيد هذا التقسيم انه تعالى أوقع المحكم مقابلا للمتشابه قالوا فالواجب أن يفسر المحكم بما يقابله ويعضد ذلك اسلوب الآية وهو الجمع مع التقسيم لانه تعالى فرق ما جمع في معنى الكتاب بأن قال منه آيات محكمات وأخر متشابهات وأراد أن يضيف إلى كل منهما ما شاء فقال أولا فأما الذين في قلوبهم زيغ إلى أن قال والراسخون في العلم يقولون آمنا به وكان يمكن أن يقال وأما الذين في قلوبهم استقامة فيتبعون المحكم لكنه وضع موضع ذلك والراسخون في العلم لاتيان لفظ الرسوخ لانه لا يحصل إلا بعد التثبت العام والاجتهاد البليغ فاذا استقام القلب على طرق الارشاد ورسخ القدم في العلم أفصح صاحبه النطق بالقول الحق وكفى بدعاء الراسخين في العلم ربنا لا تزغ قلوبنا بعد اذ هديتنا الخ شاهدا على ان الراسخون في العلم مقابل لقوله الذين في قلوبهم زيغ وفيه إشارة إلى أن الوقف على قوله إلا الله تام وإلى أن علم بعض المتشابه مختص بالله تعالى وان من حاول معرفته هو الذي أشار اليه في الحديث بقوله فاحذرهم وقال بعضهم العقل مبتلى باعتقاد حقيقة المتشابه كابتلاء البدن باداء العبادة كالحكيم إذا صنف كتابا أجمل فيه أحيانا ليكون موضع خضوع المتعلم لاستاذه وكالملك يتخذ علامة يمتاز بها من يطلعه على سره وقيل لو لم يبتل العقل الذي هو أشرف البدن لاستمر العالم في أبهة العلم على التمرد فبذلك يستأنس إلى التذلل بعز العبودية والمتشابه هو موضع خضوع العقول لبارئها استسلاما واعترافا بقصورها وفي ختم الآية بقوله تعالى (وما يذكر إلا أولو الالباب) تعريض بالزائغين ومدح للراسخين يعني من لم يتذكر ويتعظ ويخالف هواه فليس من أولي

العقول

وأرق وأبرع وأحسن الكلام وأبدع فهذا فصل فيه نظر بين المتكلمين وكلام بين المحققين * أسمعت أفضل من رأيت من أهل العلم بالادب والحذق بهذه الصناعة مع تقدمه في الكلام يقول ان الكلام المنثور يتأتى فيه من الفصاحة والبلاغة ما لا يتأتى في الشعر لان الشعر يضيق نطاق الكلام ويمنع القول من انتهائه ويصده عن تصرفه على سننه وحضره من يتقدم في صنعة الكلام فراجعه في ذلك أن وذكر انه لا يمتنع أن يكون الشعر أبلغ إذا صادف شروط الفصاحة وأبدع إذا تضمن أسباب البلاغة ويشهد عندي للقول الاخير ان معظم براعة كلام العرب في الشعر ولا نجد في منثور قولهم كان قد أحدث براعة في الرسائل على حد لم يعهد في سالف أيام العرب ولم ينقل من دواوينهم وأخبارهم

المعقول ومن ثم قال الراسخون ربنا لا تزغ قلوبنا إلى آخر الآية فخضعوا لبارئهم لاستنزال العلم اللدني بعد أن استعاذوا به من الزيغ النفساني وقال الخطابي المتشابه على ضربين أحدهما ما إذا رد إلى المحكم واعتبر به عرف معناه والآخر ما لا سبيل إلى الوقوف على حقيقته وهو الذي يتبعه اهل الزيغ فيطلبون تأويله ولا يبلغون كنهه فيرتابون فيه فيفتتنون وقال ابن الحصار قسم الله آيات القرآن إلى محكم ومتشابه وأخبر عن المحكمات أنها أم الكتاب لان اليها ترد المتشابهات وهي التي تعتمد في فهم مراد الله من خلقه في كل ما تعبدهم به من معرفته وتصديق رسله وامتثال أوامره واجتناب نواهيه وبهذا الاعتبار كانت أمهات ثم أخبر عن الذين في قلوبهم زيغ أنهم هم الذين يتبعون ما تشابه منه ومعنى ذلك ان من لم يكن على يقين من المحكمات وفي قلبه شك واسترابة كانت راحته في تتبع المشكلات المتشابهات ومراد الشارع منها التقدم إلى فهم المحكمات وتقديم الامهات حتى إذا حصل اليقين ورسخ العلم لم تبل بما أشكل عليك ومراد هذا الذي في قلبه زيغ التقدم إلى المشكلات وفهم المتشابه قبل فهم الامهات وهو عكس المعقول والمعتاد والمشروع ومثل هؤلاء مثل المشركين الذين يقترحون على رسلهم آيات غير الآيات التي جاءوا بها ويظنون انهم لو جاءتهم آيات أخر لآمنوا عندها جهلا منهم وما علموا ان الايمان بإذن الله تعالى اه وقال الراغب في مفردات القرآن الآيات عند اعتبار بعضها ببعض ثلاثة أضرب محكم على الاطلاق ومتشابه على الاطلاق ومحكم من وجه متشابه من وجه فالمتشابه بالجملة ثلاثة أضرب متشابه من جهة اللفظ فقط ومن جهة المعنى فقط ومن جهتهما فالاول ضربان أحدهما يرجع إلى الالفاظ المفردة إما من جهة الغرابة نحو الاب ويزفون أو الاشتراك كاليد واليمين وثانيهما يرجع إلى جملة الكلام المركب وذلك ثلاثة أضرب ضرب لاختصار الكلام نحو (وان خفتم أن لا تقسطوا في اليتامى فانكحوا ما طاب لكم) وضرب لبسطه نحو ليس كمثله شيء لانه لو قيل ليس مثله شيء كان أظهر للسامع وضرب لنظم الكلام نحو أنزل على عبده الكتاب ولم يجعل عوجا قيما تقديره أنزل على عبده الكتاب قيما ولم يجعل له عوجا والمتشابه من جهة المعنى أوصاف الله تعالى وأوصاف القيامة فان تلك الاوصاف لا تتصور لنا إذ كان لا يحصل في نفوسنا صورة ما لم نحسه أو ليس من جنسه والمتشابه من جهتهما خمسة أضرب الاول من جهة الكمية كالعموم والخصوص نحو (قالوا المشركين) والثاني من جهة الكيفية كالوجوب والندب نحو (فانكحوا ما طاب لكم من النساء) والثالث من جهة الزمان كالناسخ والمنسوخ نحو (اتقوا الله حق تقاته) والرابع من جهة المكان والامور التي نزلت فيها نحو وليس البر بأن تأتوا البيوت من ظهورها إنما النسيء زيادة في الكفر فان من لا يعرف عادتهم في الجاهلية يتعذر عليه تفسير هذه الآية الخامس من جهة الشروط التي يصح بها الفعل ويفسد كشروط الصلاة والنكاح قال وهذه الجملة إذا تصورت علم أن كل ما ذكره المفسرون في تفسير المتشابه لا يخرج عن هذه التقاسيم ثم جمع المتشابه على ثلاثة اضرب ضرب لا سبيل إلى الوقوف عليه كوقت الساعة وخروج الدابة ونحو ذلك وضرب للانسان سبيل إلى معرفته كالالفاظ الغريبة والاحكام القلقة وضرب متردد بين الامرين يختص بمعرفته بعض الراسخين في العلم ويخفى على من دونهم وهو المشار اليه بقوله ﷺ لابن عباس اللهم فقهه في الدين وعلمه التأويل وإذا عرفت هذه الجهة عرفت أن الوقوف على قوله وما يعلم تأويله إلا الله ووصله بقوله والراسخون في العلم جائزان وان لكل واحد منهما وجها حسبما دل عليه التفصيل المتقدم اه وقال الامام فخر الدين صرف اللفظ الراجح إلى المرجوح لابد فيه من دليل منفصل وهو إما لفظي أو عقلي فالاول لا يمكن اعتباره في المسائل الاصولية لانه لا يكون قاطعا لانه موقوف على انتفاء الاحتمالات العشرة المعروفة وانتفاؤها مظنون والموقوف على المظنون مظنون

وهو وان ضيق نطاق القول فهو يجمع حواشيه ويضم أطرافه ونواحيه فهو اذا تهذب في بابه ووفى له جميع أسبابه لم يقاربه من كلام الآدميين كلام ولم يعارضه من خطابهم خطاب وقد حكى عن المتنبي أنه كان ينظر في المصحف فدخل اليه بعض أصحابه فأنكر نظره فيه لما كان رآه عليه من سوء اعتقاده فقال له هذا المكي على فصاحته كان مفحما فان صحت هذه الحكاية عنه في الحاده عرفه بها انه كان يعتقد أن الفصاحة في قول الشعر أبلغ وإذا كانت الفصاحة في قول الشعر أو لم تكن وبينا ان نظم القرآن يزيد في فصاحته على كل نظم ويتقدم في بلاغته على كل قول ربما يتضح به الامر اتضاح الشمس ويتبين به بيان الصبح وقفت على جلية هذا الشأن فانظر فيما

والظنى لا يكتفى به فى الاصول وأما العقلى فانما يفيد صرف اللفظ عن ظاهره لكون الظاهر محالا وأما ثبات المعنى المراد فلا يمكن بالعقل لان طريق ذلك ترجيح مجاز على مجاز وتأويل على تأويل وذلك الترجيح لا يمكن إلا بالدليل اللفظى والدليل اللفظى فى الترجيح ضعيف لا يفيد إلا الظن والظن لا يعول عليه فى المسائل الاصولية القطعية فلهذا اختار الائمة المحققون من السلف والخلف بعد اقامة الدليل القاطع على أن حمل اللفظ على ظاهره محال ترك الخوض فى تعيين التأويل اه وحسبك بهذا الكلام من الامام * (فصل) . من المتشابه آيات الصفات ولابن اللبان فيها تصنيف مفرد نحو (الرحمن على العرش استوى كل شىء هالك إلا وجهه ويبقى وجه ربك ولتصنع على عينى يد الله فوق أيديهم والسموات مطويات بيمينه) وجمهور أهل السنة منهم السلف وأهل الحديث على الايمان بها وتفويض معناها المراد منها إلى الله تعالى ولا نفسرها مع تنزيهنا له عن حقيقتها (أخرج) أبو القاسم اللالكائى فى السنة من طريق قرة بن خالد عن الحسن عن أمه عن أم سلمة فى قوله تعالى (الرحمن على العرش استوى) قالت الكيف غير معقول والاستواء غير مجهول والاقرار به من الايمان والجحود به كفر (أخرج) أيضا عن ربيعة بن أبى عبد الرحمن انه سئل عن قوله الرحمن على العرش استوى فقال الايمان غير مجهود والكيف غير معقول ومن الله الرسالة وعلى الرسول البلاغ المبين وعلينا التصديق (وأخرج) أيضا عن مالك أنه سئل عن الآية فقال الكيف غير معقول والاستواء غير مجهول والايمان به واجب والسؤال عنه بدعة (وأخرج) البيهقى عنه انه قال هو كما وصف نفسه ولا يقال كيف وكيف عنه مرفوع (وأخرج) اللالكائى عن محمد بن الحسن قال اتفق الفقهاء كلهم من المشرق إلى المغرب على الايمان بالصفات من غير تفسير ولا تشبيه وقال الترمذى فى الكلام على حديث الرؤية المذهب فى هذا عند أهل العلم من الأئمة مثل سفيان الثورى ومالك وابن المبارك وابن عيينة ووكيع وغيرهم انهم قالوا نروى هذه الاحاديث كما جاءت ونؤمن بها ولا يقال كيف ولا نفسر ولا نتوهم وذهبت طائفة من أهل السنة إلى أننا نؤولها على ما يليق بجلاله تعالى وهذا مذهب الخلف وكان إمام الحرمين يذهب اليه ثم رجع عنه فقال فى الرسالة النظامية الذى نرتضيه دينا وندين الله به عقدا اتباع سلف الأمة فانهم درجوا على ترك التعرض لمعانيها وقال ابن الصلاح على هذه الطريقة مضى صدر الأمة وساداتها وإياها اختار أئمة الفقهاء وقاداتها واليها دعا أئمة الحديث واعلامه ولا احد من المتكلمة من اصحابنا يصدف عنها ويأباها واختار ابن برهان مذهب التأويل قال ومنشأ الخلاف بين الفريقين هل يجوز ان يكون فى القرآن شىء لم نعلم معناه أولا بل يعلمه الراسخون فى العلم وتوسط ابن دقيق العيد فقال إذا كان التأويل قريبا من لسان العرب لم ينكر او بعيدا توقفنا عنه وآمنا بمعناه على الوجه الذى أريد به مع التنزيه وما كان معناه من الالفاظ ظاهرا مفهوما من تخاطب العرب قلنا به من غير توقيف كما فى قوله تعالى (ياحسرتى على ما فرطت فى جنب الله) فنحمله على حق الله وما يجب له (ذكر ما وقفت) عليه من تأويل الآية المذكورة على طريقة أهل السنة من ذلك صفة الاستواء وحاصل ما رأيت فيها سبعة أجوبة (أحدها) حكى مقاتل والكلبى عن ابن عباس استوى بمعنى استقر وهذا ان صح يحتاج إلى تأويل فان الاستقرار يشعر بالتجسيم (ثانيها) ان استوى بمعنى استولى ورد بوجهين أحدهما ان الله تعالى مستول على الكونين والجنة والنار وأهلهما فاى فائدة فى تخصيص العرش والاخر ان الاستيلاء إنما يكون بعد قهر وغلبة والله سبحانه وتعالى منزه عن ذلك (وأخرج اللالكائى فى السنة عن ابن الاعرابى انه سئل عن معنى استوى فقال هو على عرشه كما أخبر فقيل يا أبا عبد الله معناه استولى قال اسكت لا يقال استولى على الشىء إلا إذا كان له مضاد فاذا غلب أحدهما قيل استولى (ثالثها) انه بمعنى صعد قاله أبو

نعرضه عليك ما نعرضه وتصور بفهمك ما نصوره ليقع لك موقع عظم شأن القرآن وتأمل ما نرتبه ينكشف لك الحق وإذ أردنا تحقيق ما ضمناه لك فمن سبيلنا ان نعمد إلى قصيدة متفق على كبر محلها وصحة نظمها وجودة بلاغتها ومعانيها واجماعهم على ابداع صاحبها فيها مع كونه من الموصوفين بالتقدم على الصناعة والمعروفين بالحذف فى البراعة فتوقفك على مواضع خللها وعلى تفاوت نظمها وعلى اختلاف فصولها وعلى كثرة فضولها وعلى شدة تعسفيها وبعض تكلفها وما نجمع من كلام رفيع يقرن بينه وبين كلام وضيع وبين لفظ سوقى يقرن بلفظ ملوكى وغير ذلك من الوجوه التى يجىء تفصيلها ونبين ترتيبها وتنزيلها . فأما كلام مسيلمة الكذاب وما زعم انه قرآن فهو أخس من أن نشتغل به

عبيد ورد بأنه تعالى منزه عن الصعود أيضا (رابعها) ان التقدير الرحمن علا أى ارتفع من العلو والعرش له استوى حكاه اسماعيل الضرير فى تفسيره ورد بوجهين أحدهما أنه جعل على فعلا وهى حرف هنا باتفاق فلو كانت فعلا لكتبت بالألف كقوله علا فى الارض والآخر انه رفع العرش ولم يرفعه أحد من القراء (خامسها) ان الكلام تم عند قوله الرحمن على العرش ثم ابتدأ بقوله استوى له ما فى السموات وما فى الارض ورد بانه يزيل الآية عن نظمها ومرادها (قلت) ولا يتاتى له فى قوله ثم استوى على العرش (سادسها) ان معنى استوى اقبل على خلق العرش وعمد إلى خلقه كقوله ثم استوى الى السماء وهى دخان أى قصد وعمد إلى خلقها قاله الفراء والاشعرى وجماعة أهل المعانى (وقال) اسماعيل الضرير انه الصواب (قلت) يبعده تعديته بعلى ولو كان كما ذكروه لتعدى بالى كما فى قوله ثم استوى الى السماء (سابعها) قال ابن اللبان الاستواء المنسوب اليه تعالى بمعنى اعتدل أى قام بالعدل كقوله تعالى قائما بالقسط والعدل هو استواؤه ويرجع معناه إلى أنه أعطى بعزته كل شىء خلقه موزونا بحكمته البالغة (ومن ذلك) النفس فى قوله تعالى (تعلم ما فى نفسى ولا أعلم ما فى نفسك) ووجه بأنه خرج على سبيل المشاكلة مرادا به الغيب لأنه مستتر كالنفس وقوله (ويحذركم الله نفسه) أى عقوبته وقيل اياه (وقال السهيلى) النفس عبارة عن حقيقة الوجود دون معنى زائد وقد استعمل من لفظه النفاسة والشىء النفيس فصلحت للتعبير عنه سبحانه وتعالى (وقال ابن اللبان) أولها العلماء بتأويلات منها أن النفس عبر بها عن الذات قال وهذا وان كان سائغا فى اللغة ولكن تعدى الفعل اليها فى المفيدة للظرفية محال عليه تعالى وقد أولها بعضهم بالغيب أى ولا أعلم ما فى غيبك وسرك قال وهذا احسن لقوله فى آخر الآية انك أنت علام الغيوب (ومن ذلك) الوجه وهو مؤول بالذات وقال ابن اللبان فى قوله (يريدون وجهه انما نطعمكم لوجه الله إلا ابتغاء وجه ربه الأعلى) المراد اخلاص النية وقال غيره فى قوله فثم وجه الله أى الجهة التى أمر بالتوجه اليها (ومن ذلك) العين وهى مؤولة بالبصر أو الادراك بل قال بعضهم انها حقيقة فى ذلك خلافا لتوهم بعض الناس انها مجاز وانما المجاز فى تسمية العضو بها (وقال ابن اللبان) نسبة العين اليه تعالى اسم لآياته المبصرة التى بها سبحانه ينظر المؤمنين وبها ينظرون اليه قال تعالى (فلما جاءتهم آياتنا مبصرة) نسب البصر للآيات على سبيل المجاز تحقيقا لأنها المرادة بالعين المنسوبة اليه وقال (قد جاءكم بصائر من ربكم فمن أبصر فلنفسه ومن عمى فعليها قال فقوله واصبر لحكم ربك فانك باعيننا) أى بآياتنا تنظر بها الينا وتنظر بها اليك ويؤيده أن المراد بالأعين هنا الآيات كونه علل بها الصبر لحكم ربه صريحا فى قوله (انا نحن نزلنا عليك القرآن تنزيلا فاصبر لحكم ربك) قال وقوله فى سفينة نوح تجرى بأعيننا أى بآياتنا بدليل (وقال اركبوا فيها بسم الله مجراها ومرساها وقال ولتصنع على عينى) أى على حكم آيتى أوحيتها إلى أمك أن أرضعيه فاذا خفت عليه فألقيه فى اليم الآية اه وقال غيره المراد فى الآيات كلاءته تعالى أى حفظه (ومن ذلك) اليد فى قوله (لما خلقت بيدى يد الله فوق أيديهم مما عملت أيدينا إن الفضل بيد الله) وهى مؤولة بالقدرة وقال السهيلى اليد فى الاصل كالبصر عبارة عن صفة الموصوف ولذلك مدح سبحانه وتعالى بالايدى مقرونة مع الابصار فى قوله أولى الايدى والابصار فلم يمدحهم بالجوارح لأن المدح انما يتعلق بالصفات لا بالجواهر قال ولهذا قال الاشعرى ان اليد صفة ورد بها الشرع والذى يلوح من معنى هذه الصفة انها قريبة من معنى القدرة إلا أنها أخص والقدرة أعم كالمحبة مع الارادة والمشيئة فان فى اليد تشريفا لازما وقال البغوى فى قوله بيدى فى تحقيق الله التثنية فى اليد دليل على انها ليست بمعنى القدرة والقوة والنعمة وانما هما صفتان من صفات ذاته وقال مجاهد اليد ها هنا صلة وتأكيد كقوله (ويبقى وجه ربك) قال البغوى وهذا تأويل غير قوى لأنها

واستخف من أن نفكر فيه وانما نقلنا منه طرفا ليتعجب القارىء وليتبصر الناظر فانه على سخافته قد أضل وعلى ركاكته قد أذل وميدان الجهل واسع ومن نظر فيما نقلناه عنه وفهم موضع جهله كان جديرا أن يحمد الله على ما رزقه من فهم وآتاه من علم فما كان يزعم أنه نزل عليه من السماء والليل الاطخم والذئب الادلم والجذع الازلم ما انتهكت أسيد من محرم وذلك قد ذكر فى خلاف وقع بين قوم أتوه من أصحابه وقال أيضا والليل الدامس والذئب الهامس ما قطعت أسيد من رطب ولا يابس وكان يقول والشاة وألوانها وأعجبها السوداء وألبانها والشاة السوداء واللبن الابيض انه لعجب محض وقد حرم المذق فما لكم لا تجتمعون وكان يقول ضفدع بنت ضفدعين نقنقى ما تنقنقين أعلاك فى الماء وأسفلك فى الطين لا

لو كانت صلة لكان لابليس أن يقول ان كنت خلقته فقد خلقتني وكذلك في القدرة والنعمة لا يكون لآدم في الخلق مزية على ابليس وقال ابن اللبان فان قلت فما حقيقة اليدين في خلق آدم قلت الله أعلم بما أراد ولكن الذي استثمرته من تدبر كتابه أن اليدين استعارة لنور قدرته القائم بصفة فضله ولنورها القائم بصفة عدله ونبه على تخصيص آدم وتكريمه بأن جمع له في خلقه بين فضله وعدله قال وصاحبة الفضل هي اليمين التي ذكرها في قوله (والسموات مطويات بيمينه) سبحانه وتعالى (ومن ذلك) الساق في قوله (يوم يكشف عن ساق) ومعناه عن شدة وأمر عظيم كما يقال قامت الحرب على ساق أخرج الحاكم في المستدرك من طريق عكرمة عن ابن عباس أنه سئل عن قوله يوم يكشف عن ساق قال إذا خفي عليكم شيء من القرآن فابتغوه في الشعر فانه ديوان العرب أما سمعتم قول الشاعر

اصبر عناق إنه شر باق   قد سن لي قومك ضرب الاعناق

* وقامت الحرب بنا على ساق . قال ابن عباس هذا يوم كرب وشدة (ومن ذلك) الجنب في قوله تعالى (على ما فرطت في جنب الله) أي في طاعته وحقه لأن التفريط إنما يقع في ذلك ولا يقع في الجنب المعهود (ومن ذلك) صفة القرب في قوله (فاني قريب ونحن أقرب اليه من حبل الوريد) أي بالعلم (ومن ذلك) صفة الفوقية في قوله (وهو القاهر فوق عباده يخافون ربهم من فوقهم) والمراد بها العلو من غير جهة وقد قال فرعون وإنا فوقهم قاهرون ولا شك أنه لم يرد العلو المكاني (ومن ذلك) صفة المجيء في قوله وجاء ربك ويأتي ربك أي امره لأن الملك إنما يأتي بأمره أو بتسليطه كما قال تعالى (وهم بأمره يعملون فصار كما لو صرح به وكذا قوله اذهب أنت وربك فقاتلا أي اذهب بربك أي بتوفيقه وقوته (ومن ذلك) صفة الحب في قوله (يحبهم ويحبونه فاتبعوني يحببكم الله) وصفة الغضب في قوله غضب الله عليها وصفة الرضى في قوله رضي الله عنهم وصفة العجب في قوله بل عجبت بضم التاء وقوله وان تعجب فعجب قولهم وصفة الرحمة في آيات كثيرة وقد قال العلماء كل صفة يستحيل حقيقتها على الله تعالى تفسر بلازمها قال الامام فخر الدين جميع الأعراض النفسانية أعني الرحمة والفرح والسرور والغضب والحياء والمكر والاستهزاء لها أوائل ولها غايات مثاله الغضب فان أوله غليان دم القلب وغايته إرادة إيصال الضرر إلى المغضوب عليه فلفظ الغضب في حق الله لا يحمل على أوله الذي هو غليان دم القلب بل على غرضه الذي إرادة الاضرار وكذلك الحياء له أول وهو انكسار يحصل في النفس وله غرض وهو ترك الفعل فلفظ الحياء في حق الله يحمل على ترك الفعل لا على انكسار النفس اه وقال الحسين بن الفضل العجب من الله انكار الشيء وتعظيمه وسئل الجنيد عن قوله (وان تعجب فعجب قولهم) فقال ان الله لا يعجب من شيء ولكن الله وافق رسوله فقال وان تعجب فعجب قولهم أي هو كما تقول (ومن ذلك) لفظة عند في قوله تعالى عند ربك ومن عنده ومعناهما الاشارة إلى التمكين والزلفى والرفعة (ومن ذلك قوله) وهو معكم أينما كنتم أي بعلمه وقوله وهو الله في السموات وفي الارض يعلم (قال البيهقي) الاصح ان معناه أنه المعبود في السموات وفي الارض مثل قوله (وهو الذي في السماء اله وفي الارض اله) (وقال الاشعري) الظرف متعلق بيعلم أي عالم بما في السموات والارض (ومن ذلك) قوله (سنفرغ لكم أيه الثقلان) أي سنقصد لجزائكم . (تنبيه) . قال ابن اللبان ليس من المتشابه قوله تعالى ان بطش ربك لشديد لأنه فسره بعده بقوله انه هو يبدىء ويعيد تنبيها على أن بطشه عبارة عن تصرفه في بدئه واعادته وجميع تصرفاته في مخلوقاته

. (فصل) . ومن المتشابه أوائل السور والمختار فيها أيضا انها من الاسرار التي لا يعلمها إلا الله تعالى أخرج ابن المنذر وغيره عن الشعبي أنه سئل عن فواتح السور فقال ان لكل كتاب سرا وان سر هذا

القرآن

الشارب تمنعين ولا الماء تكدرين لنا نصف الارض ولقريش نصفها ولكن قريشا قوم يعتدون وكان يقول والمبديات زرعا والحاصدات حصدا والذاريات قمحا والطاحنات طحنا والخابزات خبزا والثاردات ثردا واللاقمات لقما اهالة وسمنا لقد فضلتم على أهل الوبر وماسبقكم أهل المدر ريفكم فامنعوه والمعتر فآووه والباغي فناوؤه وقالت سجاح بنت الحارث ابن عقبان وكانت تنبأت فاجتمع مسيلمة معها فقالت له ما أوحى اليك فقال ألم تر كيف فعل ربك بالحبلى أخرج منها نسمة تسعى من بين صفاق وحشا وقالت فما بعد ذلك قال أوحى إلى أن الله خلق النساء أفواجا وجعل الرجال لهن أزواجا فنولج فيهن قعسا ايلاجا ثم نخرجها إذا نشئنا اخراجا فينتجن لنا سخالا نتاجا فقالت أشهد انك نبي ولم ننقل كل

القرآن فواتح السور وخاض فى معناها آخرون (فاخرج) ابن أبى حاتم وغيره من طريق أبى الضحى عن ابن عباس فى قوله الم قال أنا الله اعلم وفى قوله المص قال أنا الله افصل وفى قوله الر قال انا الله أرى (واخرج) من طريق سعيد بن جبير عن ابن عباس فى قوله الم وحم ون قال اسم مقطع (واخرج) من طريق عكرمة عن ابن عباس قال الر وحم ون حروف الرحمن مفرقة (واخرج) أبو الشيخ عن محمد بن كعب القرظى قال الر من الرحمن (واخرج) عنه أيضا قال المص الالف من الله والميم من الرحمن والصاد من الصمد (واخرج) أيضا عن الضحاك فى قوله المص قال انا الله الصادق وقيل المص معناه المصور وقال الر معناه انا الله اعلم او ارفع حكاهما الكرمانى فى غرائبه (واخرج) الحاكم وغيره من طريق سعيد بن جبير عن ابن عباس فى كهيعص قال الكاف من كريم والهاء من هاد والياء من حكيم والعين من عليم والصاد من صادق (واخرج) الحاكم ايضا من وجه آخر عن سعيد عن ابن عباس فى قوله كهيعص قال كاف هاد امين عزيز صادق (واخرج) ابن أبى حاتم من طريق السدى عن أبى مالك وعن أبى صالح عن ابن عباس وعن مرة عن ابن مسعود وناس من الصحابة فى قوله كهيعص قال هو هجاء مقطع الكاف من الملك والهاء من الله والياء والعين من العزيز والصاد من المصور (وأخرج) عن محمد بن كعب مثله إلا انه قال والصاد من الصمد وأخرج سعيد بن منصور وابن مردويه من طريق آخر عن سعيد عن ابن عباس فى قوله كهيعص قال كبير هاد أمين عزيز صادق (واخرج) ابن مردويه من طريق الكلبى عن أبى صالح عن ابن عباس فى قوله كهيعص قال الكاف الكافى والهاء الهادى والعين العالم والصاد الصادق واخرج من طريق يوسف بن عطية قال سئل الكلبى عن كهيعص فحدث عن أبى صالح عن أم هانىء عن رسول الله ﷺ قال كاف هاد امين عالم صادق (وأخرج) ابن أبى حاتم عن عكرمة فى قوله كهيعص قال يقول أنا الكبير أنا الهادى على أمين صادق (وأخرج) عن محمد بن كعب فى قوله طه قال الطاء من ذى الطول (وأخرج) عنه أيضا فى قوله طسم قال الطاء من ذى الطول والسين من القدوس والميم من الرحمن وأخرج عن سعيد بن جبير فى قوله حم قال حاء اشتقت من الرحمن وميم اشتقت من الرحيم (وأخرج) عن محمد بن كعب فى قوله حمعسق قال والحاء والميم من الرحمن والعين من العليم والسين من القدوس والقاف من القاهر (وأخرج) عن مجاهد قال فواتح السور كلها هجاء مقطع (وأخرج) عن سالم بن عبد الله قال (الم) (وحم) (ون) ونحوها اسم الله مقطعة (وأخرج) عن السدى قال فواتح السور أسماء من أسماء الرب جل جلاله فرقت فى القرآن وحكى الكرمانى فى قوله (ق) إنه حرف من اسمه قادر وقاهر وحكى غيره فى قوله (ن) انه مفتاح اسمه تعالى نور وناصر وهذه الأقوال كلها راجعة إلى قول واحد وهو انها حروف مقطعة كل حرف منها مأخوذ من اسم من أسمائه تعالى والاكتفاء ببعض الكلمة معهود فى العربية قال الشاعر

* قلت لها قفى فقالت ق * أى وقفت وقال بالخير خيرات وإن شرا فا ولا أريد الشر إلا أن تا أراد وان شرا فشر وإلا أن تشاء وقال

ناداهم ألا الجموا ألا تا ... قالوا جميعا كلهم ألا فا

أراد ألا تركبون ألا فاركبوا وهذا القول اختاره الزجاج وقال العرب تنطق بالحرف الواحد تدل به على الكلمة التى هو منها وقيل انها الإسم الأعظم إلا أنا لا نعرف تأليفه منها كذا نقله ابن عطية (وأخرج) ابن جرير بسند صحيح عن ابن مسعود قال هو اسم الله الأعظم (وأخرج) ابن أبى حاتم من طريق السدى انه بلغه عن ابن عباس قال (الم) اسم من أسماء الله تعالى الأعظم (وأخرج) ابن جرير وغيره من طريق على ابن أبى طلحة عن ابن عباس قال (الم) (وطسم) (وص) وأشباهها

ماذكر من سخفه كراهة التثقيل وروى انه سأل أبو بكر الصديق رضى الله عنه أقواما قدموا عليه من بنى حنيفة عن هذه الالفاظ فحكوا بعض ما نقلناه فقال أبو بكر سبحان الله ويحكم ان هذا الكلام لم يخرج عن آل فأين كان يذهب بكم ومعنى قوله لم يخرج عن آل أى عن ربوبية ومن كان له عقل لم يشتبه عليه سخف هذا الكلام فنرجع الآن إلى ما ضمناه من الكلام على الاشعار المتفق على جودتها وتقدم أصحابها فى صناعتهم ليتبين لك تفاوت أنواع الخطاب وتباعد مواقع البلاغة وتستدل على مواضع البراعة وأنت لا تشك فى جودة شعر امرىء القيس ولا ترتاب فى براعته ولا تتوقف فى فصاحته وتعلم أنه قد أبدع فى طرق الشعر أمورا اتبع فيها من ذكر الديار والوقوف عليها إلى ما يتصل بذلك من البديع الذى أبدعه والتشبيه الذى أحدثه والتلميح الذى يوجد فى شعره والتصرف الكثير

قسم أقسم الله به وهو من أسماء الله وهذا يصلح أن يكون قولا ثالثا أى أنها برمتها أسماء الله وتصلح أن يكون من القول الاول ومن الثانى وعلى الأول مشى ابن عطية وغيره ويؤيده ما أخرجه ابن ماجه فى تفسيره من طريق نافع عن أبى نعيم القارى عن فاطمة بنت على بن أبى طالب أنها سمعت على بن أبى طالب يقول يا (كهيعص) اغفرلى وما أخرجه ابن أبى حاتم عن الربيع بن أنس فى قوله (كهيعص) قال لا يا من يجير ولا يجار عليه (وأخرج) عن أشهب قال سألت مالك بن أنس أينبغى لأحد أن يتسمى (بيس) قال ما أراه ينبغى لقول الله (يس) والقرآن الحكيم يقول هذا اسم تسميت به وقيل هى أسماء للقرآن كالفرقان والذكر أخرجه عبد الرزاق عن قتادة وأخرجه ابن أبى حاتم بلفظ كل هجاء فى القرآن فهو اسم من أسماء القرآن وقيل هى أسماء للسور نقله الماوردى وغيره عن زيد بن أسلم ونسبه صاحب الكشاف إلى الاكثر وقيل هى فواتح للسور كما يقولون فى أول القصائد بل ولا (أخرج) ابن جرير من طريق الثورى عن ابن أبى نجيح عن مجاهد قال (الم) (وحم) (والمص) (وص) ونحوها فواتح يفتح الله بها القرآن (وأخرج) أبو الشيخ من طريق ابن جرير قال قال مجاهد (الم) (الر) (المر) فواتح افتتح الله بها القرآن قلت ألم يكن يقول هى أسماء قال لا وقيل هذا حساب أبى جاد لتدل على مدة هذه الأمة (وأخرج) ابن أبى اسحق عن الكلبى عن أبى صالح عن ابن عباس عن جابر بن عبد الله بن دياب قال مر أبو ياسر ابن اخطب فى رجال من يهود برسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يتلو فاتحة سورة البقرة (الم) ذلك الكتاب لاريب فيه فأتى أخاه حى بن أخطب فى رجال من اليهود فقال هلمون والله لقد سمعت محمدا يتلو فيما أنزل عليه الم ذلك الكتاب فقال أنت سمعته قال نعم فمشى حى فى أولئك النفر إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا الم تذكر أنك تتلو فيما أنزل عليك الم ذلك الكتاب فقال بلى فقالوا لقد بعث الله قبلك أنبياء ما نعلمه بين لنبى منهم مامدة ملكه وما أجل أمته غيرك الألف بواحد واللام بثلاثين والميم بأربعين فهذه إحدى وسبعون سنة أفندخل فى دين نبى إنما مدة ملكه وأجل أمته إحدى وسبعون سنة ثم قال يا محمد هل مع هذا غيره قال نعم (المص) قال هذه أثقل وأطول الالف بواحد واللام بثلاثين والميم بأربعين والصاد بتسعين فهذه إحدى وستون ومائة سنة هل مع هذا غيره قال نعم المر قال هذه أثقل وأطول الالف بواحد واللام بثلاثين والميم أربعين والراء بمائتين هذه إحدى وسبعون ومائتان سنة ثم قال لقد لبس علينا أمرك حتى ماندرى أقليلا أعطيت أم كثيرا ثم قال قوموا عنه ثم قال أبو ياسر لاخيه ومن معه مايدريكم لعله قد جمع هذا كله لمحمد إحدى وسبعون وإحدى وستون ومائة وإحدى وثلاثون ومائتان وإحدى وسبعون ومائتان فذلك سبعمائة وأربع وثلاثون سنة فقالوا لقد تشابه علينا أمره فيزعمون أن هؤلاء الآيات نزلت فيهم (هو الذى أنزل عليك الكتاب منه آيات محكمات هن أم الكتاب وأخر متشابهات) أخرجه ابن جرير من هذا الطريق وابن المنذر من وجه آخر عن ابن جريج معضلا (وأخرج) ابن جرير وابن أبى حاتم عن أبى العالية فى قوله (الم) قال هذه الاحرف الثلاثة من الأحرف التسعة والعشرين دارت بها الألسن ليس منها حرف إلا وهو مفتاح اسم من أسمائه تعالى وليس منها حرف الا وهو من آلائه وبلائه وليس منها حرف الا وهو مدة أقوام وآجالهم فالالف مفتاح اسم الله واللام مفتاح اسمه لطيف والميم مفتاح اسمه مجيد فالألف آلاء الله واللام لطف الله والميم مجد الله فالالف سنه واللام ثلاثون والميم أربعون قال الخويى وقد استخرج بعض الأئمة من قوله تعالى (الم) غلبت الروم أن المقدس يفتحه المسلمون فى سنة ثلاثة وثمانين وخمسمائة ووقع كما قاله قال السهيلى لعل عدد الحروف التى فى أوائل السور مع حذف المكرر للاشارة الى مدة بقاء هذه

الذى تصادفه فى قوله والوجوه التى ينقسم اليها كلامه من صناعة وطبع وسلاسة وعلو ومتانة ورقة وأسباب تحمد وأمور تؤثر وتمدح وقد ترى الادباء أولا يوازنون بشعره فلانا وفلانا ويضمون أشعارهم الى شعره فى حتى ربما وازنوا بين شعره من لقيناه وبين شعره فى أشياء لطيفة وأمور بديعة وربما فضلوهم عليه أو سووا بينهم وبينه أو قربوا مواضع تقدمهم عليه وبرزوه بين أيديهم ولما اختاروا قصيدته فى السبعيات أضافوا اليها أمثالها وقرنوا بها نظائرها ثم تراهم يقولون لفلان لامية مثلها ثم ترى أنفس الشعراء تتشوف الى معارضته وتساويه فى طريقته وربما عثرت فى وجوه أعلى أشياء كثيرة وتقدمت عليه فى أسباب عجيبة وإذا جاءوا إلى تعداد محاسن شعره كان أمرا محصورا وشيئا معروفا أنت تجد من ذلك البديع

الأمة قال ابن حجر وهذا باطل لا يعتمد عليه فقد ثبت عن ابن عباس رضى الله عنه الزجر عن أبى جاد والاشارة إلى ذلك من جملة السحر وليس ذلك ببعيد فانه لا أصل له فى الشريعة وقد قال القاضى أبو بكر بن العربى فى فوائد رحلته (ومن الباطل) علم الحروف المقطعة فى أوائل السور وقد تحصل لى فيها عشرون قولا وأزيد ولا أعرف أحدا يحكم عليها بعلم ولا يصل منها إلى فهم والذى أقوله أنه لولا أن العرب كانوا يعرفون أن لها مدلولا متداولا عنهم لكانوا أول من أنكر ذلك على النبى ﷺ بل تلى عليهم (حم) فصلت (ص) وغيرها فلم ينكروا ذلك بل صرحوا بالتسليم له فى البلاغة والفصاحة مع تشوقهم إلى عثرة وحرصهم على زلة فدل على أنه كان أمرا معروفا بينهم لا أنكار فيه اه وقيل هى تنبيهات كما فى النداء عده ابن عطية مغايرا للقول بأنها فواتح والظاهر أنه بمعناها قال أبو عبيدة افتتاح كلام وقال الخوبى القول بأنها تنبيهات جيد لان القرآن كلام عزيز وفوائده عزيزة فينبغى ان يرد على سمع متنبه فكان من الجائز أن يكون الله قد علم فى بعض الاوقات كون النبى صلى الله عليه وسلم فى عالم البشر مشغولا فأمر جبريل بأن يقول عند نزوله الم والر وحم ليسمع النبى صوت جبريل فيقبل عليه ويصغى اليه قال وإنما لم يستعمل الكلمات المشهورة فى التنبيه كألا وأما لانها من الالفاظ التى يتعارفها الناس فى كلامهم والقرآن كلام لا يشبه الكلام فناسب أن يؤتى فيه بألفاظ تنبيه لم تعهد لتكون أبلغ فى قرع سمعه اه وقيل إن العرب كانوا اذا سمعوا القرآن لغوا فيه فأنزل الله هذا النظم البديع ليعجبوا منه ويكون تعجبهم منه سببا لاستماعهم وسماعهم له سببا لاستماع ما بعده فترق القلوب وتلين الأفئدة عد هذا جماعة قولا مستقلا والظاهر خلافه وإنما يصلح هذا مناسبة لبعض الاقوال لا قولا فى معناها إذ ليس فيه بيان معنى وقيل إن هذه الحروف ذكرت لتدل على ان القرآن مؤلف من الحروف التى هى ا ب ت ث لجاء بعضها مقطعا وجاء تمامها مؤلفا ليدل القول الذين نزل القرآن بلغتهم أنه بالحروف التى يعرفونها فيكون ذلك تقريعا لهم ودلالة على عجزهم ان يأتوا بمثله بعد أن يعلموا أنه منزل بالحروف التى يعرفونها ويبنوا كلامهم منها وقيل المقصود بها الاعلام بالحروف التى يتركب منها الكلام فذكر منها أربعة عشر حرفا وهى نصف جميع الحروف وذكر من كل جنس نصفه فمن حروف الحلق الحاء والعين والهاء ومن التى فوقها القاف والكاف ومن الحرفين الشفهيين الميم ومن المهموسة السين والحاء والكاف والصاد والهاء ومن الشديدة الهمزة والطاء والقاف والكاف ومن المطبقة الطاء والصاد ومن المجهورة الهمزة والميم واللام والعين والراء والطاء والقاف والياء والنون ومن المستعلية القاف والصاد والطاء ومن المنخفضة الهاء واللام والميم والراء والكاف والهاء والياء والعين والسين والحاء والنون ومن القلقلة القاف والطاء ثم إنه تعالى ذكر حروفا مفردة وحرفين حرفين وثلاثة وأربعة وخمسة لان تراكب الكلام على هذا النمط ولا زيادة على الخمسة وقيل هى امارة جعلها الله لاهل الكتاب أنه سينزل على محمد كتابا فى أول سور منه حروف مقطعة هذا ما وقفت عليه من الأقوال فى أوائل السور من حيث الجملة وفى بعضها أقوال أخر فقيل ان طه ويس بمعنى يارجل أو يا محمد أو يا إنسان وقد تقدم فى المغرب وقيل هما إسمان من أسماء النبى ﷺ قال الكرمانى فى غرائبه ويقويه فى يس قراءة يس بفتح النون وقوله آل ياسين وقيل طه أى طأ الارض أو إطمئن فيكون فعل أمر والهاء مفعول أو للسكت أو مبدلة من الهمزة (أخرج) ابن أبى حاتم من طريق سعيد بن جبير عن ابن عباس فى قوله طه هو كقولك افعل وقيل طه أى يا بدر لان الطاء بتسعة والهاء بخمسة فذلك أربعة عشر اشارة إلى البدر لانه يتم فيها ذكره الكرمانى فى غرائبه وقال فى قوله يس أى ياسيد المرسلين وفى قوله ص معناه صدق الله وقيل

أو أحسن منه فى شعر غيره وتشاهد مثل ذلك البارع فى كلام سواه وتنظر إلى المحدثين كيف توغلوا إلى حيازة المحاسن منهم من جمع رصانة الكلام إلى سلاسته ومتانته إلى عذوبته والاصابة فى معناه إلى تحسين بهجته حتى أن منهم من إن قصر عنه فى بعض تقدم عليه فى بعض لان الجنس الذى يرمون اليه والغرض الذى يتواردون عليه مما الآدمى فيه مجال وللبشرى فيه مثال فكل يضرب فيه بسهم ويفوز فيه بقدح ثم قد تتفاوت السهام تفاوتا وتتباين تباينا وقد تتقارب تقاربا على حسب مشاركتهم فى الصنائع ومساهمتهم فى الحرف ونظم القرآن جنس مميز وأسلوب متخصص وقبيل عن النظير متخلص فاذا شئت ان تعرف عظم شأنه فتأمل ما نقوله فى هذا الفصل لامرىء القيس فى أجود أشعاره وما نبين لك من عواره على

اقسم بالصمد الصانع الصادق وقيل معناه صاد يا محمد عملك بالقرآن أى عارضه به فهو أمر من المصادة (وأخرج) عن الحسين قال صاد حادث القرآن يعنى انظر فيه (وأخرج) عن سفيان بن حسين قال كان الحسن يقرؤها صاد القرآن يقول عارض القرآن وقيل ص اسم بحر عليه عرش الرحمن وقيل اسم بحر يحيى به الموتى وقيل معناه صاد محمد قلوب العباد حكاها الكرمانى كلها وحكى فى قوله المص أن معناه ألم نشرح لك صدرك وفى حم أنه ﷺ وقيل معناه حم ما هو كائن وفى حمعسق أنه جبل ق وقيل ق جبل محيط بالأرض (أخرجه) عبد الرزاق عن مجاهد وقيل أقسم بقوة قلب محمد ﷺ وقيل هى القاف من قوله قضى الأمر دلت على بقية الكلمة وقيل معناها قف يا محمد على أداء الرسالة والعمل بما أمرت حكاهما الكرمانى قيل هو الحوت (أخرج) الطبرانى عن ابن عباس مرفوعا أول ما خلق الله القلم والحوت قال اكتب قال وما أكتب قال كل شىء كائن إلى يوم القيامة ثم قرأ (ن والقلم) فالنون الحوت والقلم القلم قيل هو اللوح المحفوظ (أخرجه) ابن جرير من مرسل بن قرة مرفوعا وقيل هو الدواة (أخرجه) عن الحسن وقتادة وقيل هو المداد وحكاه ابن قتيبة فى غريبه وقيل القلم حكاه الكرمانى عن الجاحظ وقيل هو اسم من أسماء النبى ﷺ حكاه بن عساكر فى مبهماته وفى المحتسب لابن جنى ان ابن عباس قرأ حم بلا عين ويقول السين كل فرقة تكون والقاف كل جماعة تكون قال ابن جنى وفى هذه القراءة دليل على الفواتح فواصل بين السور ولو كانت أسماء الله لم يجز تحريف شىء منها لانها لا تكون أعلاما والأعلام تؤدى بأعيانها ولا يحرف شىء منها وقال الكرمانى فى غرائبه فى قوله تعالى ألم أحسب الانسان الاستفهام هنا يدل على انقطاع الحروف عما بعدها فى هذه السورة وغيرها (خاتمة) أورد بعضهم سؤالا وهو أنه هل للمحكم مزية على المتشابه أو لا فان قلتم بالثانى فهو خلاف الاجماع أو بالأول فقد نقضتم أصلكم فى ان جميع كلامه سبحانه وتعالى سواء وأنه منزل بالحكمة (وأجاب) أبو عبد الله النكرباذى بأن المحكم كالمتشابه من وجه ويخالفه من وجه فيتفقان فى أن الاستدلال بهما لا يمكن إلا بعد معرفة حكمة الواضع وأنه لا يختار القبيح ويختلفان فى أن المحكم بوضع اللغة لا يحتمل إلا الوجه الواحد فمن سمعه أمكنه أن يستدل به فى الحال والمتشابه يحتاج إلى فكرة ونظر ليحمله على الوجه المطابق ولأن المحكم أصل والعلم بالأصل أسبق ولأن المحكم يعلم مفصلا والمتشابه لا يعلم إلا مجملا وقال بعضهم ان قيل ما الحكمة فى انزال المتشابه ممن أراد لعباده البيان والهدى قلنا ان كان مما يمكن علمه فله فوائد منها الحث للعلماء على النظر الموجب للعلم بغوامضه والبحث عن دقائقه فان استدعاء الهمم لمعرفة ذلك من أعظم القرب ومنها ظهور التفاضل وتفاوت الدرجات إذ لو كان القرآن كله محكما لا يحتاج إلى تأويل ونظر لاستوت منازل الخلق ولم يظهر فضل العالم على غيره وان كان مما لا يمكن علمه فله فوائد منها ابتلاء العباد بالوقوف عنده والتوقف فيه والتفويض والتسليم والتعبد بالاشتغال به من جهة التلاوة كالمنسوخ وان لم يجز العمل بما فيه واقامة الحجة عليهم لأنه لما نزل بلسانهم ولغتهم وعجزوا عن الوقوف على معناه مع بلاغتهم وافهامهم دل على أنه نزل من عند الله وأنه الذى أعجزهم عن الوقوف وقال الامام فخر الدين من الملحدة من طعن فى القرآن لأجل اشتماله على المتشابهات وقال انكم تقولون الخلق مرتبطة بهذا القرآن إلى قيام الساعة ثم انا نراه بحيث يتمسك به صاحب كل مذهب على مذهبه فالجبرى متمسك بآيات كقوله تعالى (وجعلنا على قلوبهم أكنة أن يفقهوه وفى آذانهم وقرا) والقدرى يقول هذا مذهب الكفار بدليل أنه تعالى حكى ذلك عنهم فى معرض الذم فى قوله (وقالوا قلوبنا فى أكنة مما تدعونا اليه وفى آذاننا وقر) وفى موضع آخر (وقالوا قلوبنا غلف) ومنكر الرؤية متمسك بقوله تعالى

التفصيل وذلك قوله
قفا نبك من ذكرى حبيب ومنزل
بسقط اللوى بين الدخول فحومل
فتوضح فالمقراة لم يعف رسمها
لما نسجتها من جنوب وشمال
الذين يتعصبون أو يدعون محاسن الشعر يقولون هذا من البديع لأنه وقف واستوقف وبكى واستبكى وذكر العهد والمنزل والحبيب وتوجع واستوجع كله فى بيت ونحو ذلك وانما بينا هذا لئلا يقع لك ذهابنا عن مواضع المحاسن ان كانت ولا غفلتنا عن مواضع الصناعة ان وجدت تأمل ارشدك الله وانظر هداك الله انت تعلم أنه ليس فى البيتين شىء قد سبق فى ميدانه شاعرا ولا تقدم بضا نعا وفى لفظه ومعناه خلل فأول ذلك أنه استوقف من يبكى لذكر الحبيب وذكراه لا يقتضى بكاء الخلى وانما يصح طلب

(لا تدركه الأبصار) ومثبت الجهة متمسك بقوله تعالى (يخافون ربهم من فوقهم الرحمن على العرش استوى) والنافي متمسك بقوله تعالى (ليس كمثله شيء ثم يسمى كل واحد) الآيات الموافقة لمذهبه محكمة والآيات المخالفة له متشابهة وإنما آل في ترجيح بعضها على البعض إلى ترجيحات خفية ووجوه ضعيفة فكيف يليق بالحكيم أن يجعل الكتاب الذى هو المرجوع إليه في كل الدين إلى يوم القيامة هكذا قال (والجواب) أن العلماء ذكروا لوقوع المتشابه فيه فوائد منها أنه يوجب مزيد المشقة في الوصول إلى المراد وزيادة المشقة توجب مزيد الثواب ومنها أنه لو كان القرآن كله محكما لما كان مطابقاً إلا لمذهب واحد وكان بصريحه مبطلا لكل ماسوى ذلك المذهب وذلك مما ينفر أرباب سائر المذاهب عن قبوله وعن النظر فيه والانتفاع به فاذا كان مشتملا على المحكم والمتشابه طمع صاحب كل مذهب أن يجد فيه مايؤيد مذهبه وينصر مقالته فينظر فيه جميع أرباب المذاهب ويجتهد في التأمل فيه صاحب كل مذهب وإذا بالغوا في ذلك صارت المحكمات مفسرة للمتشابهات وبهذا الطريق يتخلص المبطل من باطله ويتصل إلى الحق ومنها أن القرآن إذا كان مشتملا على المتشابه افتقر إلى العلم بطريق التأويلات وترجيح بعضها على بعض وافتقر في تعلم ذلك إلى تحصيل علوم كثيرة من علم اللغة والنحو والمعاني والبيان وأصول الفقه ولو لم يكن الأمر كذلك لم يحتج إلى تحصيل هذه العلوم الكثيرة وكان في ايراد المتشابه هذه الفوائد الكثيرة ومنها أن القرآن مشتمل على دعوة الخواص والعوام وطبائع العوام تنفر في أكثر الأمر عن درك الحقائق فمن سمع من العوام في أول الأمر اثبات موجود ليس بجسم ولا متحيز ولا مشار إليه ظن أن هذا عدم ونفى وقع في التعطيل فكان الاصلح أن يخاطبوا بألفاظ دالة على بعض ما يناسب ما توهموه وتخيلوه ويكون ذلك مخلوطا مما يدل على الحق الصريح فالقسم الأول وهو الذى يخاطبون به في أول الأمر يكون من المتشابهات والقسم الثانى وهو الذى يكشف لهم في آخر الأمر من المحكمات

(النوع الرابع والأربعون) في مقدمه ومؤخره وهو قسمان الأول ما اشكل معناه بحسب الظاهر فلما عرف أنه من باب التقديم والتأخير اتضح وهو جدير أن يفرد بالتصنيف وقد تعرض السلف لذلك في آيات فاخرج ابن أبى قتادة في قوله تعالى (فلا تعجبك أموالهم ولا أولادهم إنما يريد الله ليعذبهم بها في الحياة الدنيا) قال هذا من تقاديم الكلام يقول لا تعجبك أموالهم ولا أولادهم في الحياة الدنيا إنما يريد الله ليعذبهم بها في الآخرة (واخرج) عنه أيضاً في قوله تعالى (ولولا كلمة سبقت من ربك لكان لزاما وأجل مسمى) قال هذا من تقاديم الكلام يقول لولا كلمة وأجل مسمى لكان لزاما (واخرج) عن مجاهد في قوله تعالى (أنزل على عبده الكتاب ولم يجعل له عوجا قيما) قال هذا من التقديم والتأخير أنزل على عبده الكتاب قيما ولم يجعل له عوجا (وأخرج) عن قتادة في قوله تعالى (انى متوفيك ورافعك) قال هذا من المقدم والمؤخر أى رافعك إلى ومتوفيك (وأخرج) عن عكرمة في قوله تعالى (لهم عذاب شديد بما نسوا يوم الحساب) قال هذا من التقديم والتأخير يقول لهم يوم الحساب عذاب شديد بما نسوا (واخرج) ابن جرير عن ابن زيد في قوله تعالى (ولولا فضل الله عليكم ورحمته لاتبعتم الشيطان إلا قليلا) قال هذه الآية مقدمة ومؤخرة إنما هى أذاعوا به إلا قليلا منهم ولولا فضل الله عليكم ورحمته لم ينج قليل ولا كثير (واخرج) عن ابن عباس في قوله تعالى (فقالوا أرنا الله جهرة) قال انهم إذا رأوا الله فقد رأوه إنما قالوا جهرة أرنا الله قال هو مقدم ومؤخر قال ابن جرير يعنى أن سؤالهم كان جهرة ومن ذلك قوله (وإذ قتلتم نفساً فادارأتم فيها) قال البغوى هذه أول القصة وإن كان مؤخرا في التلاوة وقال الواحدى كان الاختلاف في القاتل قبل ذبح البقرة وإنما أخر في الكلام لانه تعالى لما قال (ان الله يأمركم) الآية

الاسعاد في مثل هذا على أن يبكى لبكائه ويرق لصديقه في شدة برحائه فاما أن يبكى على حبيب صديقه وعشيق رفيقه فامر محال فان كان المطلوب وقوفه وبكاءه أيضاً عاشقا صح الكلام وفسد المعنى من وجه آخر لانه من السخف ان لا يغار على حبيبه وان يدعو غيره إلى التغازل عليه والتواجد معه فيه ثم في البيتين مالا يفيد من ذكر هذه المواضع وتسمية هذه الاماكن من الدخول وحومل وتوضح والمقراة وسقط اللوى وقد كان يكفيه أن يذكر في التعريف بعض هذا وهذا التطويل إذا لم يفد كان ضرباً من العى ثم ان قوله لم يعف رسمها ذكر الأصمعى من محاسنه أنه باق فنحن نحزن على مشاهدته فلو عفا لاسترحنا وهذا بأن يكون من مساويه أولى لانه ان كان صادق الود فلا يزيده عفاء الرسوم الاجدة عهد وشدة وجد وانما

علم المخاطبون أن البقرة لا تذبح إلا للدلالة على قاتل خفيت عينه عليهم فلما استقر علم هذا فى نفوسهم اتبع بقوله وإذ قتلتم نفسا فادارأتم فيها فسألتم موسى فقال ان الله يأمركم أن تذبحوا بقرة ومنه أفرأيت من اتخذ إلهه هواه والأصل هواه إلهه لأن من اتخذ إلهه هواه غير مذموم فقدم المفعول الثانى للعناية به وقوله أخرج المرعى فجعله غثاء أحوى على تفسير أحوى بالأخضر وجعله نعتا للمرعى أى أخرجه أحوى فجعله غثاء وأخر رعاية للفاصلة وقوله غرابيب سود والاصل سود غرابيب لان الغربيب الشديد السواد وقوله فضحكت فبشرناها أى فبشرناها فضحكت وقوله (ولقد همت به وهم بها لولا أن رأى برهان ربه) أى لهم بها وعلى هذا فالهم منفى عنه الثانى ما ليس كذلك وقد ألف فيه العلامة شمس الدين بن الصائغ كتابه المقدمة فى سر الالفاظ المقدمة قال فيه الحكمة الشائعة فى الذائعة فى ذلك الاهتمام كما قال سيبويه فى كتابه كأنهم يقدمون الذى بيانه أهم وهم ببيانه أعنى قال هذه الحكمة إجمالية وأما تفاصيل أسباب التقديم وأسراره فقد ظهر لى منها فى الكتاب العزيز عشرة أنواع. الاول التبرك كتقديم اسم الله تعالى فى الامور ذات الشأن ومنه قوله تعالى (شهد الله أنه لا إله إلا هو والملائكة وأولو العلم) وقوله (واعلموا أنما غنمتم من شىء فأن لله خمسه وللرسول) الآية. الثانى التعظيم كقوله (ومن يطع الله والرسول ان الله وملائكته يصلون والله ورسوله أحق أن يرضوه). الثالث التشريف كتقديم الذكر على الانثى نحو ان المسلمين والمسلمات الآية والحر فى قوله والحر بالحر والعبد بالعبد والانثى بالانثى والحى فى قوله يخرج الحى من الميت الآية وما يستوى الاحياء ولا الاموات والخيل فى قوله والخيل والبغال والحمير لتركبوها والسمع فى قوله وعلى سمعهم وعلى أبصارهم وقوله ان السمع والبصر والفؤاد وقوله (ان أخذ الله سمعكم وأبصاركم) حكى ابن عطية عن النقاش أنه استدل بها على تفضيل السمع على البصر ولذا وقع فى وصفه تعالى سميع بصير بتقديم السمع (ومن ذلك) تقديمه ﷺ على نوح ومن معه فى قوله (وإذ أخذنا من النبيين ميثاقهم ومنك ومن نوح) الآية وتقديم الرسول فى قوله من رسول ولا نبى وتقديم المهاجرين فى قوله تعالى (والسابقون الاولون من المهاجرين والانصار) وتقديم الانس على الجن حيث ذكرا فى القرآن وتقديم النبيين ثم الصديقين ثم الشهداء ثم الصالحين فى آية النساء وتقديم اسمعيل على اسحق لانه أشرف بكون النبى ﷺ من ولده وأسن وتقديم موسى على هرون لاصطفائه بالكلام وقدم هرون عليه فى سورة طه رعاية للفاصلة وتقديم جبريل على ميكائيل فى آية البقرة لانه أفضل وتقديم العاقل على غيره فى قوله متاعا لكم ولانعامكم يسبح له من فى السموات والارض والطير صافات وأما تقديم الانعام فى قوله تأكل منه أنعامهم وأنفسهم فلأنه تقدم ذكر الزرع فناسب تقديم الانعام بخلاف آية عبس فانه تقدم فيها فلينظر الانسان إلى طعامه فناسب تقديم لكم وتقديم المؤمنين على الكفار فى كل موضع وأصحاب اليمين على أصحاب الشمال والسماء على الارض والشمس على القمر حيث وقع إلا فى قوله خلق سبع سموات طباقا وجعل القمر فيهن نورا وجعل الشمس سراجا فقيل لمراعاة الفاصلة وقيل لان انتفاع أهل السموات العائد عليهن الضمير به أكثر وقال ابن الانبارى يقال ان القمر وجهه يضىء لاهل السموات وظهره لاهل الارض ولهذا قال تعالى فيهن لما كان أكثر نوره يضىء إلى أهل السماء ومنه تقديم الغيب على الشهادة فى قوله عالم الغيب والشهادة لان علمه أشرف وأما يعلم السر وأخفى فأخر فيه رعايا للفاصلة (الرابع) المناسبة وهى إما مناسبة المتقدم لسياق الكلام كقوله (ولكم فيها جمال حين تريحون وحين تسرحون) فان الجمال بالجمال وان كان ثابتا حالتى السراح والاراحة إلا أنها حالة إراحتها وهو مجيئها من الرعى آخر النهار يكون الجمال بها أفخر إذ هى فيه بطان وحالة سراحها للرعى أول النهار

فرع له الاصمعى الى إفادته هذه الفائدة خشية أن يعاب عليه فيقال أى فائدة لان يعرفنا أنه لم يعف رسم منازل حبيبه وأى معنى لهذا الحشو فذكر ما يمكن أن يذكر ولكن لم يخلصه بانتصاره له من الخلل ثم فى هذه الكلمة خلل آخر لانه عقب البيت بأن قال فهل عند رسم دارس من معول فذكر أبو عبيدة أنه رجع فأكذب نفسه كما قال زهير

قف بالديار التى لم يعفها القدم
نعم وغيرها الارواح والديم

وقال غيره أراد بالبيت الاول انه لم ينطمس أثره كله وبالثانى أنه ذهب بعضه حتى لا يتناقض الكلامان وليس فى هذا انتصار لان معنى عفا ودرس واحد فاذا قال لم يعف رسمها ثم قال قد عفا فهو تناقض لا محالة واعتذار أبى عبيدة أقرب لو صح ولكن لم يرد هذا

يكون الجدل بها دون الأول إذ هي فيه خماص ونظيره قوله تعالى (والذين إذا أنفقوا لم يسرفوا ولم يقتروا) قدنفى الاسراف لأن السرف فى الانفاق وقوله يريكم البرق خوفا وطمعا لأن الصواعق تقع مع أول برقه ولا يحصل المطر إلا بعد توالى البرقات وقوله وجعلناها وابنها آية للعالمين قدمها على الابن لما كان السياق فى ذكرها فى قوله والتى أحصنت فرجها ولذلك قدم الابن فى قوله وجعلنا ابن مريم وأمه آية وحسنه تقدم موسى فى الآية قبله ومنه قوله وكلا آتينا حكما وعلما قدم الحكم وإن كان العلم سابقا عليه لأن السياق فيه لقوله فى أول الآية إذ يحكمان فى الحرث وأما مناسبة لفظ هو من التقدم أو التأخر كقوله (الأول والآخر ولقد علمنا المستقدمين منكم ولقد علمنا المستأخرين لمن شاء منكم أن يتقدم أو يتأخر بما قدم وأخر ثلة من الأولين وثلة من الآخرين لله الأمر من قبل ومن بعد وله الحمد فى الأولى والآخرة) وأما قوله (فلله الآخرة والأولى) فلمراعاة الفاصلة وكذا قوله (جمعناكم والأولين) (الخامس) الحث عليه والحض على القيام به حذرا من التهاون به كتقديم الوصية على الدين فى قوله من بعد وصية يوصى بها أو دين مع أن الدين مقدم عليها شرعا (السادس) للسبق وهو إما فى الزمان باعتبار الايجاد كتقديم الليل على النهار والظلمات على النور وآدم على نوح ونوح على ابراهيم وابراهيم على موسى وهو على عيسى وداود على سليمان والملائكة على البشر فى قوله (يصطفى من الملائكة رسلا ومن الناس) وعاد على ثمود والازواج على الذرية فى قوله قل لازواجك وبناتك والسنة على النوم فى قوله لا تأخذه سنة ولا نوم أو باعتبار الانزال كقوله صحف ابراهيم وموسى وأنزل التوراة والانجيل من قبل هدى للناس وأنزل الفرقان) أو باعتبار الوجوب والتكليف نحو (اركعوا واسجدوا فاغسلوا وجوهكم وأيديكم) الآية (إن الصفا والمروة من شعائر الله) ولهذا قال ﷺ نبدأ بما بدأ الله به أو بالذات نحو (مثنى وثلاث ورباع ما يكون من نجوى ثلاثة إلا هو رابعهم ولا خمسة إلا هو سادسهم) وكذا جميع الاعداد كل مرتبة هى مقدمة على ما فوقها بالذات وأما قوله أن تقوموا لله مثنى وفرادى فللحث على الجماعة والاجتماع الخير (السابع) السببيه كتقديم العزيز على الحكيم لانه عز فحكم والعليم عليه لان الاحكام والاتقان ناشىء عن العلم وأما تقدم الحكيم عليه فى سورة الانعام فلأنه مقام تشريع الاحكام ومنه تقديم العبادة على الاستعانة فى سورة الفاتحة لانها سبب حصول الاعانة وكذا قوله (يحب التوابين ويحب المتطهرين) لان التوبة سبب الطهارة لكل أفاك أثيم لان الافك سبب الاثم يغضوا من أبصارهم ويحفظوا فروجهم لان البصر داعية إلى الفرج (الثامن) الكثرة كقوله فمنكم كافر ومنكم مؤمن لان الكفار أكثر فمنهم ظالم لنفسه الآية قدم الظالم لكثرته ثم المقتصد ثم السابق ولهذا قدم السارق على السارقة لان السرقة فى الذكور أكثر والزانية على الزانى لان الزنى فيهن أكثر ومنه تقديم الرحمة على العذاب حيث وقع فى القرآن غالبا ولهذا ورد إن رحمتى غلبت غضبي وقوله إن من أزواجكم وأولادكم عدوا لكم فاحذروهم قال ابن الحاجب فى أماليه إنما قدم الازواج لان المقصود الاخبار إن فيهم أعداء ووقوع ذلك فى الازواج أكثر منه فى الاولاد وكان أقعد فى المعنى المراد فقدم ولذلك قدمت الاموال فى قوله إنما أموالكم وأولادكم فتنة لان الاموال لا تكاد تفارقها الفتنة إن الإنسان ليطغى أن رآه استغنى وليست الاولاد فى استلزام الفتنة مثلها فكان تقديمها أولى (التاسع) الترقى من الادنى إلى الاعلى كقوله (ألهم أرجل يمشون بها أم لهم أيد يبطشون بها) الآية بدأ بالادنى لغرض الترقى لان اليد أشرف من الرجل والعين أشرف من اليد والسمع أشرف من البصر ومن هذا النوع تأخير الابلغ وقد خرج عليه تقديم الرحمن على الرحيم والرءوف على الرحيم والرسول على النبى فى قوله وكان رسولا نبيا وذكر لذلك نكت أشهرها مراعاة الفاصلة (العاشر) التدلى من الاعلى إلى الادنى (وخرج) عليه (لا تأخذه سنة

القول مورد الاستدراك كما قاله زهير فهو إلى الخلل أقرب وقوله لما نسجتها كان ينبغى أن يقول لما نسجها ولكنه تعسف لحمل مافى تأويل التأنيث لانها فى معنى الريح والاولى التذكير دون التأنيث وضرورة الشعر قد دلته على هذا التعسف وقوله لم يعف رسمها كان الاولى أن يقول لم يعف رسمه لانه ذكر المنزل فان كان رد ذلك إلى هذه البقاع والاماكن التى المنزل واقع بينها فذلك خلل لانه إنما يريد صفة المنزل الذى نزله حبيبه بعفائه أو بأنه لم يعف دون ما جاوره وإن أراد بالمنزل الدار حتى أنث فذلك أيضا خلل ولو سلم من هذا كله ومما نكره ذكره كراهية التطويل لم يشك فى أن شعر أهل زماننا لا يقصر عن البيتين بل يزيد عليهما ويفضلهما ثم قال

وقوفا بها صحبى على مطيهم
يقولون لا تهلك أسى وتحمل

ولا نوم لا يغادر صغيرة ولا كبيرة لن يستنكف المسيح أن يكون عبد لله ولا الملائكة المقربون) هذا ما ذكره ابن الصائغ وزاد غيره أسبابا أخر منها كونه أدل على القدرة واعجب كقوله ومنهم من يمشى على بطنه الآية وقوله (وسخرنا مع داود الجبال يسبحن والطير) قال الزمخشرى قدم الجبال على الطير لأن تسخيرها له وتسبيحها أعجب وأدل على القدرة وادخل فى الاعجاز لأنها جماد والطير حيوان ناطق ومنها رعاية الفواصل وسيأتى لذلك أمثلة كثيرة ومنها افادة الحصر للاختصاص وسيأتى فى النوع الخامس والخمسين. (تنبيه). قد يقدم لفظ فى موضع ويؤخر فى آخر ونكتة ذلك إما لكون لسياق فى كل موضع يقتضى ماوقع فيه كما تقدمت الاشارة إليه إما لقصد البداءة والختم به للاعتناء بشأنه كما فى قوله (يوم تبيض وجوه) الآيات وإما لقصد التفنن فى الفصاحة واخراج الكلام على عدة أساليب كما فى قوله وادخلوا الباب وقولوا حطة وقوله وقولوا حطة وادخلوا الباب سجدا وقوله إنا أنزلنا التوراة فيها هدى ونور وقال فى الانعام (قل من انزل الكتاب الذى جاء به موسى نورا وهدى للناس)

. (النوع الخامس والأربعون). فى عامه وخاصه العام لفظ يستغرق الصالح له من غير حصر وصيغة كل مبتدأة نحو كل من عليها فان أو تابعة نحو فسجد الملائكة كلهم أجمعون والذى والتى وتثنيتهما وجمعهما نحو (والذى قال لوالديه أف لكما) فان المراد به كل من صدر منه هذا القول بدليل قوله بعد (أولئك الذين حق عليهم القول والذين امنوا وعملوا الصالحات أولئك أصحاب الجنة للذين أحسنوا الحسنى وزيادة للذين اتقوا عند ربهم جنات واللائى يئسن من المحيض) الآية واللاتى يأتين الفاحشة من نسائكم فاستشهدوا الآية واللذان يأتيانها منكم فآذوهما وأى وما ومن شرطا واستفهاما وموصولا نحو أياما تدعوا فله الأسماء الحسنى انكم وما تعبدون من دون الله حصب جهنم من يعمل سوءا يجزا به والجمع المضاف نحو يوصيكم الله فى أولادكم والمعرف بال نحو قد أفلح المؤمنون واقتلوا المشركين واسم الجنس المضاف نحو فليحذر الذين يخالفون عن أمره أى كل أمر الله والمعرف بال نحو وأحل الله البيع أى كل بيع إن الانسان لفى خسر أى كل انسان بدليل إلا الذين آمنوا والنكرة فى سياق النفى والنهى نحو (فلا تقل لهما أف وان من شىء إلا عندنا خزائنه ذلك الكتاب لاريب فيه فلا رفث ولا فسوق ولا جدال فى الحج) وفى سياق الشرط نحو (وان أحد من المشركين استجارك فاجره حتى يسمع كلام) او فى سياق الامتنان نحو (وأنزلنا من السماء طهورا)

. (فصل). العام على ثلاثة أقسام (الأول) الباقى على عمومه قال القاضى جلال الدين البلقينى ومثاله عزيز إذ ما من عام الا ويتخيل فيه التخصيص فقوله يا أيها الناس اتقوا ربكم قد يخص منه غير المكلف وحرمت عليكم الميتة خص منه حالة الاضطرار ومنه السمك والجراد وحرم الربا خص منه العرايا وذكر الزركشى فى البرهان أنه كثير فى القران وأورد منه (والله بكل شىء عليم إن الله لا يظلم الناس شيئا ولا يظلم ربك أحدا الله الذى خلقكم ثم رزقكم ثم يميتكم ثم يحييكم الذى خلقكم من تراب ثم من نطفة الله الذى جعل لكم الارض قرارا) (قلت) هذه الآيات كلها فى غير الاحكام الفرعية فالظاهر أن مراد البلقينى أنه عزيز فى الأحكام الفرعية وقد استخرجت من القرآن بعد الفكر آية فيها وهى قوله حرمت عليكم أمهاتكم الآية فانه لاخصوص فيها (الثانى) العام المراد به الخصوص (والثالث) العام المخصوص وللناس بينهما فروق أن الأول لم يرد شموله لجميع الأفراد لا من جهة تناول اللفظ ولا من جهة الحكم بل هو ذو أفراد استعمل فى فرد منها والثانى أريد عمومه وشموله لجميع الافراد من جهة تناول اللفظ لها لا من جهة الحكم ومنها أن الاول مجاز قطعا لنقل اللفظ عن موضوعه الاصلى بخلاف الثانى فان فيه مذاهب أصحها أنه حقيقة وعليه أكثر الشافعية

وان شفانى عبرة مهراقة
فهل عند رسم دارس من معول
وليس فى البيتين أيضا معنى بديع ولا لفظ ن كالاولين والبيت الاول منهما متعلق بقوله قفا نبك فكأنه قال قفا وقوف صحبى بها على مطيهم أوقفا حال وقوف صحبى وقوله بها متأخر فى المعنى وان تقدم فى اللفظ ففى ذلك تكلف وخروج من اعتدال الكلام والبيت الثانى مختل من جهة أنه قد جعل الدمع فى اعتقاده شافيا كافيا فما حاجته بعد ذلك إلى طلب حيلة أخرى وتحمل ومعول عند الرسوم ولو أراد أن يحسن الكلام لوجب أن يدخل على أن الدمع لا يشفيه لشدة ما به من الحزن ثم يسائل هل عند الربع من حيلة أخرى وقوله
كدأبك من أم الحويرث قبلها
وجارتها أم الرباب بمأسل
إذا قامتا تضوع المسك منهما

وكثير من الحنفية وجميع الحنابلة ونقله إمام الحرمين عن جميع الفقهاء وقال الشيخ أبو حامد أنه مذهب الشافعي وأصحابه وصححه السبكي لأن تناول اللفظ للبعض الباقي بعد التخصيص كتناوله له بلا تخصيص وذلك التناول حقيقي اتفاقا فليكن هذا التناول حقيقيا أيضا ومنها أن قرينة الأول عقلية والثاني لفظية ومنها أن قرينة الأول لا تنفك عنه وقرينة الثاني قد تنفك عنه ومنها أن الأول يصح أن يراد به واحد اتفاقا والثاني خلاف ومن أمثلة المراد به الخصوص قوله تعالى (الذين قال لهم الناس أن الناس قد جمعوا لكم فاخشوهم) والقائل واحد نعيم ابن مسعود الأشجعي أو اعرابي بن خزاعة كما أخرجه ابن مردويه من حديث ابن رافع لقيامه مقام كثير في تثبيط المؤمنين عن ملاقاة أبي سفيان قال الفارسي ومما يقوي أن المراد به واحد قوله انما ذلكم الشيطان فوقعت الاشارة بقوله ذلكم إلى واحد بعينه ولو كان المعنى بجمع لقال انما أولئكم الشيطان فهذه دلالة ظاهرة في اللفظ ومنها قوله تعالى أم يحسدون الناس) أي رسول الله ﷺ لجمعه ما في الناس من الخصال الحميدة ومنها قوله (ثم أفيضوا من حيث أفاض الناس) (أخرج) ابن جرير من طريق الضحاك عن ابن عباس في قوله (من حيث أفاض الناس قال ابراهيم ومن الغريب قراءة سعيد بن جبير من حيث أفاض الناسي قال في المحتسب يعني آدم لقوله (فنسي ولم نجد له عزما ومنها قوله تعالى فنادته الملائكة وهو قائم يصلي في المحراب) أي جبريل كما في قراءة ابن مسعود وأما المخصوص فأمثلته في القرآن كثيرة جدا وهي أكثر من المنسوخ إذ ما من عام إلا وقد خص ثم المخصص له اما متصل واما منفصل فالمتصل خمسة وقعت في القرآن أحدها الاستثناء نحو (الذين يرمون المحصنات ثم لم يأتوا بأربعة شهداء فاجلدوهم ثمانين جلدة ولا تقبلوا لهم شهادة أبدا وأولئك هم الفاسقون إلا الذين تابوا والشعراء يتبعهم الغاوون إلا الذين آمنوا وعملوا الصالحات) لآية (ومن يفعل ذلك يلق أثاما إلى قوله إلا من تاب والمحصنات من النساء إلا ما ملكت ايمانكم كل شيء هالك إلا وجهه) الثاني الوصف ونحو وربائبكم اللاتي في حجوركم من نسائكم اللاتي دخلتم بهن الثالث الشرط نحو الذين يبتغون الكتاب مما ملكت ايمانكم فكاتبوهم ان علمتم فيهم خيرا كتب عليكم إذا حضر أحدكم الموت ان ترك خيرا الوصية) الرابع الغاية نحو قاتلوا الذين لا يؤمنون بالله ولا باليوم الآخر إلى قوله حتى يعطوا الجزية ولا تقربوهن حتى يطهرن ولا تحلقوا رؤوسكم حتى يبلغ الهدى محله وكلوا واشربوا حتى يتبين لكم الخيط الأبيض الآية الخامس بدل البعض من الكل نحو (ولله على الناس حج البيت من استطاع اليه سبيلا) والمنفصل في آية أخرى في محل آخر أو حديث أو اجماع أو قياس فمن أمثلة ما خص بالقرآن قوله تعالى والمطلقات يتربصن بأنفسهن ثلاثة قروء خص بقوله إذا نكحتم المؤمنات ثم طلقتموهن من قبل أن تمسوهن فما لكم عليهم من عدة وبقوله وأولات الأحمال أجلهن أن يضعن حملهن وحرمت عليكم الميتة والدم خص من الميتة السمك بقوله أحل لكم صيد البحر وطعامه متاعا لكم وللسيارة ومن الدم الجامد بقوله أو دما مسفوحا وقوله وآتيتم احداهن قنطارا فلا تأخذوا منه شيئا الآية خص بقوله تعالى فلا جناح عليهما فيما افتدت به وقوله الزانية والزاني فاجلدوا كل واحد منهما مائة جلدة خص بقوله فعليهن نصف ما على المحصنات من العذاب وقوله فانكحوا ما طاب لكم من النساء خص بقوله حرمت عليكم أمهاتكم الآية ومن أمثلة ما خص بالحديث قوله تعالى وأحل الله البيع خص البيوع الفاسدة وهي كثيرة بالسنة وحرم الربا خص منه العرايا بالسنة وآيات المواريث خص منها القاتل والمخالف في الدين بالسنة وآية تحريم الميتة خص منها الجراد بالسنة وآية ثلاثة قروء خص منها الأمة بالسنة وقوله ماء طهورا خص منه المتغير بالسنة وقوله والسارق والسارقة فاقطعوا خص منه من سرق دون ربع دينار بالسنة ومن أمثلة ما خص بالاجماع آية

نسيم الصبا يأتي بريا القرنفل

أنت لا تشك في أن البيت الأول قليل الفائدة ليس له مع ذلك بهجة فقد يكون الكلام مصنوع اللفظ وإن كان منزوع المعنى وأما البيت الثاني فوجه التكلف فيه قوله إذا قامتا تضوع المسك منهما ولو أراد أن يجود افاد ان بهما طيبا على كل حال فاما في حال القيام فقط فذلك تقصير ثم فيه خلل آخر لأنه بعد أن شبه عرفها بالمسك شبه ذلك بنسيم القرنفل وذكر ذلك بعد ذكر المسك نقص وقوله نسيم الصبا في تقدير المنقطع عن المصراع الأول لم يصله به وصل مثله وقوله ففاضت دموع العين مني صبابة

على النحر حتى بل دمعي محملي

ألا رب يوم لك منهن صالح ولا سيما يوم بدارة جلجل

قوله ففاضت دموع العين ثم استعانته بقوله

المواريث خص منها الرقيق فلا يرث بالإجماع ذكره مكي ومن أمثلة ما خص بالقياس آية الزنا فاجلدوا كل واحد منهما مائة جلدة خص منها العبد بالقياس على الأمة المنصوصة فى قوله فعليهن نصف ما على المحصنات من العذاب المخصص لعموم الآية ذكره مكي أيضا .

﴿فصل﴾ من خاص القرآن ما كان مخصصا لعموم السنة وهو عزيز ومن أمثلته قوله تعالى حتى يعطوا الجزية خص عموم قوله ﷺ أمرت أن أقاتل الناس حتى يقولوا لا إله إلا الله وقوله حافظوا على الصلوات والصلاة الوسطى خص عموم نهيه ﷺ عن الصلاة فى الأوقات المكروهة باخراج الفرائض وقوله ومن أصوافها وأوبارها الآية خص عموم قوله ﷺ ما أبين من حى فهو ميت وقوله والعاملين عليها والمؤلفة قلوبهم خص عموم قوله عليه الصلاة والسلام لا تحل الصدقة لغنى ولا لذى مرة سوى وقوله فقاتلوا التى تبغى خص عموم قوله عليه الصلاة والسلام إذ التقى المسلمان بسيفيهما فالقاتل والمقتول فى النار (فروع) منثورة تتعلق بالعموم والخصوص الأول إذا سيق العام المدح أو الذم فهل هو باق على عمومه فيه مذاهب أحدها نعم إذ لا صارف عنه ولا تنافى بين العموم وبين المدح أو الذم والثانى لا لأنه لم يسبق للتعميم بل للمدح أو للذم والثالث وهو الأصح التفصيل فيعم إن لم يعارضه عام آخر لم يسبق لذلك ولا يعم إن عارضه ذلك جمعا بينهما مثاله ولا معارض قوله تعالى إن الأبرار لفى نعيم وإن الفجار لفى جحيم ومع المعارض قوله تعالى (والذين لفروجهم حافظون إلا على أزواجهم أو ما ملكت أيمانهم) فانه سيق للمدح وظاهره يعم الأختين بملك اليمين جمعا وعارضه فى ذلك وأن تجمعوا بين الأختين فانه شامل لجمعهما بملك اليمين ولم يسبق للمدح فحمل الأول على غير ذلك بأن لم يرد تناوله له ومثاله فى الذم والذين يكنزون الذهب والفضة الآية فانه سيق للذم وظاهره يعم الحلى المباح وعارضه فى ذلك حديث جابر ليس فى الحلى زكاة وحمل الاول على غير ذلك والثانى اختلف فى الخطاب الخاص به ﷺ نحو يا أيها النبى يا أيها الرسول هل يشمل الامة فقيل نعم لان أمر القدوة أمر لاتباعه معه عرفا والاصح فى الاصول المنع لاختصاص الصيغة به الثالث اختلف فى الخطاب بيا أيها الناس هل يشمل الرسول ﷺ على مذاهب أصحها وعليه الاكثرون نعم لعموم الصيغة له (أخرج) ابن أبى حاتم عن الزهرى قال إذا قال يا أيها الذين آمنوا فعلوا فالنبى ﷺ منهم والثانى لا لأنه ورد على لسانه لتبليغ غيره ولماله من الخصائص والثالث إن اقترن بقل لم يشمله لظهوره فى التبليغ وذلك قرينة عدم شموله وإلا فيشمله الرابع الاصح فى الاصول أن الخطاب بيا أيها الناس يشمل الكافر والعبد لعموم اللفظ وقيل لا يعم الكافر بناء على عدم تكليفه بالفروع ولا العبد لصرف منافعه إلى سيده شرعا الخامس اختلف فيمن يتناول الانثى فالاصح نعم خلافا للحنفية لنا قوله تعالى ومن يعمل من الصالحات من ذكر أو أنثى فالتفسير بهما دال على تناول من لهما وقوله ومن يقنت منكن لله واختلف فى جمع المذكر السالم هل يتناولها فالاصح لا وإنما يدخلن بقرينة أما المكسر فلا خلاف فى دخولهن فيه السادس اختلف فى الخطاب بيا أهل الكتاب هل يشمل المؤمنين فالاصح لا لأن اللفظ قاصر على من ذكر وقيل إن شاركوهم فى المعنى شملهم وإلا فلا واختلف فى الخطاب بيا أيها الذين آمنوا هل يشمل أهل الكتاب فقيل لا بناء على أنهم غير مخاطبين بالفروع وقيل نعم واختاره ابن السمعانى قال وقوله يا أيها الذين آمنوا خطاب تشريف لا تخصيص .

﴿النوع السادس والاربعون﴾ فى مجمله ومبينه المجمل ما لم تتضح دلالته وهو واقع فى القرآن خلافا لداود الظاهرى وفى جواز بقائه مجملا أقوال أصحها لا يبقى المكلف بالعمل به بخلاف غيره وللاجمال أسباب منها الاشتراك نحو والليل إذا عسعس فانه موضوع لاقبل وأدبر ثلاثة قروء فان القرء موضوع

منى استعانة ضعيفة عند المتأخرين فى الصنعة وهو حشو غير مليح ولا بديع وقوله على النحر حشو آخر لأن قوله بل دمعى محلى يغنى عنه ويدل عليه وليس بحشو حسن ثم قوله حتى بل دمعى محلى إعادة ذكره الدمع حشو آخر وكان يكفيه أن يقول حتى بلت محلى فاحتاج لاقامه الوزن إلى هذا كله ثم تقديره أنه قد افرط فى إفاضه الدمع حتى بل محملة تفريط منه وتقصير ولو كان ابدع لكان يقول حتى بل دمعى مغانيهم وعراصهم ويشبه أن يكون غرضه إقامة الوزن والقافية إذ الدمع يبعد أن يبل المحمل وإنما يقطر من الواقف والقاعد على الارض أو على الذيل وإن بله فلقلته وأنه لا يقطر وأنت تجد فى شعر الخير رزى ماهو أحسن من هذا البيت وأمتن وأعجب منه والبيت الثانى خال من المحاسن والبديع خلو من المعنى وليس له لفظ

للحيض والطهر أو يعفو الذي بيده عقدة النكاح) يحتمل الزوج والولي فان كلا منهما بيده عقدة النكاح ومنها الحذف نحو وترغبون أن تنكحوهن يحتمل في وعن ومنها اختلاف مرجع الضمير نحو اليه يصعد الكلم الطيب والعمل الصالح يرفعه يحتمل عود ضمير الفاعل في يرفعه إلى ما عاد عليه ضمير اليه وهو الله ويحتمل عوده إلى العمل والمعنى أن العمل الصالح هو الذي يرفعه الكلم الطيب ويحتمل عوده إلى الكلم الطيب أي أن الكلم الطيب وهو التوحيد يرفع العمل الصالح لأنه لا يصح العمل الامع الإيمان ومنها احتمال العطف والاستئناف نحو إلا الله والراسخون في العلم يقولون ومنها غرابة اللفظ نحو فلا تعضلوهن ومنها عدم كثرة الاستعمال نحو يلقون السمع أي يسمعون ثاني عطفه أي متكبر فاصبح يقلب كفيه أي نادما ومنها التقديم والتأخير نحو (ولولا كلمة سبقت من ربك لكان لزاما وأجل مسمى) أي ولولا كلمة وأجل مسمى لكان لزاما يسألونك كأنك حفي عنها أي يسألونك عنها كأنك حفي ومنها قلب المنقول نحو طور سينين أي سيناء على آل ياسين أي على الياس ومنها التكرير القاطع لوصل الكلام في الظاهر نحو للذين استضعفوا لمن آمن منهم

﴿فصل﴾ . قد يقع التبيين متصلا نحو من الفجر بعد قوله الخيط الأبيض من الخيط الأسود ومنفصلا في آية أخرى نحو (فان طلقها فلا تحل له من بعد حتى تنكح زوجا غيره بعد قوله الطلاق مرتان) فانها بينت أن المراد به الطلاق الذي تملك الرجعة بعده ولولاها لكان الكل منحصرا في الطلقتين (وقد أخرج) أحمد وأبو داود في ناسخه وسعيد بن منصور وغيرهم عن أبي رزين الأسدي قال قال رجل يا رسول الله أرأيت قول الله الطلاق مرتان فأين الثالثة قال أو تسريح بإحسان (وأخرج) ابن مردويه عن أنس قال قال رجل يا رسول الله ذكر الله الطلاق مرتين فأين الثالثة قال إمساك بمعروف أو تسريح بإحسان وقوله وجوه يومئذ ناضرة إلى ربها ناظرة دال على جواز الرؤية ويفسره أن المراد بقوله لا تدركه الابصار قال لا تحيط به (وأخرج) عن عكرمة أنه قيل له عند ذكر الرؤية أليس قد قال لا تدركه الأبصار فقال ألست ترى السماء أفكلها ترى وقوله أحلت لكم بهيمة الأنعام الا ما يتلى عليكم فسره قوله حرمت عليكم الميتة الآية وقوله مالك يوم الدين فسره قوله وما أدراك ما يوم الدين ثم ما أدراك ما يوم الدين الآية وقوله فتلقى آدم من ربه كلمات فسره قوله قالا ربنا ظلمنا أنفسنا الآية وقوله وإذا بشر أحدهم بما ضرب للرحمن مثلا فسره قوله في آية النحل بالأنثى وقوله وأوفوا بعهدي أوف بعهدكم قال العلماء بيان هذا العهد قوله لئن أقمتم الصلاة وآتيتم الزكاة وآمنتم برسلي الخ فهذا عهده وعهدهم لا كفرن عنكم سيآتكم الخ وقوله (صراط الذين أنعمت عليهم بينة قوله فأولئك مع الذين أنعم الله عليهم من النبيين) الآية وقد يقع التبيين بالسنة مثل وأقيموا الصلاة وآتوا الزكاة ولله على الناس حج البيت وقد بينت السنة أفعال الصلاة والحج ومقادير نصب الزكوات في أنواعها ﴿تنبيه﴾ اختلف في آيات هي من قبيل المجمل أولا منها آية السرقة قيل إنها مجملة في اليد لانها تطلق على العضو إلى الكوع وإلى المرفق وإلى المنكب وفي القطع لانه يطلق على الابانة وعلى الجرح ولا ظهور لواحد من ذلك وإبانة الشارع من الكوع تبين أن المراد ذلك وقيل لا إجمال فيها لان القطع ظاهر في الإبانة ومنها وامسحوا برؤسكم قيل إنها مجملة لترددها بين مسح الكل والبعض ومسح الشارع الناصية مبين لذلك وقيل لا وانما هي لمطلق المسح الصادق بأقل ما ينطلق عليه الاسم وبغيره ومنها حرمت عليكم أمهاتكم قيل مجملة لان اسناد التحريم إلى العين لا يصح لانه إنما يتعلق بالفعل فلابد من تقديره وهو محتمل لأمور لا حاجة إلى جميعها ولا مرجح لبعضها وقيل لا لوجود المرجح وهو العرف فانه يقضي بأن المراد تحريم الاستمتاع بوطء ونحوه ويجري ذلك في كل ما علق فيه التحريم والتحليل بالاعيان ومنها (وأحل الله البيع وحرم الربا) قيل إنها مجملة لان

يروق ولا معنى يروع من طبائع السوقة فلا يرعك تهويله باسم موضع غريب وقال ويوم عقرت للعذارى مطيتي
فيا عجبا من رحلها المتحمل
فظل العذارى يرتمين بلحمها
وشحم كهداب الدمقس المفتل
تقديره اذكر يوم عقرت مطيتي أو يرده على قوله يوم بدارة جلجل وليس في المصراع الأول من هذا البيت الاسفاهته قال بعض الأدباء قوله ياعجبا يعجبهم من سفهه في شبابه من نحره ناقته لهم وإنما أراد أن لا يكون الكلام من هذا المصراع منقطعا عن الأول وأراد أن يكون الكلام ملائما له وهذا الذي ذكره بعيد وهو منقطع عن الأول وظاهره أنه يتعجب من تحمل العذارى رحله وليس في هذا تعجب كبير ولا في نحر الناقة لهن تعجب وان كان يعنى به

الربا لزيادة وما من بيع الا فيه زيادة فافتقر إلى بيان ما يحل وما يحرم . قيل لا لأن البيع منقول شرعا فحمل على عمومه مالم يقم دليل التخصيص وقال الماوردي للشافعي في هذه الآية أربعة أقوال أحدها أنها عامة فان لفظها لفظ عموم يتناول كل بيع ويقتضي إباحة جميعها الا ما خصه الدليل وهذا القول أصحها عند الشافعي وأصحابه لأنه صلى الله عليه وسلم نهى عن بيوع كانوا يعتادونها ولم يبين الجائز فدل على أن الآية تناولت إباحة جميع البيوع وإلا ما خص منها فبين صلى الله عليه وسلم الخصوص قال فعلى هذا في العموم قولان أحدهما انه عموم أريد به العموم وان دخله التخصيص والثاني انه عموم أريد به الخصوص قال والفرق بينهما أن البيان في الثاني متقدم عن اللفظ وفي الأول متأخر عنه أو مقترن به قال وعلى القولين يجوز الاستدلال بالآية في المسائل المختلف فيها مالم يقم دليل تخصيص والقول الثاني أنها مجملة لا يعقل منها صحة بيع من فساده الا ببيان النبي صلى الله عليه وسلم ثم قال هل هي مجملة بنفسها أم بعارض ما نهى عنه من البيوع وجهان وهل الاجمال في المعنى المراد دون لفظها لأن لفظ البيع اسم لغوي معناه معقول لكن لما قام بازائه من السنة ما يعارضه تدافع العمومان ولم يتعين المراد الا ببيان السنة فصار مجملا لذلك دون اللفظ وفي اللفظ أيضا لأنه لما لم يكن المراد منه ما وقع عليه الاسم وكانت له شرائط غير معقولة في اللغة كان مشكلا أيضا وجهان قال وعلى الوجهين لا يجوز الاستدلال بها على صحة بيع ولا فساده وإن دلت على صحة البيع من أصله قال وهذا هو الفرق بين العام والمجمل حيث جاز الاستدلال بظاهر العموم ولم يجز الاستدلال بظاهر المجمل والقول الثالث أنها عامة مجملة معا قال واختلف في وجه ذلك على أوجه أحدها أن العموم في اللفظ والاجمال في المعنى فيكون اللفظ عاما مخصوصا والمعنى مجملا لحقه التفسير والثاني أن العموم في وأحل الله البيع والاجمال في وحرم الربا والثالث أنه كان مجملا فلما بينه النبي صلى الله عليه وسلم صار عاما فيكون داخلا في المجمل قبل البيان وفي العموم بعد البيان فعلى هذا يجوز الاستدلال بظاهرها في البيوع المختلف فيها (والقول) الرابع أنها تناولت بيعا معهودا ونزلت بعد أن أحل النبي صلى الله عليه وسلم بيوعا وحرم بيوعا فاللام للعهد فعلى هذا يجوز الاستدلال بظاهرها اه ومنها الآيات التي فيها الأسماء الشرعية (نحو أقيموا الصلاة وآتوا الزكاة فمن شهد منكم الشهر فليصمه ولله على الناس حج البيت) قيل إنها مجملة لاحتمال الصلاة لكل دعاء والصيام لكل امساك والحج لكل قصد والمراد بها لا تدل عليه اللغة فافتقر إلى البيان وقيل لا بل يحمل على كل ما ذكر الا ما خص بدليل ﴿ تنبيه ﴾ قال ابن الحصار من الناس من جعل المجمل والمحتمل بازاء شيء واحد قال والصواب أن المجمل اللفظ المبهم الذي لا يفهم المراد منه والمحتمل اللفظ الواقع بالوضع الأول على معنيين مفهومين فصاعدا سواء كان حقيقة في كلها أو بعضها قال والفرق بينهما أن المحتمل يدل على أمور معروفة واللفظ مشترك متردد بينهما والمبهم لا يدل على أمر معروف مع القطع بأن الشارع لم يفوض لأحد بيان المجمل بخلاف المحتمل

﴿ النوع السابع والأربعون في ناسخه ومنسوخه ﴾ أفرده بالتصنيف خلائق لا يحصون منهم أبو عبيدة القاسم بن سلام وأبو داود السجستاني وأبو جعفر النحاس وابن الانباري ومكي وابن العربي وآخرون قال الأئمة لا يجوز لأحد أن يفسر كتاب الله الا بعد أن يعرف منه الناسخ والمنسوخ وقد قال علي لقاض أتعرف الناسخ من المنسوخ قال لا قال هلكت وأهلكت وفي هذا النوع مسائل الأولى يرد النسخ بمعنى الازالة ومنه قوله فينسخ الله ما يلقي الشيطان ثم يحكم الله آياته وبمعنى التبديل ومنه (وإذا بدلنا آية مكان آية) وبمعنى التحويل كتناسخ المواريث بمعنى تحويل الميراث من واحد إلى واحد وبمعنى النقل من موضع إلى موضع ومنه نسخت الكتاب إذا نقلت ما فيه حاكيا للفظه وخطه قال

انهن حملن رحله وان بعضهن حملته فعبر عن نفسه برحلة فهذا قليل يشبه أن يكون عجيبا لكن الكلام لا يدل عليه ويتجافى عنه ولو سلم البيت من العيب لم يكن فيه شيء غريب ولا معنى بديع أكثر من سفاهته مع قلة معناه وتقارب أمره ومشاكلته طبع المتأخرين من أهل زماننا وإلى هذا الوضع لم يبرله بيت رائع وكلام رائق وأما البيت الثاني فيعدونه حسنا ويعدون التشبيه مليحا واقعا وفيه شيء وذلك أنه عرف اللحم ونكر الشحم فلا يعلم أنه وصف شحمها وذكر تشبيه أحدهما بشيء واقع وعجز عن تشبيه القسمة الأولى فمرت مرسلة وهذا نقص في الصنعة وعجز عن اعطاء الكلام حقه وفيه شيء آخر من جهة المعنى وهو أنه وصف طعامه الذي أطعم من أضاف بالجودة وهذا قد يعاب وقد يقال ان العرب تفتخر بذلك ولا يرونه

وهذا الوجه لا يصح أن يكون في القرآن وأنكر على النحاس أجازته ذلك محتجاً أن الناسخ فيه لا يأتي بلفظ المنسوخ وأنه إنما يأتي بلفظ آخر وقال السعيدي يشهد لما قاله النحاس قوله تعالى انا كنا نستنسخ ما كنتم تعملون وقال وانه في أم الكتاب لدينا لعلي حكيم ومعلوم أن ما نزل من الوحي نجوما جميعه في أم الكتاب وهو اللوح المحفوظ كما قال تعالى (في كتاب مكنون لا يمسه إلا المطهرون) الثانية النسخ مما خص الله به هذه الأمة لحكم منها التيسير وقد أجمع المسلمون على جوازه وأنكره اليهود ظناً منهم أنه بداء كالذي يرى الرأي ثم يبدو له وهو باطل لأنه بيان مدة الحكم كالاحياء بعد الاماتة وعكسه والمرض بعد الصحة وعكسه والفقر بعد الغنى وعكسه وذلك لا يكون بداء فكذا الأمر والنهي واختلف العلماء فقيل لا ينسخ القرآن إلا بقرآن كقوله تعالى (ما ننسخ من آية أو ننسها نأت بخير منها أو مثلها) قالوا ولا يكون مثل القرآن وخيرا منه إلا قرآن وقيل بل ينسخ القرآن بالسنة لأنها أيضا من عند الله قال تعالى وما ينطق عن الهوى وجعل منه آية الوصية الآتية الثالث إذا كانت السنة بأمر الله من طريق الوحي نسخت وإن كانت باجتهاد فلا حكاه ابن حبيب النيسابوري في تفسيره وقال الشافعي حيث وقع نسخ القرآن بالسنة فمعها قرآن عاضد لها وحيث وقع نسخ السنة بالقرآن فمعه سنة عاضدة له ليتبين توافق القرآن والسنة وقد بسطت فروع هذه المسألة في شرح منظومة جمع الجوامع في الأصول الثالثة لا يقع النسخ إلا في الأمر والنهي ولو بلفظ الخبر أما الخبر الذي ليس بمعنى الطلب فلا تدخله النسخ ومنه الوعد والوعيد وإذا عرفت ذلك عرفت فساد صنع من أدخل في كتب النسخ كثيرا من آيات الاخبار والوعد والوعيد الرابعة النسخ أقسام أحدها نسخ المأمور به قبل امتثاله وهو النسخ على الحقيقة كآية النجوى الثاني نسخ ما كان شرعاً لمن قبلنا كآية شرع القصاص والدية أو كان أمر أمرا اجمالا كنسخ التوجه إلى بيت المقدس بالكعبة وصوم عاشوراء برمضان وإنما يسمى هذا نسخا تجوزا الثالث ما أمر به لسبب ثم زوال السبب كالأمر حين الضعف والقلة بالصبر والصفح ثم نسخ ايجاب القتال وهذا في الحقيقة ليس نسخا بل هو من قسم المنسأ كما قال تعالى أو ننسأها فالمنسأ هو الأمر بالقتال إلى أن يقوى المسلمون وفي حال الضعف يكون الحكم وجوب الصبر على الأذى وبهذا يضعف ما لهج به كثيرون من أن الآية في ذلك منسوخة بآية السيف وليس كذلك بل هي من المنسأ بمعنى ان كل أمر ورد يجب امتثاله في وقت ما لعلة تقتضي ذلك الحكم بل ينتقل بانتقال تلك العلة إلى حكم آخر وليس بنسخ إنما النسخ الازالة للحكم حتى لا يجوز امتثاله وقال مكي ذكر جماعة أن ما ورد من الخطاب مشعر بالتوقيت والغاية مثل قوله في البقرة (فاعفوا واصفحوا حتى يأتي الله بأمره) محكم غير منسوخ لأنه مؤجل بأجل والمؤجل بأجل لا نسخ فيه الخامسة قال بعضهم سور القرآن باعتبار الناسخ والمنسوخ أقسام قسم ليس فيه ناسخ ولا منسوخ وهو ثلاثة وأربعون سورة الفاتحة ويوسف ويس والحجرات والرحمن والحديد والصف والجمعة والتحريم والملك والحاقة ونوح والجن والمرسلات وعم والنازعات والانفطار وثلاث بعدها والفجر وما بعدها إلى آخر القرآن إلا التين والعصر والكافرين وقسم فيه الناسخ والمنسوخ وهو خمس وعشرون البقرة وثلاث بعدها والحج والنور وتالياها والأحزاب وسبأ والمؤمن وشورى والذاريات والطور والواقعة والمجادلة والمزمل والمدثر وكورت والعصر وقسم فيه الناسخ فقط وهو ستة الفتح والحشر والمنافقون والتغابن والطلاق والأعلى وقسم فيه المنسوخ فقط وهو الأربعون الباقية وفيه نظر يعرف مما سيأتي السادسة قال مكي الناسخ أقسام فرض نسخ فرضا ولا يجوز العمل بالاول كنسخ الحبس للزواني بالحد وفرض نسخ فرضا ويجوز العمل بالاول كآية المصابرة وفرض نسخ ندبا كالقتال كان ندبا ثم صار فرضا وندب نسخ فرضا كقيام الليل نسخ بالقراءة في قوله فاقرءوا ما تيسر من

عبثا وإنما الفرس لهم الذين يرون هذا عيباً شنيعاً وأما تشبيه الشحم بالدمقس فشيء يقع للعامة ويجري على ألسنتهم فليس بشيء قد سبق إليه وإنما زاد المفتل للقافية وهذا مفيد ومع ذلك فلست أعلم العامة تذكر هذه الزيادة ولم يعد أهل الصنعة ذلك من البديع ورأوه قريبا وفيه شيء آخر وهو ان تبجحه بما أطعم للاحباب مذموم وان سوغ التبجح بما أطعم للاضياف إلا أن يورد الكلام مورد المجون وعلى طريق أبي نواس في المزاح والمداعبة وقوله

ويوم دخلت الخدر خدر عنيزة
فقالت لك الويلات انك مرجلي
تقول وقد مال الغبيط بنا معا
عقرت بعيري يا امرأ القيس فانزل

قوله دخلت الخدر خدر عنيزة ذكره تكريرا لاقامة الوزن لا فائدة فيه غيره ولا ملاحة له ولا

القرآن السابعة النسخ فى القرآن على ثلاثة أضرب أحدها ما نسخ تلاوته وحكمه معا قالت عائشة كان فيما أنزل عشر رضعات معلومات فنسخن بخمس معلومات فتوفى رسول الله ﷺ وهن مما يقرأ من القرآن رواه الشيخان وقد تكلموا فى قولها وهن مما يقرأ من القرآن فان ظاهره بقاء التلاوة وليس كذلك (وأجيب) بأن المراد قارب الوفاة أو ان التلاوة نسخت أيضا ولم يبلغ ذلك كل الناس إلا بعد وفاة رسول الله ﷺ فتوفى وبعض الناس يقرؤها وقال أبو موسى الأشعرى نزلت ثم رفعت وقال مكى هذا المثال فيه المنسوخ غير متلو والناسخ أيضا غير متلو ولا أعلم له نظيرا اه (الضرب الثانى) ما نسخ حكمه دون تلاوته وهذا الضرب هو الذى فيه الكتب المؤلفة وهو على الحقيقة قليل جدا وان أكثر الناس من تعديد الآيات فيه فان المحققين منهم كالقاضى أبى بكر بن العربى بين ذلك وأتقنه والذى أقوله ان الذى أورده المكثرون أقسام قسم ليس من النسخ فى شىء ولا من التخصيص ولا له بهما علاقة بوجه من الوجوه وذلك مثل قوله تعالى (ومما رزقناهم ينفقون وأنفقوا مما رزقناكم) ونحو ذلك قالوا انه منسوخ بآية الزكاة وليس كذلك بل هو باق أما الأولى فانها خبر فى معرض الثناء عليهم بالانفاق وذلك يصلح أن يفسر بالزكاة وبالانفاق على الأهل وبالانفاق فى الأمور المندوبة كالاعانة والاضافة وليس فى الآية ما يدل على أنها نفقة واجبة غير الزكاة والآية الثانية يصلح حملها على الزكاة وقد فسرت بذلك وكذا قوله تعالى (أليس الله بأحكم الحاكمين) قيل انها مما نسخ بآية السيف وليس كذلك لأنه تعالى أحكم الحاكمين أبدا لا يقبل هذا الكلام النسخ وان كان معناه الأمر بالتفويض وترك المعاقبة وقوله فى البقرة وقولوا للناس حسنا عده بعضهم من المنسوخ بآية السيف وقد غلطه ابن الحصار بأن الآية حكاية عما أخذه على بنى اسرائيل من الميثاق فهو خبر فلا نسخ فيه وقس على ذلك وقسم هو من قسم المخصوص لا من قسم المنسوخ وقد اعتنى ابن العربى بتحريره فأجاد كقوله (ان الانسان لفى خسر إلا الذين آمنوا والشعراء يتبعهم الغاوون إلا الذين آمنوا فاعفوا واصفحوا حتى يأتى الله بأمره) وغير ذلك من الآيات التى خصت باستثناء أو غاية وقد أخطأ من أدخلها فى المنسوخ ومنه قوله ولا تنكحوا المشركات حتى يؤمن قيل انه نسخ بقوله والمحصنات من الذين أوتوا الكتاب وإنما هو مخصوص به وقسم رفع ما كان عليه الأمر فى الجاهلية أو فى شرائع من قبلنا أو فى أول الاسلام ولم ينزل فى القرآن كابطال نكاح نساء الآباء ومشروعية القصاص والدية وحصر الطلاق فى الثلاث وهذا ادخاله فى قسم الناسخ قريب ولكن عدم ادخاله أقرب وهو الذى رجحه مكى وغيره ووجهوه بأن ذلك لو عد فى الناسخ بعد جميع القرآن منه إذ كله أو أكثره رافع لما كان عليه الكفار وأهل الكتاب قالوا وإنما حق الناسخ والمنسوخ أن تكون آية نسخت آية اه نعم النوع الآخر منه وهو رافع ما كان فى أول الاسلام ادخاله أوجه من القسمين قبله إذا علمت ذلك فقد خرج من الآيات التى أوردها المكثرون الجم الغفير مع آيات الصفح والعفو ان قلنا ان آية السيف لم تنسخها وبقى مما يصلح لذلك عدد يسير وقد أفردته بأدلته فى تأليف لطيف وها أنا أورده هنا محررا ففى البقرة قوله تعالى كتب عليكم إذا حضر أحدكم الموت الآية منسوخة قيل بآية المواريث وقيل بحديث ألا لا وصية لوارث وقيل بالاجماع حكاه ابن العربى قوله تعالى وعلى الذين يطيقونه فدية قيل منسوخة بقوله فمن شهد منكم الشهر فليصمه وقيل محكمة ولا مقدرة قوله أحل لكم ليلة الصيام الرفث ناسخة لقوله كما كتب على الذين من قبلكم لأن مقتضاها الموافقة فيما كان عليهم من تحريم الأكل والوطء بعد النوم ذكره ابن العربى وحكى قولا آخر أنه نسخ لما كان بالسنة قوله تعالى يسألونك عن الشهر الحرام الآية منسوخة بقوله وقاتلوا المشركين كافة الآية أخرجه ابن جرير عن عطاء بن ميسرة قوله تعالى والذين يتوفون منكم إلى قوله

متاعا

رونق وقوله فى المصراع الاخير من هذا البيت فقالت لك الويلات انك مرجلى كلام مؤنث من كلام النساء نقله من جهته إلى شعره وليس فيه غير هذا وتكريره بعد ذلك تقول وقد مال الغبيط يعنى قتب الهودج بعد قوله فقالت لك الويلات انك مرجلى لا فائدة فيه غير تقدير الوزن والا فحكاية قولها الأول كاف وهو فى النظم قبيح لانه ذكر مرة فقالت ومرة تقول فى معنى واحد وفصل خفيف وفى مصراع الثانى أيضا تأنيث من كلامهن وذكر أبو عبيدة انه قال عقرت بعيرى ولم يقل ناقتى لأنهم يحملون النساء على ذكور الابل لانها أقوى وفيه نظر لانه الاظهر ان البعير اسم الذكر والانثى واحتاج إلى ذكر البعير لاقامة الوزن وقوله

فقلت لها سيرى وأرخى زمامه
ولا تبعدينى من جناك المعلل

متاعا إلى الحول منسوخة بآية أربعة أشهر وعشرا والوصية منسوخة بالميراث والسكنى ثابتة عند قوم منسوخة عند آخرين بحديث ولا سكنى قوله تعالى (وإن تبدوا ما فى أنفسكم أو تخفوه يحاسبكم به الله) منسوخة بقوله بعده لا يكلف الله نفسا إلا وسعها ومن آل عمران قوله تعالى اتقوا الله حق تقاته قيل إنه منسوخ بقوله فاتقوا الله ما استطعتم وقيل لا بل هو محكم وليس فيها آية يصح فيها دعوى النسخ غير هذه الآية ومن النساء قوله تعالى (والذين عقدت أيمانكم فآتوهم نصيبهم منسوخة بقوله وأولوا الأرحام بعضهم أولى ببعض فى كتاب الله) قوله تعالى وإذا حضر القسمة الآية قيل منسوخة وقيل لا ولكن تهاون الناس فى العمل بها قوله تعالى واللاتى يأتين الفاحشة الآية منسوخة بآية النور ومن المائدة قوله تعالى ولا الشهر الحرام منسوخة بإباحة القتال فيه قوله تعالى فإن جاءوك فاحكم بينهم أو أعرض عنهم منسوخة بقوله وأن احكم بينهم بما أنزل الله قوله تعالى أو آخران من غيركم منسوخ بقوله وأشهدوا ذوى عدل منكم ومن الأنفال قوله تعالى إن يكن منكم عشرون صابرون الآية منسوخة بالآية بعدها ومن براءة قوله تعالى إنفروا خفافا وثقالا منسوخة بآيات العذر وهو قوله ليس على الأعمى حرج الآية وقوله ليس على الضعفاء الآيتين وبقوله وما كان المؤمنون لينفروا كافة ومن النور قوله تعالى الزانى لا ينكح إلا زانية الآية منسوخة بقوله وأنكحوا الأيامى منكم قوله تعالى ليستأذنكم الذين ملكت أيمانكم الآية قيل منسوخة وقيل لا ولكن تهاون الناس فى العمل بها ومن الأحزاب قوله تعالى لا تحل لك النساء الآية منسوخة بقوله إنا أحللنا لك أزواجك الآية ومن المجادلة قوله تعالى إذا ناجيتم الرسول فقدموا الآية منسوخة بالآية بعدها ومن الممتحنة قوله تعالى فآتوا الذين ذهبت أزواجهم مثل ما أنفقوا قيل منسوخ بآية السيف وقيل بآية الغنيمة وقيل محكم ومن المزمل قوله قم الليل إلا قليلا منسوخ بآخر السورة ثم نسخ الآخر بالصلوات الخمس فهذه إحدى وعشرون آية منسوخة على على خلاف فى بعضها لا يصح دعوى النسخ فى غيرها والأصح فى آية الاستئذان والقسمة الأحكام فصارت تسعة عشر ويضم إليها قوله تعالى فأينما تولوا فثم وجه الله على رأى ابن عباس أنها منسوخة بقوله فول وجهك شطر المسجد الحرام الآية فتمت عشرون وقد نظمتها فى أبيات فقلت

قد أكثر الناس فى المنسوخ من عدد	وأدخلوا فيه آيا ليس تنحصر
وهاك تحرير آى لا مزيد لها	عشرين حررها الحذاق والكبر
أى التوجه حيث المرء كان وإن	يوصى لأهليه عند الموت محتضر
وحرمة الأكل بعد النوم مع رفث	وفدية لمطيق الصوم مشتهر
وحق تقواه فيما صح فى أثر	وفى الحرام قتال للأولى كفروا
والاعتداد بحول مع وصيتها	وأن يدان حديث النفس والفكر
والحلف والحبس للزانى وترك أولى	كفروا شهادهم والصبر والنفر
ومنع عقد لزان أو لزانية	وما على المصطفى فى العقد محتظر
ودفع مهر لمن جاءت وآية نجواه كذاك	قيام الليل مستطر
وزيد آية الاستئذان من ملكت	وآية القسمة الفضلى لمن حضروا

(فإن قلت) ما الحكمة فى رفع الحكم وبقاء التلاوة (فالجواب) من وجهين أحدهما أن القرآن كما يتلى ليعرف الحكم منه والعمل به فيتلى لكونه كلام الله فيثاب عليه فتركت التلاوة لهذه الحكمة والثانى أن النسخ لما يكون للتخفيف فأبقيت التلاوة تذكيرا للنعمة ورفع المشقة وأما ما ورد فى القرآن ناسخا لما كان عليه الجاهلية أو كان فى شرع من قبلنا أو فى أول الإسلام فهو أيضا قليل العدد كنسخ

فذلك حبلى قد طرقت ومرضع فألهيتها عن ذى تمائم مغيلى
البيت الأول قريب النسج ليس له معنى بديع ولا لفظ شريف كأنه من عبارات المنحطين فى الصنعة وقوله فذلك حبلى قد طرقت عابه عليه أهل العربية ومعناه عندهم حتى يستقيم الكلام فرب مثلك حبلى قد طرقت وتقديره أنه زير نساء وأنه يفسدهن ويلهيهن عن حبلهن ورضاعهن لأن الحبلى والمرضعة أبعد من الغزل وطلب الرجال والبيت الثانى فى الاعتذار والاستهتار والتهيام وغير منتظم مع المعنى الذى قدمه فى البيت الأول لأن تقديره لا تبعدينى عن نفسك فإنى أغلب النساء وأخدعهن عن رأيهن وأفسدهن بالتغازل وكونه مفسدة لهن لا يوجب له وصلهن وترك إبعادهن إياه بل يوجب هجره والاستخفاف

استقبال بيت المقدس آية القبلة وصوم عاشوراء بصوم رمضان فى أشياء أخر حررتها فى كتابى المشار إليه (فوائد منثورة) قال بعضهم ليس فى القرآن ناسخ إلا والمنسوخ له فى الترتيب إلا فى آيتين آية العدة فى البقرة وقوله لا يحل لك النساء كما تقدم وزاد بعضهم ثالثة وهى آية الحشر فى الفيء على رأى من قال أنها منسوخه بآية الأنفال واعلموا أنما غنمتم من شيء وزاد قوم رابعة وهى قوله خذ العفو يعنى الفضل من أموالهم على رأى من قال أنها منسوخة بآية الزكاة وقال ابن العربى كل ما فى القرآن من الصفح عن الكفار والتولى والأعراض والكف عنهم منسوخ آية السيف وهى (فاذا انسلخ الأشهر الحرم فاقتلوا المشركين) الآية نسخت مائة وأربعا وعشرين آية ثم نسخ آخرها أولها اه وقد تقدم ما فيه وقال أيضا عجيب المنسوخ قوله تعالى خذ العفو الآية فان أولها وآخرها وهو وأعرض عن الجاهلين منسوخ ووسطها محكم وهو وأمر بالعرف وقال من عجيبه أيضا آية أولها منسوخ وآخرها ناسخ ولا نظير لها وهى قوله عليكم أنفسكم لا يضركم من ضل إذا اهتديتم) يعنى بالامر بالمعروف والنهى عن المنكر فهذا ناسخ لقوله (عليكم أنفسكم وقال السعيدى لم يمكث منسوخ مدة أكثر من قوله تعالى قل ما كنت بدعا من الرسل الآية مكثت ستة عشر سنة حتى نسخها أول الفتح عام الحديبية وذكر هبة الله بن سلامة الضرير أنه قال فى قوله تعالى (ويطعمون الطعام على حبه) الآية أن المنسوخ من هذه الجملة وأسيرا والمراد بذلك أسير المشركين فقرىء عليه الكتاب وابنته تسمع فلما انتهى إلى هذا الموضع قال له اخطأت يا أبت قال وكيف قالت أجمع المسلمون على أن الاسير يطعم ولا يقتل جوعا فقال صدقت وقال شيدلة فى البرهان يجوز نسخ الناسخ فيصير منسوخا كقوله لكم دينكم ولى دين نسخها قوله تعالى اقتلوا المشركين ثم نسخ هذه بقوله حتى يعطوا الجزية كذا قال وفيه نظر من وجهين أحدهما ما تقدمت الإشارة إليه والآخر أن قوله حتى يعطوا الجزية مخصص للآية لا ناسخ نعم يمثل له بآخر سورة المزمل فانه ناسخ لأولها منسوخ بفرض الصلوات وقوله انفروا خفافا وثقالا ناسخ لآيات الكف منسوخ بآيات العذر (وأخرج) أبو عبيد عن الحسن وأبى ميسرة قالا ليس فى المائدة منسوخ ويشكل بما فى المستدرك عن ابن عباس أن قوله فاحكم بينهم أو أعرض عنهم منسوخ بقوله وأن احكم بينهم بما أنزل الله (وأخرج) أبو عبيد وغيره عن ابن عباس قال أول ما نسخ من القرآن نسخ القبلة (وأخرج) أبوداود فى ناسخه من وجه آخر عنه قال أول آية نسخت من القرآن القبلة ثم الصيام الاول قال مكى وعلى هذا فلم يقع فى المكى ناسخ قال وقد ذكر أنه وقع فيه فى آيات منها قوله تعالى فى سورة غافر (والملائكة يسبحون بحمد ربهم ويؤمنون به ويستغفرون للذين آمنوا) فانه ناسخ لقوله ويستغفرون لمن فى الارض قلت أحسن من هذه نسخ قيام الليل فى أول سورة المزمل بآخرها أو بإيجاب الصلوات الخمس وذلك بمكة اتفاقا (تنبيه) قال ابن الحصار انما يرجع فى النسخ إلى نقل صريح عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أو عن صحابى يقول آية كذا نسخت كذا قال وقد يحكم به عند وجود التعارض المقطوع به مع علم التاريخ ليعرف المتقدم والمتأخر قال ولا يعتمد فى النسخ قول عوام المفسرين بل ولا اجتهاد المجتهدين من غير نقل صحيح ولا معارضة بينة لان النسخ يتضمن رفع حكم وإثبات حكم تقرر فى عهده صلى الله عليه وسلم والمعتمد فيه النقل والتاريخ دون الرأى والاجتهاد قال والناس فى هذا بين طرفى نقيض فمن قائل لا يقبل فى النسخ أخبار الاحاد العدول ومن متساهل يكتفى فيه بقول مفسر أو مجتهد والصواب خلاف قولها اه (الضرب) الثالث ما نسخ تلاوته دون حكمه وقد أورد بعضهم فيه سؤالا وهو ما الحكمة فى رفع التلاوة مع بقاء الحكم وهلا أبقيت التلاوة ليجتمع العمل بحكمها وثواب تلاوتها (وأجاب) صاحب الفنون بأن ذلك ليظهر به

مقدار

به استخفه ودخوله كل مدخل فاحش وركوبه كل مركب فاسد وفيه من الفحش والتفحش ما يستنكف من مثله ويأنف من ذكره كقوله

إذا ما بكى من خلفها انصرفت له
بشق وتحتى شقها لم يحول

ويوما على ظهر الكثيب تعذرت
على وآلت حلفة لم تحلل

فالبيت الأول غاية فى الفحش ونهاية فى السخف وأى فائدة لذكره لعشيقته كيف كان يركب هذه القبائح ويذهب هذه المذاهب ويرد هذه الموارد إن هذا ليبغضه كل من سمع كلامه ويوجب له المقت وهو لو صدق لكان قبيحا فكيف ويجوز أن يكون كاذبا ثم ليس فى البيت لفظ بديع ولا معنى حسن وهذا البيت متصل بالبيت الذى قبله من ذكر المرضع التى لها ولد محول فأما البيت الثانى وهو قوله ويوما

مقدار طاعة هذه الأمة في المسارعة الى بذل النفوس بطريق الظن من غير استفصال لطلب طريق مقطوع به فيسرعون بأيسر شيء كما سارع الخليل إلى ذبح ولده بمنام والمنام أدنى طريق الوحي وأمثلة هذا الضرب كثيرة قال أبو عبيدة حدثنا اسمعيل بن ابراهيم عن أيوب عن نافع عن ابن عمر قال ليقولن أحدكم قد أخذت القرآن كله وما يدريه ما كله قد ذهب منه قرآن كثير ولكن ليقل قد أخذت منه ما ظهر وقال حدثنا ابن أبي مريم عن ابن لهيعة عن ابن الأسود عن عروة بن الزبير عن عائشة قالت كانت سورة الأحزاب تقرأ في زمن النبي ﷺ مائتي آية فلما كتب عثمان المصاحف لم نقدر منها الا ما هو الآن وقال حدثنا اسمعيل بن جعفر عن المبارك بن فضالة عن عاصم بن أبي النجود عن ذر بن حبيش قال لي أبي بن كعب كأين تعد سورة الاحزاب قلت اثنتين وسبعين آية وثلاثة وسبعين آية قال ان كانت لتعدل سورة البقرة وان كنا لنقرأ فيها آية الرجم قلت وما آية الرجم قال (اذا زنا الشيخ والشيخة فارجوهما البتة نكالا من الله والله عزيز حكيم) وقال حدثنا عبد الله بن صالح عن الليث عن خالد بن يزيد عن سعيد بن أبي هلال عن مروان بن عثمان عن أبي أمامة بن سهل أن خالته قالت لقد أقرأنا رسول الله ﷺ آية الرجم الشيخ والشيخة فارجموهما البتة بما قضيا من اللذة وقال حدثنا حجاج عن ابن جريج أخبرني ابن أبي حميدة عن حميدة بنت أبي يونس قالت قرأ علي أبي وهو ابن ثمانين سنة في مصحف عائشة (ان الله وملائكته يصلون على النبي يا أيها الذين آمنوا صلوا عليه وسلموا تسليما وعلى الذين يصلون الصفوف الأول) قالت قبل أن يغير عثمان المصاحف وقال حدثنا عبد الله بن صالح عن هشام بن سعيد عن زيد بن اسلم عن عطاء بن يسار عن أبي واقد الليثي قال كان رسول الله ﷺ إذا أوحي اليه أتيناه فعلمنا مما أوحي اليه قال فجئت ذات يوم فقال ان الله يقول أنا أنزلنا المال لإقام الصلاة وإيتاء الزكاة ولو ان لابن آدم واديا لأحب أن يكون اليه الثاني ولو كان اليه الثاني لأحب أن يكون اليهما الثالث ولا يملأ جوف ابن آدم الا التراب ويتوب الله على من تاب (وأخرج) الحاكم في المستدرك عن أبي بن كعب قال قال لي رسول صلى الله عليه وسلم ان الله أمرني أن أقرأ عليك القرآن فقرأ لم يكن الذين كفروا من أهل الكتاب والمشركين ومن بقيتها لو أن ابن آدم سأل واديا من مال فأعطيه سأل ثانيا وان سأل ثانيا فأعطيه سأل ثالثا ولا يملأ جوف ابن آدم الا التراب ويتوب الله على من تاب وأن ذات الدين عند الله الحنيفية غير اليهودية ولا النصرانية ومن يعمل خيرا فلن يكفره وقال أبو عبيدة حدثنا حجاج عن حماد بن سلمة عن علي بن زيد عن أبي حرب بن أبي الأسود عن أبي موسى الأشعري قال نزلت سورة نحو براءة ثم رفعت وحفظ منها (ان الله سيؤيد هذا الدين بأقوام لاخلاق لهم ولو أن لابن آدم واديين من مال لتمنى واديا ثالثا ولا يملأ جوف ابن آدم الا التراب ويتوب الله على من تاب) (وأخرج) ابن أبي حاتم عن أبي موسى الأشعري قال كنا نقرأ سورة نشبهها باحدى المسبحات ما نسيناها غير اني حفظت منها يا أيها الذين آمنوا لا تقولوا ما لا تفعلون فتكتب شهادة في أعناقكم فتسألون عنها يوم القيامة وقال أبو عبيدة حدثنا حجاج عن سعيد عن الحكم بن عتيبة عن عدي بن عدي قال قال عمر كنا نقرأ لا ترغبوا عن آبائكم فانه كفر بكم ثم قال لزيد بن ثابت أكذلك قال نعم وقال حدثنا ابن أبي مريم عن نافع بن عامر الجمحي حدثني ابن أبي مليكة عن المسور ابن مخرمة قال قال عمر لعبد الرحمن عوف ألم تجد فيما أنزل علينا أن جاهدوا كما جاهدتم أول مرة فانا لا نجدها قال اسقطت فيما اسقط من القرآن وقال حدثنا ابن ابي مريم عن ابن لهيعة عن يزيد بن عمرو المعافري عن أبي سفيان الكلاعي أن مسلمة بن مخلد الأنصاري قال لهم ذات يوم أخبروني بآيتين في القرآن لم يكتبا في المصحف فلم يخبروه وعندهم أبو الكنود سعد بن مالك فقال (ان ابن مسلمة الذين آمنوا

يتعجب منه وانما تشددت
وتعسرت عليه وحلفت
عليه فهو كلام رديء
النسج لا فائدة لذكره لنا
أن حبيبته تمنعت عليه
يوما بموضع يسميه ويصفه
وأنت تجد في شعر المحدثين
من هذا الجنس في التغزل
ما يذوب معه اللب
وتطرب عليه النفس
وهذا مما تستنكره النفس
ويشمئز منه القلب وليس
فيه شيء من الاحسان
والحسن وقوله
افاطم مهلا بعض هذا
التدلل
وان كنت قد أزمعت
صرمي فأجملي
أغرك مني أن حبك
قاتلي
وأنك مهما تأمري القلب
يفعل فالبيت الأول
فيه ركاكة جدا وتأنيث
ورقة ولكن فيها تخنيث
ولعل قائلا يقول إن
كلام النساء بما يلائمهن
من الطبع اوقع واغزل
وليس كذلك لانك تجد
الشعراء في الشعر المؤنث
لم يعدلوا عن رصانة قولهم
والمصراع الثاني منقطع
عن الأول يلائمه ولا

وهاجروا وجاهدوا في سبيل الله بأموالهم وأنفسهم الا أبشروا أنتم المفلحون والذين آووهم ونصروهم وجادلوا عنهم القوم الذين غضب الله عليهم أولئك لا تعلم نفس ما أخفي لهم من قرة أعين جزاء بما كانوا يعملون) (وأخرج) الطبراني في الكبير عن ابن عمر قال قرأ رجلان سورة أقرأهما رسول الله صلى الله عليه وسلم فكانا يقرآن بها فقاما ذات ليلة يصليان فلم يقدرا منها على حرف فأصبحا غاديين على رسول الله ﷺ فذكرا ذلك له فقال إنها مما نسخ فالهوا عنها وفي الصحيحين عن أنس في قصة أصحاب بئر معونة الذين قتلوا وقنت يدعو على قاتليهم قال أنس ونزل فيهم قرآن قرأناه حتى رفع (أن بلغوا عنا قومنا أنا لقينا ربنا فرضي عنا وأرضانا) في المستدرك عن حذيفة قال ما تقرءون ربعها يعني براءة قال الحسين بن المنادي في كتابه الناسخ والمنسوخ مما رفع رسمه من القرآن ولم يرفع من القلوب حفظه سورتا القنوت في الوتر وتسمى سورتي الخلع والحفد. (تنبيه). حكى القاضي ابو بكر في الانتصار عن قوم انكار هذا الضرب لان الأخبار فيه أخبار آحاد ولا يجوز القطع على انزال قرآن ونسخه باخبار آحاد لا حجة فيها وقال أبو بكر الرازي نسخ الرسم والتلاوة وانما يكون بأن ينسيهم الله إياه ويرفعه من أوهامهم ويأمرهم بالاعراض عن تلاوته وكتبه في المصحف فيندرس على الايام كسائر كتب الله القديمة التي ذكرها في كتابه (في قوله ان هذا لفي الصحف الأولى صحف إبراهيم وموسى) ولا يعرف اليوم منها شيء ثم لا يخلو ذلك من أن يكون في زمان النبي صلى الله عليه وسلم حتى إذا توفي لا يكون متلوا من القرآن أو يموت وهو متلو موجود بالرسم ثم ينسيه الله الناس ويرفعه من أذهانهم وغير جائز نسخ شيء من القرآن بعد وفاة النبي صلى الله عليه وسلم اه وقال في البرهان في قول عمر لولا أن تقول الناس زاد عمر في كتاب الله لكتبتها يعني آية الرجم ظاهره ان كتابتها جائزة وانما منعه قول الناس والجائز في نفسه قد يقوم من خارج ما يمنعه فاذا كانت جائزة لزم أن تكون ثابتة لان هذا شأن المكتوب وقد يقال لو كانت التلاوة باقية لبادر عمر ولم يعرج على مقالة الناس لأن مقالة الناس لا تصلح مانعا وبالجملة هذه الملازمة مشكلة ولعله كان يعتقد أنه خبر واحد والقرآن لا يثبت به وان ثبت الحكم ومن هنا أنكر ابن ظفر في الينبوع عد هذا مما نسخ تلاوته قال لأن خبرات الواحد لا يثبت القرآن قال وانما هذا من المنسأة لا النسخ وهما مما يلتبسان والفرق بينهما أن المنسأ لفظه قد يعلم حكمه اه وقوله لعله كان يعتقد أنه خبر واحد مردود فقد صح أنه تلقاها من النبي صلى الله عليه وسلم (وأخرج) الحاكم من طريق كثير ابن الصلت قال كان زيد بن ثابت وسعيد بن العاص يكتبان المصحف فمرا على هذه الآية فقال زيد سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول (الشيخ والشيخة اذا زنيا فارجموهما ألبتة) فقال عمر لما نزلت أتيت النبي صلى الله عليه وسلم فقلت أكتبها فكأنه كره ذلك فقال عمر ألا ترى أن الشيخ اذا زنى ولم يحصن جلد وان الشاب إذا زنى وقد أحصن رجم قال ابن حجر في شرح المنهاج فيستفاد من الحديث السبب في نسخ تلاوتها لكون العمل على غير الظاهر من عمومها قلت وخطرت لي في ذلك نكتة حسنة وهو ان سببه التخفيف على الأمة بعدم اشتهار تلاوتها وكتابتها في المصحف وان كان حكمها باقيا لانه أثقل الأحكام واشدها وأغلظ الحدود وفيه الاشارة إلى ندب الستر (وأخرج) النسائي ان مروان بن الحكم قال لزيد بن ثابت ألا تكتبها في المصحف قال ألا ترى ان الشابين الثيبين يرجمان ولقد ذكرنا ذلك فقال عمر أنا أكفيكم فقال يارسول الله اكتب لي آية الرجم قال لا تستطيع قوله اكتب أي ائذن لي في كتابتها ومكني من ذلك (وأخرج) ابن الضريس في فضائل القرآن عن يعلى بن حكيم عن زيد ابن أسلم أن عمر خطب الناس فقال لا تشكوا في الرجم فانه حق ولقد هممت أن اكتبه في المصحف فسألت أبي بن كعب فقال أليس اتيتني وأنا استقرئها رسول الله صلى الله عليه وسلم فدفعت في صدري

يوافقه وهذا يبين لك اذا اعترضت معه البيت الذي تقدمه كيف ينكر عليها تدللها والمتغزل يطرب على دلال الحبيب وتدلله والبيت الثاني قد عيب عليه لانه قد أخبر أن من سبيها أن لا نغتر بما يريها من أن حبها يقتله وأنها تملك قلبه فما أمرته فعله والمحب إذا أخبر عن مثل هذا صدق وان كان المعنى غير هذا الذي عيب عليه وانما ذهب مذهبا آخر وهو أنه أراد أن يظهر التجلد فهذا خلاف ما أظهر من نفسه فيما تقدم من الأبيات من الحب والبكاء على الاحبة فقد دخل في وجه آخر من المناقضة والاحالة في الكلام ثم قوله تأمري القلب يفعل معناه تأمريني والقلب لا يأمر والاستعارة في ذلك غير واقعة ولا حسنة وقوله

فان كنت قد ساءتك مني خليقة
فسلي ثيابي عن ثيابك تنسلي

وما ذرفت عيناك الا لتضربي

وقد تستقرئه آية الرجم وهم يتسافدون تسافد الحمر قال ابن حجر وفيه إشارة إلى بيان السبب في رفع تلاوتها وهو الاختلاف . (تنبيه) . ابن الحصار في هذا النوع ان قيل كيف يقع النسخ إلى غير بدل وقد قال تعالى (ما ننسخ من آية أو ننسها نأت بخير منها أو مثلها) وهذا أخبار لا يدخله خلف فالجواب أن نقول كل ما ثبت لآن في القرآن ولم ينسخ فهو بدل مما قد نسخت من تلاوته فكلما نسخه الله من القرآن مما لا نعلمه الآن فقد أبدله بما علمناه وتواتر الينا لفظه ومعناه

. (النوع الثامن والأربعون) . في مشكلة وموهم الاختلاف والتناقض أفرده بالتصنيف قطرب والمراد به ما يوهم التعارض بين الآيات وكلامه تعالى منزه عن ذلك كما قال (ولو كان من عند غير الله لوجدوا فيه اختلافا كثيرا) ولكن قد يقع للمبتدي ما يوهم اختلافا وليس به في الحقيقة فاحتيج لازالته كما صنف في مختلف الحديث وبيان الجمع بين الأحاديث المتعارضة وقد تكلم في ذلك ابن عباس وحكى عنه التوقف في بعضها قال عبد الرازق في تفسيره أنبأنا معمر عن رجل عن المنهال بن عمرو وعن سعيد بن جبير قال جاء رجل إلى ابن عباس فقال رأيت أشياء تختلف على من القرآن فقال ابن عباس ماهو أشك قال ليس بشك ولكنه اختلاف قال هات ما اختلف عليك من ذلك قال أسمع الله يقول (ثم لم تكن فتنتهم إلا أن قالوا والله ربنا ما كنا مشركين) وقال ولا يكتمون الله حديثا) فقد كتموا وأسمعه يقول (فلا أنساب بينهم يومئذ ولا يتساءلون ثم قال وأقبل بعضهم على بعض يتساءلون وقال أئنكم لتكفرون بالذي خلق الأرض في يومين حتى بلغ طائعين ثم قال في الآية الأخرى أم السماء بناها ثم قال والأرض بعد ذلك دحاها واسمعه يقول كان الله ما شأنه يقول وكان فقال ابن عباس أما قوله (ثم لم تكن فتنتهم إلا أن قالوا والله ربنا ما كنا مشركين) فانهم لما رأوا يوم القيامة وان الله يغفر لأهل الاسلام ويغفر الذنوب ولا يغفر شركا ولا يتعاظمه ذنب أن يغفره جحده المشركون رجاء ان يغفر لهم فقالوا والله ربنا ما كنا مشركين فختم الله على أفواههم وتكلمت أيديهم وأرجلهم بما كانوا يعملون فعند ذلك يود الذين كفروا وعصوا الرسول لو تسوى بهم الأرض ولا يكتمون الله حديثا وأما قوله فلا أنساب بينهم يومئذ ولا يتساءلون فانه إذا نفخ في الصور فصعق من في السموات ومن في الأرض إلا من شاء الله فلا أنساب بينهم يومئذ ولا يتساءلون ثم نفخ فيه أخرى فاذا هم قيام ينظرون وأقبل بعضهم على بعض يتساءلون وأما قوله خلق الأرض في يومين فان الأرض قبل السماء وكانت السماء دخانا فسواهن سبع سموات في يومين بعد خلق الأرض وأما قوله والأرض بعد ذلك دحاها يقول جعل فيها جبلا وجعل فيها نهرا وجعل فيها شجرا وجعل فيها بحورا وأما قوله كان الله فان الله كان ولم يزل كذلك وهو كذلك عزيز حكيم عليم قدير لم يزل كذلك فما اختلف عليك من القرآن فهو يشبه ما ذكرت لك وان الله لم ينزل شيئا إلا وقد أصاب به الذي أراد ولكن أكثر الناس لا يعلمون أخرجه بطوله الحاكم في المستدرك وصححه وأصله في الصحيح قال ابن حجر في شرحه حاصل ما فيه السؤال عن أربعة مواضع الأول نفي المسئلة يوم القيامة واثباتها الثاني كتمان المشركين حالهم وافشاؤه الثالث خلق الأرض أو السماء أيهما تقدم الرابع الإتيان بحرف كان الدالة على المضي مع أن الصفة لازمة (حاصل) جواب ابن عباس عن الأول أن نفي المسئلة فيما قبل النفخة الثانية واثباتها فيما بعد ذلك وعن الثاني انهم يكتمون بالسنتهم فتنطق أيديهم وجوارحهم وعن الثالث أنه بدأ خلق الأرض في يومين غير مدحوة ثم خلق السموات فسواهن في يومين ثم دحا الأرض بعد ذلك وجعل فيها الرواسي وغيرها في يومين فتلك أربعة أيام للارض وعن الرابع بان كان وان كانت للماضي لكنها لا تستلزم الانقطاع بل المراد أنه لم يزل كذلك فاما الأول فقد جاء فيه تفسيرا آخران نفي المسئلة عند تشاغلهم بالصعق والمحاسبة والجواز على الصراط

بسميك أعشار قلب مقتل البيت الأول قد قيل في تأويله انه ذكر الثوب وأراد البدن مثل قول الله تعالى (وثيابك فطهر) وقال أبو عبيدة هذا مثل للزجر وتنسل تبين وهو بيت قليل المعنى ركيكه وضيعه وكل ما أضاف إلى نفسه ووصف به نفسه سقوط وسفه وسخف يوجب قطعه لم يحكم على نفسه بذلك ولكن يورده مورد أن ليست له خليقة توجب هجرانه والتقصي من وصله وانه مهذب الأخلاق شريف الشمائل فذلك يوجب ان لا ينفك من وصاله والاستعارة في المصراع الثاني فيها تواضع وتقارب وان كانت غريبة وأما البيت الثاني فمعدود من محاسن القصيدة وبدائعها ومعناه ما بكيت إلا لتجرحي قلبا معشرا أي مكسرا من قولهم برمة أعشار إذا كانت قطعا هذا تأويل ذكره الأصمعي رضي الله

واثباتها فيما عدا ذلك وهذا منقول عن السدى أخرجه ابن جرير من طريق على بن أبى طلحة عن ابن عباس أن نفى المسئلة عند النفخة الأولى وإثباتها بعد النفخة الثانية وقد تأول ابن مسعود نفى المسألة على معنى آخر وهو طلب بعضهم العفو فأخرج ابن جرير من طريق زاد أن قال أثبت ابن مسعود فقال يؤخذ بيد العبد يوم القيامة فينادى ألا إن هذا فلان بن فلان فمن كان له حق قبله فليأت قال فتعود المرأة يومئذ أن يثبت لها حق على أبيها أو ابنها أو أخيها أو زوجها فلا أنساب بينهم يومئذ ولا يتساءلون ومن طريق آخر ما قال لا يسأل أحد يومئذ بنسب شيئا ولا يتساءلون به ولا يمت برحم وأما الثانى فقد ورد بأبسط منه فيما اخرجه ابن جرير عن الضحاك بن مزاحم أن نافع بن الأزرق أتى ابن عباس فقال قول الله ولا يكتمون الله حديثا وقوله والله ربنا ما كنا مشركين فقال أنى أحسبك قمت من عند أصحابك فقلت لهم آتى ابن عباس ألقى عليه متشابه القرآن فأخبرهم أن الله إذا جمع الناس يوم القيامة قال المشركون أن الله لا يقبل إلا ممن وحده فيسألهم فيقولون والله ربنا ما كنا مشركين قال فيختم على أفواههم وتستنطق جوارحهم ويؤيده ما أخرجه مسلم من حديث أبى هريرة فى أثناء حديث وفيه ثم يلقى الثالث فيقول رب آمنت بك وبكتابك وبرسولك ويثنى ما استطاع فيقول الآن نبعث شاهدا عليك فيذكر فى نفسه من الذى يشهد على فيختم على فيه وتنطق جوارحه وأما الثانية ففيه أجوبة أخرى منها أن ثم بمعنى الواو فلا إيراد وقيل المراد ترتيب الخبر لا المخبر به كقوله ثم كان من الذين آمنوا وقيل على بابها وهى لتفاوت ما بين الخلقين لا للتراخى فى الزمان وقيل خلق بمعنى قدر وأما الرابع وجواب ابن عباس عنه فيحتمل كلامه أنه أراد أنه سمى نفسه غفورا رحيما وهذه التسمية مضت لأن التعلق انقضى وأما الصفتان فلا تزالان كذلك لا ينقطعان لأنه تعالى إذا أراد المغفرة والرحمة فى الحال أو الاستقبال وقع مراده قاله الشمس الكرمانى قال ويحتمل أن يكون ابن عباس أجاب بجوابين أحدهما أن التسمية هى التى كانت وانتهت والصفة لا نهاية لها والآخر أن معنى كان الدوام فانه لا يزال كذلك ويحتمل أن يحمل السؤال على مسلكين والجواب على دفعهما كان يقال هذا اللفظ مشعر بأنه فى الزمان الماضى كان غفورا رحيما مع أنه لم يكن هناك من يغفر له أو يرحم وبأنه ليس فى الحال كذلك كما يشعر به لفظ كان والجواب عن الأول بأنه كان فى الماضى يسمى به وعن الثانى بأن كان تعطى معنى الدوام وقد قال النحاة كان لثبوت خبرها ماضيا دائما أو منقطعا وقد أخرج ابن أبى حاتم من وجه آخر عن ابن عباس أن يهوديا قال له أنكم تزعمون أن الله كان عزيزا حكيما فكيف هو اليوم فقال أنه كان فى نفسه عزيزا حكيما (موضع آخر) توقف فيه ابن عباس قال أبو عبيد حدثنا اسمعيل بن ابراهيم عن أيوب عن ابن أبى مليكة قال سأل رجل ابن عباس عن يوم كان مقداره ألف سنة وقوله يوم كان مقداره خمسين ألف سنة فقال ابن عباس هما يومان ذكرهما الله تعالى فى كتابه الله أعلم بهما وأخرجه ابن أبى حاتم من هذا الوجه وزاد ما أدرى ماهى وأكره أن أقول فيهما مالا أعلم قال ابن أبى مليكة فضربت البعير حتى دخلت على سعيد ابن المسيب فسئل عن ذلك فلم يدر ما يقول فقلت له ألا أخبرك بما حضرت من ابن عباس فأخبرته فقال ابن المسيب للسائل هذا ابن عباس قد اتقى أن يقول فيها وهو أعلم منى وروى عن ابن عباس أيضا أن يوم الألف هو مقدار سير الأمر وعروجه اليه ويوم الألف فى سورة الحج هو أحد الأيام الستة التى خلق الله فيها السموات ويوم الخمسين ألف هو يوم القيامة فأخرج ابن أبى حاتم من طريق سماك عن عكرمة عن ابن عباس أن رجلا قال له حدثنى ما هؤلاء الآيات فى يوم كان مقداره خمسين ألف سنة ويدبر الأمر من السما الى الأرض ثم يعرج اليه فى يوم كان مقداره ألف سنة قال وان يوما

عنه وهو أشبه عند أكثرهم وقال غيره وهذا مثل للاعشار التى تقسم الجزور عليها ويعنى بسهميك المعلى وله سبعة أنصباء والرقيب وله ثلاثة أنصباء فاراد أنك ذهبت بقلبى أجمع ويعنى بقوله مقتل مذلل وأنت تعلم أنه على ما يعنى به فهو غير موافق للابيات المتقدمة لما فيها من التناقض الذى بيناه ويشبه أن يكون من قال بالتأويل الثانى فزع اليه لأنه رأى اللفظ مستكرها على المعنى الأول لأن القائل إذا قال ضرب فلان بسهمه فى الهدف بمعنى أصابه كان كلاما ساقطا مرذولا وهو يرى أن معنى الكلمة أن عينيها كالسهمين النافذين فى إصابة قلبه المجروح لما بكتا وذرفتا بالدموع كانتا ضاربتين فى قلبه ولكن من حمل على التأويل الثانى سلم من الخلل الواقع فى اللفظ ولكنه إذا حمل على الثانى فسد المعنى وأخل لأنه إن كان محتاجا على

عند ربك كألف سنة فقال يوم القيامة حساب خمسين ألف سنة والسموات فى ستة أيام كل يوم يكون ألف سنة ويدبر الأمر من السماء إلى الأرض ثم يعرج إليه فى يوم كان مقداره ألف سنة قال ذلك مقدار السير وذهب بعضهم إلى ان المراد بها يوم القيامة وانه باعتبار حال المؤمن والكافر بدليل قوله (يوم عسير على الكافرين غير يسير)

(فصل) قال الزركشي فى البرهان للاختلاف أسباب أحدها وقوع المخبر به على أحوال مختلفة وتطويرات شتى كقوله فى خلق آدم من تراب ومرة من حمأ مسنون ومرة من طين لازب ومرة من صلصال كالفخار فهذه ألفاظ مختلفة ومعانيها فى أحوال مختلفة لأن الصلصال غير الحمأ والحمأ غير التراب إلا أن مرجعها كلها إلى جوهر وهو التراب ومن التراب درجت هذه الاحوال وكقوله فاذا هى ثعبان وفى موضع تهتز كأنها جان والجان الصغير من الحيات والثعبان الكبير منها وذلك لأن خلقها خلق الثعبان العظيم واهتزازها وحركتها وخفتها كاهتزاز الجان وخفته الثانى لاختلاف الموضع كقوله (وقفوهم انهم مسئولون وقوله فلنسئلن الذين أرسل اليهم ولنسئلن المرسلين مع قوله فيومئذ لا يسئل عن ذنبه انس ولا جان) قال الحليمي فتحمل الآية الاولى على السؤال عن التوحيد وتصديق الرسل والثانية على ما يستلزمه الاقرار بالنبوات من شرائع الدين وفروعه وحمله غيره على اختلاف الأماكن لان فى القيامة مواقف كثيرة فى موضع يسئلون وفى آخر لا يسئلون وقيل ان السؤال المثبت سؤال تبكيت وتوبيخ والمنفى سؤال المعذرة وبيان الحجة وكقوله (اتقوا الله حق تقاته مع قوله فاتقوا الله ما استطعتم) حمل الشيخ أبو الحسن الشاذلى الاولى على التوحيد بدليل قوله بعدها (ولا تموتن إلا وأنتم مسلمون) والثانية على الاعمال وقيل بل الثانية ناسخة للأولى وكقوله (فان خفتم الا تعدلوا فواحدة مع قوله ولن تستطيعوا أن تعدلوا بين النساء ولو حرصتم) فالاولى تفهم امكان العدل والثانية تنفيه (والجواب) ان الاولى فى توفية الحقوق والثانية فى الميل القلبى وليس فى قدرة الإنسان وكقوله (ان الله لا يأمر بالفحشاء مع قوله أمرنا مترفيها ففسقوا فيها) فالأولى فى الامر الشرعى والثانية فى الامر الكونى بمعنى القضاء والتقدير الثالث لاختلافهما فى جهتى الفعل كقوله فلم تقتلوهم ولكن الله قتلهم وما رميت إذ رميت اضيف القتل اليهم والرمى اليه ﷺ على جهة الكسب والمباشرة ونفاه عنهم وعنه باعتبار التأثير الرابع لاختلافهما فى الحقيقة والمجاز (وترى الناس سكارى وما هم بسكارى) أى سكارى من الاهوال مجازا لا من الشراب حقيقة الخامس بوجهين واعتبارين كقوله (فبصرك اليوم حديد مع قوله خاشعين من الذل ينظرون من طرف خفى) قال قطرب فبصرك أى علمك ومعرفتك بها قوية من قولهم بصر بكذا أى علم وليس المراد رؤية العين قال الفارسي ويدل على ذلك قوله فكشفنا عنك غطاءك وكقوله (الذين آمنوا وتطمئن قلوبهم بذكر الله مع قوله انما المؤمنون الذين اذا ذكر الله وجلت قلوبهم فقد يظن أن الوجل خلاف الطمأنينة (وجوابه) أن الطمأنينة تكون بانشراح الصدر بمعرفة التوحيد والوجل يكون عند خوف الزيغ والذهاب عن الهدى فتوجل القلوب لذلك وقد جمع بينهما فى قوله (تقشعر منه جلود الذين يخشون ربهم ثم تلين جلودهم وقلوبهم الى ذكر الله) ومما استشكلوه قوله تعالى (وما منع الناس أن يؤمنوا اذ جاءهم الهدى ويستغفروا ربهم الا أن تأتيهم سنة الاولين أو يأتيهم العذاب قبلا فانه يدل على حصر المانع من الايمان فى أحد هذين الشيئين وقال فى آية أخرى (وما منع الناس أن يؤمنوا اذ جاءهم الهدى الا ان قالوا أبعث الله بشرا رسولا) فهذا حصر آخر فى غيرهما (وأجاب) ابن عبد السلام بأن معنى الآية الاولى وما منع الناس أن يؤمنوا إلا ارادة أن تأتيهم سنة الاولين من الخسف أو غيره أو يأتيهم العذاب قبلا فى الآخرة فاخبر أنه أراد أن يصيبهم أحد الامرين ولا

ما وصف به نفسه من الصبابة فقلبه كله لها فكيف يكون بكاؤها هو الذى يخلص قلبه لها واعلم بعد هذا ان البيت غير ملائم للبيت الاول ولا متصل به فى المعنى وهو منقطع عنه لانه لم يسبق كلام يقتضى بكاءها ولا سبب يوجب ذلك فتركيبه هذا الكلام على ما قبله فيه اختلال ثم لو سلم له بيت من عشرين بيتا وكان بديعا ولا عيب فيه فليس بعجيب لانه لا يدعى على مثله ان كلامه كله متناقض ونظمه كله متباين وانما يكفى ان نبين ان ما سبق من كلامه إلى هذا البيت مما لا يمكن ان يقال انه يتقدم فيه أحدا من المتأخرين فضلا عن المتقدمين وانما قدم فى شعره الأبيات قد برع فيها وبان حذقه بها وانما انكرنا ان يكون شعره متناسبا فى الجودة ومتشابها فى صحة المعنى واللفظ وقلنا انه يتصرف بين وحشى غريب مستنكر وعربية

شك أن أرادة الله مانعة من وقوع ماينافى المراد فهذا حصر فى السبب الحقيقى لان الله هو المانع فى الحقيقة ومعنى الآية الثانية وما منع الناس أن يؤمنوا إلا استغراب بعثه بشرا رسولا لا ارقولهم ان الناس مانعا من الايمان لانه لايصلح لذلك وهو يدل على الاستغراب بالالتزام وهو المناسب المانعية واستغرابهم ليس مانعا حقيقيا بل عاديا لجواز وجود الايمان معه بخلاف ارادة الله تعالى فهذا حصر فى المانع العادى والأول حصر فى المانع الحقيقى فلا تنافى أيضا ومما استشكل أيضا قوله تعالى (فمن أظلم ممن افترى على الله كذبا فمن أظلم ممن كذب على الله مع قوله ومن أظلم ممن ذكر بآيات ربه فأعرض عنها ونسى ماقدمت يداه ومن أظلم ممن منع مساجد الله) إلى غير ذلك من الآيات ووجهه أن المراد بالاستفهام هنا النفى والمعنى لا احد أظلم فيكون خبرا وإذا كان خبرا وأخذت الآيات على ظواهرها أدى إلى التناقض (وأجيب) أوجه منها تخصيص كل موضع بمعنى صلته أى لا أحد من المانعين اظلم ممن منع مساجد الله ولا احد من المفترين اظلم ممن افترى على الله كذبا وإذا تخصص بالصلة فيها زال التناقض ومنها ان التخصيص بالنسبة إلى السبق لما لم يسبق أحد إلى مثله حكم عليهم بانهم اظلم ممن جاء بعدهم سالكا طريقهم وهذا يؤول معناه إلى ماقبله لان المراد السبق إلى المانعية والافترائية ومنها وادعى أبو حيان انه الصواب أن نفى الاظلمية لايستدعى نفى اظلميه لان نفى المقيد لايدل على نفى المطلق وإذا لم يدل على نفى الظلمية لم لزم التناقض لان فيها اثبات التسوية فى الاظلمية واذا ثبتت التسوية فيها لم يكن احد ممن وصف بذلك يزيد على الآخر لانهم يتساوون فى الاظلمية وصار المعنى لا احد اظلم ممن افترى ومن منع ونحوها ولا اشكال فى تساوى هؤلاء فى الاظلمية ولا يدل على ان احد هؤلاء اظلم من الآخر كما اذا قلت لا أحد أفقه منهم اه (وحاصل الجواب) ان نفى التفضيل لا يلزم منه نفى المساواة وقال بعض المتأخرين هذا استفهام مقصود به التهويل والتفظيع من غير قصد اثبات الاظلمية للمذكور حقيقة ولا نفيها عن غيره وقال الخطابى سمعت ابن أبى هريرة يحكى عن أبى العباس ابن سريج قال سأل رجل بعض العلماء عن قوله لا أقسم بهذا البلد فأخبر انه لايقسم به ثم اقسم به فى قوله وهذا البلد الامين فقال أيما احب اليك اجيبك ثم اقطعك أو اقطعك ثم اجيبك فقال بل أقطعنى ثم اجبنى فقال له أعلم ان هذا القرآن نزل على رسول الله ﷺ بحضرة رجال وبين ظهرانى قوم وكانوا احرص الخلق على ان يجدوا فيه مغمزا وعليه مطعنا فلو كان هذا عندهم مناقضة لتعلقوا به واسرعوا بالرد عليه ولكن القوم علموا وجهلت ولم ينكروا منه ماانكرت ثم قال له ان العرب قد تدخل لا فى اثناء كلامها وتلغى معناها وأنشد فيه ابياتا (تنبيه) قال الاستاذ أبو اسحق الاسفراينى إذا تعارضت الآى وتعذر فيها الترتيب والجمع طلب التاريخ وترك المتقدم بالمتأخر ويكون ذلك نسخا وان لم يعلم وكان الاجماع على العمل باحدى الآيتين علم باجماعهم ان الناسخ ما اجمعوا على العمل بها قال ولا يوجد فى القرآن آيتان متعارضتان تخلوان عن هذين الوصفين قال غيره وتعارض القراءتين بمنزلة تعارض الآيتين نحو ارجلكم بالنصب والجر ولهذا جمع بينهما بحمل النصب على الغسل والجر على مسح الخف وقال الصيرفى جماع الاختلاف والتناقض ان كل كلام صح ان يضاف بعض ماوقع الاسم عليه إلى وجه من الوجوه فليس فيه تناقض وانما التناقض فى اللفظ ماضاده من كل جهة ولا يوجد فى الكتاب والسنة شئ من ذلك أبدا وانما يوجد فيه النسخ فى وقتين وقال القاضى أبو بكر لا يجوز تعارض أى القرآن والآثار وما يوجبه العقل فلذلك لم يجعل قوله الله خالق كل شئ معارضا لقوله وتخلقون افكا وإذ تخلق من الطين لقيام الدليل العقلى أنه لاخالق غير الله فتعين تأويل ماعارضه فيؤول وتخلقون على تكذبون وتخلق

كالمول مستنكر وبين كلام سليم متوسط وبين عامى سوقى فى اللفظ والمعنى وبين حكمة حسنة وبين سخف مستشنع ولهذا قال الله عز اسمه ولو كان من عند غير الله لوجدوا فيه اختلافا كثيرا) فأما قوله

وبيضة خدر لا يرام خباؤها
تمتعت من لهو بها غير معجل

تجاوزت احراسا اليها ومعشرا
على حراصا لو يسرون مقتلى

فقد قالوا عنى بذلك انها كبيضة خدر فى صفائها ورقتها وهذه كلمة حسنة ولكن لم يسبق اليها بل هى دائرة فى افواه العرب وتشبيه سائر ويعنى بقوله غير معجل انه ليس ذلك مما يتفق قليلا واحيانا بل يتكرر له الاستمتاع بها وقد يحمله غيره على انه رابط الجأش فلا يستعجل اذا دخلها خوف حصانتها ومنعتها وليس فى البيت كبير

على تصور (فائدة) قال الكرماني عند قوله تعالى (ولو كان من عند غير الله لوجدوا فيه اختلافا كثيرا) لاخلاف على وجهين اختلاف تناقض وهو مايدعو فيه أحد الشيئين إلى خلاف الآخر وهذا هو الممتنع على القرآن اختلاف تلازم وهو ما يوافق الجانبين كاختلاف وجوه القراءة واختلاف مقادير السور والآيات واختلاف الأحكام من الناسخ والمنسوخ والأمر والنهي والوعد والوعيد

. (النوع التاسع والأربعون) في مطلقه ومقيده (المطلق) الدال على الماهية بلا قيد وهو مع المقيد كالعام مع الخاص قال العلماء متى وجد دليل على تقييد المطلق صير اليه وإلا فلا بل يبقى المطلق على اطلاقه والمقيد على تقييده لأن الله تعالى خاطبنا بلغة العرب والضابط أن الله إذا حكم في شيء بصفة أو شرط ثم ورد حكم آخر مطلقا نظر فان لم يكن له أصل يرد اليه إلا ذلك الحكم المقيد وجب تقييده به وإن كان له أصل يرد غيره لم يكن رده إلى أحدهما أولى من الآخر فالأول مثل اشتراط العدالة في الشهود على الرجعة والفراق والوصية في قوله (وأشهدوا ذوي عدل منكم وقوله شهادة بينكم إذا حضر أحدكم الموت حين الوصية اثنان ذوا عدل منكم) وقد أطلق الشهادة في البيوع وغيرها في قوله وأشهدوا إذا تبايعتم فاذا دفعتم اليهم أموالهم فأشهدوا عليهم والعدالة شرط في الجميع ومثل تقييده ميراث الزوجين بقوله من بعد وصية يوصين بها أو دين واطلاقه الميراث فيما أطلق فيه وكذلك ما أطلق من المواريث كلها بعد الوصية والدين وكذلك ما اشترط في كفارة القتل من الرقبة المؤمنة واطلاقها في كفارة الظهار واليمين والمطلق كالمقيد في وصف الرقبة وكذلك تقييد الأيدي بقوله إلى المرافق في الوضوء واطلاقه في التيمم وتقييد احباط العمل بالردة بالموت على الكفر في قوله (ومن يرتدد منكم عن دينه فيمت وهو كافر) الآية وأطلق في قوله ومن يكفر بالإيمان فقد حبط عمله وتقييد تحريم الدم بالمسفوح في الانعام وأطلق فيما عداها فمذهب الشافعي حمل المطلق على المقيد في الجميع ومن العلماء من لا يحمل ويجوز اعتاق الكافر في كفارة الظهار واليمين ويكتفي في التيمم بالمسح الى الكوعين ويقول ان الردة تحبط العمل بمجردها والثاني مثل تقييد الصوم بالتتابع في كفارة القتل والظهار وتقييده بالتفريق في صوم التمتع وأطلق كفارة اليمين وقضاء رمضان فيبقى على اطلاقه من جوزه مفرقا ومتتابعا لا يمكن حمله عليهما لتنافي القيدين وهما التفريق والتتابع ولا على أحدهما لعدم المرجح (تنبيهات) الأول إذا قلنا بحمل المطلق على المقيد هل هو من وضع اللغة أو بالقياس مذهبان وجه الأول أن العرب من مذهبها استحباب الاطلاق اكتفاء بالمقيد وطلبا للايجاز والاختصار الثاني ما تقدم محله إذا كان الحكمان بمعنى واحد وانما اختلفا في الاطلاق والتقييد فاما إذا حكم في شيء بأمور ثم في آخر ببعضها وسكت فيه عن بعضها فلا يقتضي الالحاق كالامر بغسل الاعضاء الأربعة في الوضوء وذكر في التيمم عضوين فلا يقال بالحمل ومسح الرأس والرجلين بالتراب فيه أيضا وكذلك ذكر العتق والصوم والاطعام في كفارة الظهار واقتصر في كفارة القتل على الأولين ولم يذكر الاطعام فلا يقال بالحمل وإبدال الصيام بالاطعام

. (النوع الخمسون) . في منطوقه ومفهومه المنطوق ما دل عليه اللفظ في محل النطق فان أفاد معنى لا يحتمل غيره فالنص نحو (فصيام ثلاثة أيام في الحج وسبعة إذا رجعتم تلك عشرة كاملة) وقد نقل عن قوم من المتكلمين أنهم قالوا بندور النص جدا في الكتاب والسنة وقد بالغ امام الحرمين وغيره في الرد قال لان الغرض من النص الاستقلال بإفادة المعنى على قطع مع انحسام جهات التأويل والاحتمال وهذا وان عز حصوله بوضع الصيغ ردا إلى اللغة فما أكثره مع القرائن الحالية والمقالية اه أو مع احتمال غيره احتمالا مرجوحا فالظاهر نحو (فمن اضطر غير باغ ولا عاد) فان الباغي يطلق على الجاهل

فائدة لأنه الذي حكى في سائر أبياته فلا تتضمن مطاولتــه في المغازلة واشتغاله بها فتكريره في هذا البيت مثل ذلك قليل المعنى إلا الزيادة التي ذكر من منعتها وهو مع ذلك بيت سالم اللفظ في المصراع الأول دون الثاني والبيت الثاني ضعيف وقوله لو يسرون مقتلي أراد أن يقول لو أسروا فاذا نقله إلى هذا ضعف ووقع في مضمار الضرورة والاختلاف على نظمه بين حتى ان المحترز يحترز من مثله وقوله

إذا ما الثريا في السماء تعرضت
تعرض أثناء الوشاح المفصل

قد أنكر عليه قوم قوله إذا ما الثريا في السماء تعرضت وقالوا الثريا لا تتعرض حتى قال بعضهم سمى الثريا وانما أراد الجوزاء لانها تعرض والعرب تفعل ذلك كما قال زهير

كأحمر عاد وانما هو أحمر ثمود وقال بعضهم في

وعلى الظاهر وهو فيه ظهر وأغلب ونحو (ولا تقربوهن حتى يطهرن) فانه يقال للانقطاع طهر وللوضوء والغسل وهو فى الثانى أظهر وان حمل على المرجوح لدليل فهو تأويل ويسمى المرجوح المحمول عليه مؤولا كقوله وهو معكم أينما كنتم فانه يستحيل حمل المعية على القرب بالذات فتعين صرفه عن ذلك وحمله على القدرة والعلم أو الحفظ والرعاية وكقوله واخفض لهما جناح الذل من الرحمة فانه يستحيل حمله على الظاهر لاستحالة أن يكون للانسان أجنحة فيحمل على الخضوع وحسن الخلق وقد يكون مشتركا بين حقيقتين أو حقيقة ومجاز ويصح حمله عليهما جميعا فيحمل عليهما جميعا سواء قلنا بجواز استعمال اللفظ فى معنييه أولا ووجهه على هذا أن يكون اللفظ قد خوطب به مرتين مرة أريد هذا ومرة أريد هذا ومن أمثلته (ولا يضار كاتب ولا شهيد) فانه يحتمل ولا يضارر الكاتب والشهيد صاحب الحق بجور فى الكتابة والشهادة ولا يضارر بالفتح أى لا يضارهما صاحب الحق بالزامهما ما لا يلزمهما واجبارهما على الكتابة والشهادة ثم ان توقفت صحة دلالة اللفظ على اضمار سميت دلالة اقتضاء نحو (واسأل القرية) أى أهلها وان لم تتوقف ودل اللفظ على ما لم يقصد به سميت دلالة اشارة كدلالة قوله تعالى (أحل لكم ليلة الصيام الرفث إلى نسائكم) على صحة صوم من أصبح جنبا إذ اباحة الجماع إلى طلوع الفجر تستلزم كونه جنبا فى جزء من النهار وقد حكى هذا الاستنباط عن محمد بن كعب القرظى

• (فصل) • والمفهوم ما دل عليه اللفظ لا فى محل النطق وهو قسمان مفهوم موافقة ومفهوم مخالفة فالاول ما يوافق حكمه المنطوق فان كان أولى سمى فحوى الخطاب كدلالة فلا تقل لهما أف على تحريم الضرب لانه أشد وان كان مساويا سمى لحن الخطاب أى معناه كدلالة (الذين يأكلون أموال اليتامى ظلما) على تحريم الاحراق لانه مساو للاكل فى الاتلاف (واختلف) هل دلالة ذلك قياسية أو لفظية مجازية أو حقيقية على أقوال بيناها فى كتبنا الاصولية والثانى ما يخالف حكمه المنطوق وهو أنواع مفهوم صفة نعتا كان أو حالا أو ظرفا أو عددا نحو (ان جاءكم فاسق بنبأ فتبينوا) مفهومه ان غير الفاسق لا يجب التبيين فى خبره فيجب قبول خبر الواحد العدل (ولا تباشروهن وانتم عاكفون فى المساجد الحج أشهر معلومات) أى فلا يصح الإحرام به فى غيرها فاذكروا الله عند المشعر الحرام أى فالذكر عند غيره ليس محصلا المطلوب (فاجلدوهم ثمانين جلدة) أى لا أقل ولا أكثر وشرط نحو (وان كن أولات حمل فأنفقوا عليهن) أى فغير أولات الحمل لا يجب الانفاق عليهن وغاية نحو (فلا تحل له من بعد حتى تنكح زوجا غيره) أى فاذا نكحته تحل للاول بشرطه وحصر نحو لا إله إلا الله انما الحكم لله) أى فغيره ليس باله فالله هو الولى أى فغيره ليس بولى لإلى الله تحشرون أى لا إلى غيره اياك نعبد أى لا غيرك واختلف فى الاحتجاج بهذه المفاهيم على أقوال كثيرة والأصح فى الجملة أنها كلها حجة بشروط منها أن لا يكون المذكور خرج للغالب ومن ثم لم يعتبر الاكثرون مفهوم قوله وربائبكم اللاتى فى حجوركم فان الغالب كون الربائب فى حجور الازواج فلا مفهوم له لانه انما خص بالذكر لغلبة حضوره فى الذهن وان لا يكون موافقا للواقع ومن ثم لا مفهوم لقوله (ومن يدع مع الله الها آخر لا برهان له به وقوله لا يتخذ المؤمنون الكافرين أولياء من دون المؤمنين وقوله ولا تكرهوا فتياتكم على البغاء ان أردن تحصنا) والاطلاع على ذلك من فوائد معرفة أسباب النزول (فائدة) قال بعضهم الالفاظ اما ان تدل بمنطوقها أو بفحواها ومفهومها أو باقتضائها وضرورتها أو بمعقولها المستنبط منها حكاه ابن الحصار وقال هذا كلام حسن قلت فالاول دلالة المنطوق والثانى دلالة المفهوم والثالث دلالة الاقتضاء والرابع دلالة الاشارة

• (النوع الحادى والخمسون) • فى وجوه مخاطباته قال ابن الجوزى فى كتاب النفيس الخطاب

فى

تصحيح قوله تعرض أول ما طلع كما ان الوشاح إذا طرح بلقاك بعرضه هو ناحيته وهذا كقول الشاعر

تعرضت لى بمجان خل
تعرض المهرة فى الطول

يقول تريك عرضها وهو فى الرسن وقال أبو عمرو يعنى إذا أخذت الثريا فى وسط السماء كما يأخذ الوشاح وسط المرأة والاشبه عندنا ان البيت غير معيب من حيث عابوه به وانه محاسن هذه القصيدة ولولا أبيات عدة فيه لقابله ماشئت من شعر غير ولكن لم يأت فيه بما يفوت وشاو ويستولى على الامد أنت تعلم انه ليس للمتقدمين ولا للمتأخرين فى وصف شئ من النجوم مثل ما فى وصف الثريا وكل قد أبدع فيه وأحسن فاما ان يكون قد عارضه أو زاد عليه فمن ذلك قول ذى الرمة

وردت اعتسافا والثريا كأنها
على قمة الرأس ابن ماء محلق

في القرآن على خمسة عشر وجها وقال غيره على أكثر من ثلاثين وجها (أحدها) خطاب العام والمراد به
العموم كقوله الله الذي خلقكم (والثاني) خطاب الخاص والمراد به الخصوص كقوله أكفرتم بعد
إيمانكم يا أيها الرسول بلغ (الثالث) خطاب العام والمراد به الخصوص كقوله يا أيها الناس اتقوا ربكم
لم يدخل فيه الاطفال والمجانين (الرابع) خطاب الخاص والمراد العموم كقوله يا أيها النبي إذا طلقتم
النساء افتتح الخطاب بالنبي ﷺ والمراد سائر من يملك الطلاق كقوله يا أيها النبي انا احللنا
لك أزواجك الآية قال أبو بكر الصيرفي كان ابتداء الخطاب له فلما قال في الموهوبة خالصة لك علم أن
ما قبلها له ولغيره (الخامس) خطاب الجنس كقوله يا أيها النبي (السادس) خطاب النوع نحو يا بني
اسرائيل (السابع) خطاب العين نحو يا آدم اسكن يا نوح اهبط يا ابراهيم قد صدقت يا موسى لا تخف
يا عيسى اني متوفيك ولم يقع في القرآن الخطاب بيا محمد بل يا أيها النبي يا أيها الرسول تعظيما له وتشريفا
وتخصيصا له بذلك عما سواه وتعليما للمؤمنين أن لا ينادوه باسمه (الثامن) خطاب المدح نحو يا أيها الذين
آمنوا ولهذا وقع الخطاب بأهل المدينة الذين آمنوا وهاجروا (أخرج) ابن أبي حاتم عن خيثمة قال ما تقرءون
في القرآن يا أيها الذين آمنوا فانه في التوراة يا أيها المساكين (وأخرج) البيهقي وأبو عبيدة وغيرهما عن
ابن مسعود قال إذا سمعت الله يقول يا أيها الذين آمنوا فأوعها سمعك فانه خير يؤمر أو شر ينهى عنه
(التاسع) خطاب الذم نحو (يا أيها الذين كفروا لا تعتذروا اليوم قل يا أيها الكافرون) ولتضمنه الاهانة لم
يقع في القرآن في غير هذين الموضعين وكثر الخطاب بيا أيها الذين آمنوا على المواجهة وفي جانب الكفار
جيء بلفظ الغيبة أعراضا عنهم كقوله إن الذين كفروا قل للذين كفروا (العاشر) خطاب الكرامة
كقوله يا أيها النبي يا أيها الرسول قال بعضهم ونجد الخطاب بالنبي في محل لا يليق به الرسول وكذا عكسه
في الامر بالتشريع العام (يا أيها الرسول بلغ ما أنزل اليك من ربك) وفي مقام الخاص (يا أيها النبي لم تحرم
ما أحل الله لك) قال وقد يعبر بالنبي في مقام التشريع العام لكن مع قرينة ارادة العموم كقوله يا أيها
النبي إذا طلقتم ولم يقل طلقت (الحادي عشر) خطاب الاهانة نحو فانك رجيم اخسؤا فيها ولا تكلمون
(الثاني عشر) خطاب التهكم نحو ذق أنك أنت العزيز الكريم (الثالث عشر) خطاب الجمع بلفظ
الواحد نحو (يا أيها الانسان ما غرك بربك الكريم) (الرابع عشر) خطاب الواحد بلفظ الجمع نحو
يا أيها الرسل كلوا من الطيبات إلى قوله فذرهم في غمرتهم فهو خطاب له ﷺ وحده إذ
لا نبي معه ولا بعده وكذا قوله وان عاقبتم فعاقبوا الآية خطاب له ﷺ وحده بدليل قوله
واصبر وما صبرك إلا بالله الآية وكذا قوله فإن لم يستجيبوا لكم فاعلموا بدليل قوله قل فأتوا وجعل منه
بعضهم قال رب ارجعون أي ارجعني وقيل رب خطاب له تعالى وارجعون للملائكة وقال السهيلي هو قول
من حضرته الشياطين وزبانية العذاب فاختلط فلا يدري ما يقول من الشطط وقد اعتاد أمرا يقوله في
الحياة من رد الامر إلى المخلوقين (الخامس عشر) خطاب الواحد بلفظ الاثنين نحو ألقيا في جهنم
والخطاب لمالك خازن النار وقيل لخزنة النار والزبانية فيكون من خطاب الجمع بلفظ الاثنين وقيل
للملكين الموكلين به في قوله (وجاءت كل نفس معها سائق وشهيد) فيكون على الاصل وجعل المهدوي من
من هذا النوع (قال قد أجيبت دعوتكما) قال الخطاب لموسى وحده لانه الداعي وقيل لهما لان هرون
أمن على دعائه والمؤمن أحد الداعيين (السادس عشر) خطاب الاثنين بلفظ الواحد كقوله فمن ربكما
يا موسى أي ويا هرون وفيه وجهان أحدهما أنه أفرده بالنداء لادلالة عليه بالتربية والآخر لانه
صاحب الرسالة والآيات وهرون تبع له ذكره ابن عطية وذكر في الكشاف آخر وهو أن هرون لما
كان أفصح من موسى نكب فرعون عن خطابه حذرا من لسانه ومثله (فلا يخرجنكما من الجنة فتشقى)

ومن ذلك قول ابن المعتز
وترى الثريا في السماء
كأنها
بيضات ادحى يلحن بفدفد
وكقوله
كان الثريا في أواخر ليلها
تفتح نور أو لجام مفضض
وقوله أيضا
فناولنيها والثريا كأنها
جنى نرجس حيا الندامى
به الساقي
وقول الاشهب بن رميلة
ولاحت لساريها الثريا
كأنها لدى الافق الغربي
قرط مسلسل
ولابن المعتز
وقد هوى النجم والجوزاء
تتبعه
كذات قرط أرادته وقد
سقطا أخذه من ابن الرومي
في قوله
طيب ريقه إذا ذقت فاه
والثريا بجانب الغرب
قرط
ولابن المعتز
قد سقاني المدام والصبح

قال ابن عطية افرده بالشقاء لانه المخاطب أولا والمقصود فى الكلام وقيل لان الله جعل الشقاء فى معيشة الدنيا فى جانب الرجال وقيل اغضاء عن ذكر المرأة كما قيل من الكرم ستر الحرم (السابع عشر) خطاب الاثنين بلفظ الجمع كقوله (أن تبوآ لقومكما بمصر بيوتا وجعلوا بيوتكم قبلة) (الثامن عشر) خطاب الجمع بلفظ الاثنين كما تقدم فى ألقيا (التاسع عشر) خطاب الجمع بعد الواحد كقوله (وما تكون فى شأن وما تتلو منه من قرآن ولا تعملون) من عمل قال ابن الانبارى جمع فى الفعل الثالث ليدل على أن الامة داخلون مع النبى ﷺ ومثله يا أيها النبى اذا طلقتم النساء (العشرون) عكسه نحو وأقيموا الصلاة وبشر المؤمنين (الحادى والعشرون) خطاب الاثنين بعد الواحد نحو (أجئتنا لتلفتنا عما وجدنا عليه آباءنا وتكون لكما الكبرياء فى الارض (والثانى والعشرون) عكسه نحو من ربكما ياموسى (الثالث والعشرون) خطاب العين والمراد به الغير نحو يا أيها النبى اتق الله ولا تطع الكافرين الخطاب له والمراد أمته لانه ﷺ كان تقيا وحاشاه من طاعة الكفار ومنه (فان كنت فى شك مما انزلنا اليك فاسأل الذين يقرءون الكتاب) الآية حاشاه ﷺ من الشك وإنما المراد بالخطاب التعريض بالكفار (وأخرج) ابن أبى حاتم عن ابن عباس فى هذه قال لم يشك ﷺ ولم يسأل ومثله واسأل من أرسلنا من قبلك من رسلنا لآية فلا تكونن من الجاهلين وأنحاء ذلك (الرابع والعشرون) خطاب الغير والمراد به العين نحو (لقد أنزلنا اليكم كتابا فيه ذكركم (الخامس والعشرون) الخطاب العام الذى لم يقصد به مخاطب معين نحو (ولو ترى اذ وقفوا على النار ألم تر أن الله يسجد له ولو ترى اذ المجرمون ناكسوا رءوسهم ولم يقصد بذلك خطاب معين بل كل أحد وأخرج فى صورة الخطاب لقصد العموم يريد أن حالهم تناهت فى الظهور بحيث لا يختص بها راء دون راء بل كل من امكن منه الرؤية دخل فى ذلك الخطاب (السادس والعشرون) خطاب الشخص ثم العدول الى غيره نحو فان لم يستجيبوا لكم خوطب به النبى ﷺ ثم قال للكفار فاعلموا أنما أنزل بعلم الله بدليل فهل انتم مسلمون ومنه أرسلناك شاهدا الى قوله لتؤمنوا فى من قرأ بالفوقية (السابع والعشرون) خطاب التكوين وهو الالتفات (الثامن والعشرون) خطاب الجمادات خطاب من يعقل نحو فقال لها وللارض ائتيا طوعا أو كرها (التاسع والعشرون) خطاب التهييج نحو وعلى الله فتوكلوا ان كنتم مؤمنين (الثلاثون) خطاب التحنن والاستعطاف نحو يا عبادى الذين اسرفوا الآية (الحادى والثلاثون) خطاب التحبب نحو يا أبت لم تعبد يا بنى انها ان تك يا ابن أم لا تأخذ بلحيتى (الثانى والثلاثون) خطاب التعجيز نحو فأتوا بسورة (الثالث والثلاثون) خطاب التشريف وهو كل ما فى القرآن مخاطبة بقل فانه تشريف منه تعالى لهذه الامة بان يخاطبها بغير واسطة لتفوز بشرف المخاطبة (الرابع والثلاثون) خطاب المعدوم ويصح ذلك تبعا لموجود نحو يا بنى آدم فانه خطاب لاهل ذلك الزمان ولكل من بعدهم. (فائدة). قال بعضهم خطاب القرآن ثلاث أقسام قسم لا يصلح الا للنبى ﷺ وقسم لا يصلح الا لغيره وقسم لهما. (فائدة). قال ابن القيم تأمل خطاب القرآن تجد ملكا له الملك كله وله الحمد كله أزمة الامور كلها بيده ومصدرها منه ومورودها اليه مستويا على العرش لا تخفى عليه خافية من أقطار مملكته عالما بما فى نفوس عبيده مطلعا على أسرارهم وعلانيتهم منفرد بتدبير المملكة يسمع ويرى ويعطى ويمنع ويثيب ويعاقب ويكرم ويهين ويخلق ويرزق ويميت ويحيى ويقدر ويقضى ويدبر الامور نازلة من عنده دقيقها وجليلها وصاعدة اليه لا تتحرك ذرة إلا باذنه ولا تسقط ورقة الا بعلمه فتأمل كيف تجده يثنى على نفسه ويمجد نفسه ويحمد نفسه وينصح عباده ويدلهم على ما فيه سعادتهم وفلاحهم ويرغبهم فيه ويحذرهم مما فيه

بالليل مؤتزر
والثريا كنور غصن على الارض نثر
وقوله
وتروم الثريا فى السماء مراما
كانكباب طمر كاد يلقى لجاما
ولابن الطثرية
اذا ما الثريا فى السماء كانها
جمان وهى من مسلكه فتبددا
ولو نسخت لك كل ما قالوا من البديع فى وصف الثريا لطال عليك الكتاب وخرج عن الغرض وانما نريد أن نبين ان الابداع فى نحو هذا أمر قريب وليس فيه شىء غريب وفى جملة ما نقلناه ما يزيد على تشبيهه فى الحسن فقد علمت أن ما حلق فيه وقد المتعصب له انه بلغ النهاية فيه أمر مشترك وشريعة مورودة وباب واسع وطريق مسلوك واذا كان هذا بيت القصيدة ودرة القلادة وواسطة

هلا كهم

هلا كهم ويتعرف اليهم باسمائه وصفاته ويتحبب اليهم بنعمه وآلائه يذكرهم بنعمه عليهم ويأمرهم بما يستوجبون به تمامها ويحذرهم من نقمه ويذكرهم بما أعدلهم من الكرامة إن أطاعوه وما أعدلهم من العقوبة أن عصوه ويخبرهم بصنعه فى أوليائه وأعدائه وكيف كانت عاقبة هؤلاء وهؤلاء ويثنى على أوليائه بصالح أعمالهم وأحسن أوصافهم ويذم أعداءه بسيء أعمالهم وقبيح صفاتهم ويضرب الأمثال وينوع الأدلة والبراهين ويجيب عن شبه أعدائه أحسن الأجوبة ويصدق الصادق ويكذب الكاذب ويقول الحق ويهدى السبيل ويدعو إلى دار السلام ويذكر أوصافها وحسنها ونعيمها ويحذر من دار البوار ويذكر عذابها وقبحها وآلامها ويذكر عباده فقرهم اليه وشدة حاجتهم اليه من كل وجه وأنهم لاغنى لهم عنه طرفة عين ويذكرهم غناه عنهم وعن جميع الموجودات وأنه الغنى بنفسه عن كل ماسواه وكل ماسواه فقير إليه وأنه لاينال أحد ذرة من الخير فما فوقها إلا بفضله ورحمته ولاذرة من الشر فما فوقها إلا بعدله وحكمته وتشهد من خطابه عتابه لاحبابه ألطف عتاب وأنه مع ذلك مقيل عثراتهم وغافر زلاتهم ومقيم أعذارهم ومصلح فسادهم والدافع عنهم والحامى عنهم والناصر لهم والكفيل بمصالحهم والمنجى لهم من كل كرب والموفى لهم بوعده وأنه وليهم الذى لاولى لهم سواه فهو مولاهم الحق وينصرهم على عدوهم فنعم المولى ونعم النصير وإذا شهدت القلوب من القرآن ملكا عظيما جوادا رحيما جميلا هذا شأنه فكيف لاتحبه وتنافس فى القرب منه وتنفق أنفاسها فى التودد اليه ويكون أحب اليها من كل ماسواه ورضاه آثر عندها من رضى كل من سواه وكيف لاتلهج بذكره وتصير حبه والشوق اليه والأنس به هو غذاؤها وقوتها ودواؤها بحيث أن فقدت ذلك فسدت وهلكت ولم تنتفع بحياتها. (فائدة) . قال بعض الأقدمين أنزل القرآن على ثلاثين نحوا كل نحو منه غير صاحبه فمن عرف وجوهها ثم تكلم فى الدين أصاب ووفق ومن لم يعرفها وتكلم فى الدين كان الخطأ إليه أقرب وهو المكى والمدنى والناسخ والمنسوخ والمحكم والمتشابه والتقديم والتأخير والمقطوع والموصول والسبب والاضمار والخاص والعام والأمر والنهى والوعد والوعيد والحدود والاحكام والخبر والاستفهام والأبهة والحروف المصرفة والأعذار والإنذار والحجة والاحتجاج والمواعظ والامثال والقسم قال (فالمكى) مثل واهجرهم هجرا جميلا (والمدنى) مثل وقاتلوا فى سبيل الله (والناسخ والمنسوخ) واضح (والمحكم) مثل ومن يقتل مؤمنا متعمدا الآية إن الذين يأكلون أموال اليتامى ظلما ونحوه مما أحكمه الله وبينه (والمتشابه) مثل (ياأيها الذين آمنوا لاتدخلوا بيوتا غير بيوتكم حتى تستأنسوا) الآية ولم يقل ومن يفعل ذلك عدوانا وظلما فسوف نصليه نارا كما قال فى المحكم وقد ناداهم فى هذه الآية بالإيمان ونهاهم عن المعصية ولم يجعل فيها وعيدا فاشتبه على أهلها مايفعل الله بهم (والتقديم والتأخير) مثل (كتب عليكم إذا حضر أحدكم الموت إن ترك خيرا الوصية) التقدير كتب عليكم الوصية إذا حضر أحدكم الموت (والمقطوع والموصول) مثل لاأقسم بيوم القيامة ولا مقطوع من أقسم وإنما هو فى المعنى اقسم بيوم القيامة ولاأقسم بالنفس اللوامة ولم يقسم (والسبب والاضمار) مثل واسأل القرية أى أهل القرية (والخاص والعام) مثل ياأيها النبى فهذا فى المسموع خاص إذا طلقتم النساء فصار فى المعنى عاما (والأمر) ومابعده إلى الاستفهام أمثلتها واضحة (والأبهة) مثل إنا أرسلنا نحن قسمنا عبر بالصيغة الموضوعة للجماعة للواحد تعالى تفخيما وتعظيما وأبهة (والحروف المصرفة) كالفتنة تطلق على الشرك نحو حتى لاتكون فتنة (وعلى) المعذرة نحو ثم لم تكن فتنتهم أى معذرتهم (وعلى) الاختبار نحو قد فتنا قومك من بعدك (والاعذار) نحو فبما نقضهم ميثاقهم لعناهم اعتذر أنه لم يفعل ذلك إلا بمعصيتهم والبواقى أمثلتها واضحة

العقد وهذا محله فكيف بما تعداه ثم فيه ضرب من التكلف لأنه قال اذا ماالثريا فى السماء تعرضت تعرض اثناء الوشاح فقوله تعرضت من الكلام الذى يستغنى عنه لأنه يشبه أثناء الوشاح سواء كان فى وسط السماء أو عند الطلوع | والمغيب فالتهويل بالتعرض والتطويل بهذه الألفاظ لامعنى له وفيه أن الثريا كقطعة من الوشاح المفصل فلا معنى لقوله تعرض أثناء الوشاح وإنما أراد أن يقول تعرض قطعة من أثناء الوشاح فلم يستقم له اللفظ حتى يشبه ماهو كالشيء الواحد بالجمع قوله

فجئت وقد نضت لنوم ثيابها
لدى الستر الالابسة المتفضل

فقالت يمين الله مالك حيلة
ومان أرى عنك الغواية تنجلى

انظر إلى البيت الأول

(النوع الثاني والخمسون) في حقيقته ومجازه لاخلاف في وقوع الحقائق في القرآن وهي كل لفظ بقي على موضوعه ولا تقديم فيه ولا تأخير وهذا أكثر الكلام وأما المجاز فالجمهور أيضا على وقوعه فيه وأنكره جماعة منهم الظاهرية وابن القاص من الشافعية وابن خويز منداد من المالكية وشبهتهم أن المجاز أخو الكذب والقرآن منزه عنه وأن المتكلم لا يعدل إليه إلا إذا ضاقت به الحقيقة فيستعير وذلك محال على الله تعالى وهذه شبهة باطلة ولو سقط المجاز من القرآن سقط منه شطر الحسن فقد اتفق البلغاء على أن المجاز أبلغ من الحقيقة ولو وجب خلو القرآن من المجاز وجب خلوه من الحذف والتوكيد وتثنية القصص وغيرها (وقد أفرده بالتصنيف) الامام عز الدين بن عبد السلام ولخصته مع زيادات كثيرة في كتاب سميته مجاز الفرسان إلى مجاز القرآن وهو قسمان (الأول) المجاز في التركيب ويسمى مجاز الاسناد والمجاز العقلي وعلاقته الملابسة وذلك أن يسند الفعل أو شبهه إلى غير ما هو له أصالة لملابسته له (كقوله تعالى) (وإذا تليت عليهم آياته زادتهم إيمانا) نسبت الزيادة وهي فعل الله إلى الآيات لكونها سببا لها يذبح أبناءهم ياهامان ابن لي نسب الذبح وهو فعل الأعوان إلى فرعون والبناء وهو فعل العملة إلى هامان لكونهما آمرين به (وكذا) قوله (وأحلوا قومهم دار البوار) نسب الاحلال اليهم لتسببهم في كفرهم بأمرهم اياهم به ومنه (قوله تعالى) (يوما يجعل الولدان شيبا) نسب الفعل إلى الظرف لوقوعه فيه عيشة راضية أي مرضية فإذا عزم الامر أي عزم عليه بدليل فإذا عزمت وهذا القسم أربعة أنواع (أحدها) ما طرفاه حقيقيان كالآية المصدر بها (وكقوله) (وأخرجت الأرض أثقالها) (ثانيها) مجازيان نحو (فما ربحت تجارتهم) أي ما ربحوا فيها وإطلاق الربح والتجارة هنا مجاز (ثالثها ورابعها) ما أحد طرفيه حقيقي دون الآخر إما الأول أو الثاني (كقوله) أم أنزلنا عليهم سلطانا أي برهانا (كلا إنها لظى نزاعة للشوى تدعو) فان الدعاء من النار مجاز (وقوله) حتى تضع الحرب أوزارها تؤتي أكلها كل حين فأمه هاوية فاسم الأم الهاوية مجاز أي كما أن الأم كافلة لولدها وملجأ له كذلك النار للكافرين كافلة ومأوى ومرجع (القسم الثاني) المجاز في المفرد ويسمى المجاز اللغوي وهو استعمال اللفظ في غير ما وضع له أولا وأنواعه كثيرة (أحدها) الحذف وسيأتي مبسوطا في نوع المجاز فهو به أجدر خصوصا إذا قلنا إنه ليس من أنواع المجاز (الثاني) الزيادة وسبق تحرير القول فيها في نوع الاعراب (الثالث) اطلاق اسم الكل على الجزء نحو يجعلون أصابعهم في آذانهم أي أناملهم ونكتة التعبير عنها بالأصابع الإشارة إلى إدخالها على غير المعتاد مبالغة من الفرار فكأنهم جعلوا الأصابع وإذا رأيتهم تعجبك أجسامهم أي وجوههم لأنه لم ير جملتهم فمن شهد منكم الشهر فليصمه أطلق الشهر وهو اسم الثلاثين ليلة وأراد جزأ منه كذا أجاب به الإمام فخر الدين عن استشكال أن الجزاء إنما يكون بعد تمام الشرط والشرط أن يشهد الشهر وهو اسم لكله حقيقة فكأنه أمر بالصوم بعد مضى الشهر وليس كذلك وقد فسره علي وابن عباس وابن عمر على أن المعنى من شهد أول الشهر فليصم جميعه وإن سافر في أثنائه (أخرجه) ابن جرير وابن أبي حاتم وغيرهما وهو أيضا من هذا النوع ويصلح أن يكون من نوع الحذف (الرابع) عكسه نحو ويبقى وجه ربك أي ذاته فولوا وجوهكم شطره أي ذواتكم إذ الاستقبال يجب بالصدر وجوه يومئذ ناعمة وجوه يومئذ خاشعة عاملة ناصبة عبر بالوجوه عن جميع الأجساد لأن التنعم والنصب حاصل لكلها ذلك بما قدمت يداك بما كسبت أيديكم أي قدمت وكسبتم ونسب ذلك إلى الأيدي لأن أكثر الأعمال تزاول بها قم الليل وقرآن الفجر واركعوا مع الراكعين ومن الليل فاسجد له أطلق كلا من القيام والقراءة والركوع والسجود على الصلاة وهو بعضها هديا بالغ الكعبة أي الحرم كله بدليل أنه لا يذبح فيها (تنبيه) الحق

والابيات التي قبله كيف خلط في النظم وفرط في التأليف فذكر التمتع بها وذكر الوقت والحال والحراس ثم يذكر كيف كان صفتها لما دخل عليها ووصل إليها من نزعها ثيابها الا ثوبا واحدا والمتفضل الذي في ثوب واحد وهو الفضل فما كان من سبيله أن يقدمه إنما ذكره مؤخرا وقوله لدى الستر حشو وليس بحسن ولا بديع وليس في البيت حسن ولاشي يفضل لأجله وأما البيت الثاني ففيه تعليق واختلال ذكر الأصمعي أن معنى قوله مالك حيلة أي ليست لك جهة تجيء فيها والناس حوالي والكلام في المصراع الثاني منقطع عن الأول ونظمه اليه فيه ضرب من التفاوت وقوله

فقمت بها امشي تجر وراءنا
على أثرنا أذيال مرط مرحل
فلما أجزنا ساحة الحي وانتحى
بنا بطن خبت ذي حقاف عقنقل

بهذين النوعين شيآن (احداهما) وصف البعض بصفة الكل كقوله ناصية كاذبة خاطئه فالخطأ صفة الكل وصف به الناصية وعكسه كقوله إنا منكم وجلون والوجل صفة القلب ولملئت منهم رعبا والرعب إنما يكون فى القلب (والثانى) اطلاق لفظ مرادا به الكل ذكره أبو عبيدة وخرج عليه قوله ولأبين لكم بعض الذى تختلفون فيه أى كله وان يك صادقا يصبكم بعض الذى يعدكم وتعقب بأنه لا يجب على النبى بيان كل ما اختلف فيه بدليل الساعة والروح ونحوهما وبأن موسى كان وعدهم بعذاب فى الدنيا وفى الآخرة فقال يصبكم هذا العذاب فى الدنيا وهو بعض الوعيد من غير نفى عذاب الآخرة وذكره ثعلب (قال الزركشى) ويحتمل أيضا أن يقال ان الوعيد مما لا يستنكر ترك جميعه فكيف بعضه ويؤيد ماقاله ثعلب قوله فاما يرينك بعض الذى نعدهم أو نتوفينك فالينا مرجعهم (الخامس) اطلاق اسم الخاص على العام نحو انا رسول رب العالمين أى رسله (السادس) عكسه نحو ويستغفرون لمن فى الأرض أى المؤمنين بدليل قوله ويستغفرون للذين آمنوا (السابع) اطلاق اسم الملزوم على اللازم (الثامن) عكسه نحو هل يستطيع ربك أن ينزل علينا مائدة أى هل يفعل اطلق الاستطاعة على الفعل لأنها لازمة له (التاسع) اطلاق المسبب على السبب نحو ينزل لكم من السماء رزقا قد انزلنا عليكم لباسا أى مطرا يتسبب عنه الرزق واللباس لا يجدون نكاحا أى مؤونة من مهر ونفقة ومالابد للمتزوج منه (العاشر) عكسه نحو ما كانوا يستطيعون السمع أى القبول والعمل به لأنه مسبب عن السمع (تنبيه) من ذلك نسبة الفعل إلى سبب السبب كقوله فأخرجهما مما كانا فيه كما أخرج أبويكم من الجنة فان المخرج فى الحقيقة هو الله تعالى وسبب ذلك أكل الشجرة وسبب الاكل وسوسة الشيطان (الحادى عشر) تسمية الشيء باسم ما كان عليه نحو وآتوا اليتامى أموالهم أى الذين كانوا يتامى إذ لا يتم بعد البلوغ (فلا تعضلوهن أن ينكحن أزواجهن) أى الذين كانوا أزواجهن من يأت ربه مجرما سماه مجرما باعتبار ما كان عليه فى الدنيا من الإجرام (الثانى عشر) تسميته باسم ما يؤول اليه نحو (انى أرانى أعصر خمرا) أى عنبا يؤول إلى الخمرية ولا يلدوا إلا فاجرا كفارا أى صائرا إلى الكفر والفجور حتى تنكح زوجا غيره سماه زوجا لأن العقد يؤول إلى زوجية لأنها لا تنكح إلا فى حال كونه زوجا فبشرناه بغلام حليم نبشرك بغلام عليم وصفه فى حال البشارة بما يؤول اليه من العلم والحلم (الثالث عشر) اطلاق اسم الحال على المحل نحو (ففى رحمة الله هم فيها خالدون) أى فى الجنة لأنها محل الرحمة بل مكر الليل أى فى الليل إذ يريكهم الله فى منامك أى عينك على قول الحسن (الرابع عشر) عكسه نحو فليدع ناديه أى أهل ناديه أى مجلسه ومنه التعبير باليد عن القدرة نحو بيده الملك وبالقلب عن العقل نحو (لهم قلوب لا يفقهون بها) أى عقول وبالافواه عن الألسن نحو ويقولون بأفواههم وبالقرية عن ساكنيها نحو واسأل القرية وقد اجتمع هذا النوع وماقبله فى قوله تعالى (خذوا زينتكم عند كل مسجد) فان أخذ الزينة غير ممكن لأنها مصدر فالمراد محلها فاطلق عليه اسم الحال وأخذها للمسجد نفسه لا يجب فالمراد به الصلاة فاطلق اسم المحل على الحال (الخامس عشر) تسمية الشيء باسم آلته نحو واجعل لى لسان صدق فى الآخرين أى ثناء حسنا لأن اللسان آلته (وما أرسلنا من رسول إلا بلسان قومه) أى بلغة قومه (السادس عشر) تسمية الشيء باسم ضده نحو فبشرهم بعذاب أليم والبشارة حقيقة فى الخبر السار ومنه تسمية الداعى إلى الشيء باسم الصارف عنه ذكره السكاكى وخرج عليه قوله تعالى ما منعك ان لا تسجد يعنى ما دعاك إلى أن لا تسجد وسلم بذلك من دعوى زيادة لا (السابع عشر) اضافة الفعل إلى ما لا يصح منه تشبيها نحو جدارا يريد أن ينقض وصفه بالارادة وهى من صفات الحى تشبيها لميله للوقوع بارادته (الثامن عشر) اطلاق الفعل والمراد

البيت الأول من مساعدتها إياه حتى قامتا معه ليخلوا وإنما كانت تجر على الأثر اذيال مرط مرجل والمرجل ضرب من البرود يقال لوشيه الترجيل وفيه تكلف لانه قال وراءنا على أثرنا ولو قال على أثرنا كان كافيا والذيل إنما يجر وراء الماشى فلا فائدة لذكره وراءنا وتقدير القول فقمت أمشى بها وهذا أيضا ضرب من التكلف وقوله إذيال مرط كان من سبيله أن يقول ذيل مرط على أنه لو سلم من ذلك كان قريبا ليس مما يفوت بمثله غيره ولا يتقدم به سواه وقول ابن المعتز احسن منه

فبت افرش خدى فى الطريق له
ذلا واسحب أذيالى على الأثر

واما البيت الثانى فقوله أجزنا بمعنى قطعنا والخبت بطن من الأرض والحقف رمل منعرج والعقنقل المنعقد من الرمل الداخل بعضه فى بعض

مشارفته ومقاربته وإرادته نحو (فإذا بلغن أجلهن فأمسكوهن) أى قاربن بلوغ الأجل أى انقضاء المدة لأن الإمساك لا يكون بعده وهو فى قوله فبلغن أجلهن فلا تعضلوهن حقيقة فإذا جاء أجلهم لا يستأخرون ساعة ولا يستقدمون أى فإذا قرب مجيئه وبه يندفع السؤال المشهور فيها أن عند مجىء الأجل لا يتصور تقديم ولا تأخير وليخش الذين لو تركوا من خلفهم الآية لو قاربوا أن يتركوا خافوا لأن الخطاب للأوصياء وإنما يتوجه اليهم قبل الترك لأنهم بعده أموات إذا قمتم إلى الصلاة فاغسلوا أى اردتم القيام فإذا قرأت القرآن فاستعذ اى اردت القراءة لتكون الاستعاذة قبلها وكم من قرية أهلكناها فجاءها بأسنا أى اردنا إهلاكها وإلا لم يصح العطف بالفاء وجعل منه بعضهم قوله من يهد الله فهو المهتدى أى من يرد الله هدايته وهو حسن جدا لئلا يتحد الشرط والجزاء (التاسع عشر) القلب أما قلب اسناد نحو ما إن مفاتحه لتنوء بالعصبة أى لتنوء العصبة بها لكل أجل كتاب أى لكل كتاب أجل وحرمنا عليه المراضع أى حرمناه على المراضع ويوم يعرض الذين كفروا على النار اى تعرض النار عليهم لأن المعروض عليه هو الذى له الاختيار (وانه لحب الخير لشديد) أى وان حبه للخير (وان يردك بخير) أى يرد بك الخير فتلقى آدم من ربه كلمات لأن المتلقى حقيقة وهو آدم كما قرىء بذلك أيضا أو قلب عطف نحو ثم تول عنهم فانظر أى فانظر ثم تول ثم دنا فتدلى أى تدلى فدنا لأنه بالتولى مال إلى الدنو أو قلب تشبيه وسيأتى فى نوعه (العشرون) إقامة صيغة مقام أخرى وتحتها أنواع كثيرة (منها) اطلاق المصدر على الفاعل نحو فإنهم عدو لى ولهذا أفرده وعلى المفعول نحو ولا يحيطون بشىء من علمه أى من معلومه صنع الله أى مصنوعه وجاءوا على قميصه بدم كذب أى مكذوب فيه لأن الكذب من صفات الأقوال لا الاجسام (ومنها) اطلاق البشرى على المبشر به والهوى على المهوى والقول على المقول (ومنها) اطلاق الفاعل والمفعول على المصدر نحو ليس لوقعتها كاذبة أى تكذيب بأيكم المفتون أى الفتنة على أن الباء غير زائدة (ومنها) اطلاق فاعل على مفعول نحو ماء دافق أى مدفوق لا عاصم اليوم من أمر الله إلا من رحم أى لا معصوم جعلنا حرما آمنا أى مأمونا فيه وعكسه نحو إنه كان وعده مأتيا أى آتيا حجابا مستورا أى ساترا (وقيل) هو على بابه أى مستورا عن العيون لا يحس به أحد (ومنها) اطلاق فعيل بمعنى مفعول نحو وكان الكافر على ربه ظهيرا (ومنها) اطلاق واحد من الفرد والمثنى والجمع على آخر منها مثال اطلاق المفرد على المثنى والله ورسوله احق أن يرضوه أى يرضوهما فأفرد لتلازم الرضاءين وعلى الجمع إن الإنسان لفى خسر اى الأناسى بدليل الاستثناء منه إن الإنسان خلق هلوعا بدليل إلا المصلين (ومثال) اطلاق المثنى على المفرد ألقيا فى جهنم أى ألق ومنه كل فعل نسب إلى شيئين وهو لأحدهما فقط نحو يخرج منهما اللؤلؤ والمرجان وإنما يخرج من أحدهما وهو الملح دون العذب ونظيره ومن كل تأكلون لحما طريا وتستخرجون حلية تلبسونها وإنما تخرج الحلية من الملح وجعل القمر فيهن نورا أى فى إحداهن نسيا حوتهما والناسى يوشع بدليل قوله لموسى انى نسيت الحوت وإنما أضيف النسيان اليهما معا لسكوت موسى عنه فمن تعجل فى يومين والتعجل فى اليوم الثانى على رجل من القريتين عظيم (قال الفارسى) أى من إحدى القريتين وليس منه ولمن خاف مقام ربه جنتان وان المعنى جنة واحدة خلافا للفراء (وفى كتاب) ذا القد لابن جنى أن منه أأنت قلت للناس اتخذونى وامى الهين وإنما المتخذ الها عيسى دون مريم (ومثال) اطلاقه على الجمع ثم ارجع البصر كرتين أى كرات لأن البصر لا يحسر إلا بها وجعل منه بعضهم قوله الطلاق مرتان (ومثال) اطلاق الجمع على المفرد قال رب ارجعون أى ارجعنى (وجعل منه) ابن فارس فناظرة بم يرجع المرسلون والرسول واحد بدليل ارجع اليهم وفيه نظر لأنه يحتمل أنه خاطب رئيسهم لا سيما وعادة الملوك جارية

وهذا بيت متقارب مع الأبيات المتقدمة لأن فيها ما هو سلس قريب يشبه كلام المولدين وكلام البذلة وهذا قد اغرب فيه وأتى بهذه اللفظة الوحشية المنعقدة وليس فى ذكرها والتفضيل بالحاقها بكلامها فائدة الكلام الغريب واللفظة الشديدة المباينة لنسج الكلام قد تحمد اذا وقعت موقع الحاجة فى وصف ما يلائمها كقوله عز وجل فى وصف يوم القيامة (يوما عبوسا قمطريرا) فأما إذا وقعت فى غير هذا الموقع فهى مكروهة مذمومة بحسب ما تحمد فى موضعها وروى أن جريرا أنشد بعض خلفاء بنى أمية قصيدته

بان الخليط برمتين فودعوا
أو كلما جد والبين تجزع
كيف العزاء ولم أجد مذ بنتم
قلبا يقر ولا شرابا ينقع

قال وكان يزحف من حسن هذا الشعر حتى

أن لا يرسلوا واحدا (وجعل منه) فنادته الملائكة ينزل الملائكة بالروح أى جبريل (واذ قتلتم نفسا فادارأتم فيها) والقاتل واحد (ومثال اطلاقه) على المثنى قالتا أتينا طائعين قالوا لا تخف خصمان فان كان له إخوة فلأمه السدس أى أخوان فقد صغت قلوبكما أى قلبا كما وداود وسليمان إذ يحكمان فى الحرث إلى قوله وكنا لحكمهم شاهدين (ومنها) اطلاق الماضى على المستقبل لتحقق وقوعه نحو أتى أمر الله أى الساعة بدليل فلا تستعجلوه ونفخ فى الصور فصعق من فى السموات واذ قال الله ياعيسى ابن مريم أأنت قلت للناس الآية وبرزوا لله جميعا ونادى أصحاب الأعراف وعكسه لافادة الدوام والاستمرار فكأنه وقع واستمر نحو أتأمرون الناس بالبر وتنسون واتبعوا ما تتلو الشياطين على ملك سليمان أى تلت ولقد نعلم أى علمنا قد يعلم ما أنتم عليه أى علم فلم تقتلون أنبياء الله أى قتلتم وكذا فريقا كذبتم وفريقا تقتلون ويقول الذين كفروا لست مرسلا أى قالوا ومن لواحق ذلك التعبير عن المستقبل باسم الفاعل أو المفعول لأنه حقيقة فى الحال لا فى الاستقبال نحو وان الدين لواقع ذلك يوم مجموع له الناس (ومنها) اطلاق الخبر على الطلب أمرا أو نهيا أو دعاء مبالغة فى الحث عليه حتى كأنه وقع واخبر عنه (قال الزمخشرى) وورود الخبر المراد الامر أو النهى ابلغ من صريحى الامر أو النهى كأنه سورع فيه الى الامتثال واخبر عنه نحو (والوالدات يرضعن والمطلقات يتربصن فلا رفث ولا فسوق ولا جدال فى الحج) على قراءة الرفع وما تنفقون الا ابتغاء وجه الله أى لا تنفقوا الا ابتغاء وجه الله لا يمسه الا المطهرون أى لا يمسسه واذ اخذنا ميثاق بنى اسرائيل لا تعبدون الا الله أى لا تعبدوا بدليل وقولوا للناس حسنا لا تثريب عليكم اليوم ويغفر الله لكم أى اللهم اغفر لهم وعكسه نحو فليمدد له الرحمن مدا أى يمد اتبعوا سبيلنا ولنحمل خطاياكم أى ونحن حاملون بدليل وانهم لكاذبون والكذب انما يرد على الخبر فليضحكوا قليلا وليبكوا كثيرا (قال الكواشى) فى الآية الأولى الامر بمعنى الخبر أبلغ من الخبر لتضمنه اللزوم نحو إن زرتنا فلنكرمك يريدون تأكيد ايجاب الاكرام عليهم (وقال ابن عبد السلام) لان الامر للايجاب يشبه الخبرية فى ايجابه (ومنها) وضع النداء موضع التعجب نحو ياحسرة على العباد (قال الفراء) معناه فيالها حسرة (وقال ابن خالويه) هذه من أصعب مسئلة فى القرآن لان الحسرة لا تنادى وانما ينادى الاشخاص لأن فائدته التنبيه ولكن المعنى على التعجب (ومنها) وضع جمع القلة موضع الكثرة نحو هم فى الغرفات آمنون وغرف الجنة لا تحصى لهم درجات عند الله ورتب الناس فى علم الله أكثر من العشرة لامحالة الله يتوفى الانفس اياما معدودات ونكتة التقليل فى هذه الآية التسهيل على المكلفين وعكسه نحو يتربصن بانفسهن ثلاثة قروء (ومنها) تذكير المؤنث على تأويله بمذكر نحو فمن جاءه موعظة من ربه أى وعظ وأحيينا به بلدة ميتا على تأويل البلدة بالمكان فلما رأى الشمس بازغة قال هذا ربى أى الشمس أو الطالع ان رحمة الله قريب من المحسنين (قال الجوهرى) ذكرت على معنى الاحسان (وقال الشريف) المرتضى فى قوله ولا يزالون مختلفين الا من رحم ربك ولذلك خلقهم ان الاشارة للرحمة وانما لم يقل ولتلك لان تأنيثها غير حقيقى ولانه يجوز أن يكون فى تأويل أن يرحم (ومنها) تأنيث المذكر نحو الذين يرثون الفردوس هم فيها أنث الفردوس وهو مذكر حملا على معنى الجنة (من جاء بالحسنة فله عشر أمثالها) أنث عشرا حيث حذف الهاء مع اضافتها الى الامثال وواحدها مذكر فقيل لاضافة الامثال الى مؤنث وهو ضمير الحسنات فاكتسب منه التأنيث (وقيل) هو من باب مراعاة المعنى لان الامثال فى المعنى مؤنثة لان مثل الحسنة حسنة والتقدير فله عشر حسنات أمثالها (وقد قدمنا) فى القواعد المهمة قاعدة فى التذكير والتأنيث (ومنها) التغليب وهو اعطاء الشئ حكم غيره (وقيل) ترجيح أحد المعلومين على الآخر واطلاق لفظه عليهما اجراء للمختلفين مجرى

بلغ قوله
وتقول بوزع قد دببت على العصا
هلا هزيت بغيرنا يا بوزع
فقال افسدت شعرك بهذا الاسم وأما قوله
هصرت بغصنى دوحة فتمايلت
على هضيم الكشح ريا الخلخل
مهفهفة بيضاء غير مفاضة
غرائبها مصقولة كالسجنجل
فمعنى قوله هصرت جذبت وثنيت وقوله بغصنى دوحة تعسف ولم يكن من سبيله ان يجعلهما اثنين والمصراع الثانى اصح وليس فيه شئ الا ما يتكرر على السنة الناس من هاتين الصفتين وأنت تجد ذلك فى وصف كل شاعر ولكنه مع تكرره على الالسن صالح وأما معنى قوله مهفهفة انها مخففة ليست مثقلة والمفاضة التى اضطرب طولها والبيت مع مخالفته فى الطبع الابيات المتقدمة ونزوعه فيه إلى الالفاظ المستكرهة وما فيه من

المتفقين نحو (وكانت من القانتين إلا امرأته كانت من الغابرين) والاصل من القانتات والغابرات فعدت الانثى من المذكر بحكم التغليب بل أنتم قوم تجهلون أتى بتاء الخطاب تغليبا لجانب أنتم على جانب قوم والقياس أن يؤتى بياء الغيبة لأنه صفة لقوم وحسن العدول عنه وقوع الموصوف خبرا عن ضمير المخاطبين قال أذهب فمن تبعك منهم فان جهنم جزاؤكم غلب فى الضمير المخاطب وإن كان من تبعك يقتضى الغيبة وحسنة أنه لما كان الغائب تبعا للمخاطب فى المعصية والعقوبة جعل تبعا له فى اللفظ أيضا وهو من محاسن ارتباط اللفظ بالمعنى (ولله يسجد ما فى السموات وما فى الأرض) غلب غير العاقل حيث أتى بما لكثرته (وفى آية) أخرى عبر بمن فغلب العاقل لشرفه (لنخرجنك ياشعيب والذين آمنوا معك من قريتنا أو لتعودن فى ملتنا) أدخل شعيب فى لتعودن بحكم التغليب اذ لم يكن فى ملتهم اصلا حتى يعود فيها (وكذا) قوله ان عدنا فى ملتكم فسجد الملائكة كلهم اجمعون إلا ابليس عد منهم بالاستثناء تغليبا لكونه كان بينهم ياليت بينى وبينك بعد المشركين أى المشرق والمغرب (قال ابن الشجرى) وغلب المشرق لأنه أشهر الجهتين مرج البحرين اى الملح والعذب والبحر خاص بالملح فغلب لكونه أعظم ولكل درجات أى من المؤمنين والكفار فالدرجات للعلو والدركات للسفل فاستعمل الدرجات فى القسمين تغليبا للاشراف (قال فى البرهان) وانما كان التغليب من باب المجاز لان اللفظ لم يستعمل فيما وضع له ألا ترى أن القانتين موضوع للذكور الموصوفين بهذا الوصف فاطلاقه على الذكور والإناث اطلاق على غير ما وضع له وكذا باقى الأمثلة (ومنها) استعمال حروف الجر فى غير معانيها الحقيقية كما تقدم فى النوع الاربعين (ومنها) استعمال صيغة أفعل لغير الوجوب وصيغة لا تفعل لغير التحريم وأدوات الاستفهام لغير طلب التصور والتصديق وأداة التمنى والترجى والنداء لغيرهما كما سيأتى كل ذلك فى الانشاء (ومنها) التضمين وهو اعطاء الشيء معنى الشيء ويكون فى الحروف والافعال والاسماء (أما) الحروف فتقدم فى حروف الجر وغيرها (وأما) الافعال فان تضمن فعلا معنى آخر فيكون فيه معنى الفعلين معا وذلك بان يأتى الفعل متعد بحرف ليس من عادته التعدى به فيحتاج إلى تأويله او تأويل الحرف ليصح التعدى به والاول تضمين الفعل والثانى تضمين الحرف (اختلفوا) أيهما أولى فقال أهل اللغة وقوم من النحاة التوسع فى الحرف (وقال) المحققون التوسع فى الفعل لانه فى الافعال أكثر مثاله عينا يشرب بها عباد فيشرب انما يتعدى بمن فتعديته بالباء إما على تضمينه معنى يروى ويلتذ (أو تضمين) الباء معنى من أحل لكم ليلة الصيام الرفث الى نسائكم فالرفث لا يتعدى بالى الاعلى تضمن معنى الافضاء هل لك الى أن تذكى (والاصل) فى أن فضمن معنى أدعوك يقبل التوبة عن عباده عديت بعن لتضمنها معنى العفو والصفح (وأما) فى الاسماء فان يضمن اسم معنى لافادة معنى الاسمين معا نحو حقيق على أن لا أقول على الله إلا الحق ضمن حقيق معنى حريص ليفيد أنه محقوق بقول الحق وحريص عليه وانما كان التضمين مجازا لان اللفظ لم يوضع للحقيقة والمجاز معا فالجمع بينهما مجاز

(فصل). فى أنواع مختلف فى عدها من المجاز وهى ستة أحدها الحذف فالمشهور أنه من المجاز وأنكره بعضهم لأن المجاز استعمال اللفظ فى غير موضوعه والحذف كذلك . وقال ابن عطية حذف المضاف هو عين المجاز ومعظمه وليس كل حذف مجاز (وقال) القرافى الحذف أربعة أقسام قسم يتوقف عليه صحة اللفظ ومعناه من حيث الاسناد نحو وأسأل القرية أى أهلها اذ لا يصح اسناد السؤال اليها (وقسم) يصح بدونه لكن يتوقف عليه شرعا كقوله (فمن كان منكم مريضا او على سفر فعدة من أيام أخر) أى فأفطر فعدة (وقسم) يتوقف عليه عادة لا شرعا نحو واضرب بعصاك البحر فانفلق أى فضرب به (وقسم يدل عليه دليل غير شرعى) ولا هو عادة نحو فقبضت قبضة من أثر الرسول دل الدليل

الخلل من تخصيص الترائب بالضوء بعد ذكر جميعها بالبياض فليس بطائل ولكنه قريب متوسط وقوله
تصد وتبدو عن أسيل وتتقى
بناظرة من وحش وجرة مطفل
وجيد كجيد الريم ليس بفاحش
اذا هى نضته ولا بمعطل
معنى قوله عن أسيل أى باسيل وانما يريد خدا ليس بكر وقوله تتقى يقال اتقاه بترسه أى جعله بينه وبينه وقوله تصد وتبدى عن اسيل متفاوت لان الكشف عن الوجه مع الوصل دون الصد وقوله تتقى وبناظرة لفظة مليحة ولكن أضافها الى ما نظم به كلامه وهو مختل وهو قوله من وحش وجرة وكان يجب أن تكون العبارة بخلاف هذا كان من سبيله أن يضيف الى عيون الظباء أو المهادون اطلاق الوحش ففيها ما تستنكره عيونها وقوله مطفل فسروه على أنها

على انه قبض من اثر حافرفرس الرسول وليس فى هذه (الاقسام مجاز إلا الأول) وقال الزنجانى) فى المعيار إنما يكون مجاز إذا تغير حكم فاما إذا لم يتغير كحذف خبر المبتدأ المعطوف على جملة فليس مجازا إذلم يتغير حكم ما بقى من الكلام (وقال) القزوينى فى الايضاح متى تغير اعراب الكلمة بحذف أو زيادة فهى مجاز نحو (واسأل القرية ليس كمثله شىء) وإن كان الحذف أو الزيادة لا يوجب تغير الاعراب نحو أو كصيب فبما رحمة فلا توصف الكلمة بالمجاز (الثانى) التأكيد زعم قوم أنه مجاز لأنه لا يفيد إلا ما أفاده الأول والصحيح أنه حقيقة (قال الطرطوشى) فى العمد ومن سماه مجازا قلنا له إذا كان التأكيد بلفظ الأول نحو عجل عجل ونحوه فان جاز أن يكون الثانى مجازا جاز فى الأول لانهما فى لفظ واحد وإذا بطل حمل الأول على المجاز بطل حمل الثانى عليه لانه مثل الأول الثالث التشبيه زعم قوم انه مجاز والصحيح انه حقيقة (قال الزنجانى) فى المعيار لانه معنى من المعانى وله الفاظ تدل عليه وضعا فليس فيه نقل اللفظ عن موضوعه (وقال الشيخ) عز الدين ان كان بحرف فهو حقيقة أو بحذفه فمجاز بناء على ان الحذف من باب المجاز (الرابع) الكناية وفيها أربعة مذاهب (احدها) انها حقيقة (قال) ابن عبد السلام وهو الظاهر لانها استعملت فيما وضعت له واريد بها الدلالة على غيره (الثانى) انها مجاز (الثالث) أنها لا حقيقة ولا مجاز واليه ذهب صاحب التلخيص لمنعه فى المجاز أن يراد المعنى الحقيقى مع المجازى وتجويزه ذلك فيها (الرابع) وهو اختيار الشيخ تقى الدين السبكى انها تقسم إلى حقيقة ومجاز فان استعملت اللفظ فى معناه مرادا منه لازم المعنى أيضا فهو حقيقة وان لم يرد المعنى بل عبر بالملزوم عن اللازم فهو مجاز لاستعماله فى غير ما وضع له والحاصل ان الحقيقة منها ان يستعمل اللفظ فيما وضع له ليفيد غير ما وضع له والمجاز منها أن يريد به غير موضوعه استعمالا وافادة (الخامس) التقديم والتأخير عده قوم من المجاز لأن تقديم ما رتبته التأخير كالمفعول وتأخير ما رتبته التقديم كالفاعل نقل لكل واحد منهما عن مرتبته وحقه (قال فى البرهان) والصحيح أنه ليس منه فان المجاز نقل ما وضع إلى ما لم يوضع له (السادس) الالتفات (قال الشيخ بهاء الدين السبكى) لم أر من ذكر هل هو حقيقة أو مجاز قال وهو حقيقة حيث لم يكن معه تجريد

. (فصل) . فيما يوصف بأنه حقيقة ومجاز (باعتبارين) هو الموضوعات الشرعية كالصلاة والزكاة والصوم والحج فانها حقائق بالنظر إلى الشرع مجازات بالنظر إلى اللغة

.(فصل). فى الواسطة بين الحقيقة والمجاز قيل بها فى ثلاثة أشياء. (احدها) اللفظ قبل الاستعمال وهذا القسم مفقود فى القرآن ويمكن أن يكون منه أوائل السور على القول بأنها للاشارة إلى الحروف التى يتركب منها الكلام (ثانيها) الاعلام (ثالثها) اللفظ المستعمل فى المشاكلة نحو (ومكروا ومكر الله وجزاء سيئة سيئة مثلها) ذكر بعضهم انه واسطة بين الحقيقة والمجاز قال لانه لم يوضع لما استعمل فيه فليس حقيقة ولا علاقة معتبرة فليس مجازا كذا فى شرح بديعية ابن جابر لرفيقه (قلت) والذى يظهر أنها مجاز والعلاقة المصاحبة . (خاتمة) . لهم مجاز المجاز هو ان يجعل المجاز المأخوذ عن الحقيقة بمثابة الحقيقة بالنسبة إلى مجاز آخر فيتجوز بالمجاز الأول عن الثانى لعلاقة بينهما كقوله تعالى (ولكن لا تواعدوهن سرا) فانه مجاز عن مجاز فان الوطء تجوز عنه بالسر لكونه لا يقع غالبا إلا فى السر وتجوز به عن العقد لانه مسبب عنه فالمصحح للمجاز الأول الملازمة والثانى السببية والمعنى لا تواعدوهن عقد نكاح (وكذا قوله) (ومن يكفر بالايمان فقد حبط عمله) فان قوله لا إله إلا الله مجاز عن تصديق القلب بمدلول هذا اللفظ والعلاقة السببية لأن توحيد اللسان مسبب عن توحيد الجنان والتعبير بلا إله إلا الله عن الوحدانية من مجاز التعبير بالقول عن المقول فيه (وجعل منه) ابن السيد قوله أنزلنا عليكم لباسا

ليست بصبية وانها قد استحكمت وهذا اعتذار متعسف وقوله مطفل زيادة لا فائدة فيها على هذا التفسير الذى ذكره الاصمعى ولكن قد يحتمل عندى ان يفيد غير هذه الفائدة فيقال انها إذا كانت مطفلا لحظت اطفالها بعين ورقة ففى نظر هذه رقة نظر المودة ويقع الكلام معلقا تعليقا متوسطا واما البيت الثانى فمعنى قوله ليس بفاحش أى ليس بفاحش الطول ومعنى قوله نضته رفعته ومعنى قوله ليس بفاحش فى مدح الاعناق كلام فاحش موضوع منه وإذا نظرت فى اشعار العرب رأيت فى وصف الاعناق ما يشبه السحر فكيف وقع على هذه الكلمة ودفع إلى هذه اللفظة وهلا قال كقول أبى نواس مثل الظباء سمت إلى رو ض صوادر عن غدير ولست أطول عليك فتستثقل ولا اكثر القول

فان المنزل عليهم ليس هو نفس اللباس بل الماء المنبت للزرع المتخذ منه الغزل المنسوج منه اللباس
(النوع الثالث والخمسون) فى تشبيهه واستعاراته التشبيه نوع من أشرف أنواع البلاغة واعلاها
(قال) المبرد فى الكامل لو قال قائل هو أكثر كلام العرب لم يبعد (وقد أفرد) تشبيهات القرآن بالتصنيف
أبو القاسم بن البندار البغدادى فى كتاب سماه الجمان وعرفه جماعة منهم السكاكى بانه الدلالة على
مشاركة أمر لامر فى معنى (وقال) ابن أبى الاصبع هو اخراج الاغمض إلى الاظهر (وقال) غيره هو الحاق
شىء بذى وصف فى وصفه (وقال) بعضهم هو أن تثبت للمشبه حكما من احكام المشبه به والغرض منه
تأنيس النفس باخراجها من خفى إلى جلى وادنائه البعيد من القريب ليفيد بيانا (وقيل) الكشف عن
المعنى المقصود مع الاختصار وأدواته حروف واسماء وأفعال فالحروف الكاف نحو كرماد، كأن نحو
كأنه رءوس الشياطين والاسماء مثل وشبه ونحوهما مما يشتق من المماثلة والمشابهة قاله الطيبى ولا
تستعمل مثل الا فى حال أو صفة لها شأن وفيها غرابة نحو (مثل ما ينفقون فى هذه الحياة الدنيا كمثل
ريح فيها صر) والافعال نحو يحسبه الظمآن ماء يخيل اليه من سحرهم أنها تسعى (قال) فى التلخيص
تبعا للسكاكى وربما يذكر فعل ينبىء عن التشبيه فيؤتى فى التشبيه القريب بنحو علمت زيدا أسدا
الدال على التحقيق وفى البعيد بنحو حسبت زيدا أسدا الدال على الظن وعدم التحقيق وخالفه جماعة
منهم الطيبى فقالوا فى كون هذه الافعال تنبىء عن التشبيه نوع خفاء والاظهر ان الفعل ينبىء عن حال
التشبيه فى القرب والبعد وان الاداة محذوفة مقدرة لعدم استقامة المعنى بدونه (ذكر أقسامه) ينقسم
التشبيه باعتبارات (الأول) باعتبار طرفيه الى أربعة أقسام لانهما اما حسيان أو عقليان أو المشبه به
حسى والمشبه عقلى أو عكسه (مثال الأول) (والقمر قدرناه منازل حتى عاد كالعرجون القديم كأنهم أعجاز
نخل منقعر) (ومثال الثانى) (ثم قست قلوبكم من بعد ذلك فهى كالحجارة أو أشد قسوة) كذا مثل فى البرهان
وكأنه ظن أن التشبيه واقع فى القسوة وهو غير ظاهر بل هو واقع بين القلوب والحجارة فهو من الأول
(ومثال الثالث) مثل الذين كفروا بربهم أعمالهم كرماد اشتدت به الريح (ومثال الرابع) لم يقع فى
القرآن بل منعه الامام أصلا لأن العقل مستفاد من الحس فالمحسوس أصل المعقول وتشبيهه به يستلزم
جعل الاصل فرعا والفرع أصلا وهو غير جائز (وقد) اختلف فى قوله تعالى هن لباس لكم وأنتم
لباس لهن (الثانى) ينقسم باعتبار وجهه إلى مفرد ومركب والمركب أن ينتزع وجه الشبه من أمور
مجموع بعضها إلى بعض كقوله (كمثل الحمار يحمل أسفارا) فالتشبيه مركب من أحوال الحمار وهو
حرمان الانتفاع بابلغ نافع مع تحمل التعب فى استصحابه (وقوله) انما مثل الحياة الدنيا كماء أنزلناه من
السماء إلى قوله كأن لم تغن بالامس فان فيه عشر جمل وقع التركيب من مجموعها بحيث لو سقط منها
شىء اختل التشبيه إذ المقصود تشبيه حال الدنيا فى سرعة تقضيها وانقراض نعيمها واغترار الناس بها
بحال ماء نزل من السماء وانبت انواع العشب وزين بزخرفها وجه الأرض كالعروس إذا أخذت الثياب
الفاخرة حتى إذا طمع أهلها فيها وظنوا انها مسلمة من الجوائح أتاها بأس الله فجأة فكأنها لم تكن بالامس
(وقال بعضهم) وجه تشبيه الدنيا بالماء أمران (احدهما) أن الماء إذا أخذت منه فوق حاجتك تضررت
وان أخذت قدر الحاجة انتفعت به فكذلك الدنيا (والثانى) أن الماء إذا طبقت عليه كفك لتحفظه لم يحصل
فيه شىء فكذلك الدنيا (وقوله) (مثل نوره كمشكاة فيها مصباح) الآية فشبه نوره الذى يلقيه فى قلب المؤمن
بمصباح اجتمعت فيه أسباب الاضاءة اما بوضعه فى مشكاة وهى الطاقة لا تنفذ وكونها لا تنفذ
لتكون أجمع للبصر (وقد) جعل فيها مصباح فى داخل زجاجة تشبه الكوكب الدرى فى صفائها
ودهن المصباح من أصفى الادهان وأقواها وقودا لانه من زيت شجرة فى وسط السراج لا شرقية ولا

فى ذمة فتستوحش وأكالك الآن إلى جملة من القول فان كنت من أهل الصنعة فطنت واكتفيت وعرفت ما رمينا اليه واستغنيت وان كنت عن الطبقة خارجا وعن الاتقان بهذا الشأن خاليا فلا يكفيك البيان وان استقرينا جميع شعره وتتبعنا عامة ألفاظه ودللنا على ما فى كل حرف منه . اعلم ان هذه القصيدة قد ترددت بين أبيات سوقية مبتذلة وأبيات متوسطة وأبيات ضعيفة مرذولة وأبيات وحشية غامضة مستكرهة وأبيات معدودة بديعة وقد دللنا على المبتذل منها ولا يشتبه عليك الوحشى المستنكر الذى يروع السمع ويهول القلب ويكد اللسان ويعبس معناه فى وجه كل خاطر ويكفهر مطلعه على كل متأمل وناظر ولا يقع بمثله التمدح والتفاصح وهو مجانب لما وضع له أصل الافهام ومخالف

غريبة ولا تصيبها الشمس فى أحد طرفى النهار بل تصيبها الشمس أعدل اصابة وهذا مثل ضربه الله للمؤمن ثم ضرب للكافر مثلين أحدهما (كسراب بقيعة والآخر كظلمات فى بحر لجى) الخ وهو أيضا تشبيه تركيب (الثالث) ينقسم باعتبار آخر إلى أقسام (أحدها) تشبيه ما تقع عليه الحاسة بما لا تقع اعتمادا على معرفة النقيض والضد فان ادراكهما أبلغ من أدراك الحاسة كقوله (طلعها كأنها رءوس الشياطين) شبه بما لا يشك أنه منكر قبيح لما حصل فى نفوس الناس من بشاعة صور الشياطين وان لم ترها عيانا (والثانى) عكسه وهو تشبيه ما لا تقع عليه الحاسة بما لا تقع عليه كقوله (والذين كفروا أعمالهم كسراب بقيعة) الآية أخرج ما لا يحس وهو الايمان إلى ما يحس وهو السراب والمعنى الجامع بطلان التوهم من شدة الحاجة وعظم الفاقة (الثالث) اخراج ما لم تجر العادة به إلى ما جرت كقوله تعالى (واذ نتقنا الجبل فوقهم كانه ظلة) والجامع بينهما الارتفاع فى الصورة (الرابع) اخراج ما لا يعلم بالبديهة إلى ما يعلم بها كقوله وجنة عرضها كعرض السماء والأرض) والجامع العظم وفائدته التشويق إلى الجنة بحسن الصفة وافراط السعة (الخامس) اخراج ما لا قوة له فى الصفة إلى ما له قوة فيها كقوله تعالى (وله الجوار المنشآت فى البحر كالأعلام) والجامع فيهما العظم والفائدة ابانة القدرة على تسخير الأجسام العظام فى الطف ما يكون من الماء وما فى ذلك من انتفاع الخلق بحمل الأثقال وقطعها الاقطار البعيدة فى المسافه القريبة وما يلازم ذلك من تسخير الرياح للانسان فتضمن الكلام بناء عظيما من الفخر وتعداد النعم وعلى هذه الأوجه الخمسة تجرى تشبيهات القرآن (السادس) ينقسم باعتبار آخر الى مؤكد وهو ما حذفت فيه الاداة نحو (وهى تمر مر السحاب) أى مثل مر السحاب وأزواجه أمهاتهم وجنة عرضها السموات والأرض ومرسل وهو ما لم تحذف كالآيات السابقة والمحذوف الاداة أبلغ لانه نزل فيه الثانى منزلة الأول تجوزا (قاعدة) الأصل دخول أداة التشبيه على المشبه به (وقد) تدخل على المشبه إما لقصد المبالغة فتقلب التشبيه وتجعل المشبه هو الأصل نحو قالوا إنما البيع مثل الربا كان الأصل أن يقولوا إنما الربا مثل البيع لأن الكلام فى الربا لا فى البيع فعدلوا عن ذلك وجعلوا الربا أصلا ملحقا به البيع فى الجواز وأنه الخليق بالحل (ومنه) قوله تعالى (أفمن يخلق كمن لا يخلق فان الظاهر العكس لأن الخطاب لعبدة الاوثان الذين سموها آلهة تشبيها بالله سبحانه وتعالى فجعلوا غير الخالق مثل الخالق فخولف فى خطابهم لانهم بالغوا فى عبادتهم وغلوا حتى صارت عندهم أصلا فى العبادة فجاء الرد وفق ذلك (وأما) لوضوح الحال نحو وليس الذكر كالأنثى فان الأصل وليس الانثى كالذكر وإنما عدل عن الاصل لان المعنى وليس الذكر الذى طلبت كالأنثى التى وهبت (وقيل) المراعاة الفواصل لأن قبله انى وضعتها أنثى (وقد) تدخل على غيرهما اعتمادا على فهم المخاطب نحو كونوا أنصار الله كما قال عيسى ابن مريم الآية المراد كونوا أنصار الله خالصين فى الانقياد كشأن مخاطبى عيسى إذ قالوا (قاعدة) القاعدة فى المدح تشبيه الأدنى بالأعلى وفى الذم تشبيه الأعلى بالادنى لأن الذم مقام الأدنى والأعلى طارعليه فيقال فى المدح حصى كالياقوت وفى الذم ياقوت كالزجاج وكذا فى السلب (ومنه) يا نساء النبى لستن كاحد من النساء أى فى النزول لا فى العلو أم نجعل المتقين كالفجار أى فى سوء الحال أى لا نجعلهم كذلك نعم أورد على ذلك مثل نوره كمشكاة فإنه شبه فيه الأعلى الادنى لا فى مقام السلب وأجيب بأنه للتقريب إلى أذهان المخاطبين إذ لا أعلى من نوره فيشبه به (فائدة) قال ابن أبى الإصبع لم يقع فى القرآن تشبيه شيئين بشيئين ولا أكثر من ذلك إنما وقع فيه تشبيه واحد بواحد
(فصل) زوج المجاز بالتشبيه فتولد بينهما الاستعارة فهى مجاز علاقته المشابهة أو يقال فى تعريفها اللفظ المستعمل فيما شبه بمعناه الاصلى والأصح أنها مجاز لغوى لانها موضوعة للمشبه به لا المشبه ولا الاعم

لما بنى عليه التفاهم بالكلام فيجب أن يسقط عن الغرض المقصود ويلحق باللغز والاشارات المستبهمة فأما الذى زعموا أنه من بديع هذا الشعر فهو قوله

ويضحى فتيت المسك فوق فراشها
نؤوم الضحى لم تنتطق عن تفضل

والمصارع الأخير عندهم بديع ومعنى ذلك أنها مترفة متنعمة لها من يكفيها ومعنى قوله لم تنتطق عن بفضل يقول لم تنتطق وهى فضل وعن هى بمعنى بعد قال أبو عبيدة لم تنطق فتعمل ولكنها تتفضل ومما يعدونه من محاسنها

وليل كموج البحر ارخى سدوله
على بأنواع الهموم ليبتلى
فقلت له لما تمطى بصلبه
وأردف أعجازا وناء بكلكل
ألا أيها الليل الطويل الا انجلى
بصبح وما الإصباح منك بأمثل

منهما فأسد فى قولك رأيت أسدا يرمى موضوع للسبع لا للشجاع ولا المعنى أعم منهما كالحيوان الجرىء مثلا ليكون اطلاقه عليهما حقيقة كاطلاق الحيوان عليهما (وقيل) مجاز عقلى بمعنى أن التصرف فيها فى أمر عقلى لا لغوى لأنها لا تطلق على المشبه إلا بعد ادعاء دخوله فى جنس المشبه به فكان استعمالها فيما وضعت له فيكون حقيقة لغوية ليس فيها غير نقل الاسم وحده وليس نقل الاسم المجرد استعارة لأنه لا بلاغة فيه بدليل الأعلام المنقولة فلم يبق إلا أن يكون مجازا عقليا (وقال بعضهم) حقيقة الاستعارة أن تستعار الكلمة من شىء معروف بها إلى شىء لم يعرف بها وحكمة ذلك إظهار الخفى وايضاح الظاهر الذى ليس بجلى أو حصول المبالغة أو المجموع (مثال) إظهار الخفى وإنه فى أم الكتاب فإن حقيقته وإنه فى أصل الكتاب فاستعير لفظ الأم للأصل لأن الأولاد تنشأ من الأم كانشاء الفروع من الأصول وحكمة ذلك تمثيل ما ليس بمرئى حتى يصير مرئيا فينتقل السامع من حد السماع إلى حد العيان وذلك أبلغ فى البيان (ومثال) ايضاح ما ليس بجلى ليصير جليا واخفض لهما جناح الذل فإن المراد أمر الولد بالذل لوالديه رحمة فاستعير للذل أولا جانب (ثم) الجانب جناحا وتقدير الاستعارة القريبة واخفض لهما جانب الذل أى اخفض جانبك ذلا وحكمة الاستعارة فى هذا جعل ما ليس بمرئى مرئيا لأجل حسن البيان ولما كان المراد خفض جانب الولد للوالدين بحيث لا يبقى الولد من الذل لهما والاستكانة ممكنا احتيج فى الاستعارة إلى ما هو أبلغ من الأولى فاستعير لفظ الجناح لما فيه من المعانى التى لا تحصل من خفض الجانب لأن من يميل جانبه إلى جهة السفل ادنى ميل صدق عليه أنه خفض جانبه والمراد خفض يلصق الجنب بالأرض ولا يحصل ذلك إلا بذكر الجناح كالطائر (ومثال المبالغة) (وفجرنا الأرض عيونا) وحقيقته وفجرنا عيون الأرض ولو عبر بذلك لم يكن فيه من المبالغة ما فى الأول المشعر بأن الأرض كلها صارت عيونا (فرع) أركان الاستعارة ثلاثة مستعار وهو لفظ المشبه به ومستعار منه وهو معنى اللفظ المشبه ومستعار له وهو المعنى الجامع وأقسامها كثيرة باعتبارات فتنقسم باعتبار الأركان الثلاثة إلى خمسة أقسام (أحدها) استعارة محسوس لمحسوس بوجه محسوس نحو (واشتعل الرأس شيبا) فالمستعار منه هو النار والمستعار له الشيب والوجه هو الانبساط ومشابهة ضوء النار لبياض الشيب وكل ذلك محسوس وهو أبلغ مما لو قيل اشتعل شيب الرأس لافادته عموم الشيب لجميع الرأس ومثله (وتركنا بعضهم يومئذ يموج فى بعض) أصل الموج حركة الماء فاستعمل فى حركتهم على سبيل الاستعارة والجامع سرعة الاضطراب وتتابعه فى الكثرة والصبح إذا تنفس استعير خروج النفس شيئا فشيئا لخروج النور من المشرق عند انشقاق الفجر قليلا قليلا بجامع التتابع على طريق التدريج وكل ذلك محسوس (الثانى) استعارة محسوس لمحسوس بوجه عقلى (قال) ابن أبى الإصبع وهى ألطف من الأولى نحو (آية لهم الليل نسلخ منه النهار) فالمستعار منه السلخ الذى هو كشط الجلد عن الشاة والمستعار له كشف الضوء عن مكان الليل وهما حسيان والجامع ما يعقل من ترتب أمر على آخر وحصوله عقب حصوله كترتب ظهور اللحم على الكشف وظهور الظلمة على كشف الضوء عن مكان الليل والترتب أمر عقلى ومثله فجعلناها حصيدا وأصل الحصيد النبات والجامع الهلاك وهو أمر عقلى (الثالث) استعارة معقول لمعقول بوجه عقلى (وقال) ابن أبى الأصبع وهى ألطف الاستعارات نحو (من بعثنا من مرقدنا) المستعار منه الرقاد أى النوم والمستعار له الموت والجامع عدم ظهور الفعل والكل عقلى ومثله ولما سكت عن موسى الغضب المستعار السكوت والمستعار منه الساكت والمستعار له الغضب (الرابع) استعارة محسوس لمعقول بوجه عقلى أيضا نحو مستهم البأساء والضراء واستعير المس وهو حقيقة فى الأجسام وهو محسوس لمقاساة الشدة والجامع اللحوق وهما عقليان (بل نقذف بالحق على الباطل

وكان بعضهم يعارض
هذا بقول النابغة
كلينى لهم يا أميمة ناصب
وليل اقاسيه بطىء
الكواكب
وصدر اراح الليل عازب
همه
تضاعف فيه الحزن من
كل جانب
تقاعس حتى قلت ليس
بمنقض
وليس الذى يتلو النجوم
بآيب
وقد جرى ذلك بين يدى
بعض الخلفاء فقدمت
أبيات امرىء القيس
واستحسن استعارتها
وقد جعل لليل صدرا
يثقل تنحيه ويبطىء
تقضيه وجعل له ارادفا
كثيرة وجعل له صلبا يمتد
ويتطاول ورأوا هذا
بخلاف ما يستعيره أبو
تمام من الاستعارات
الوحشية البعيدة
المستنكرة ورأوا أن
الألفاظ جميلة واعلم أن
هذا صالح جميل وليس
من الباب الذى يقال
أنه متناه عجيب وفيه
الملام بالتكلف ودخول فى
التعمل وقد خرجوا له فى

فيدمغه، فالقذف والدمغ مستعاران وهما محسوسان والحق والباطل مستعار لهما وهما معقولان ضربت عليهم الذلة أينما ثقفوا الا بحبل من الله وحبل من الناس استعير الحبل المحسوس للعهد وهو معقول فاصدع بما تؤمر استعير الصدع وهو كسر الزجاجة وهو محسوس للتبليغ وهو معقول والجامع التأثير وهو أبلغ من بلغ وان كان بمعناه لأن تأثير الصدع أبلغ من تأثير التبليغ فقد لا يؤثر التبليغ والصدع يؤثر جزما واخفض لهما جناح الذل (قال الراغب) لما كان الذل على ضربين ضرب يضع الانسان وضرب يرفعه وقصد فى هذا المكان إلى ما يرفع استعير لفظ الجناح فكأنه قيل استعمل الذل الذى يرفعك عند الله وكذا قوله (يخوضون فى آياتنا فنبذوه وراء ظهورهم أفمن اسس بنيانه على تقوى ويبغونها عوجا ليخرج الناس من الظلمات إلى النور فجعلناه هباء منثورا فى كل واد يهيمون ولا تجعل يدك مغلولة إلى عنقك) كلها من استعارة المحسوس للمعقول والجامع عقلى (الخامس) استعارة معقول لمحسوس والجامع عقلى أيضا نحو انا لما طغا الماء المستعار منه التكبير وهو عقلى والمستعار له كثرة الماء وهو حسى والجامع الاستعلاء وهو عقلى أيضا ومثله تكاد تميز من الغيظ وجعلنا آية النهار مبصرة وتنقسم باعتبار اللفظ إلى أصلية وهى ما كان اللفظ المستعار فيها اسم جنس كآية بحبل من الله من الظلمات إلى النور فى كل واد وتبعية وهى ما كان اللفظ فيها غير اسم جنس كالفعل والمشتقات كسائر الآيات السابقة وكالحروف نحو فالتقطه آل فرعون ليكون لهم عدوا شبه ترتب العداوة والحزن على الالتقاط بترتب علة الغاية عليه ثم استعير فى المشبه اللام الموضوعة للمشبه به (وتنقسم) باعتبار آخر إلى مرشحة ومجردة ومطلقة (فالاولى) وهى أبلغها ان تقترن بما يلائم المستعار منه نحو (أولئك الذين اشتروا الضلالة بالهدى فما ربحت تجارتهم) استعير الاشتراء للاستبدال والاختيار ثم قرن بما يلائمه من الربح والتجارة (الثانية) ان تقترن بما يلائم المستعار له نحو فأذاقها الله لباس الجوع والخوف استعير اللباس للجوع ثم قرن بما يلائم المستعار له من الاذاقة ولو أراد الترشيح لقال فكساها لكن التجريد هنا أبلغ لما فى لفظ الاذاقة من المبالغة فى الالم باطنا (والثالثة) ان لا تقترن بواحد منهما وتنقسم باعتبار آخر إلى تحقيقية وتخييلية ومكنية وتصريحية (فالاولى) ما تحقق معناها حسا نحو فأذاقها الله الآية أو عقلا نحو وأنزلنا اليكم نورا مبينا أى بيانا واضحا وحجة لامعة اهدنا الصراط المستقيم أى الدين الحق فان كلا منهما يتحقق عقلا (والثانية) أن يضمر التشبيه فى النفس فلا يصرح بشىء من أركانه سوى المشبه ويدل على ذلك التشبيه المضمر فى النفس بأن يثبت للمشبه أمر مختص بالمشبه به ويسمى ذلك التشبيه المضمر استعارة بالكناية ومكنيا عنها لانه لم يصرح به بل دل عليه بذكر خواصه ويقابله التصريحية ويسمى اثبات ذلك الامر المختص بالمشبه به للمشبه استعارة تخييلية لانه قد استعير للمشبه ذلك الامر المختص بالمشبه به وبه يكون كمال المشبه به وقوامه فى وجه الشبه لتخيل ان المشبه من جنس المشبه به (ومن أمثلة) ذلك الذين ينقضون عهد الله من بعد ميثاقه شبه العهد بالحبل واضمر فى النفس فلم يصرح بشىء من أركان التشبيه سوى العهد المشبه ودل عليه باثبات النقض الذى هو خواص المشبه به وهو الحبل وكذا واشتعل الرأس شيبا طوى ذكر المشبه به وهو النار ودل عليه بلازمه وهو الاشتعال فأذاقها الله الآية شبه ما يدرك من أثر الضرر والالم بما يدرك من طعم المر فأوقع عليه الاذاقة ختم الله على قلوبهم شبهها فى أن لا تقبل الحق بالشىء الموثق المختوم (ثم) أثبت لها الختم جدارا يريد أن ينقض شبه ميلانه للسقوط بانحراف الحى فاثبت له الارادة التى هى من خواص العقلاء ومن التصريحية آية مستهم البأساء من بعثنا من مرقدنا وتنقسم باعتبار آخر إلى وفاقية بأن يكون اجتماعهما فى شىء ممكنا نحو (أومن كان ميتا فأحييناه) أى ضالا

البديع من القصيدة قوله
وقد اغتدى والطير فى وكناتها .
بمنجرد قيد الاوابد هيكل
مكر مفر مقبل مدبر معا
كجلمود صخر حطه السيل من عل
وقوله أيضا
له أيطلا ظبى وساقا نعامة
وارخاء سرحان وتقريب تتفل
فأما قوله قيد الأوابد فهو مليح ومثله فى كلام الشعراء وأهل الفصاحة كثير والتعمل بمثله ممكن وأهل زماننا الآن يصنفون نحو هذا تصنيفا ويؤلفون المحاسن تأليفا ثم يوشحون به كلامهم والذين كانوا من قبل لغزارتهم وتمكنهم لم يكونوا يتصنعون لذلك انما كان يتفق لهم اتفاقا ويطرد فى كلامهم اطرادا وأما قوله فى وصفه مكر مفر فقد جمع فيه طباقا وتشبيها وفى سرعة جرى الفرس للشعراء ماهو أحسن من هذا وألطف وكذلك

فهديناه استعير الأحياء من جعل الشيء حيا للهداية التي بمعنى الدلالة على ما يوصل إلى المطلوب والاحياء والهداية مما يمكن اجتماعهما في شيء وعنادية وهي ما لا يمكن اجتماعهما كاستعارة اسم المعدوم للموجود لعدم نفعه واجتماع الوجود والعدم في شيء ممتنع ومن العنادية التهكمية والتمليحية وهما ما استعمل في ضد أو نقيض نحو فبشرهم بعذاب اليم أي أنذرهم واستعيرت البشارة وهي الأخبار بما يسر للانذار الذي هو ضده بادخال جنسها على سبيل التهكم والاستهزاء نحو انك لانت الحليم الرشيد عنوا الغوي السفيه تهكما ذق انك أنت العزيز الكريم وتنقسم باعتبار آخر إلى تمثيلية وهي أن يكون وجه الشبه فيها منتزعا من متعدد نحو (واعتصموا بحبل الله جميعا) شبه استظهارا لعبد بالله ووثوقه بحمايته والنجاة من المكاره باستمساك الواقع في مهواة بحبل وثيق مدلى من مكان مرتفع يأمن انقطاعه * (تنبيه * قد تكون الاستعارة بلفظين نحو قوارير قوارير من فضة يعني تلك الأواني ليست من الزجاج ولا من الفضة بل في صفاء القارورة وبياض الفضة فصب عليهم ربك سوط عذاب فالصب كناية عن الدوام والسوط عن الايلام فالمعنى عذبهم عذابا دائما مؤلما. (فائدة). أنكر قوم الاستعارة بناء على انكارهم المجاز وقوم اطلاقها في القرآن لان فيها ايهاما للحاجة ولانه لم يرد في ذلك اذن من الشرع وعليه القاضي عبد الوهاب المالكي (وقال) الطرطوشي ان أطلق المسلمون الاستعارة فيه أطلقناها وان امتنعوا امتنعنا ويكون هذا من قبيل ان الله عالم والعلم هو العقل ثم لا نصفه به لعدم التوقيف اه. (فائدة). ثانية تقدم ان التشبيه من أعلى أنواع البلاغة واشرفها واتفق البلغاء على ان الاستعارة أبلغ منه لانه مجاز وهو حقيقة والمجاز ابلغ فاذا الاستعارة أعلى مراتب الفصاحة وكذا الكناية أبلغ من التصريح والاستعارة أبلغ من الكناية كما قال في عروس الافراح انه الظاهر لانها كالجامعة بين كناية واستعارة ولانها مجاز قطعا (وفي) الكناية خلاف وأبلغ أنواع الاستعارة التمثيلية كما يؤخذ من الكشاف ويليها المكنية صرح به الطيبي لاشتمالها على المجاز العقلي والترشيحية أبلغ من المجردة والمطلقة والتخييلية أبلغ من التحقيقية والمراد بالابلغية افادة زيادة التأكيد والمبالغة في كمال التشبيه لا زيادة في المعنى لا توجد في غير ذلك. (خاتمة). من المهم تحرير الفرق بين الاستعارة والتشبيه المحذوف الاداة نحو زيد أسد (قال) الزمخشري في قوله تعالى (صم بكم عمي) (فان قلت) هل يسمى ما في الآية استعارة (قلت) مختلف فيه والمحققون على تسميته تشبيها بليغا لا استعارة لان المستعار له مذكور وهم المنافقون وانما تطلق الاستعارة حيث يطوى ذكر المستعار له ويجعل الكلام خلوا عنه صالحا لان يراد المنقول عنه والمنقول له لولا دلالة الحال أو فحوى الكلام (ومن ثم) ترى المفلقين السحرة يتناسون التشبيه ويضربون عنه صفحا وعلله السكاكي بأن من شرط الاستعارة امكان حمل الكلام على الحقيقة في الظاهر وتناسي التشبيه وزيد أسد لا يمكن كونه حقيقة فلا يجوز أن يكون استعارة وتابعه صاحب الايضاح (قال في عروس الافراح) وما قالاه ممنوع وليس من شرط الاستعارة صلاحية الكلام لصرفه إلى الحقيقة في الظاهر قال بل لو عكس ذلك وقيل لا بد من عدم صلاحيته لكان أقرب لان الاستعارة مجاز لا بد له من قرينة فان لم تكن قرينة امتنع صرفه إلى الاستعارة وصرفناه إلى حقيقته وانما نصرفه إلى الاستعارة بقرينة اما لفظية أو معنوية نحو زيد أسد فالاخبار به عن زيد قرينة صارفة عن ارادة حقيقته (قال) والذي نختاره في نحو زيد أسد قسمان تارة يقصد به التشبيه فتكون اداة التشبيه مقدرة وتارة يقصد به الاستعارة فلا تكون مقدرة ويكون الاسد مستعملا في حقيقته وذكر زيد والاخبار عنه بما لا يصلح له حقيقة قرينة صارفة إلى الاستعارة دالة عليها فان قامت قرينة على حذف الاداة صرنا اليه وان لم تقم فنحن بين اضمار

واستعارة

في جمعه بين أربعة وجوه من التشبيه في بيت واحد صنعة ولكن وقد عورض فيه وزوحم والتوصل اليه يسير وتطلبه سهل قريب وقد بينا لك ان هذه القصيدة ونظائرها تتفاوت في أبياتها تفاوتا بينا في الجودة والرداءة والسلاسة والانعقاد والسلامة والانحلال والتمكن والتسهيل والاسترسال والتوحش والاستكراه وله شركاء في نظائرها ومنازعون في محاسنها ومعارضون في بدائعها ولا سواء كلام ينحت عن الصخر تارة ويذوب تارة ويتلون تلون الحرباء ويختلف اختلاف الاهواء ويكثر في تصرفه اضطرابه وتتقاذف به أسبابه وبين قول يجري في سبكه على نظام وفي رصفه على منهاج وفي وضعه على حد وفي صفائه على باب وفي بهجته ورونقه على طريق مختلفة مؤتلف ومؤتلفة متحد ومتباعدة متقارب وشاردة مطيع

واستعارة والاستعارة أولى فيصار اليها ممن صرح بهذا الفرق عبداللطيف البغدادى فى قوانين البلاغة وكذا قال حازم الفرق بينهما ان الاستعارة وان كان فيها معنى التشبيه فتقدير حرف التشبيه لا يجوز فيها والتشبيه بغير حرف على خلاف ذلك لأن تقدير حرف التشبيه واجب فيه

* (النوع الرابع والخمسون) . فى كناياته وتعريضه هما من أنواع البلاغة وأساليب الفصاحة وقد تقدم ان الكناية أبلغ من التصريح وعرفها أهل البيان بانها لفظ أريد به لازم معناه وقال الطيبى ترك التصريح بالشئ إلى ما يساويه فى اللزوم فينتقل منه إلى الملزوم وأنكر وقوعها فى القرآن من أنكر المجاز فيه بناء على انها مجاز وقد تقدم الخلاف فى ذلك وللكناية أساليب أحدها التنبيه على عظم القدرة نحو هو الذى خلقكم من نفس واحدة كناية عن آدم ثانيها ترك اللفظ إلى ما هو أجمل نحو ان هذا أخى له تسع وتسعون نعجة ولى نعجة واحدة فكنى بالنعجة عن المرأة كعادة العرب فى ذلك لأن ترك التصريح بذكر النساء أجمل منه ولهذا لم يذكر فى القرآن امرأة باسمها على خلاف عادة الفصحاء لنكتة وهو ان الملوك والاشراف لا يذكرون حرائرهم فى ملأ ولا يبتذلون أسماءهن بل يكنون عن الزوجه بالفرش والعيال ونحو ذلك فاذا ذكروا الاماء لم يكنوا عنهن ولم يصونوا أسماءهن عن الذكر فلما قالت النصارى فى مريم ما قالوا اصرح الله باسمها ولم يكن تأكيدا للعبودية التى هى صفة لها وتأكيدا لان عيسى لا أب له والا لنسب اليه ثالثها أن يكون التصريح مما يستقبح ذكره ككناية الله عن الجماع بالملامسة والمباشرة والافضاء والرفث والدخول والسر فى قوله ولكن لا تواعدوهن سرا والغشيان فى قوله فلما تغشاها أخرج ابن أبى حاتم عن ابن عباس قال المباشرة الجماع ولكن الله يكنى وأخرج عنه قال ان الله كريم يكنى ما شاء وان الرفث هو الجماع وكنى عن طلبه بالمراودة فى قوله وراودته التى هو فى بيتها عن نفسه وعنه أو عن المعانقة باللباس فى قوله هن لباس لكم وأنتم لباس لهن) وبالحرث فى قوله نساؤكم حرث لكم وكنى عن أو نحوه بالغائط فى قوله (أو جاء أحد منكم من الغائط) وأصله المكان المطمئن من الأرض وكنى عن قضاء الحاجة بأكل الطعام فى قوله فى مريم وابنها (كانا يأكلان الطعام) وكنى عن الاستاه بالادبار فى قوله (يضربون وجوههم وأدبارهم) أخرج ابن أبى حاتم عن مجاهد فى هذه الآية قال يعنى استاههم ولكن الله يكنى وأورد على ذلك التصريح بالفرج فى قوله والتى أحصنت فرجها (وأجيب) بان المراد به فرج القميص والتعبير به من ألطف الكنايات وأحسنها أى لا يعلق ثوبها بريبة فهى طاهرة الثوب كما يقال نقى الثوب وعفيف الذيل كناية عن العفة ومنه وثيابك فطهر وكيف يظن ان نفخ جبريل وقع فى فرجها وانما نفخ فى جيب درعها ونظيره أيضا ولا يأتين ببهتان يفترينه بين أيديهن وأرجلهن (قلت) وعلى هذا ففى الآية كناية عن كناية ونظيره ما تقدم من مجاز المجاز (رابعها) قصد البلاغة والمبالغة نحو (أومن ينشأ فى الحلية وهو فى الخصام غير مبين) كنى عن النساء بانهن ينشأن فى الترفه والتزين الشاغل عن النظر فى الأمور ودقيق المعانى ولو أتى بلفظ النساء لم يشعر بذلك والمراد نفى ذلك عن الملائكة وقوله (بل يداه مبسوطتان) كناية عن سعة جوده وكرمه جدا (خامسها) قصد الاختيار كالكناية عن ألفاظ متعددة بلفظ فعل نحو ولبئس ما كانوا يفعلون فان لم تفعلوا ولن تفعلوا أى فان لم تأتوا بسورة من مثله (سادسها) التنبيه على مصيره نحو تبت يدا أبى لهب أى جهنمى مصيره إلى اللهب حمالة الحطب فى جيدها حبل أى نمامة مصيرها إلى أن تكون حطبا لجهنم فى جيدها غل قال بدر الدين بن مالك فى المصباح انما يعدل عن الصرائح إلى الكناية لنكتة كالايضاح أو بيان حال الموصوف أو مقدار حاله أو القصد إلى المدح أو الذم أو الاختصار أو الستر أو الصيانة أو التعمية والالغاز والتعبير عن الصعب بالسهل وعن المعنى القبيح باللفظ الحسن واستنبط

ومطيعة وهو على متصرفاته واحد لا يستعصب فى حال ولا يتعقد فى شأن وكنا أردنا أن نتصرف فى قصائد مشهورة فنتكلم عليها وتدل على معانيها ومحاسنها ونذكر لك من إفضالها ونقائصها ونبسط لك القول فى هذا الجنس ونفتح عليك فى هذا النهج ثم رأينا هذا خارجا عن غرض كتابنا والكلام فيه يتصل بنقد الشعر وعياره ووزنه بميزانه ومهياره ولذلك كتب وان لم تكن مستوفاة وتصانيف وان لم تكن مستقصاة وهذا القدر يكفى فى كتابنا ولم نحب أن ننسخ لك ما سطره الادباء فى خطأ امرىء القيس فى العروض والنحو والمعانى وما عابوه عليه فى أشعاره وتكلموا به على ديوانه لأن ذلك أيضا خارج على غرض كتابنا ومجانب لمقصوده وانما أردنا أن نبين الجملة التى بيناها لتعرف أن طريقة الشعر شريعة

الزمخشري نوعا من الكناية غريبا وهو ان تعمد إلى جملة معناها على خلاف الظاهر فتأخذ الخلاصة من غير اعتبار مفرداتها بالحقيقة و المجاز فتعبر بها عن المقصود كما تقول فى نحو (الرحمن على العرش استوى) أنه كناية عن الملك فان الاستواء على السرير لا يحصل إلا مع الملك فجعل كناية عنه وكذا قوله (والأرض جميعا قبضته يوم القيامة والسموات مطويات بيمينه) كناية عن عظمته وجلالته من غير ذهاب بالقبض واليمين إلى جهتين حقيقة ومجاز (تذنيب) من انواع البديع التى تشبه الكناية الارداف وهو ان يريد المتكلم معنى ولا يعبر عنه بلفظه الموضوع له ولا بدلالة لإشارة بل بلفظ يرادفه كقوله تعالى (وقضى الأمر) والأصل وهلك من قضى الله هلاكه ونجا من قضى الله نجاته وعدل عن ذلك إلى لفظ الارداف لما فيه من الايجاز والتنبيه على ان هلاك الهالك ونجاة الناجى كان بأمر آمر مطاع وقضاء من لا يرد قضاؤه الأمر يستلزم آمرا فقضاؤه يدل على قدرة الآمر به وقهره وان الخوف من عقابه ورجاء ثوابه يحضان على طاعة الآمر ولا يحصل ذلك كله فى اللفظ الخاص وكذا قوله (واستوت على الجودى) حقيقة ذلك جلست فعدل على اللفظ الخاص المعنى إلى مرادفة لما فى الاستواء من الاشعار بجلوس متمكن لا زيغ فيه ولا ميل وهذا لا يحصل من لفظ الجلوس وكذا (فيهن قاصرات الطرف) الأصل عفيفات وعدل عنه للدلالة على انهن مع العفة لا تطمح أعينهن إلى غير أزواجهن ولا يشتهين غيرهم ولا يؤخذ ذلك من لفظ العفة قال بعضهم والفرق بين الكناية والإرداف ان الكناية انتقال من لازم إلى ملزوم والإرداف من مذكور إلى متروك ومن أمثلته أيضا (ليجزى الذين أساءوا بما عملوا ويجزى الذين أحسنوا بالحسنى) عدل فى الجملة الأولى من قوله بالسوء أى مع ان فيه مطابقة كالجملة الثانية إلى بما عملوا تأدبا أن يضاف السوء إلى الله تعالى

• (فصل) • للناس فى الفرق بين الكناية والتعريض عبارات متقاربة فقال الزمخشرى الكناية ذكر الشيء بغير لفظه الموضوع له والتعريض ان تذكر شيئا يدل به على شيء لم تذكره وقال ابن الأثير الكناية ما دل على معنى يجوز حمله على الحقيقة والمجاز بوصف جامع بينهما والتعريض اللفظ الدال على معنى لا من جهة الوضع الحقيقى أو المجازى كقول من يتوقع صلة والله انى محتاج فانه تعريض بالطلب مع أنه لم يوضع له حقيقة ولا مجازا وانما فهم من عرض اللفظ أى جانبه وقال السبكى فى كتاب الاغريض فى الفرق بين الكناية والتعريض الكناية لفظ استعمل فى معناه مرادا منه لازم المعنى فهى بحسب استعمال اللفظ فى المعنى حقيقة والتجوز فى إرادة إفادة ما لم يوضع له وقد لا يراد بها المعنى بل يعبر بالملزوم عن اللازم وهى حينئذ مجاز ومن أمثلته قل نار جهنم أشد حرا فانه لم يقصد افادة ذلك لأنه معلوم بل افادة لازمه وهو أنهم يردونها ويجدون حرها ان لم يجاهدوا وأما التعريض فهو لفظ استعمل فى معناه للتلويح بغير نحو (بل فعله كبيرهم هذا) نسب الفعل إلى كبير الأصنام المتخذة آلهة كأنه غضب أن تعبد الصغار معه تلويحا لعابديها بأنها لا تصلح أن تكون آلهة لما يعلمون إذا نظروا بعقولهم من عجز كبيرها عن ذلك الفعل والإله لا يكون عاجزا فهو حقيقة أبداً وقال السكاكى التعريض ما سيق لأجل موصوف غير مذكور ومنه أن يخاطب واحد ويراد غيره وسمى به لأنه أميل الكلام إلى جانب مشاراً به إلى آخر يقال نظر اليه بعرض وجهه أى جانبه قال الطيبى وذلك يفعل أما للتنويه بجانب الموصوف ومنه ورفع بعضهم درجات أى محمداً ﷺ إعلاء لقدره أى انه العلم الذى لا يشتبه وإما للتلطف به والاحتراز عن المخاشنة نحو (ومالى لا أعبد الذى فطرنى) أى وما لكم لا تعبدون بدليل قوله (واليه ترجعون وكذا قوله أأتخذ من دونه آلهة) ووجه حسنه اسماع من يقصد خطابه الحق على وجه يمنع غضبه إذ لم يصرح بنسبته للباطل والاعانة على قبوله إذ لم يرد له إلا ما أراده لنفسه وإما

موروده ومنزلة مشهودة يأخذ منها أصحابها على مقادير أسبابهم ويتناول منها ذووها على حسب أحوالهم وأنت تجد للمتقدم معنى قد طمسه المتأخر بما أبر عليه فيه وتجد للمتأخر معنى قد أغفله المتقدم وتجد معنى قد توافدا عليه وتوافيا اليه فهما فيه شريكا عنان وكأنهما فيه رضيعا لبان والله يؤتى فضله من يشاء فاما نهج القرآن ونظمه وتأليفه ورصفه فان العقول تتيه فى جهته وتحار فى بحره وتضل دون وصفه ونحن نذكر لك فى تفصيل هذا ما تستدل به على الغرض وتستولى به على الأمد وتصل به إلى المقصد وتتصور اعجازه كما تتصور الشمس وتتيقن تناهى بلاغته كما تتيقن الفجر وأقرب عليك الغامض وأسهل لك العسير واعلم ان هذا علم شريف المحل عظيم المكان قليل الطلاب ضعيف الأصحاب ليست

لاستدراج الخصم الى الإذعان والتسليم ومنه (لئن أشركت ليحبطن عملك) خواطب النبي ﷺ وأريد غيره لاستحالة الشرك عليه شرعا وإما للذم نحو انما يتذكر أولو الالباب فانه تعريض لذم الكفار وانهم فى حكم البهائم الذين لا يتذكرون وإما للاهانة والتوبيخ نحو واذا الموؤدة سئلت بأى ذنب قتلت فان سؤالها لاهانة قاتلها وتوبيخه وقال السبكى التعريض قسمان قسم يراد به معناه الحقيقى ويشار به الى المعنى الآخر المقصود كما تقدم وقسم لا يراد بل يضرب مثلا للمعنى الذى هو مقصود التعريض كقول ابراهيم بل فعله كبيرهم هذا

* (النوع الخامس والخمسون) * فى الحصر والاختصاص أما الحصر ويقال له القصر فهو تخصيص أمر بآخر بطريق مخصوص ويقال أيضا اثبات الحكم للمذكور ونفيه عما عداه وينقسم الى قصر الموصوف على الصفة وقصر الصفة على الموصوف وكل منهما إما حقيقى واما مجازى مثال قصر الموصوف على الصفة حقيقيا نحو ما زيد الا كاتب أى لا صفة له غيرها وهو عزيز لا يكاد يوجد لتعذر الاحاطة بصفات الشىء حتى يمكن اثبات شىء منها ونفى ما عداها بالكلية وعلى عدم تعذرها يبعد أن تكون الذات صفة واحدة ليس لها غيرها ولذا لم يقع فى التنزيل ومثاله مجازيا وما محمد الا رسول أى أنه مقصور على الرسالة لا يتعداها الى التبرى من الموت الذى استعظموه الذى هو من شأن الاله ومثال قصر الصفة على الموصوف حقيقيا لا اله الا الله ومثاله مجازيا (قل لا أجد فيما أوحى الى محرما على طاعم يطعمه الا أن يكون ميتة) الآية لما قال الشافعى فيما تقدم نقله عنه من أسباب النزول ان الكفار لما كانوا يحلون الميتة والدم ولحم الخنزير وما أهل لغير الله به وكانوا يحرمون كثيرا من المباحات وكانت سجيتهم تخالف وضع الشرع ونزلت الآية مسوقة بذكر شبهم فى البحيرة والسائبة والوصيلة والحامى وكان الغرض ابانة كذبهم فكأنه قال لا حرام الا ما أحللتموه والغرض الرد عليهم والمضادة لا الحصر الحقيقى وقد تقدم بأبسط من هذا وينقسم الحصر باعتبار آخر الى ثلاثة أقسام قصر إفراد وقصر قلب وقصر تعيين فالاول يخاطب به من يعتقد الشركة نحو (انما الله اله واحد) خوطب به من يعتقد اشتراك الله والأصنام فى الالوهية والثانى يخاطب به من يعتقد اثبات الحكم لغير من أثبته المتكلم له نحو ربى الذى يحيى ويميت فى خوطب به نمرود الذى اعتقد أنه هو المحيى المميت دون الله الا انهم هم السفهاء خوطب به من اعتقد من المنافقين أن المؤمنين سفهاء دونهم وأرسلناك للناس رسولا خوطب به من يعتقد من اليهود اختصاص بعثته بالعرب والثالث يخاطب به من تساوى عنده الأمران فلم يحكم باثبات الصفة لواحد بعينه ولا لواحد باحدى الصفتين بعينها

* (فصل) * طرق الحصر كثيرة أحدها النفى والاستثناء سواء كان النفى بلا أو ما أو غيرهما والاستثناء بالا أو غير نحو (لا اله الا الله وما من إله الا الله ما قلت لهم الا ما أمرتنى به) ووجه افادة الحصر ان الاستثناء المفرغ لابد ان يتوجه النفى فيه إلى مقدر وهو مستثنى منه لأن الاستثناء اخرج فيحتاج الى مخرج منه والمراد التقدير المعنوى لا الصناعى ولابد ان يكون عاما لأن الاخراج لا يكون الا من عام ولابد ان يكون مناسبا للمستثنى منه فى جنسه مثل ما قام الا زيد أى لا أحد وما أكلت الا تمرا أى مأكولا ولابد أن يوافقه فى صفته أى إعرابه وحينئذ يجب القصر إذا أوجب منه شىء بالضرورة فيبقى ما عداه على صفة الانتفاء واصل استعمال هذا الطريق أن يكون المخاطب جاهلا بالحكم وقد يخرج عن ذلك فينزل المعلوم منزلة المجهول لاعتبار مناسب نحو وما محمد الا رسول فانه خطاب للصحابة وهم لم يكونوا يجهلون رسالة النبى ﷺ لانه استعظامهم له عن الموت منزلة من يجهل رسالته لان كل رسول فلا بد من موته فمن استبعد موته فكأنه استبعد رسالته (الثانى انما) الجمهور على

له عشيرة تحميه ولا أهل عصمة تفطن لما فيه وهو أدق من السحر وأهول من البحر وأعجب من الشعر وكيف لا يكون كذلك وأنت تحسب أن وضع الصبح فى موضع الفجر يحسن فى كل كلام الا أن يكون شعرا أو سجعا وليس كذلك فان احدى اللفظتين قد تنفر فى موضع وتزل عن مكان لا تزل عنه اللفظة الاخرى بل تتمكن فيه وتضرب بجيرانها وتراها فى مظانها وتجدها فيه غير منازعة الى أوطانها وتجد الاخرى لو وضعت موضعها فى محل نفار ومرمى شراد ونابية عن استقرار ولا اكثر عليك المثال ولا اضرب لك فيه الامثال وارجع بك الى ما وعدتك من الدلالة وضمنت لك من تقريب المقالة فان كنت لا تعرف الفصل الذى بينا بين اللفظتين على اختلاف مواقع الكلام ومنصرفات مجارى النظام لم تستفد مما نقربه عليك شيئا وكان التقليد أولى بك

والاتباع فوجب عليك ولكل شيء سبب ولكل علم طريق ولاسبيل الى الوصول الى الشيء من غير طريقة ولا بلوغ غايته من غير سبيله خذ الآن هــداك الله فى تفريغ الفكر وتخلية البال وانظر فيما نعرض عليك ونهديه اليك متوكلا على الله ومعتصما به ومستعيــذا به من الشيطان الرجيم حتى تقف على اعجاز القرآن العظيم سماه الله عز ذكره حكيما وعظيما ومجيدا وقال(لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد) وقال (لو أنزلنا هــذا القرآن على جبل لرأيته خاشعا متصدعا من خشية الله وتلك الامثال نضربها للناس لعلهم يتفكرون) وقال (ولو أن قرآنا سيرت به الجبال أو تطعت به الارض أوكلم به الموتى بل الله الامر جميعا) وقال (قل لئن اجتمعت الانس والجن على أن يأتوا بمثل هــذا القرآن لا يأتون بمثله ولو كان بعضهم

انها للحصر فقيل بالمنطوق وقيل بالمفهوم وانكر قوم افادتها منهم أبو حيان واستدل مثبوه بامور منها قوله تعالى انما حرم عليكم الميتة بالنصب فان معناه ما حرم عليكم الا الميتة لانه المطابق فى المعنى لقراءة الرفع فانها للقصر فكذا قراءة النصب والأصل استواء معنى القراءتين ومنها أن إن للاثبات وما للنفى فلا بد أن يحصل القصر للجمع بين النفى والاثبات لكن تعقب بأن ما زائدة كافة لا نافية ومنها ان ان للتأكيد وما كذلك فاجتمع تأكيد ان فافاد الحصر قاله السكاكى وتعقب بأنه لو كان اجتماع تأكيدين يفيد الحصر لافاده نحو ان زيدا لقائم (وأجيب) بان مراده لا يجتمع حرفا تأكيد متواليان الا للحصر ومنها قوله تعالى (قال انما العلم عند الله قال انما يأتيكم به الله قل انما علمها عند ربى) فانه انما تحصل مطابقة الجواب اذا كانت انما للحصر ليكون معناه لا آتيكم به انما يأتى به الله ولا أعلمها انما يعلمها الله وكذا قوله (ولمن انتصر بعد ظلمه فأولئك ما عليهم من سبيل انما السبيل على الذين يظلمون الناس ما على المحسنين من سبيل الى قوله انما السبيل على الذين يستأذنونك وهم أغنياء واذا لم تأتهم بآية قالوا لولا اجتبيتها قل انما اتبع ما يوحى الى من ربى وان تولوا فانما عليك البلاغ لا يستقيم المعنى فى هذه الآيات ونحوها الا بالحصر وأحسن ما يستعمل انما هو فى مواقع التعريض نحو) انما يتذكر أولو الالباب) (الثالث أنما) بالفتح انما عدها من طرق الحصر الزمخشرى والبيضاوى فقالا فى قوله تعالى (قل انما يوحى الى أنما الهكم اله واحد انما لقصر الحكم على شيء أو لقصر الشيء على حكم نحو انما زيد قائم وانما يقوم زيد وقد اجتمع الامران فى هذه الآية لان انما يوحى الى مع فاعله بمنزلة انما يقوم زيد وانما الهكم بمنزلة وانما زيد قائم وفائدة اجتماعهما الدلالة على أن الوحى الى الرسول ﷺ مقصور على استئثار الله بالوحدانية وصرح التنوخى فى الاقصى القريب بكونها للحصر فقال كلما أوجب أن انما بالكسر للحصر أوجب أن انما بالفتح للحصر لانها فرع عنها وما ثبت للاصل ثبت للفرع مالم يثبت مانع منه والاصل عدمه ورد أبو حيان على الزمخشرى ما زعمه بانه يلزمه انحصار الوحى فى الوحدانية وأجيب بأنه حصر مجازى باعتبار المقام (الرابع) العطف بلا أو بل ذكره أهل البيان ولم يحكوا فيه خلافا ونازع فيه الشيخ بهاء الدين فى عروس الافراح فقال أى قصر فى العطف بلا انما فيه نفى واثبات فقولك زيد شاعر لا كاتب لا تعرض فيه لنفى صفة ثالثة والقصر انما يكون بنفى جميع الصفات غير المثبت حقيقة أو مجازا وليس هو خاصا بنفى الصفة التى يعتقدها المخاطب وأما العطف ببل فابعد منه لانه لا يستمر فيها النفى والاثبات (الخامس) تقديم المعمول نحو (اياك نعبد لإلى الله تحشرون) وخالف فيه قوم وسيأتى بسط الكلام فيه قريبا (السادس) ضمير الفصل نحو (فالله هو الولى أى لا غيره وأولئك هم المفلحون ان هذا لهو القصص الحق ان شانئك هو الابتر) وممن ذكر أنه للحصر البيانيون فى بحث المسند اليه واستدل له السهيلى بأنه أتى به فى كل موضع ادعى فيه نسبة ذلك المعنى الى غير الله ولم يؤت به حيث لم يدع وذلك فى قوله وانه هو أضحك وأبكى الى آخر الآيات فلم يؤت به فى وأنه خلق الزوجين وأن عليه النشأة وانه اهلك لان ذلك لم يدع لغير الله وأتى به فى الباقى لادعائه لغيره قال فى عروس الافراح وقد استنبطت دلالته على الحصر من قوله (فلما توفيتنى كنت أنت الرقيب عليهم) لانه لو لم يكن للحصر لما حسن لان الله لم يزل رقيبا عليهم وانما الذى حصل بتوفيته أنه لم يبق لهم رقيب غير الله تعالى ومن قوله (لا يستوى أصحاب النار وأصحاب الجنة أصحاب الجنة هم الفائزون) فانه ذكر لتبيين عدم الاستواء وذلك لا يحسن الا بأن يكون الضمير للاختصاص (السابع) تقديم المسند اليه على ما قاله الشيخ عبد القاهر قد يقدم المسند اليه ليفيد تخصيصه بالخبر الفعلى والحاصل على رأيه ان له أحوالا احدها أن يكون المسند اليه معرفة والمسند

مثبتا

مثبتا فيأتى للتخصيص نحو انا قمت وأنا سعيت فى حاجتك فان قصد به قصر الافراد أكد بنحو وحدى أو قصر القلب أكد بنحو لا غيرى ومنه فى القرآن بل أنتم بهديتكم تفرحون فان ماقبله من قوله أتمدوننى بمال ولفظ بل المشعر بالاضراب يقضى بان المراد بل انتم لا غيركم اعلى أن المقصود نفى فرحه هو بالهدية لا اثبات الفرح لهم بهديتهم قاله فى عروس الافراح قال وكذا قوله لا تعلمهم نحن نعلمهم أى لا يعلمهم الا نحن وقد يأتى للتقوية والتأكيد دون التخصيص قال الشيخ بهاء الدين ولا يشمر ذلك الا بما يقتضيه الحال وسياق الكلام ثانيها أن يكون المسند منفيا نحو أنت لا تكذب فانه ابلغ فى نفى الكذب من لا تكذب ومن لا تكذب أنت وقد يفيد التخصيص ومنه فهم لا يتساءلون ثالثها أن يكون المسند اليه نكرة مثبتا نحو رجل جاءنى فيفيد التخصيص إما بالجنس أى لا امرأة أو الوحدة أى رجلان رابعها أن يلى المسند اليه حرف النفى فيفيده نحو ما أنا قلت هذا أى لم أقله مع أن غيرى قاله ومنه وما أنت علينا بعزيز أى العزيز علينا رهطك لا أنت ولذا قال أرهطى أعز عليكم من الله هذا حاصل رأى الشيخ عبد القاهر ووافقه السكاكى وزاد شروطا وتفاصيل بسطناها فى شرح ألفية المعانى (الثامن) تقديم المسند ذكر ابن الأثير وابن النفيس وغيرهما أن تقديم الخبر على المبتدأ يفيد الاختصاص ورده صاحب الفلك الدائر بانه لم يقل به أحد وهو ممنوع فقد صرح السكاكى وغيره بان تقديم ما رتبته التأخير يفيده ومثلوه بنحو تميمى أنا (التاسع) ذكر المسند اليه ذكر السكاكى أنه قد يذكر ليفيد التخصيص وتعقبه صاحب الايضاح وصرح الزمخشرى بانه أفاد الاختصاص فى قوله (يبسط الرزق) فى سورة الرعد وفى قوله الله نزل أحسن الحديث وفى قوله (والله يقول الحق وهو يهدى السبيل) ويحتمل أنه أراد أن تقديمه افاده فيكون من أمثلة الطريق السابع (العاشر) تعريف الجزأين ذكر الامام فخر الدين فى نهاية الايجاز أنه يفيد الحصر حقيقة أو مبالغة نحو المنطلق زيد ومنه فى القرآن فيما ذكر الزملكانى فى أسرار التنزيل الحمد لله قال إنه يفيد الحصر كما فى اياك نعبد أى الحمد لله لا لغيره (الحادى عشر) نحو جاء زيد نفسه نقل بعض شراح التلخيص عن بعضهم أنه يفيد الحصر (الثانى عشر) نحو إن زيدا لقائم نقله المذكور أيضا (الثالث عشر) نحو قائم فى جواب زيد ما قائم أو قاعد ذكره الطيبى فى شرح البيان (الرابع عشر) قلب بعض حروف الكلمة فانه يفيد الحصر على ما نقله فى الكشاف فى قوله والذين اجتنبوا الطاغوت أن يعبدوها قال القلب للاختصاص بالنسبة الى لفظ الطاغوت لان وزنه على قول فعلوت من الطغيان كملكوت ورحموت قلب بتقديم اللام على العين ووزنه فلعوت ففيه مبالغات التسمية بالمصدر والبناء بناء مبالغة والقلب وهو للاختصاص اذ لا يطلق على غير الشيطان (تنبيه) كاد أهل البيان يطبقون على أن تقديم المعمول يفيد الحصر سواء كان مفعولا أو ظرفا أو مجرورا ولهذا قيل فى اياك نعبد واياك نستعين معناه نخصك بالعبادة والاستعانة وفى لالى الله تحشرون معناه اليه لا إلى غيره وفى لتكونوا شهداء على الناس ويكون الرسول عليكم شهيدا أخرت الصلة فى الشهادة الأولى وقدمت فى الثانية لان الغرض فى الاول اثبات شهادتهم وفى الثانى اثبات اختصاصهم بشهادة النبى ﷺ وخالف فى ذلك ابن الحاجب فقال فى شرح المفصل الاختصاص الذى يتوهمه كثير من الناس من تقديم المعمول وهم واستدل على ذلك بقوله (فاعبد الله مخلصا له الدين) ثم قال بل الله فاعبد ورد هذا الاستدلال بانه مخلصا له الدين أغنى عن أداة الحصر فى الآية الأولى ولو لم يكن فما المانع من ذكر المحصور فى محل بغير صيغة الحصر كما قال تعالى واعبدوا ربكم وقال أمر ألا تعبدوا الا اياه بل قوله الله فاعبد من أقوى أدلة الاختصاص فان قبلها لئن أشركت ليحبطن عملك فلو لم يكن للاختصاص وكان معناه اعبد الله لما حصل الاضراب

لبعض ظهيرا) وأخبرنا أحمد بن محمد بن الحسين القزوينى حدثنا أبو عبد الرحمن أحمد بن عثمان حدثنا أبو يوسف الصيدلانى حدثنا محمد ابن سلمة عن أبى سنان عن عمرو بن مرة عن أبى البخترى الطائى عن الحارث الاعور عن على رضى الله عنه قال قيل يارسول الله إن أمتك ستفتتن من بعدك فسأل أو سئل ما المخرج من ذلك فقال بكتاب الله العزيز الذى لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد من ابتغى العلم فى غيره أضله الله ومن ولى هذا من جبار فحكم بغيره قصمه الله وهو الذكر الحكيم والنور المبين والصراط المستقيم فيه خبر من قبلكم ونبأ من بعدكم وهو فصل ليس بالهزل وهو الذى سمعته الجن فقالوا إنا سمعنا قرآنا عجبا يهدى الى الرشد فآمنا به لا يخلق على طول الرد ولا تنقضى عبره ولا تفنى عجائبه وأخبرنى أحمد بن على

ابن الحسن أخبرنا أبى خبرنا بشر بن عبد الوهاب أخبرنا هشام بن عبيد الله حدثنا المسيب بن شريك عن عبيدة عن اسامة بن أبى عطاء قال ارسل النبى صلى الله عليه وسلم الى على رضى الله عنه فى ليلة فذكر نحو ذلك فى المعنى وفى بعض الفاظه اختلاف وأخبرنا احمد بن على بن الحسن أخبرنا ابى اخبرنا بشر بن عبد الوهاب اخبرنا هشام بن عبيد الله حدثنا المسيب بن شريك عن بشر بن نمير عن القاسم عن أبى أمامة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ ثلث القرآن اعطى ثلث النبوة ومن قرأ نصف القرآن أعطى نصف النبوة ومن قرأ القرآن كله أعطى النبوة كلها غيره أنه لا يوحى اليه وذكر الحديث ولو لم يكن من عظم شأنه الا أنه طبق الارض أنواره وجلل الآفاق ضياؤه ونفذ فى العالم حكمه وقبل فى الدنيا رسمه وطمس

الذى هو معنى بل واعترض أبو حيان على مدعى الاختصاص بنحو (أفغير الله تأمرونى اعبد) وأجيب بانه لما كان من أشرك بالله غيره كأنه لم يعبد الله كان أمرهم بالشرك كانه أمر بتخصيص غير الله بالعبادة ورد صاحب الفلك الدائر الاختصاص بقوله كلا هدينا ونوحا هدينا من قبل وهو أقوى ماردبه وأجيب بأنه لا يدعى فيه اللزوم بل الغلبة وقد يخرج الشىء عن الغالب قال الشيخ بهاء الدين وقد اجتمع الاختصاص وعدمه فى آية واحدة وهى (أغير الله تدعون ان كنتم صادقين بل اياه تدعون) فان التقديم فى الاول قطعا ليس للاختصاص وفى اياه قطعا للاختصاص وقال والده الشيخ تقى الدين فى كتاب الاقتناص فى الفرق بين الحصر والاختصاص اشتهر كلام الناس فى أن تقديم المعمول يفيد الاختصاص ومن الناس من ينكر ذلك ويقول انما يفيد الاهتمام وقد قال سيبويه فى كتابه وهم يقدمون ماهم به أغنى والبيانيون على افادته الاختصاص ويفهم كثير من الناس من الاختصاص الحصر وليس كذلك وانما الاختصاص شىء والحصر شىء آخر والفضلاء لم يذكروا فى ذلك لفظة الحصر وانما عبروا بالاختصاص والفرق بينهما ان الحصر نفى غير المذكور واثبات المذكور والاختصاص قصد الخاص من جهة خصوصه وبيان ذلك أن الاختصاص افتعال من الخصوص والخصوص مركب من شيئين أحدهما عام مشترك بين شيئين أو أشياء والثانى معنى منضم اليه يفصله عن غيره كضرب زيد فانه اخص من مطلق الضرب فاذا قلت ضربت زيدا أخبرت بضرب عام وقع منك على شخص خاص فصار ذلك الضرب المخبر به خاصا لما انضم اليه منك ومن زيد وهذه المعانى الثلاثة أعنى مطلق الضرب وكونه واقعا منك وكونه واقعا على زيد قد يكون قصد المتكلم لها ثلاثتها على السواء وقد يترجح قصده لبعضها على بعض ويعرف ذلك بما ابتدأ به كلامه فان الابتداء بالشىء يدل على الاهتمام به وأنه هو الأرجح فى غرض المتكلم فاذا قلت زيدا ضربت علم أن خصوص الضرب على زيد هو المقصود ولا شك فى أن كل مركب من خاص وعام له جهتان فقد يقصد من جهة عمومه وقد يقصد من جهة خصوصه والثانى هو الاختصاص وانه هو الاهم عند المتكلم وهو الذى قصد افادته السامع من غير تعرض ولا قصد لغيره باثبات ولا نفى ففى الحصر معنى زائد عليه وهو نفى ماعدا المذكور وإنما جاء هذا فى اياك نعبد للعلم بان قائليه لا يعبدون غير الله تعالى والذا لم يطرد فى بقية الآيات فان قوله أفغير دين الله يبغون وجعل فى معنى ما يبغون الا غير دين الله وهمزة الانكار داخلة عليه لزم أن يكون المنكر الحصر لا مجرد بغيهم غير دين الله وليس المراد وكذلك آلهة دون الله تريدون المنكر ارادتهم آلهة دون الله من غير حصر وقد قال الزمخشرى وبالآخرة هم يوقنون فى تقديم الآخرة وبناء يوقنون على هم تعريض باهل الكتاب وما كانوا عليه من اثبات أمر الآخرة على خلاف حقيقته وأن قولهم ليس بصادر عن ايقان وأن اليقين ما عليه من آمن بما أنزل اليك وما أنزل من قبلك وهذا الذى قاله الزمخشرى فى غاية الحسن وقد اعترض عليه بعضهم فقال تقديم الاخرة افاد أن ايقانهم مقصور على أنه بالآخرة لا بغيرها وهذا الاعتراض من قائله مبنى على ما فهمه من أن تقديم المعمول يفيد الحصر وليس كذلك ثم قال المعترض وتقديم هم أفاد أن هذا القصر مختص بهم فيكون ايقان غيرهم بالآخرة ايمانا بغيرها حيث قالوا لن تمسنا النار وهذا منه أيضا استمرار على ماق ذهنه من الحصر أى أن المسلمين لا يوقنون الا بالآخرة وأهل الكتاب يوقنون بها وبغيرها وهذا عجيب ألجأه اليه فهمه الحقير وهو ممنوع وعلى تقدير تسليمه فالحصر على ثلاثة أقسام (أحدها) بما والا كقولك ماقام الا زيد صريح فى نفى القيام عن غير زيد ويقتضى اثبات القيام لزيد قيل بالمنطوق وقيل بالمفهوم وهو الصحيح لكنه أقوى المفاهيم لان الا موضوعة للاستثناء وهو

الاخراج فدلالتها على الاخراج بالمنطوق لا بالمفهوم ولكن الاخراج من عدم القيام ليس هو عين القيام
بل قد يستلزمه فلذلك رجحنا أنه بالمفهوم والتبس على بعض الناس لذلك فقال انه بالمنطوق (والثانى)
الحصر بانما وهو قريب من الأول فيما نحن فيه وان كان جانب الاثبات فيه أظهر فكانه يفيد
اثبات قيام زيد اذا قلت انما قام زيد بالمنطوق ونفيه عن غيره بالمفهوم (الثالث) الحصر الذى
قد يفيده التقديم وليس هو على تقدير تسليمه مثل الحصر بن الأولين بل هو فى قوة جملتين أحدهما
ماصدر به الحكم نفيا كان أو اثباتا وهو المنطوق والأخرى مافهم من التقديم والحصر يقتضى نفى
المنطوق فقط دون مادل عليه من المفهوم لأن المفهوم له فاذا قلت أنا لا أكرم إلا اياك افاد
التعريض بان غيرك يكرم غيره ولا يلزم انك لا تكرمه وقد قال تعالى (الزانى لا ينكح الا زانية أو مشركة)
افادان العفيف قد ينكح غير الزانية وهو ساكت عن نكاحه الزانية فقال سبحانه وتعالى بعده
(والزانية لا ينكحها الا زان أو مشرك) بيانا لما سكت عنه فى الأول فلو قال بالآخرة يوقنون أفاد بمنطوقه
ايقانهم بها ومفهومه عند من يزعم انهم لا يوقنون بغيرها وليس ذاك مقصودا بالذات والمقصود
بالذات قوة ايقانهم بالآخرة حتى صار غيرها عندهم كالمدحوض فهو حصر مجازى وهو دون قولنا
يوقنون بالآخرة لا بغيرها فاضبط هذا واياك أن تجعل تقديره لا يوقنون الا بالآخرة إذا عرفت هذا
فتقديم هم أفادان غيرهم ليس كذلك فلو جعلنا التقدير لا يوقنون الا بالآخرة كان المقصود المهم
النفى فيتسلط المفهوم عليه فيكون المعنى افادة أن غيرهم يوقن بغيرها كما زعم المعترض ويطرح افهام
أنه لا يوقن بالآخرة ولا شك أن هذا ليس بمراد بل المراد افهام أن غيرهم لا يوقن بالآخرة فلذلك
حافظنا على ان الغرض الاعظم اثبات الايقان بالآخرة ليتسلط المفهوم عليه وان المفهوم لا يتسلط
على الحصر لان الحصر لم يدل عليه بجملة واحدة مثل ما والا ومثل انما وانما دل عليه بمفهوم مستفاد
من منطوق وليس أحدهما متقيدا بالآخر حتى تقول ان افاد نفى الايقان المحصور بل أفاد نفى
الايقان مطلقا عن غيرهم وهذا كله على تقدير تسليم الحصر ونحن نمنع ذلك ونقول إنه اختصاص وأن
بينهما فرقا اه كلام السبكى

• (النوع السادس والخمسون) • فى الايجاز والاطناب اعلم أنهما من اعظم أنواع البلاغة حتى نقل
صاحب سر الفصاحة عن بعضهم أنه قال البلاغة هى الايجاز والاطناب قال صاحب الكشاف كما أنه
يجب على البليغ فى مظان الاجمال أن يجمل ويوجز فكذلك الواجب عليه فى موارد التفصيل أن
يفصل ويشبع أنشد الجاحظ

يرمون بالخطب الطوال وتارة ... وحى الملاحظ خيفة الرقباء

واختلف هل بين الايجاز والاطناب واسطة وهى المساواة أولا وهى داخلة فى قسم الايجاز فالسكاكى
وجماعة على الأول لكنهم جعلوا المساواة غير محمودة ولا مذمومة لانهم فسروها بالمتعارف من كلام
أوساط الناس الذين ليسوا فى رتبة البلاغة وفسروا الايجاز باداء المقصود بأقل من عبارة المتعارف
والاطناب أداؤه بأكثر منها لكون المقام خليقا بالبسط وابن الاثير وجماعة على الثانى فقالوا الايجاز
التعبير عن المراد بلفظ غير زائد والاطناب بلفظ أزيد وقال القزوينى الاقرب أن يقال إن المقبول من
طرق التعبير عن المراد تأديه اصله اما بلفظ مساو للاصل المراد أو ناقص عنه واف أو زائد عليه لفائدة
والأول المساواة والثانى الايجاز والثالث الاطناب واحترز بواف عن الاخلال وبقولنا بفائدة عن
الحشو والتطويل فعنده ثبوت المساواة واسطة وأنها من قسم المقبول فان قلت عدم ذكرك المساواة
فى الترجمة لماذا هل هو لرجحان نفيها أو عدم قبولها أو لامر غير ذلك قلت لهما ولامر ثابت وهو ان المساواة

ظلام الكفر بعد ان كان
مضروب الرواق ممدود
الاطناب مبسوط الباع
مرفوع العماد ليس على
الأرض من يعرف الله
حق معرفته أو يعبده
حق عبادته أو يدين
بعظمته أو يعلم علو
جلالته أو يتفكر فى
حكمته فكان كما وصفه
الله تعالى جل ذكره
من انه نور فقال (وكذلك
أوحينا اليك روحا من
أمرنا ما كنت تدرى
ما الكتاب ولا الايمان
ولكن جعلناه نورا نهدى
به من نشاء من عبادنا
وانك لتهتدى إلى صراط
مستقيم) فانظر ان شئت
إلى شريف هذا النظم
وبديع هذا التأليف
وعظيم هذا الوصف كل
كلمة من هذه الآية تامة
وكل لفظ بديع واقع
قوله وكذلك أوحينا
اليك روحا من أمرنا يدل
على صدوره من الربوبية
ويبين عن وروده عن
الالهية وهذه الكلمة
بمنفردها وأخواتها كل
واحدة منها لو وقعت
بين كلام كثير تميز عن
جميعه وكان واسطة

لا تكاد توجد خصوصا في القرآن وقد مثل لها في التلخيص بقوله تعالى (ولا يحيق المكر السيء إلا بأهله) وفي الإيضاح بقوله (وإذا رأيت الذين يخوضون في آياتنا) وتعقب بأن في الآية الثانية حذف موصوف الذين وفي الأولى اطناب بلفظ السيء لأن المكر لا يكون إلا سيئا وايجاز بالحذف إن كان الاستثناء غير مفرغ أي بأحد وبالقصر في الاستثناء وبكونها حاثة على كف الأذى عن جميع الناس محذرة عن جميع ما يؤدي إليه وبأن تقديرها يضر بصاحبه مضرة بليغة فأخرج الكلام مخرج الاستعارة التبعية الواقعة على سبيل التمثيل لأن يحيق بمعنى يحيط فلا يستعمل إلا في الأجسام (تنبيه) الايجاز والاختصار بمعنى واحد كما يؤخذ من المفتاح وصرح به الطيبي وقال بعضهم الاختصار خاص بحذف الجمل فقط بخلاف الايجاز قال الشيخ بهاء الدين وليس بشيء والإطناب قيل بمعنى الاسهاب والحق أنه أخص منه فإن الإسهاب التطويل لفائدة أو لا لفائدة ذكره التنوخي وغيره

(فصل). الايجاز قسمان إيجاز قصر وإيجاز حذف فالأول هو الوجيز بلفظه قال الشيخ بهاء الدين الكلام القليل أن كان بعضا من كلام أطول منه فهو إيجاز حذف وإن كان كلاما يعطي معنى أطول منه فهو إيجاز قصر وقال بعضهم إيجاز القصر هو تكثير المعنى بتقليل اللفظ وقال آخر هو أن يكون اللفظ بالنسبة إلى المعنى أقل من القدر المعهود عادة وسبب حسنه أنه يدل على التمكن في الفصاحة ولهذا قال صلى الله عليه وسلم أوتيت جوامع الكلم وقال الطيبي في التبيان الايجاز الخالي من الحذف ثلاثة أقسام أحدها إيجاز القصر وهو أن تقصر اللفظ على معناه كقوله (إنه من سليمان إلى قوله وائتوني مسلمين) جمع في أحرف العنوان والكتاب والحاجة وقيل في وصف بليغ كانت ألفاظه قوالب معناه قلت وهذا رأي من يدخل المساواة في الايجاز (الثاني) إيجاز التقدير وهو أن يقدر معنى زائد على المنطوق ويسمى بالتضييق أيضا وبه سماه بدر الدين بن مالك في المصباح لأنه نقص من الكلام ما صار لفظه أضيق من قدر معناه نحو فمن جاءه موعظة من ربه فانتهى فله ما سلف أي خطاياه غفرت فهي له لا عليه هدى للمتقين أي الضالين الصائرين بعد الضلال إلى التقوى (الثالث) الايجاز الجامع وهو أن يحتوي اللفظ على معان متعددة نحو (إن الله يأمر بالعدل والإحسان) الآية فان العدل هو الصراط المستقيم المتوسط بين طرفي الإفراط والتفريط المومى به إلى جميع الواجبات في الاعتقاد والاخلاق والعبودية والإحسان هو الإخلاص في واجبات العبودية لتفسيره في الحديث بقوله ان تعبد الله كأنك تراه أي تعبده مخلصا في نيتك وواقفا في الخضوع آخذا أهبة الحذر إلى ما لا يحصى وايتاء ذي القربى هو الزيادة على الواجب من النوافل هذا في الأوامر وأما النواهي فبالفحشاء الإشارة إلى القوة الشهوانية وبالمنكر إلى الافراط الحاصل من آثار الغضبية أو كل محرم شرعا وبالبغي إلى الاستعلاء الفائض عن الوهمية قلت ولهذا قال ابن مسعود ما في القرآن آية أجمع للخير والشر من هذه الآية أخرجه في المستدرك وروى البيهقي في شعب الايمان عن الحسن أنه قرأها يوما ثم وقف فقال إن الله جمع لكم الخير كله والشر كله في آية واحدة فوالله ما ترك العدل والإحسان من طاعة الله شيئا إلا جمعه ولا ترك الفحشاء والمنكر والبغي من معصية الله شيئا إلا جمعه وروى أيضا عن ابن شهاب في معنى حديث الشيخين بعثت بجوامع الكلم قال بلغني أن جوامع الكلم أن الله يجمع له الأمور الكثيرة التي كانت تكتب في الكتب قبله في الأمر الواحد والأمرين ونحو ذلك ومن ذلك قوله تعالى خذ العفو الآية فإنها جامعة لمكارم الأخلاق لأن في أخذ العفو التساهل والتسامح في الحقوق واللين والرفق في الدعاء إلى الدين وفي الأمر بالمعروف كف الأذى وغض البصر وما شاكلهما من المحرمات وفي الاعراض للصبر والحلم والتؤدة ومن بديع الإيجاز قوله (تعالى قل هو الله أحد) إلى آخرها

فانه

عقده وفاتحة عقده وغرة شهره وعين دهره وكذلك قوله (ولكن جعلناه نورا نهدي به من نشاء من عبادنا) فجعله روحا لأنه يحيي الخلق فله فضل الأرواح في الأجساد وجعله نورا لأنه يضيء ضياء الشمس في الآفاق ثم أضاف وقوع الهداية به إلى مشيئته ووقف وقوف الاسترشاد به على ارادته وبين أنه لم يكن ليهتدي اليه لولا توفيقه ولم يكن ليعلم ما في الكتاب ولا الايمان لولا تعليمه وأنه لم يكن ليهتدي فكيف كان يهدي لولاه فقد صار يهدي ولم يكن من قبل ذلك ليهتدي فقال (وإنك لتهدي إلى صراط مستقيم صراط الله الذي له ما في السموات وما في الأرض ألا إلى الله تصير الأمور) فانظر إلى هذه الكلمات الثلاث فالكلمتان الأوليان مؤتلفتان وقوله (ألا إلى الله تصير الأمور) كلمة منفصلة مباينة الأولى قد صيرهما شريف النظم أشد ائتلافا من

فانه نهاية التنزيه وقد تضمنت الرد على نحو أربعين فرقة كما أفرد ذلك بالتصنيف بها الدين بن شداد وقوله وأخرج منها ماءها ومرعاها دل بهاتين الكلمتين على جميع ما أخرجه من الأرض قوتا ومتاعا للأنام من العشب والشجر والحب والثمر والعصف والحطب واللباس والنار والملح لأن النار من العيدان والملح من الماء وقوله (لا يصدعون عنها ولا ينزفون) جمع فيه جميع عيوب الخمر من الصداع وعدم العقل وذهاب المال ونفاد الشراب وقوله (وقيل يا أرض ابلعي ماءك) الآية أمر فيها ونهى وأخبر ونادى ونعت وسمى وأهلك وأبقى وأسعد وأشقى وقص من الانباء مالو شرح ما اندرج في هذه الجملة من بديع اللفظ والبلاغة والايجاز والبيان لجفت الأقلام وقد افردت بلاغة هذه الآية بالتأليف وفي العجائب للكرماني أجمع المعاندون على أن طوق البشر قاصر عن الاتيان بمثل هذه الآية بعد أن فتشوا جميع كلام العرب والعجم فلم يجدوا مثلها في فخامة ألفاظها وحسن نظمها وجوده معانيها في تصوير الحال مع الايجاز من غير اخلال وقوله تعالى (يا أيها النمل ادخلوا مساكنكم) الآية جمع في هذه اللفظة أحد عشر جنسا من الكلام نادت وكنت ونبهت وسمت وأمرت وقصت وحذرت وخصت وعمت وأشارت وعذرت فالنداء يا والكناية أي والتنبيه ها والتسمية النمل والأمر ادخلوا والقصص مساكنكم والتحذير لا يحطمنكم والتخصيص سليمان والتعميم جنوده والاشارة وهم والعذر لا يشعرون فأدت خمس حقوق حق الله وحق رسوله وحقها وحق رعيتها وحق جنود سليمان وقوله (يا بني آدم خذوا زينتكم عند كل مسجد) الآية جمع فيها أصول الكلام النداء والعموم والخصوص والأمر والاباحة والنهي والخبر وقال بعضهم جمع الله الحكمة في شطر آية (كلوا واشربوا ولا تسرفوا) وقوله تعالى (وأوحينا إلى أم موسى أن أرضعيه) الآية قال ابن العربي هي من أعظم آي في القرآن فصاحة إذ فيها أمران ونهيان وخبران وبشارتان وقوله فاصدع بما تؤمر قال ابن أبي الاصبع المعنى صرح بجميع ما أوحى اليك وبلغ كل ما أمرت ببيانه وان شق بعض ذلك على بعض القلوب فانصدعت والمشابهة بينهما فيما يؤثره التصريح في القلوب فيظهر أثر ذلك على ظاهر الوجوه من القبض والانبساط ويلوح عليها من علامات الانكار والاستبشار كما يظهر على ظاهر الزجاجة المصدوعة فانظر إلى جليل هذه الاستعارة وعظم إيجازها وما انطوت عليه من المعاني الكثيرة وقد حكى ان بعض الاعراب لما سمع هذه الآية سجد وقال سجدت لفصاحة هذا الكلام اه وقوله تعالى (وفيها ما تشتهي الانفس وتلذ الاعين) قال بعضهم جمع بهاتين اللفظتين مالو اجتمع الخلق كلهم على وصف ما فيها على التفصيل لم يخرجوا عنه وقوله تعالى (ولكم في القصاص حياة) فان معناه كثير ولفظه قليل لأن معناه ان الانسان إذا علم أنه متى قتل قتل كان داعيا الى أن لا يقدم على القتل فارتفع بالقتل الذي هو القصاص كثير من قتل الناس بعضهم لبعض وكان ارتفاع القتل حياة لهم وقد فضلت هذه الجملة على أوجز ما كان عند العرب في هذا المعنى وهو قولهم القتل أنفى للقتل بعشرين وجها أو أكثر وقد أشار ابن الاثير الى انكار هذا التفضيل وقال لا تشبيه بين كلام الخالق وكلام المخلوق وانما العلماء يقدحون أذهانهم فيما يظهر لهم من ذلك (الأول) أن ما يناظره من كلامهم وهو قولهم القصاص حياة أقل حروفا فان حروفه عشرة وحروف القتل انفى للقتل أربعة عشر (الثاني) ان نفي القتل لا يستلزم الحياة والآية ناصة على ثبوتها التي هي الغرض المطلوب منه (الثالث) أن تنكير حياة يفيد تعظيما فيدل على أن في القصاص حياة متطاولة كقوله تعالى (ولتجدنهم أحرص الناس على حياة) ولا كذلك المثل فان اللام فيه للجنس ولذا فسروا الحياة فيها بالبقاء (الرابع) ان الآية فيه مطردة بخلاف المثل فانه ليس كل قتل أنفى للقتل بل قد يكون أدعى له القتل ظلما وإنما ينفيه قتل خاص وهو القصاص ففيه حياة أبدا (الخامس)

الكلام المؤلف وألطف انتظاما من الحديث الملائم وبهذا يبين فضل الكلام وتظهر فصاحته وبلاغته الأمر أظهر والحمد لله والحال أبين من أن يحتاج إلى كشف تأمل قوله (فالق الاصباح وجاعل الليل سكنا والشمس والقمر حسبانا ذلك تقدير العزيز العليم) انظر إلى هذه الكلمات الاربع التي ألف بينها واحتج بها على ظهور قدرته ونفاذ أمره أليس كل كلمة منها في نفسها غرة بمنفردها درة وهو مع ذلك يبين أنه يصدر عن علو الامر ونفاذ القهر ويتجلى في بهجة القدرة ويتحلى بخالصة العزة ويجمع السلاسة إلى الرصانة والسلامة إلى المتانة والرونق الصافي والبهاء الضافي ولست أقول أنه شمل الأطباق المليح والايجاز اللطيف والتعديل والتمثيل والتقريب والتشكيل وإن كان قد جمع ذلك وأكثر منه لأن العجيب ما بينا من انفراد كل

ان الآية خالية من تكرار لفظ القتل الواقع فى المثل والخالى من التكرار أفضل من المشتمل عليه وان لم يكن مخلا بالفصاحة (السادس) ان الآية مستغنية عن تقدير محذوف بخلاف قولهم فان فيه حذف من التى بعد أفعل التفضيل وما بعدها وحذف قصاصا مع القتل الاول وظلما مع القتل الثانى والتقدير القتل قصاصا أنفى للقتل ظلما من تركه (السابع) أن فى الآية طباقا لان القصاص يشعر بضد الحياة بخلاف المثل (الثامن) ان الآية اشتملت على فن بديع وهو جعل أحد الضدين الذى هو الفناء والموت محلا ومكانا لضده الذى هو الحياة واستقرار الحياة فى الموت مبالغة عظيمة ذكره فى الكشاف وعبر عنه صاحب الايضاح بأنه جعل القصاص كالمنبع للحياة والمعدن لها بادخال فى عليه (التاسع) أن فى المثل توالى أسباب كثيرة خفيفة وهو السكون بعد الحركة وذلك مستكره فان اللفظ المنطوق به إذا توالت حركاته تمكن اللسان من النطق به وظهرت بذلك فصاحته بخلاف ما إذا تعقب كل حركة سكون فالحركات تنقطع بالسكنات نظيره إذا تحركت الدابة أدنى حركة فحبست ثم تحركت فحبست لا تطيق اطلاقها ولا تتمكن من حركتها على ما تختاره فهى كالمقيدة (العاشر) أن المثل كالتناقض من حيث الظاهر لان الشيء لا ينفى نفسه (الحادى عشر) سلامة الآية من تكرير قلقلة القاف الموجب للضغط والشدة وبعدها عن غنة النون (الثانى عشر) اشتمالها على حروف متلائمة لما فيها من الخروج من القاف إلى الصاد إذ القاف من حروف الاستعلاء والصاد من حروف الاستعلاء والإطباق بخلاف الخروج من القاف إلى التاء التى هى حرف منخفض فهو غير ملائم للقاف وكذا الخروج من الصاد إلى الحاء أحسن من الخروج من اللام إلى الهمزة لبعدما دون طرف اللسان وأقصى الحلق (الثالث عشر) سلامتها من لفظ القتل المشعر بالوحشة بخلاف لفظ الحياة تكرير القاف والتاء (الرابع عشر) سلامتها من لفظ القتل المشعر بالوحشة بخلاف لفظ الحياة فان الطباع أقبل له من لفظ القتل (الخامس عشر) ان لفظ القصاص مشعر بالمساواة فهو منبىء عن العدل بخلاف مطلق القتل (السادس عشر) الآية مبنية على الاثبات والمثل على النفى والاثبات أشرف لانه أول والنفى ثان عنه (السابع عشر) أن المثل لا يكاد يفهم الا بعد فهم ان القصاص هو الحياة وقوله فى القصاص حياة مفهوم من أول وهلة (الثامن عشر) أن فى المثل بناء أفعل التفضيل من فعل متعد والآية سالمة منه (التاسع عشر) أن أفعل فى الغالب يقتضى الاشتراك فيكون ترك القصاص نافيا للقتل ولكن القصاص أكثر نفيا وليس الامر كذلك والآية سالمة من ذلك (العشرون) أن الآية رادعة عن القتل والجرح معا لشموله القصاص لهما والحياة أيضا فى قصاص الأعضاء لان قطع العضو ينقص أو ينغص مصلحة الحياة وقد يسرى إلى النفس فيزيلها ولا كذلك المثل فى أول الآية لكم وفيها لطيفة وهى بيان العناية بالمؤمنين على الخصوص وانهم المراد حياتهم لا غيرهم لتخصيصهم بالمعنى مع وجوده فيمن سواهم (تنبيهات) الأول * ذكر قدامة من أنواع البديع الاشارة وفسرها بالاتيان بكلام قليل ذى معان جمة وهذا هو إيجاز القصر بعينه لكن فرق بينهما ابن أبى الاصبع أن الايجاز دلالته مطابقة ودلالة الاشارة إما تضمن أو التزام فعلم منه أن المراد بها ما تقدم فى مبحث المنطوق (الثانى) ذكر القاضى أبو بكر فى اعجاز القرآن أن من الايجاز نوعا يسمى التضمين وهو حصول معنى فى لفظ من غير ذكر له باسم هى عبارة عنه قال وهو نوعان أحدهما ما يفهم من البنية كقوله معلوم فانه يوجب أنه لابد من عالم والثانى من معنى العبارة كبسم الله الرحمن الرحيم فانه تضمن تعليم الاستفتاح فى الامور باسمه على جهة التعظيم لله تعالى والتبرك باسمه (الثالث) ذكر ابن الأثير وصاحب عروس الأفراح وغيرهما أن من أنواع إيجاز القصر باب الحصر سواء كان بإلا

أو

كلمة بنفسها حتى تصلح أن تكون عين رسالة أو خطبة أو وجهة قصيدة أو فقرة فاذا ائتلفت ازدادت حسنا وزادتك إذا تأملت معرفة وإيمانا ثم تأمل قوله (وآية لهم الليل نسلخ منه النهار فاذاهم مظلمون والشمس تجرى لمستقر لها ذلك تقدير العزيز العليم والقمر قدرناه منازل حتى عاد كالعرجون القديم) هل تجد كل لفظة وهل تعلم كل كلمة تستقل بالاشتمال على نهاية البديع وتتضمن شرط القول البليغ فاذا كانت الآية تنتظم من البديع وتتألف من البلاغات فكيف لا تفوت حد المعهود ولا تجوز شأو المألوف وكيف لا تحوز قصب السبق ولا تتعالى عن كلام الخلق ثم اقصد إلى سورة تامة فتصرف فى معرفة قصصها وراع ما فيها من براهينها وقصصها تأمل السورة التى يذكر فيها النمل وانظر فى كل كلمة كلمة وفصل وفصل بدأ بذكر

أو بأنما أو غيرهما من أدواته لأن الجملة فيها نابت مناب جملتين وباب العطف لأن حرفه وضع للاغناء من إعادة العامل وباب النائب عن الفاعل لأنه دل على الفاعل بإعطائه حكمه وعلى المفعول بوضعه وباب الضمير لأنه وضع الاستغناء به عن الظاهر اختصارا ولذا لا يعدل إلى المنفصل مع إمكان المتصل وباب علمت أنك قائم لأنه متحمل لاسم واحد سد مسد المفعولين من غير حذف ومنها باب التنازع إذا لم تقدر على رأى الفراء ومنها طرح المفعول اقتصارا على جعل المتعدى كاللازم وسيأتى تحريره ومنها جميع أدوات الاستفهام والشرط فإن كم مالك يغنى عن قولك أهو عشرون أم ثلاثون وهكذا إلى مالا يتناهى ومنها الألفاظ اللازمة للعموم كأحد ومنها لفظ التثنية والجمع فانه يغنى عن تكرير المفرد وأقيم الحرف فيهما مقامه اختصارا ومما يصلح أن يعد من أنواعه المسمى بالاتساع من أنواع البديع وهو أن يأتى بكلام يتسع فيه التأويل بحسب ما يحتمله ألفاظه من المعانى كفواتح السور ذكره ابن أبى الأصبع (القسم الثانى) من قسمى الإيجاز إيجاز الحذف وفيه فوائد ذكر أسبابه منها مجرد الاختصار والاحتراز عن العبث لظهوره ومنها التنبيه على أن الزمان يتقاصر عن الاتيان بالمحذوف وان الاشتغال بذكره يفضى إلى تفويت المهم وهذه هى فائدة باب التحذير والاغراء وقد اجتمعا فى قوله تعالى (ناقة الله وسقياها) فناقة الله تحذير بتقدير ذروا وسقياها اغراء بتقدير الزموا ومنها التفخيم والاعظام لما فيه من الايهام قال حازم فى منهاج البلغاء إنما يحسن الحذف لقوة الدلالة عليه أو يقصد به تعديد أشياء فيكون فى تعدادها طول وسآمة فيحذف ويكتفى بدلالة الحال وتترك النفس تجول فى الأشياء المكتفى بالحال عن ذكرها قال ولهذا القصد يؤثر فى المواضع التى يراد بها التعجب والتهويل على النفوس ومنه قوله فى وصف أهل الجنة حتى إذا جاءوها وفتحت أبوابها فحذف الجواب إذا كان وصف ما يجدونه ويلقونه عند ذلك لا يتناهى فجعل الحذف دليلا على ضيق الكلام عن وصف ما يشاهدونه وتركت النفوس تقدر ماشاءته ولا تبلغ من ذلك كنه ماهنالك وكذا قوله ولو ترى إذ وقفوا على النار أى لرأيت أمرا فظيعا لا تكاد تحيط به العبارة ومنها التخفيف لكثرة دورانه فى الكلام كما فى حذف حرف النداء نحو يوسف أعرض ونون لم يكن والجمع السالم ومنه قراءة (والمقيمى الصلاة وياء والليل إذا يسر) وسأل المورج السدوسى الأخفش عن هذه الآية فقال عادة العرب أنها إذا عدلت بالشىء عن معناه نقصت حروفه والليل لما كان لا يسرى وإنما يسرى فيه نقص منه حرف كما قال تعالى (وما كانت أمك بغيا) الأصل بغية فلما حول عن فاعل نقص منه حرف ومنها كونه لا يصلح إلا له نحو (عالم الغيب والشهادة فعال لما يريد) ومنها شهرته حتى يكون ذكره وعدمه سواء. قال الزمخشرى وهو نوع من دلالة الحال التى لسانها أنطق من لسان المقال وحمل عليه قراءة حمزة تساءلون به والأرحام لأن هذا مكان شهر بتكرر الجار فقامت الشهرة مقام الذكر ومنها صيانته عن ذكره تشريفا كقوله تعالى (قال فرعون وما رب العالمين قال رب السموات) الآيات حذف فيها المبتدأ فى ثلاثة مواضع قبل ذكر الرب أى هو رب والله ربكم والله رب المشرق لأن موسى استعظم حال فرعون وإقدامه على السؤال فاضمر اسم الله تعظيما وتفخيما ومثله فى عروس الأفراح بقوله تعالى (رب أرنى أنظر إليك) أى ذاتك ومنها صيانة اللسان عنه تحقيرا له نحو صم بكم أى هم أو المنافقون ومنها قصد العموم نحو وإياك نستعين أى على العبادة وعلى أمورنا كلها (والله يدعو إلى دار السلام) أى كل واحد ومنها رعاية الفاصلة نحو (ماودعك ربك وما قلى) أى وما قلاك ومنها قصد البيان بعد الابهام كما فى فعل المشيئة نحو فلو شاء لهداكم أى فلو شاء هدايتكم فانه إذا سمع السامع فلو شاء تعلقت نفسه بما شاء انبهم عليه لا يدرى ما هو فلما ذكر

السورة إلى أن بين ان القرآن من عنده فقال (وإنك لتلقى القرآن من لدن حكيم عليم) ثم وصل بذلك قصة موسى عليه السلام وأنه (رأى نارا فقال لأهله امكثوا إنى آنست نارا سآتيكم منها بخبر أو آتيكم بشهاب قبس لعلكم تصطلون) وقال فى سورة طه فى هذه القصة (لعلى آتيكم منها بقبس أو أجد على النار هدى (وفى موضع) لعلى آتيكم منها بخبر أو جذوة من النار لعلكم تصطلون) قد تصرف فى وجوه وأتى بذكر القصة على ضروب ليعلمهم عجزهم عن جميع طرق ذلك ولهذا قال (فليأتوا بحديث مثله) ليكون أبلغ فى تعجيزهم وأظهر للحجة عليهم وكل كلمة من هذه الكلمات وإن أنبأت عن قصة فهى بليغة بنفسها تامة فى معناها ثم قال (فلما جاءها نودى أن بورك من فى النار ومن حولها وسبحان الله رب العالمين) فانظر إلى ما أجرى له الكلام

الجواب استبيان بعد ذلك وأكثر ما يقع ذلك بعد أداة شرط لأن مفعول المشيئة مذكور في جوابها وقد يكون مع غيرها استدلالا بغير الجواب نحو (ولا يحيطون بشيء من علمه إلا بما شاء) وقد ذكر أهل البيان أن مفعول المشيئة والإرادة لا يذكر إلا إذا كان غريبا أو عظيما نحو (لمن شاء منكم أن يستقيم لو أردنا أن نتخذ لهوا) وإنما اطرد أو كثر حذف مفعول المشيئة دون سائر الأفعال لأنه يلزم من وجود المشيئة وجود المشاء فالمشيئة المستلزمة لمضمون الجواب لا يمكن أن تكون إلا مشيئة الجواب ولذلك كانت الإرادة مثلها في أطراف حذف مفعولها ذكره الزملكاني والتنوخي في الأقصى القريب قالوا وإذا حذف بعد لو فهو المذكور في جوابها أبدا وأورد في عروس الأفراح (وقالوا لو شاء ربنا لأنزل ملائكة) فان المعنى لو شاء ربنا ارسال الرسل لا نزل ملائكة لأن المعنى معين على ذلك. (فائدة). قال الشيخ عبد القاهر ما من اسم حذف في الحالة التي ينبغي أن يحذف فيها إلا وحذفه أحسن من ذكره وسمى ابن جني الحذف شجاعة العربية لأنه يشجع على الكلام. (قاعدة). في حذف المفعول اختصارا واقتصارا قال ابن هشام جرت عادة النحويين أن يقولوا يحذف المفعول اختصارا واقتصارا ويريدون بالاختصار الحذف لدليل ويريدون بالاقتصار الحذف لغير دليل ويمثلونه بنحو (كلوا واشربوا) أي أوقعوا هذين الفعلين والتحقيق أن يقال يعني كما قال أهل البيان تارة يتعلق الغرض بالاعلام بمجرد وقوع الفعل من غير تعين من أوقعه ومن أوقع عليه فيجاء بمصدره مسندا إلى فعل كون عام فيقال حصل حريق أو نهب وتارة يتعلق بالاعلام بمجرد ايقاع الفعل للفاعل فيقتصر عليهما ولا يذكر المفعول ولا ينوى إذ المنوى كالثابت ولا يسمى محذوفا لأن الفعل ينزل لهذا القصد منزلة ما لا مفعول له ومنه (ربي الذي يحيي ويميت هل يستوي الذين يعلمون والذين لا يعلمون كلوا واشربوا ولا تسرفوا وإذا رأيت ثم) إذ المعنى ربي الذي يفعل الإحياء والإماتة وهل يستوي من يتصف بالعلم ومن ينتفي عنه العلم وأوقعوا الأكل والشرب وذروا الإسراف وإذا حصلت منك رؤية ومنه ولما ورد ماء مدين الآية ألا ترى أنه عليه الصلاة والسلام رحمهما اذ كانتا على صفة الذياد وقومهما على السقي لا لكون مذودهما غنما وسقيهم ابلا وكذلك المقصود من لا نسقي السقي لا المسقي ومن لم يتأمل قدر يسقون ابلهم وتذودان غنمهما ولا نسقي غنما وتارة يقصد اسناد الفعل إلى فاعله وتعليقه بمفعوله فيذكر أن نحو لا تأكلوا الربا ولا تقربوا الزنا وهذ النوع الذي إذا لم يذكر محذوفه قيل محذوف قد يكون في اللفظ ما يستدعيه فيحصل الجزم بوجوب تقديره نحو (أهذا الذي بعث الله رسولا وكلا وعد الله الحسنى) وقد يشتبه الحال في الحذف وعدمه نحو (قل ادعوا الله أو ادعوا الرحمن) قد يتوهم أن معناه نادوا فلا حذف أو سموا فالحذف واقع (ذكر شروطه) هي ثمانية أحدها وجود دليل إما حالي نحو قالوا سلاما أي سلمنا سلاما أو مقالي نحو (وقيل للذين اتقوا ماذا أنزل ربكم قالوا خيرا) أي أنزل خيرا قال سلام قوم منكرون أي سلام عليكم أنتم قوم منكرون ومن الأدلة العقل حيث يستحيل صحة الكلام عقلا إلا بتقدير محذوف ثم تارة يدل على أصل الحذف من غير دلالة على تعيينه بل يستفاد التعيين من دليل آخر نحو حرمت عليكم الميتة فان العقل يدل على أنها ليست المحرمة لأن التحريم لا يضاف إلى الأجرام وإنما هو والحل يضافان إلى الأفعال فعلم بالعقل حذف شيء وأما تعيينه وهو التناول فمستفاد من الشرع وهو قوله صلى الله عليه وسلم إنما حرم أكلها لأن العقل لا يدرك محل الحل ولا الحرمة وأما قول صاحب التلخيص إنه من باب دلالة العقل أيضا فتابع فيه السكاكي من غير تأمل أنه مبني على اصول المعتزلة وتارة يدل العقل أيضا على التعيين نحو (وجاء ربك) أي أمره بمعنى عذابه لأن العقل دل على استحالة مجيء الباري لأنه من سمات الحادث

من علو أمر هذا النداء وعظم شأن هذا الثناء وكيف انتظم مع الكلام الأول وكيف اتصل بتلك المقدمة وكيف وصل بها ما بعدها من الأخبار عن الربوبية وما دل به عليها من قلب العصا حية وجعلها دليلا يدل عليه ومعجزة تهديه اليه وانظر إلى الكلمات المفردة القائمة بأنفسها في الحسن وفيما تتضمنه من المعاني الشريفة ثم ما شفع به هذه الآية وقرن به هذه الدلالة من اليد البيضاء عن نور البرهان من غير سوء ثم انظر في آية آية وكلمة كلمة هل تجدها كما وصفنا من عجيب النظم وبديع الرصف فكل كلمة لو أفردت كانت في الجمال غاية وفي الدلالة آية فكيف إذا قارنتها أخواتها وضامتها ذواتها تجري في الحسن مجراها وتأخذ في معناها ثم من قصة إلى قصة ومن باب إلى باب من غير خلل يقع في نظم الفصل إلى الفصل وحتى يصور لك الفصل

وعلى ان الجائي أمره أوفوا بالعقود وأوفوا بعهد الله أي بمقتضى العقود وبمقتضى عهد الله لان العقد والعهد قولان قد دخلا في الوجود وانقضيا فلا يتصور فيهما وفاء ولا نقض وانما الوفاء والنقض بمقتضاهما وما ترتب عليهما من أحكامهما وتارة تدل على التعيين العادة نحو (فذلكن الذي لمتنني فيه) دل العقل على الحذف لان يوسف لا يصح ظرفا للوم ثم يحتمل أن يقدر لمتنني في حبه لقوله قد شغفها حبا وفي مراودتها لقوله تراود فتاها والعادة دلت على الثاني لان الحب المفرط لا يلام صاحبه عليه عادة لانه ليس اختياريا بخلاف المراودة للقدرة على دفعها وتارة يدل عليه التصريح به في موضع آخر وهو أقواها نحو (هل ينظرون الا أن يأتيهم الله) أي أمره بدليل أو يأتي أمر ربك وجنة عرضها السموات أي كعرض بدليل التصريح به في آية الحديد رسول من الله أي من عند الله بدليل ولما جاءهم رسول من عند الله مصدق لما معهم (ومن الادلة) على أصل الحذف العادة بان يكون العقل غير مانع من اجراء اللفظ على ظاهره ومن غير حذف نحو لو نعلم قتالا لاتبعناكم أي مكان قتال والمراد مكانا صالحا للقتال وانما كان كذلك لانهم كانوا أخبر الناس بالقتال ويتعيرون بأن يتفوهوا بأنهم لا يعرفونه فالعادة تمنع أن يريدوا لو نعلم حقيقة القتال فلذلك قدره مجاهد مكان قتال ويدل عليه انهم أشاروا على النبي ﷺ أن لا يخرج من المدينة ومنها الشروع في الفعل نحو بسم الله فيقدر ما جعلت التسمية مبدأ له فان كانت الشروع في القرآن في القراءة قدرت اقرأ والاكل قدرت آكل وعلى هذا أهل البيان قاطبة خلافا لقول النحاة انه يقدر ابتدأت أو ابتدائي كائن بسم الله ويدل على صحة الاول التصريح به في قوله وقال اركبوا فيها بسم الله مجراها ومرساها وفي حديث باسمك ربي وضعت جنبي ومنها الصناعة النحوية كقولهم في لا أقسم التقدير لانا أقسم لان فعل الحال لا يقسم عليه وفي تالله تفتؤ التقدير لا تفتؤ لانه لو كان الجواب مثبتا دخلت اللام والنون كقوله وتالله لاكيدن وقد توجب الصناعة التقدير وان كان المعنى غير متوقف عليه كقولهم في لا اله الا الله ان الخبر محذوف أي موجود وقد أنكره الامام فخر الدين وقال هذا كلام لا يحتاج الى تقدير وتقدير النحاة فاسد لان نفي الحقيقة مطلقة أعم من نفيها مقيدة فانها اذا انتفت مطلقة كان ذلك دليلا على سلب الماهية مع القيد واذا انتفت مقيدة بقيد مخصوص لم يلزم نفيها مع قيد آخر ورد بان تقديرهم موجود يستلزم نفي كل اله غير الله قطعا فان العدم لا كلام فيه فهو في الحقيقة نفي للحقيقة مطلقة لا مقيدة ثم لا بد من تقدير خبر لاستحالة مبتدأ بلا خبر ظاهر أو مقدر وانما يقدر النحوي ليعطي القواعد حقها وان كان المعنى مفهوما. (تنبيه) * قال ابن هشام انما يشترط الدليل فيما اذا كان المحذوف الجملة بأسرها أو أحد ركنيها أو يفيد معنى فيما هي مبنية عليه تالله تفتؤ أما الفضلة فلا يشترط لحذفها وجدان دليل بل يشترط أن لا يكون في حذفها ضرر معنوي أو صناعي قال ويشترط في الدليل اللفظي أن يكون طبق المحذوف ورد قول الفراء في (أيحسب الانسان أن لن نجمع عظامه بلى قادرين) ان التقدير بلى ليحسبنا قادرين لان الحسبان المذكور بمعنى الظن والمقدر بمعنى العلم لان التردد في الاعادة كفر فلا يكون مأمورا به قال والصواب فيها قول سيبويه ان قادرين حال أي بل نجمعها قادرين اذ فعل الجمع أقرب من فعل الحسبان ولان بلى لايجاب المنفي وهو فيها فعل الجمع (الشرط الثاني) أن لا يكون المحذوف كالجزء ومن ثم لم يحذف الفاعل ولا نائبه ولا اسم كان وأخواتها قال ابن هشام وأما قول ابن عطيه في بئس مثل القوم أن التقدير بئس المثل مثل القوم فان أراد تفسير الاعراب وان الفاعل لفظ المثل محذوفا فمردود وان أراد تفسير المعنى وان في بئس ضمير المثل مستترا فهل (الثالث) أن لا يكون مؤكدا لان الحذف مناف للتأكيد اذ الحذف مبني على الاختصار والتأكيد مبني على الطول ومن ثم رد الفارسي

وصلا ببديع التأليف وبليغ التنزيل وانا أردت أن تتبين ما قلناه فضل تبين وتحقق بما ادعيناه زيادة تحقق بما كنت من أهل الصنعة فاعمد الى قصة من هذه القصص وحديث من هذه الأحاديث فعبر عنه بعبارة من جهتك وأخبر عنه بألفاظ من عندك حتى ترى فيما جئت به النقص الظاهر وتتبين في نظم القرآن الدليل الباهر ولذلك أعاد قصة موسى في سور وعلى طرق شتى وفواصل مختلفة مع اتفاق المعنى فلعلك ترجع الى عقلك وتستر ما عندك ان غلطت في امرك أو ذهبت في مذاهب وهمك أو سلطت على نفسك وجه ظنك متى تهيأ لبليغ ان يتصرف في قدر آية في اشياء مختلفة فيجعلها مؤتلفة من غير أن يبين على كلامه اعياء الخروج والتنقل أو يظهر على خطابه آثار التكلف والتعمل واحسب أنه يسلم من هذا ومحال أن يسلم منه حتى يظفر بمثل

على الزجاج فى قوله فى ان هذان لساحران ان التقدير ان هذان لهما ساحران فقال الحذف والتوكيد باللام متنافيان وأما حذف الشىء لدليل وتوكيده فلا تنافى بينهما لأن المحذوف لدليل كالثابت (الرابع) ان لا يؤدى حذفه إلى اختصار المختصر ومن ثم لا يحذف اسم الفعل لانه اختصار للفعل (الخامس) ان لا يكون عاملا ضعيفا فلا يحذف الجار والناصب للفعل والجازم الا فى مواضع قويت فيها الدلالة وكثر فيها استعمال تلك العوامل (السادس) أن لا يكون المحذوف عوضا عن شىء ومن ثم قال ابن مالك ان حرف النداء ليس عوضا عن أدعو لاجازة العرب حذفه ولذا أيضا لم تحذف التاء من اقامة واستقامة وأما واقام الصلاة فلا يقاس عليه ولا خبر كان لانه عوض أو كالعوض من مصدرها (السابع) أن لا يؤدى حذفه إلى تهيئة العامل القوى ومن ثم لم يقس على قراءة (وكلا وعد الله الحسنى) ﴿ فائدة ﴾ اعتبر الأخفش فى الحذف التدريج حيث أمكن ولهذا قال فى قوله تعالى (واتقوا يوما لا تجزى نفس عن نفس شيئا) ان الاصل لا تجزى فيه فحذف حرف الجر فصار تجزيه ثم حذف الضمير فصار تجزى وهذه ملاطفة فى الصناعة ومذهب سيبويه انهما حذفا معا قال ابن جنى وقول ابن الاخفش أوفق فى النفس وآنس من أن يحذف الحرفان معا فى وقت واحد ﴿ قاعدة ﴾ الاصل أن يقدر الشىء فى مكانه الاصلى لئلا يخالف الاصل من وجهين الحذف ووضع الشىء فى غير محله فيقدر المفسر فى نحو زيدا رأيته مقدما عليه وجوز البيانيون تقديره مؤخرا عنه لافادة الاختصاص كما قاله النحاة اذا منع منه مانع نحو وأما ثمود فهديناهم اذ لا يلى اما فعل (قاعدة) ينبغى تقليل المقدر مهما أمكن لتقل مخالفة الاصل ومن ثم ضعف قول الفارسى فى واللائى لم يحضن ان التقدير فعدتهن ثلاثة أشهر والأولى أن يقدر كذلك قال الشيخ عز الدين ولا يقدر من المحذوفات الا أشدها موافقة للغرض وأفصحها لان العرب لا يقدرون الا ما لو لفظوا به لكان أحسن وأنسب لذلك الكلام كما يفعلون ذلك فى الملفوظ به نحو جعل الله الكعبة البيت الحرام قياما للناس قدر أبو على جعل الله نصب الكعبة وقدر غيره حرمة الكعبة وهو أولى لان تقدير الحرمة فى الهدى والقلائد والشهر الحرام لا شك فى فصاحته وتقدير النصب فيها بعيد من الفصاحة قال ومهما تردد المحذوف بين الحسن والاحسن وجب تقدير الاحسن لأن الله وصف كتابه بأنه أحسن الحديث فليكن محذوفه أحسن المحذوفات كما أن ملفوظه أحسن الملفوظات قال ومتى تردد بين أن يكون مجملا ومبينا فتقدير المبين أحسن ونحو وداود وسليمان اذ يحكمان فى الحرث لك ان تقدر فى أمر الحرث وفى تضمين الحرث وهو أولى لتعينه والامر مجمل لتردده بين أنواع (قاعدة) اذا دار الأمر بين كون المحذوف فعلا والباقى فاعلا وكونه مبتدأ والباقى خبرا فالثانى أولى لأن المبتدأ عين الخبر وحينئذ فالمحذوف عين الثابت فيكون حذفا كلا حذف فأما الفعل فانه غير الفاعل اللهم الا أن يعتضد الاول برواية أخرى فى ذلك الموضع أو بموضع آخر يشبهه فالأول كقراءة يسبح له فيها بفتح الباء (كذلك يوحى اليك والى الذين من قبلك الله) بفتح الحاء فان التقدير يسبحه رجال ويوحيه الله ولا يقدر ان مبتدأ ان يحذف خبرهما لثبوت فاعلية الاسمين فى رواية من بنى الفعل للفاعل والثانى نحو (ولئن سألتهم من خلقهم ليقولن الله) فتقدير خلقهم الله أولى من الله خلقهم لمجىء خلقهن العزيز العليم (قاعدة) إذا دار الأمر بين كون المحذوف أولا أو ثانيا فكونه ثانيا أولى ومن ثم رجح ان المحذوف فى نحو أتحاجونى نون الوقاية لا نون الرفع وفى نارا تلظى التاء الثانية لا تاء المضارعة وفى والله ورسوله أحق أن يرضوه ان المحذوف خبر الثانى لا الأول وفى نحو الحج أشهر ان المحذوف مضاف للثانى أى حج أشهر لا الأول أى أشهر الحج وقد يجب كونه من الأول نحو ان الله وملائكته يصلون على النبى فى قراءة من رفع ملائكته لاختصاص الخبر بالثانى لوروده بصيغة الجمع وقد يجب كونه

من

تلك الكلمات الافراد والألفاظ الاعلام حتى يجمع بينها فيجلو فيها فقرة من كلامه وقطعة من قوله ولو اتفق له فى احرف معدودة وأسطر قليلة فتى يتفق له فى قدر ما نقول انه من القرآن معجز هيهات هيهات ان الصبح يطمس النجوم وان كانت زاهرة والبحر يغمر الانهار وان كانت زاخرة متى تهيأ الآدمى ان يقول فى وصف كتاب سليمان عليه السلام بعد ذكر العنوان والتسمية هذه الكلمة الشريفة العالية (ألا تعلوا على واتونى مسلمين) والخلوص من ذلك الى ما صارت اليه من التدبير واشتغلت به من المشورة ومن تعظيمها أمر المستشار ومن تعظيمهم أمرها وطاعتها بتلك الالفاظ البديعة والكلمات العجيبة البليغة ثم كلامها بعد ذلك لتعلم تمكن قولها (يا أيها الملأ أفتونى فى أمرى ما كنت قاطعة أمرا حتى تشهدون وذكر قولهم (قالوا نحن

من الثاني نحو ان الله برىء من المشركين ورسوله أي برىء أيضا لتقدم الخبر على الثاني

. (فصل). الحذف على أنواع (أحدها) مايسمى بالاقتطاع وهو حذف بعض حروف الكلمة وأنكر ابن الأثير ورود هذا النوع في القرآن ورد بأن بعضهم جعل منه فواتح السور على القول بأن كل حرف منها من اسم من اسمائه كما تقدم وادى بعضهم أن الباء في وامسحوا برءوسكم أول كلمة بعض ثم حذف الباقي ومنه قراءة بعضهم ونادوا يامال بالترخيم ولما سمعها بعض السلف قال ما أغنى أهل النار عن الترخيم وأجاب بعضهم بأنهم لشدة ماهم فيه عجزوا عن اتمام الكلمة ويدخل في هذا النوع حذف همزة أنا في قوله لكنا هو الله ربي الاصل لكن أنا حذفت همزة أنا تخفيفا وادغمت النون في النون ومثله ماقرىء ويمسك السماء أن تقع على الارض بما أنزل اليك فمن تعجل في يومين فلا إثم عليه إنها لإحدى الكبر (النوع الثاني) مايسمى بالاكتفاء وهو أن يقتضي المقام ذكر شيئين فبينهما تلازم وارتباط فيكتفي بأحدهما عن الآخر لنكتة ويختص غالبا بالارتباط العطفي كقوله سرابيل تقيكم الحر أي والبرد وخص الحر بالذكر لان الخطاب للعرب وبلادهم حارة والوقاية عندهم من الحر أهم لانه أشد عندهم من البرد وقيل لان البرد تقدم ذكر الامتنان بوقايته صريحا في قوله (ومن أصوافها وأوبارها وأشعارها وفي قوله وجعل لكم من الجبال اكنانا وفي قوله تعالى والانعام خلقها لكم فيها دفء. ومن أمثلة هذا النوع بيدك الخير أي والشر وانما خص الخير بالذكر لانه مطلوب العباد ومرغوبهم أو لانه أكثر وجودا في العالم أو لان اضافة الشر الى الله تعالى ليس من باب الآداب كما قال صلى الله عليه وسلم والشر ليس اليك ومنها (وله ماسكن في الليل والنهار) أي وماتحرك وخص السكون بالذكر لانه أغلب الحالين على المخلوق من الحيوان والجماد ولان كل متحرك يصير الى السكون (ومنها) والذين يؤمنون بالغيب أي والشهادة لان الايمان بكل منهما واجب وآثر الغيب لانه أمدح ولانه يستلزم الايمان بالشهادة من غير عكس (ومنها) ورب المشارق أي والمغارب (ومنها) هدى للمتقين أي وللكافرين قاله ابن الأنباري ويؤيده قوله هدى للناس (ومنها) ان امرؤ هلك ليس له ولد أي ولا والد بدليل انه أوجب للاخت النصف وانما يكون ذلك مع فقد الاب لانه يسقطها (النوع الثالث) مايسمى بالاحتباك وهو من ألطف الانواع وابدعها وقل من تنبه له أو نبه عليه من أهل فن البلاغة ولم أره الا في شرح بديعية الاعمى لرفيقه الاندلسي وذكره الزركشي في البرهان ولم يسمه هذا الاسم بل سماه الحذف المقابلي وأفرده بالتصنيف من أهل العصر العلامة برهان الدين البقاعي قال الاندلسي في شرح البديعية من أنواع البديع الاحتباك وهو نوع عزيز وهو أن يحذف من الاول ما أثبت نظيره في الثاني ومن الثاني ما أثبت نظيره في الاول كقوله تعالى (ومثل الذين كفروا كمثل الذي ينعق) الآية التقدير ومثل الانبياء والكفار كمثل الذي ينعق والذي ينعق به فحذف من الاول الانبياء لدلالة الذي ينعق عليه ومن الثاني الذي ينعق به لدلالة الذين كفروا عليه وقوله وادخل يدك في جيبك تخرج بيضاء التقدير تدخل غير بيضاء وأخرجها تخرج بيضاء فحذف من الاول تدخل بيضاء ومن الثاني وأخرجها وقال الزركشي هو أن يجتمع في الكلام متقابلان فيحذف من كل واحد منهما مقابله لدلالة الآخر عليه كقوله تعالى (أم يقولون افتراه قل ان افتريته فعلي اجرامي وأنا برىء مما تجرمون) التقدير ان افتريته فعلي اجرامي وأنتم برآء منه وعليكم اجرامكم وأنا برىء مما تجرمون وقوله ويعذب المنافقين ان شاء أو يتوب عليهم التقدير ويعذب المنافقين ان شاء فلا يتوب عليهم أو يتوب عليهم فلا يعذبهم وقوله فلا تقربوهن حتى يطهرن فاذا تطهرن فأتوهن أي حتى يطهرن من الدم ويتطهرن بالماء فاذا طهرن وتطهرن فأتوهن وقوله خلطوا عملا صالحا وآخر سيئا أي

أولو قوة وأولو بأس شديد والامر اليك فانظري ماذا تأمرين) لاتجد في صفتهم أنفسهم أبدع مما وصفهم به وقوله الامر اليك تعلم براعته بنفسه وعجيب معناه وموضع اتفاقه في هذا الكلام وتمكن الفاصلة وملاءمته لما قبله وذلك قوله (فانظري ماذا تأمرين) ثم الى هذا الاختصار والى البيان مع الايجاز في الكلام قد يفسده الاختصار ويعميه التخفيف منه والايجاز وهذا مما يزيد الاختصار بسطا لتمكنه ووقوع موقعه ويتضمن الايجاز منه تصرفا يتجاوز محله وموضعه وكم جئت الى كلام مبسوط يضيق عن الافهام ووقعت على حديث طويل يقصر عما يراد به من التمام ثم لو وقع على الافهام فما يجب فيه من شروط الاحكام أو بمعاني القصد وما تقتضي من الاعظام ثم لو ظفرة بذلك كله رأيته ناقصا في وجه الحكمة أومدخولا في

باب السياسة أو مصفوفا فى طرق السيادة او مشترك العبارات ان كان مستوجد المعنى أو جيد البلاغة مستجلب المعنى أو مستجلب البلاغة جيد المعنى أو مستنكر اللفظ وحشى العبارة أو مستبهم الجانب مستنكر الوضع وانت لاتجد فى جميع ماتلونا عليك الا ماذا سط الفاد وإذا اختصر كل فى بابه وجاد وإذا سرح الحكيم فى جوانبه طرف خاطبه وبعث العليم فى أطرافه عيون مباحثه لم يقع الا على محاسن تتوالى وبدائع تترى ثم فكر بعد ذلك فى آية آية أو كلمة كلمة فى قوله (إن الملوك اذا دخلوا قرية أفسدوها وجعلوا أعزة أهلها أذلة وكذلك يفعلون) هذه الكلمات الثلاث كل واحدة منها كالنجم فى علوه ونوره وكالياقوت يتلألأ بين شذوره ثم تأمل تمكن الفاصلة وهى الكلمة الثالثة وحسن موقعها وعجيب حكمها أو بارع معناها وإن شرحت لك

عملا صالحا بسيء وآخر شيئا بصالح قلت ومن لطيفه قوله فئة تقاتل فى سبيل الله وأخرى كافرة أى فئة مؤمنة تقاتل فى سبيل الله وأخرى كافرة تقاتل فى سبيل الطاغوت وفى الغرائب للكرمانى فى الآية الاولى التقدير مثل الذين كفروا معك يامحمد كمثل الناعق مع الغنم فحذف من كل طرف مايدل عليه الطرف الآخر وله فى القرآن نظائر وهو أبلغ مايكون من الكلام انتهى ومأخذ هذه التسمية من الحبك الذى معناه الشد والاحكام وتحسين أثر الصنعة فى الثوب فحبك الثوب سد مابين خيوطه من الفرج وشده واحكامه بحيث يمنع عنه الخلل مع الحسن والرونق وبيان أخذه ومنه أن مواضع الحرف من الكلام شبهت بالفرج بين الخيوط فلما أدركها الناقد البصير بصوغه الماهر فى نظمه وحركه فوضع المحذوف مواضعه كان حائكا مانعا من خلل يطرقه فسد بتقديره مايحصل به الخلل معه ماأكسبه من الحسن والرونق (النوع الرابع) مايسمى بالاختزال وهو مما ليس واحدا مما سبق وهو اقسام لان المحذوف أما كلمة إسم أو فعل أو حرف أو أكثر امثلة حذف الاسم حذف المضاف هو كثير فى القرآن جدا حتى ابن جنى فى القرآن منه زهاء ألف موضع وقد سردها الشيخ عز الدين فى كتابه المجاز على ترتيب السور والآيات ومنه الحج أشهر أى حج أشهر أو أشهر الحج ولكن البر من آمن أى ذا البر أو بر من حرمت عليكم أمهاتكم أى نكاح أمهاتكم لاذ قناك ضعف الحياة وضعف الممات أى ضعف عذاب وفى الرقاب أى وفى تحرير الرقاب حذف المضاف اليه يكثر فى ياء المتكلم نحو رب أغفر لى وفى الغايات نحو (لله الامر من قبل ومن بعد) أى من قبل الغلب ومن بعده فى كل وأى وبعض وجاء فى غيرهن كقراءة فلا خوف عليهم بضم بلا تنوين أى فلا خوف شىء عليهم حذف المبتدأ يكثر فى جواب الاستفهام نحو وما أدراك ماهية نار أى هى نار وبعد فاء الجواب نحو من عمل صالحا فلنفسه أى فعمله لنفسه ومن أساء فعليها أى فاساءته عليها وبعد القول نحو وقالوا أساطير الاولين قالوا أضغاث احلام وبعد ماالخبر صفة له فى المعنى نحو التائبون العابدون ونحو صم بكم عمى ووقع فى غير ذلك نحو لايغرنك تقلب الذين كفروا فى البلاد متاع قليل لم يلبثوا الا ساعة من نهار بلاغ أى هذا سورة أنزلناها أى هذه ووجب فى النعت المقطوع الرفع حذف الخبر أكلها دائم وظلها أى دائم ويحتمل الامرين فصبر جميل أى اجمل أو فأمرى صبر فتحرير رقبة أى عليه أو فالواجب حذف الموصوف وعندهم قاصرات الطرف أى حور قاصرات أن أعمل سابغات أى دروعا سابغات أيها المؤمنون أى القوم المؤمنون حذف الصفة يأخذ كل سفينة أى صالحة بدليل أنه قرىء كذلك وأن تعيبها لايخرجها عن كونها سفينة الآن جئت بالحق أى الواضح والا لكفروا بمفهوم ذلك فلا نقيم لهم يوم القيامة وزنا أى نافعا حذف المعطوف عليه أن أضرب بعصاك البحر فانفلق أى فضرب فانفلق وحيث دخلت واو العطف على لام التعليل ففى تخريجه وجهان أحدهما أن يكون تعليلا معلله محذوف كقوله وليبلى المؤمنين منه بلاء حسنا فالمعنى والاحسان الى المؤمنين فعل ذلك والثانى أنه معطوف على علة أخرى مضمرة لتظهر صحة العطف أى فعل ذلك ليذيق الكافرين بأسه وليبلى حذف المعطوف مع العاطف لايستوى منكم من أنفق من قبل الفتح وقاتل أى ومن أنفق بعده بيدك الخير أى والشر حذف المبدل منه خرج عليه ولا تقولوا لما تصف ألسنتكم الكذب أى لما تصفه والكذب بدل من الهاء من حذف الفاعل لايجوز الا فى فاعل المصدر نحو لايسأم الانسان من دعاء الخير أى دعائه الخير وجوزه الكسائى مطلقا الدليل وخرج عليه اذا بلغت التراقى أى الروح حتى توارت بالحجاب أى الشمس وحذف المفعول تقدم أنه كثير فى مفعول المشيئة والارادة ويرد فى غيرهما نحو ان الذين اتخذوا العجل أى الها كلا سوف تعلمون أى عاقبة أمركم حذف الحال يكثر اذا كان قولا نحو والملائكة يدخلون عليهم من كل باب سلام أى قائلين

حذف



حذف المنادى ألا يا اسجدوا أى ياهؤلاء ياليت أى ياقوم حذف العائد يقع فى أربعة أبواب الصلة
نحو أهذا الذى بعث الله رسولا أى بعثه والصفة نحو واتقوا يوما لاتجزى نفس عن نفس أى فيه والخبر
نحو وكلا وعد الله الحسنى أى وعده والحال حذف مخصوص نعم انا وجدناه صابرا نعم العبد أى أيوب
فقدرنا فنعم القادرون أى نحن ولنعم دار المتقين أى الجنة حذف الموصول آمنا بالذى أنزل الينا وأنزل
إليكم أى والذى أنزل اليكم لان الذى أنزل الينا ليس هو الذى أنزل إلى من قبلنا ولهذا أعيدت مافى قوله
قولوا آمنا بالله وما أنزل إلينا وما أنزل إلى ابراهيم أمثلة حذف الفعل يطرد إذا كان مفسرا نحو (وان أحد
من المشركين استجارك إذا السماء انشقت قل لو أنتم تملكون) ويكثر فى جواب الاستفهام نحو
(وإذا قيل لهم ماذا أنزل ربك قالوا الخيرا) أى أنزل وأكثر منه حذف القول نحو (وإذ يرفع إبراهيم القواعد
من البيت وإسماعيل ربنا) أى يقولون ربنا قال أبو على حذف القول من حديث البحر قل ولا حرج
ويأتى فى غير ذلك نحو انتهوا خيرا لكم أى وأتوا والذين تبوؤا الدار والايمان أى والفوا الايمان أو
اعتقدوا أسكن أنت وزوجك الجنة أى وليسكن زوجك وامرأته حمالة الحطب أى أذم والمقيمين
الصلاة أى أمدح ولكن رسول الله أى كان وان كلا لما أى يوفوا أعمالهم أمثلة حذف الحرف قال
ابن جنى فى المحتسب أخبرنا أبو على قال قال أبو بكر حذف الحرف ليس بقياس لان الحروف انما دخلت
الكلام لضرب من الاختصار فلو ذهبت تحذفها لكنت مختصرا لها هى أيضا واختصار المختصر إجحاف
به حذف همزة الاستفهام قرأ ابن محيصن سواء عليهم أنذرتهم وخرج عليه هذا ربى فى المواضع الثلاثة
وتلك نعمة تمنها أى أو تلك حذف الموصول الحرفى قال ابن مالك لايجوز إلا فى نحو ومن آياته
يريكم البرق حذف الجار يطرد مع ان وإن نحو (يمنون عليك أن أسلموا بل الله يمن عليكم أن هداكم
اطمع أن يغفر لى أيعدكم انكم) أى بانكم وجاء مع غيرهما نحو قدرناه منازل أى قدرنا له ويبغونها عوجا
أى لها يخوف أولياءه أى يخوفكم بأوليائه واختار موسى قومه أى من قومه ولا تعزموا عقدة النكاح
أى على عقدة النكاح حذف العاطف خرج عليه الفارسى ولا على الذين إذا ما أتوك لتحملهم قلت
لاأجد ما أحملكم عليه تولوا أى وقلت وجوه يومئذ ناعمة أى ووجوه عطفا على وجوه يومئذ خاشعة
حذف فاء الجواب خرج عليه الاخفش ان ترك خيرا الوصية للوالدين حذف حرف النداء كثير
ها أنتم أولياء يوسف أعرض قال ربى انى وهن العظم منى فاطر السموات والارض وفى العجائب للكرمانى
كثر حذف يا فى القرآن من الرب تنزيها وتعظيما لان فى النداء طرفا من الامر حذف قد فى الماضى
إذا وقع حالا نحو أو جاءوكم حصرت صدورهم أنؤمن لك واتبعك الارذلون حذف لا النافية يطرد
فى جواب القسم إذا كان المنفى مضارعا نحو تالله تفتؤ وورد فى غيره نحو وعلى الذين يطيقونه فدية
أى لايطيقونه وألقى فى الارض رواسى ان تميد بكم أى انلا تميد حذف لام التوطئة وان لم ينتهوا عما
يقولون ليمسن وان أطعتموهم انكم لمشركون حذف لام الأمر خرج عليه قل لعبادى الذين آمنوا
يقيموا أى ليقيموا حذف لام لقد يحسن مع طول الكلام نحو قد أفلح من زكاها حذف نون التوكيد
خرج عليه قراءة ألم نشرح بالنصب حذف نون الجمع خرج عليه قراءة وماهم بضارى به من أحد
حذف التنوين خرج عليه قراءة قل هو الله احد الله الصمد ولا الليل سابق النهار بالنصب حذف
حركة الاعراب والبناء خرج عليه قراءة فتوبوا إلى بارئكم ويأمركم وبعولتهن أحق بسكون الثلاثة
وكذا أو يعفو الذى بيده عقدة النكاح فأوارى سوءة أخى ما بقى من الربا أمثلة حذف أكثر من كلمة
حذف مضافين فانها من تقوى القلوب أى فان تعظيمها من افعال ذوى تقوى القلوب فقبضت قبضة
من أثر الرسول أى من أثر حافر فرس الرسول تدور أعينهم كالذى يغشى عليه من الموت أى كدوران

مـا فى كل آية طال عليك
الأمر ولكنى قد بينت
بما فسرت وقررت بما
فصلت الوجه الذى سلكت
والنحو الذى قصدت
والغرض الذى اليه
رميت والسمت الذى
اليه دعوت ثم فكر بعد
ذلك فى شىء أدلك عليه
وهو تعادل هذا النظم
فى الاعجاز فى مواقع
الآيات القصيرة والطويلة
والمتوسطة فأجل الرأى
فى سورة سورة وآية آية
وفاصلة فاصلة وتدبر
الخواتم والفواتح
البوادىء والمقاطع
ومواضع الفصل والوصل
مواضع التنقل
والتحول ثم اقض ما أنت
قاض وان طال عليك
تأمل الجميع فاقتصر
على سورة واحدة او على
بعض سور مارأيك فى
قوله (ان فرعون علا فى
الأرض وجعل أهلها
شيعا يستضعف طائفة
منهم يذبح أبناءهم
ويستحي نساءهم انه كان
من المفسدين هذه تشتمل
على ست كلمات سناؤها
وضياؤها على ما ترى
وسلاستها وماؤها على

عين الذي وتجعلون رزقكم أي بدل رزقكم حذف ثلاثة متضايفات فكان قاب قوسين أي فكان مقدار مسافة قربه مثل قاب حذف ثلاثة من اسم كان وواحد من خبرها حذف مفعولي باب ظن أين شركائي الذين كنتم تزعمون أي تزعمونهم شركائي حذف الجار مع المجرور وخلطوا عملا صالحا أي بسيء وآخر سيئا أي بصالح حذف العاطف مع المعطوف تقدم حذف حرف الشرط وفعله يطرد بعد الطلب نحو فاتبعوني يحببكم الله أي ان اتبعتموني قل لعبادي الذين آمنوا يقيموا الصلاة أي ان قلت لهم يقيموا وجعل منه الزمخشري فلن يخلف الله عهده أي ان اتخذتم عند الله عهدا فلن يخلف الله وجعل منه أبو حيان فلم تقتلون أنبياء الله من قبل أي ان كنتم آمنتم بما أنزل الله اليكم فلم تقتلون حذف جواب الشرط فان استطعت ان تبتغي نفقا في الأرض أو سلما في السماء أي فافعل وإذا قيل لهم اتقوا ما بين أيديكم وما خلفكم لعلكم ترحمون أي أعرضوا بدليل ما بعده أئن ذكرتم أي تطيرتم ولو جئنا بمثله مددا أي لنفد ولو ترى إذ المجرمون ناكسوا رءوسهم أي لرأيت أمرا فظيعا ولولا فضل الله عليكم ورحمته وان الله رءوف رحيم أي لعذبكم لولا أن ربطنا على قلبها أي لابدت به ولولا رجال مؤمنون ونساء مؤمنات لم تعلموهم أن تطئوهم أي لسلطكم على أهل مكة حذف جملة القسم لأعذبنه عذابا شديدا أي والله حذف جوابه والنازعات غرقا الآيات أي لتبعثن (ص) والقرآن ذي الذكر أي انه لمعجز (ق) والقرآن المجيد أي ما الأمر كما زعموا حذف جملة مسببة عن المذكور نحو ليحق الحق ويبطل الباطل أي فعل ما فعل حذف جمل كبيرة نحو فارسلون يوسف أيها الصديق أي فارسلون إلى يوسف لاستعبره الرؤيا ففعلوا فأتاه فقال له يا يوسف (خاتمة) تارة لا يقام شيء مقام المحذوف كما تقدم وتارة يقام ما يدل عليه نحو فان تولوا فقد أبلغتكم ما أرسلت به اليكم فليس الابلاغ هو الجواب لتقدمه على توليهم وإنما التقدير فان تولوا فلا لوم علي أو فلا عذر لكم لأني أبلغتكم (وأن يكذبوك فقد كذبت رسل من قبلك أي فلا تحزن واصبر وان يعودوا فقد مضت سنة الأولين يصيبهم مثل ما أصابهم

(فصل) كما انقسم الايجاز إلى ايجاز قصر وايجاز حذف كذلك انقسم الاطناب إلى بسط وزيادة فالأول الاطناب بتكثير الجمل كقوله تعالى في خلق السموات والأرض الآية في سورة البقرة اطنب فيها ابلغ اطناب لكون الخطاب مع الثقلين وفي كل عصر وحين للعالم منهم والجاهل والموافق منهم والمنافق وقوله الذين يحملون العرش ومن حوله يسبحون بحمد ربهم ويؤمنون به فقوله ويؤمنون به اطناب لأن إيمان حملة العرش معلوم وحسنة اظهار شرف الايمان ترغيبا فيه وويل للمشركين الذين لا يؤتون الزكاة ليس من المشركين مزك والنكتة الحث للمؤمنين على أدائها والتحذير من المنع حيث جعل من أوصاف المشركين والثاني يكون بأنواع (أحدها) دخول حرف فأكثر من حروف التأكيد السابقة في نوع الأدوات وهي ان وأن ولام الابتداء والقسم وألا الاستفتاحية وأما وهاء التنبيه وان وكأن في تأكيد التشبيه ولكن في تأكيد الاستدراك وليت في تأكيد التمني ولعل في تأكيد الترجي وضمير الشأن وضمير الفصل وأما في تأكيد الشرط وقد والسين وسوف والنونان في تأكيد الفعلية ولا التبرئة ولن ولما في تأكيد النفي وإنما يحسن تأكيد الكلام إذا كان المخاطب به منكرا أو مترددا ويتفاوت التأكيد بحسب قوة الانكار وضعفه كقوله تعالى حكاية عن رسل عيسى إذ كذبوا في المرة الأولى انا اليكم مرسلون فأكد بان واسمية الجملة وفي المرة الثانية ربنا يعلم انا اليكم لمرسلون فأكد بالقسم وان واللام واسمية الجملة لمبالغة المخاطبين في الانكار حيث قالوا (ما أنتم إلا بشر مثلنا وما أنزل الرحمن من شيء ان أنتم الا تكذبون) وقد يؤكد بها والمخاطب به غير منكر لعدم جريه على مقتضى اقراره فينزل منزلة المنكر وقد يترك التأكيد وهو معه منكر لأن معه أدلة

ما تشاهد ورونقها على ما تعاين وفصاحتها على ما تعرف وهي تشتمل على جملة وتفصيل وتفسير ذكر العلو في الأرض باستضعاف الخلق بذبح الولدان وسبي النساء وإذا تحكم في هذين الامرين فما ظنك بما دونهما لان النفوس لا تطمئن على هذا الظلم والقلوب لا تقر على هذا الجور ثم ذكر الفاصلة التي أوغلت في التأكيد وكفت في التنظيم ورددت آخر الكلام على أوله وعطفت عجزه على صدره ثم ذكر وعده تخليصهم بقوله (ونريد أن نمن على الذين استضعفوا في الأرض ونجعلهم أئمة ونجعلهم الوارثين وهذا من التأليف بين المؤتلف والجمع بين المستأنس كما ان قوله (وابتغ فيما آتاك الله الدار الآخرة ولا تنس نصيبك من الدنيا وأحسن كما أحسن الله اليك ولا تبغ الفساد في الأرض ان الله لا يحب المفسدين) وهي خمس كلمات متباعدة في المواقع نائية المطارح قد

ظاهر. لو تأملها الرجع عن انكاره ولذلك يخرج قوله (ثم انكم بعد ذلك لميتون ثم انكم يوم القيامة تبعثون) أكد الموت تأكيدين وان لم ينكر لتنزيل المخاطبين لتماديهم فى الغفلة تنزيل من ينكر الموت وأكد اثبات البعث تأكيدا واحدا وان كان أشد نكيرا لانه لما كانت ادلته ظاهرة كان جديرا بأن لا ينكر فنزل المخاطبون منزلة غير المنكر حثا لهم على النظر فى ادلته الواضحة ونظيره قوله تعالى (لاريب فيه) نفى عنه الريبة بلا على سبيل الاستغراق مع أنه ارتاب فيه المرتابون لكن نزل منزلة العدم تعويلا على ما يزيله من الأدلة الباهرة كما نزل الانكار منزلة عدمه لذلك وقال الزمخشرى بولغ فى تأكيد الموت تنبيها للانسان على ان يكون الموت نصب عينيه ولا يغفل عن ترقبه فان مآله اليه فكأنه اكدت جملته ثلاث مرات لهذا المعنى لان الانسان فى الدنيا يسعى فيها غاية السعى حتى كأنه مخلد ولم يؤكد جملة البعث الا بان لانه ابرز فى صورة المقطوع به الذى لا يمكن فيه نزاع ولا يقبل انكارا وقال التاج ابن الفركاح أكد الموت ردا على الدهرية القائلين ببقاء النوع الانسانى خلفا عن سلف واستغنى عن تأكيد البعث هنا لتأكيده والرد على منكره فى مواضع كقوله قل بلى وربى لتبعثن وقال غيره لما كان العطف يقتضى الاشتراك استغنى عن إعادة اللام لذكرها فى الأول وقد يؤكد بها أى باللام للمستشرف الطالب الذى قدم له ما يلوح بالخبر فاستشرفت نفسه اليه نحو (ولا تخاطبنى فى الذين ظلموا) أى لا تدعنى يا نوح فى شأن قومك فهذا الكلام يلوح بالخبر تلويحا ويشعر بأنه قد حق عليهم العذاب فصار المقام مقام ان يتردد المخاطب فى انهم هل صاروا محكوما عليهم بذلك أولا فقيل انهم مغرقون بالتأكيد وكذا قوله يا أيها الناس اتقوا ربكم لما أمرهم بالتقوى وظهور ثمرتها والعقاب على تركها محله الآخرة تشوقت نفوسهم الى وصف حال الساعة فقال ان زلزلة الساعة شىء عظيم بالتأكيد ليتقرر عليه الوجوب وكذا قوله وما أبرىء نفسى فيه تحيير للمخاطب وتردد فى أنه كيف لا يبرىء نفسه وهى بريئة زكية ثبتت عصمتها وعدم مواقعتها السوء فأكد بقوله ان النفس لامارة بالسوء وقد يؤكد لقصد الترغيب نحو فتاب عليه إنه هو التواب الرحيم أكد باربع تأكيدات ترغيبا للعباد فى التوبة وقد سبق الكلام على أدوات التأكيد المذكورة ومعانيها وموقعها فى النوع الاربعين . (فائدة) . إذا اجتمعت ان واللام كان بمنزلة تكرير الجملة ثلاث مرات لان ان افادت التكرير مرتين فاذا ادخلت اللام صارت ثلاثا وعن الكسائى ان اللام لتوكيد الخبر وان لتوكيد الاسم وفيه تجوز لان التوكيد للنسبة لا للاسم ولا للخبر وكذلك نون التوكيد الشديدة بمنزلة تكرير الفعل ثلاثا والخفيفة بمنزلة تكريره مرتين وقال سيبويه فى نحو يا أيها الألف والهاء لحقتا يا توكيدا فكانك كررت يا مرتين وصار الاسم تنبيها هذا كلامه وتابعه الزمخشرى (فائدة) قوله تعالى (ويقول الانسان أئذا مامت لسوف أخرج حيا) قال الجرجانى فى نظم القرآن ليست اللام فيه للتأكيد فانه منكر فكيف يحقق ما ينكر وإنما قاله حكاية لكلام النبى صلى الله عليه وسلم الصادر منه بأداة التأكيد فحكاه فنزلت الآية على ذلك (النوع الثانى) دخول الأحرف الزائدة قال ابن جنى كل حرف زيد فى كلام العرب فهو قائم مقام اعادة الجملة مرة أخرى وقال الزمخشرى فى كشافه القديم الباء فى خبر ما وليس لتأكيد النفى كما أن اللام لتأكيد الايجاب وسئل بعضهم عن التأكيد بالحرف وما معناه إذ اسقاطه لا يخل بالمعنى فقال هذا يعرفه أهل الطباع يجدون من زيادة الحرف معنى لا يجدونه باسقاطه قال ونظيره العارف بوزن الشعر طبعا إذا تغير عليه البيت ينقص انكره وقال اجد نفسى على خلاف ما أجدها باقامة الوزن فكذلك هذه الحروف تغير نفس المطبوع بنقصانها ويجد نفسه بزيادتها على معنى بخلاف ما يجدها بنقصانه ثم باب الزيادة فى الحروف وزيادة الافعال قليل والأسماء أقل أما الحروف فيزاد منها ان وان وإذ وإذا وإلى

جعلها النظم البديع اشد تألفا من الشىء المؤتلف فى الأصل وأحسن توافقا من المنطاق فى أول الوضع ومثل هذه الآية قوله (وربك يخلق مايشاء ويختار ما كان لهم الخيرة سبحان الله وتعالى عما يشركون) ومثلها (وكم اهلكنا من قرية بطرت معيشتها فتلك مساكنهم لم تسكن من بعدهم إلا قليلا وكنا نحن الوارثين) ومن المؤتلف قوله (فخسفنا به وبداره الأرض فما كان له من فئة ينصرونه من دون الله وما كان من المنتصرين) وهذه ثلاث كلمات كل كلمة منها اعز من الكبريت الاحمر ومن الباب الآخر قوله تعالى (ولا تدع مع الله الها آخر لا إله إلا هو كل شىء هالك إلا وجهه له الحكم واليه ترجعون) كل سورة من هذه السور تتضمن من القصص ما لو تكلفت العبارة عنها باضعاف كلماتها لم تستوف ما استوفته ثم تجد فيما تنظم ثقل

وأم والباء والفاء وفى الكاف واللام ولا وما ومن والواو وتقدمت فى نوع الأدوات مشروحة وأما الأفعال فزيد منها كان وخرج عليه (كيف نكلم من كان فى المهد صبيا وأصبح وخرج عليه فأصبحوا خاسرين) وقال الرمانى العادة ان من به علة تزاد بالليل ان يرجو الفرج عند الصباح فاستعمل أصبح لان الخسران حصل لهم فى الوقت الذى يرجون فيه الفرج فليست زائدة وأما الأسماء فنص أكثر النحويين على انها لا تزاد ووقع فى كلام المفسرين الحكم عليها بالزيادة فى مواضع كلفظ مثل فى قوله فان آمنوا بمثل ما آمنتم به أى بما (النوع الثالث) التأكيد الصناعى وهو اربعة أقسام أحدها التوكيد المعنوى بكل واجمع وكلا وكلتا نحو فسجد الملائكة كلهم أجمعون وفائدته رفع توهم المجاز وعدم الشمول وادعى الفراء ان كلهم افادت ذلك وأجمعون افادت اجتماعهم على السجود وانهم لم يسجدوا متفرقين ثانيها التأكيد اللفظى وهو تكرار اللفظ الأول اما بمرادفه نحو ضيقا حرجا بكسر الراء غرابيب سود وجعل منه الصفار فى ما إن مكناهم فيه على القول بان كليهما للنفى وجعل منه غيره قيل ارجعوا وراءكم فالتمسوا نورا ليس وراء هنا ظرفا لأن لفظ ارجعوا ينبىء عنه بل هو اسم فعل بمعنى ارجعوا فكأنه قال ارجعوا ارجعوا واما بلفظه ويكون فى الاسم والفعل والحرف والجملة فالاسم نحو قوارير دكا دكا والفعل فمهل الكافرين أمهلهم واسم الفعل نحو هيهات هيهات لما توعدون والحرف نحو فى الجنة خالدين فيها أيعدكم أنكم اذا متم وكنتم ترابا وعظاما انكم والجملة نحو ان مع يسرا ان العسر يسرا والاحسن اقتران الثانية بثم نحو وما أدراك ما يوم الدين ثم ما أدراك ما يوم الدين كلا سوف تعلمون ثم كلا سوف تعلمون ومن هذا النوع تأكيد الضمير المتصل بالمنفصل نحو (اسكن انت وزوجك الجنة اذهب انت وربك وإما ان نكون نحن الملقين) ومنه تأكيد المنفصل بمثله وهم بالآخرة هم كافرون ثالثها تأكيد الفعل بمصدره وهو عوض من تكرار الفعل مرتين وفائدته رفع توهم المجاز فى الفعل بخلاف التوكيد السابق فانه لرفع توهم المجاز فى المسند اليه كذا فرق به ابن عصفور وغيره ومن ثم رد بعض أهل السنة على بعض المعتزلة فى دعواه نفى التكليم حقيقة بقوله وكلم الله موسى تكليما لان التوكيد رفع المجاز فى الفعل ومن أمثلته (ويسلموا تسليما تمور السماء مورا وتسير الجبال سيرا جزاؤكم جزاء موفورا) وليس منه وتظنون بالله الظنونا بل هو جمع ظن لاختلاف أنواعه وأما الا ان يشاء ربى شيئا فيحتمل ان يكون منه لو ان يكون الشىء بمعنى الأمر والشأن والأصل فى هذا النوع أن ينعت بالوصف المراد نحو اذكروا الله ذكرا كثيرا وسرحوهن سراحا جميلا وقد يضاف وصفه اليه نحو اتقوا الله حق تقاته وقد يؤكد بمصدر فعل آخر أو اسم عين نيابة عن المصدر نحو وتبتل اليه تبتيلا والمصدر تبتلا والتبتيل مصدر بتل أنبتكم من الأرض نباتا أى انباتا اذ النبات اسم عين رابعها الحال المؤكدة نحو (يوم أبعث حيا ولا تعثوا فى الأرض مفسدين وأرسلناك للناس رسولا ثم توليتم الا قليلا منكم وانتم معرضون وأزلفت الجنة للمتقين غير بعيد) وليس منه ولى مدبرا لان التولية قد لا تكون ادبارا بدليل قوله فول وجهك شطر المسجد الحرام ولا فتبسم ضاحكا لان التبسم قد لا يكون ضحكا ولا وهو الحق مصدقا لاختلاف المعنيين اذ كونه حقا فى نفسه غير كونه مصدقا لما قبله (النوع الرابع) التكرير وهو أبلغ من التأكيد وهو من محاسن الفصاحة خلافا لبعض من غلط وله فوائد منها التقرير وقد قيل الكلام اذا تكرر تقرر وقد نبه تعالى على السبب الذى لأجله كرر الأقاصيص والانذار فى القرآن بقوله وصرفنا فيه من الوعيد لعلهم يتقون أو يحدث لهم ذكرا ومنها التأكيد ومنها زيادة التنبيه على ما ينفى التهمة ليكمل تلقى الكلام بالقبول ومنه (وقال الذى آمن ياقوم اتبعون أهدكم سبيل الرشاد ياقوم انما هذه الحياة الدنيا متاع)

النظم ونفور الطبع وشراء الكلام وتهافت القول وتمنع جانبه وقصورك فى الايضاح عن واجبه ثم لا تقدر على أن تنتقل من قصة إلى قصة وفصل إلى فصل حتى تتبين عليك مواضع الوصل ويستصعب عليك أماكن الفصل ثم لا يمكنك أن تصل بالقصص مواعظ زاجرة وأمثالا سائرة وحكما جليلة وأدلة على التوحيد بينة وكلمات فى التنزيه والتحميد شريفة وان أردت أن تتحقق ما وصفت لك فتأمل شعر من شئت من الشعراء المفلقين هل تجد كلامه فى المديح والغزل والفخر والهجو يجرى مجرى كلامه فى ذكر القصص انك لتراه اذ جاء الى وصف واقعة أو نقل خبر عامى الكلام سوقى الخطاب مسترسلا فى أمره متساهلا فى كلامه عادلا عن المألوف من طبعه وناكبا عن المعهود من سجيته فان اتفق له فى قصة كلام

فانه كرر فيه النداء لذلك ومنها إذا طال الكلام وخشى تناسى الأول أعيد ثانيا تطرية له وتجديدا لعهده ومنه (ثم إن ربك للذين عملوا السوء بجهالة ثم تابوا من بعد ذلك وأصلحوا إن ربك من بعدها ثم إن ربك للذين هاجروا من بعد ما فتنوا ثم جاهدوا وصبروا إن ربك من بعدها ولما جاءهم كتاب من عند الله) إلى قوله (فلما جاءهم ما عرفوا كفروا به لا تحسبن الذين يفرحون بما أتوا ويحبون أن يحمدوا بما لم يفعلوا فلا تحسبنهم بمفازة من العذاب انى رأيت أحد عشر كوكبا والشمس والقمر رأيتهم ومنها التعظيم والتهويل نحو الحاقة ما الحاقة القارعة ما القارعة وأصحاب اليمين ما أصحاب اليمين فان قلت هذا النوع أحد أقسام النوع الذى قبله فان منها التأكيد بتكرار اللفظ فلا يحسن عده نوعا مستقلا قلت هو يجامعه ويفارقه ويزيد عليه وينقص عنه فصار أصلا برأسه فانه قد يكون التأكيد تكرارا كما قدم فى أمثلته وقد لا يكون تكرارا كما تقدم أيضا وقد يكون التكرير غير تأكيد صناعة وإن كان مفيدا للتأكيد معنى ومنه ما وقع فيه الفصل بين المكررين فان التأكيد لا يفصل بينه وبين مؤكده نحو (اتقوا الله ولتنظر نفس ما قدمت لغد واتقوا الله إن الله اصطفاك وطهرك واصطفاك على نساء العالمين) فان هذه الآيات من باب التكرير لا التأكيد اللفظى الصناعى ومنه الآيات المتقدمة فى التكرير للطول ومنه ما كان لتعدد المتعلق بأن يكون المكرر ثانيا متعلقا بغير ما تعلق به الأول وهذا القسم يسمى بالترديد كقوله (الله نور السموات والأرض مثل نوره كمشكاة فيها مصباح المصباح فى زجاجة الزجاجة كأنها كوكب درى) وقع فيها الترديد أربع مرات وجعل منه قوله فبأى آلاء ربكما تكذبان فانها وإن تكررت نيفا وثلاثين مرة فكل واحدة تتعلق بما قبلها ولذلك زادت على ثلاثين ولو كان الجميع عائدا إلى شىء واحد لما زاد على ثلاثة لأن التأكيد لا يزيد عليها قاله ابن عبد السلام وغيره وإن كان بعضها ليس بنعمة فذكر النقمة للتحذير نعمة (وقد سئل) أى نعمة فى قوله كل من عليها فان (فأجيب) بأجوبة أحسنها النقل من دار الهموم إلى دار السرور وإراحة المؤمن والبار من الفاجر وكذا قوله ويل يومئذ للمكذبين فى سورة المرسلات لأنه تعالى ذكر قصصا مختلفة وأتبع كل قصة بهذا القول فكأنه قال عقب كل قصة ويل يومئذ للمكذبين بهذه القصة وكذا قوله فى سورة الشعراء (إن فى ذلك لآية وما كان أكثرهم مؤمنين وإن ربك لهو العزيز الرحيم) كررت ثمانى مرات كل مرة عقب كل قصة فالإشارة فى كل واحدة بذلك إلى قصة النبى المذكور قبلها وما اشتملت عليه من الآيات والعبر وقوله وما كان أكثرهم مؤمنين إلى قومه خاصة ولما كان مفهومه أن الأقل من قومه آمنوا أتى بوصفى العزيز الرحيم للإشارة إلى أن العزة على من لم يؤمن منهم والرحمة لمن آمن وكذا قوله فى سورة القمر ولقد يسرنا القرآن للذكر فهل من مدكر وقال الزمخشرى كرر ليجددوا عند سماع كل نبأ منها اتعاظا وتنبيها وأن كلا من تلك الأنباء يستحق لاعتبار يختص به وأن يتنبهوا كى لا يغلبهم السرور والغفلة قال فى عروس الأفراح فإن قلت إذا كان المراد بكل ما قبله فليس ذلك باطناب بل هى ألفاظ كل أريد به غير ما أريد بالآخر قلت إذا قلنا العبرة بعموم اللفظ فكل واحد أريد به ما أريد بالآخر ولكن كرر ليكون نصا فيما يليه وظاهرا فى غيره فان قلت يلزم التأكيد قلت والأمر كذلك ولا يرد عليه أن التأكيد لا يزاد به عن ثلاثة لأن ذلك فى التأكيد الذى هو تابع أما ذكر الشىء فى مقامات متعددة أكثر من ثلاثة فلا يمتنع اه ويقرب من ذلك ما ذكره ابن جرير فى قوله تعالى (ولله ما فى السموات وما فى الأرض ولقد وصينا الذين إلى قوله وكان الله غنيا حميدا ولله ما فى السموات وما فى الأرض وكفى بالله وكيلا) قال فان قيل ما وجه تكرار قوله ولله ما فى السموات وما فى الأرض فى آيتين احداهما فى إثر الأخرى قلنا لاختلاف معنى الخبرين عما فى السموات والأرض وذلك لأن الخبر عنه

جيد كان قدر ثلاثين أو ثلاثة وكان ما زاد عليها حشوا وما يجوزها لغوا ولا أقول إنها تخرج من عادته عفوا لأنه يقصر عن العفو ويقف دون العرف ويتعرض للركاكة فان لم تقنع بما قلت لك من الابيات فتأمل غير ذلك من السور هل تجد الجميع على ما وصفت لك لو لم تكن إلى سورة واحدة اكتفت فى الإعجاز فكيف بالقرآن العظيم ولو لم يكن إلا حديث من سورة لكفى وأقنع وشفى ولو عرفت قدر قصة موسى وحدها من سورة الشعراء لما طلبت بينة سواها بل قصة من قصصه وهى قوله (وأوحينا إلى موسى أن أسر بعبادى إنكم متبعون إلى قوله فأخرجناهم من جنات وعيون وكنوز ومقام كريم كذلك وأورثناها بنى إسرائيل فأتبعوهم مشرقين) حتى قال (فأوحينا إلى موسى أن اضرب بعصاك البحر فانفلق

فكان كل فرق كالطود العظيم ثم قصة إبراهيم عليه السلام ثم لو لم تكن إلا الآيات التى انتهى اليها القول فى ذكر القرآن وهى قوله (وإنه لتنزيل رب العالمين نزل به الروح الامين على قلبك لتكون من المنذرين بلسان عربى مبين) وهذه كلمات مفردة بفواصلها منها ما يتضمن فاتحة وفاصلة ومنها ماهى فاتحة وواسطة وفاصلة ومنها كامنة بفاصلتها تامة دل على أنه نزله على قلبه ليكون نذيرا وبين أنه آية لكونه نبيا ثم وصل بذلك كيفية النذارة فقال (وأنذر عشيرتك الاقربين واخفض جناحك لمن اتبعك من المؤمنين) فتأمل آية آية لتعرف لإعجاز وتتبين التصرف البديع والتنقل فى الفصول الى آخر السورة ثم راح المقطع العجيب وهو قوله (وسيعلم الذين ظلموا أى منقلب ينقلبون هل يحسن أن نأتى بمثل هذا الوعيد وأن تنظم

فى إحدى الآيتين ذكر حاجته إلى بارئه وغنى بارئه عنه وفى الأخرى حفظ بارئه اياه وعلمه به وبتدبيره قال فان قيل أفلا قيل وكان الله غنيا حميدا وكفى بالله وكيلا قيل ليس فى الآية الأولى ما يصلح أن يختم بوصفه معه بالحفظ والتدبير اه وقال تعالى (وان منهم لفريقا يلوون ألسنتهم بالكتاب لتحسبوه من الكتاب وما هو من الكتاب) قال الراغب الكتاب الاول ما كتبوه بأيديهم المذكور فى قوله تعالى فويل للذين يكتبون الكتاب بأيديهم والكتاب الثانى التوراة والثالث لجنس كتب الله كلها أى ما هو من شيء من كتب الله وكلامه ومن أمثلة ما يظن تكرارا وليس منه قل ياأيها الكافرون لا أعبد ما تعبدون إلى آخرها فان لا أعبد ما تعبدون أى فى المستقبل ولا أنتم عابدون أى فى الحال ما أعبد فى المستقبل ولا أنا عابد أى فى الحال ما عبدتم فى الماضى ولا أنتم عابدون أى فى المستقبل ما أعبد أى فى الحال (فالحاصل) أن القصد نفى عبادته لآلهتهم فى الأزمنة الثلاثة وكذا (فاذكروا الله عند المشعر الحرام واذكروه كما هداكم ثم قال فاذا قضيتم مناسككم فاذكروا الله كذكركم آباءكم ثم قال واذكروا الله فى أيام معدودات) فان المراد بكل واحد من هذه الأذكار غير المراد بالآخر فالاول الذكر فى مزدلفة عند الوقوف بقزح وقوله واذكروه كما هداكم اشارة إلى تكرره ثانيا وثالثا ويحتمل أن يراد به طواف الاضافة بدليل تعقيبه لقوله فاذا قضيتم والذكر الثالث إشارة إلى رمى جمرة العقبة والذكر الأخير لرمى أيام التشريق ومنه تكرير حرف الاضراب فى قوله بل قالوا أضغاث أحلام بل افتراه بل هو شاعر وقوله بل إدارك علمهم فى الآخرة بل هم فى شك منها بل هم منها عمون ومنه قوله ومتعوهن على الموسع قدره وعلى المقتر قدره متاعا بالمعروف حقا على المحسنين ثم قال وللمطلقات متاع بالمعروف حقا على المتقين فكرر الثانى ليعم كل مطلقة فان الآية الاولى فى المطلقة قبل الفرض والمسيس خاصة وقيل لان الاولى لا تشعر بالوجوب ولهذا لما نزلت قال بعض الصحابة ان شئت أحسنت وإن شئت فلا نزلت الثانية أخرجه ابن جرير ومن ذلك تكرير الأمثال كقوله (وما يستوى الأعمى والبصير ولا الظلمات ولا النور ولا الظل ولا الحرور وما يستوى الأحياء ولا الأموات) وكذلك ضرب مثل المنافقين أول البقرة بالمستوقد نارا ثم ضربه بأصحاب الصيب قال الزمخشرى والثانى أبلغ من الأول لانه أدل على فرط الحيرة وشدة الامر وفظاعته قال ولذلك أخروهم يتدرجون فى نحو هذا من الاهون إلى الاغلظ ومن ذلك تكرير القصص كقصة آدم وموسى ونوح وغيرهم من الانبياء قال بعضهم ذكر الله موسى فى مائة وعشرين موضعا من كتابه وقال ابن العربى فى القواصم ذكر الله قصة نوح فى خمس وعشرين آية وقصة موسى فى تسعين آية وقد ألف البدر بن جماعة كتابا سماه المقتنص فى فوائد تكرار القصص وذكر فى تكرير القصص فوائد منها أن فى كل موضع زيادة شيء لم يذكر فى الذى قبله أو ابدال كلمة بأخرى لنكتة وهذه عادة البلغاء ومنها أن الرجل كان يسمع القصة من القرآن ثم يعود الى أهله ثم يهاجر بعده آخرون يحكون ما نزل بعد صدور من تقدمهم فلولا تكرار القصص لوقعت قصة موسى إلى قوم وقصة عيسى إلى آخرين وكذا سائر القصص فأراد الله اشتراك الجميع فيها فيكون فيه افادة لقوم وزيادة تأكيد لآخرين ومنها أن فى ابراز الكلام الواحد فى فنون كثيرة وأساليب مختلفة ما لا يخفى من الفصاحة ومنها أن الدواعى لا تتوفر على نقلها كتوفرها على نقل الاحكام فلهذا كررت القصص دون الاحكام ومنها أنه تعالى أنزل القرآن وعجز القوم عن الاتيان بمثله ثم أوضح الامر فى عجزهم بأن كرر ذلك القصة فى مواضع اعلاما بأنهم عاجزون عن الاتيان بمثله بأى نظم جاءوا وبأى عبارة عبروا ومنها أنه لما تحداهم قال فأتوا بسورة من مثله فلو ذكرت القصة فى مواضع واحدوا كتفى بها القال العربى ائتونا أنتم بسورة من مثله فأنزلها سبحانه وتعالى فى تعداد السورة دفعا لحجتهم من كل

وجه ومنها أن القصة الواحدة لما تكررت كان فى ألفاظها فى كل موضع زيادة ونقصان وتقديم وتأخير وأتت على أسلوب غير أسلوب الآخر فأفاد ذلك ظهور الأمر العجيب فى اخراج المعنى الواحد فى صور متباينة فى النظم وجذب النفوس الى سماعها لما جبلت عليه من حب التنقل فى الاشياء المتجددة واستلذاذها بها وإظهار خاصة القرآن حيث لم يحصل مع تكرير ذلك فيه هجنة فى اللفظ ولا ملل عند سماعة فباين ذلك كلام المخلوقين وقد سئل ما الحكمة فى عدم تكرير قصة يوسف وسوقها مساقا واحدا فى موضع واحد دون غيرها من القصص (وأجيب) بوجوه أحدها ان فيها تشبيب النسوة به وحال أمرأة ونسوة افتتنوا بابدع الناس جمالا فناسب عدم تكرارها لما فيه من الاغضاء والستر وقد صحح الحاكم فى مستدركه حديث النهى عن تعليم النساء سورة يوسف ثانيها أنها اختصت بحصول الفرج بعد الشدة بخلاف غيرها من القصص فان مآلها الى الوبال كقصة ابليس وقوم نوح وهود وصالح وغيرهم فلما اختصت بذلك اتفقت الدواعى على نقلها لخروجها عن سمت القصص ثالثها قال الاستاذ أبو عبيد اسحق الاسفرايني انما كرر الله قصص الانبياء وساق قصة يوسف مساقا واحدا إشارة إلى عجز العرب كأن النبي ﷺ قال لهم ان كان من تلقاء نفسى فافعلوا فى قصة يوسف مافعلت فى سائر القصص (قلت) وظهر لى جواب رابع وهو أن سورة يوسف نزلت بسبب طلب الصحابة أن يقص عليهم كما رواه الحاكم فى مستدركه فنزلت مبسوطة تامة ليحصل لهم مقصود القصص من استيعاب القصة وترويح النفس بها والاحاطة بطرفيها وجواب خامس وهو أقوى ما يجاب به أن قصص الانبياء انما كررت لان المقصود بها افادة اهلاك من كذبوا رسلهم والحاجة داعية الى ذلك لتكرير تكذيب الكفار للرسول ﷺ فكلما كذبوا نزلت قصة منذرة بحلول العذاب كما حل على المكذبين ولهذا قال تعالى فى آيات (فقد مضت سنة الاولين ألم يروا كم أهلكنا من قبلهم من قرن) وقصة يوسف لم يقصد منها ذلك وبهذا أيضا يحصل الجواب عن حكمة عدم تكرير قصة أصحاب الكهف قصة ذى القرنين وقصة موسى مع الخضر وقصة الذبيح فان قلت قد تكررت قصة ولادة يحيي وولادة عيسى مرتين وليست من قبيل ماذكرت قلت الاولى فى سورة كهيعص وهى مكية أنزلت خطابا لاهل مكة والثانية فى سورة آل عمران وهى مدنية أنزلت خطابا لليهود والنصارى نجران حين قدموا ولهذا اتصل بها ذكر المحاجة والمباهلة (النوع الخامس) الصفة وترد لاسباب (أحدها) التخصيص فى النكرة نحو فتحرير رقبة مؤمنة (الثانى) التوضيح فى المعرفة أى زيادة البيان نحو ورسوله النبي الامى (الثالث) المدح والثناء ومنه صفات الله تعالى نحو بسم الله الرحمن الرحيم الحمد لله رب العالمين الرحمن الرحيم مالك يوم الدين هو الله الخالق البارئ المصور ومنه يحكم بها النبيون الذين أسلموا للذين هادوا فهذا الوصف للمدح واظهار شرف الاسلام والتعريض باليهود وأنهم بمعداء من ملة الاسلام الذى هو دين الانبياء كلهم وأنهم بمعزل عنها قاله الزمخشرى (الرابع) لذم نحو فاستعذ بالله من الشيطان الرجيم (الخامس) التأكيد لرفع الابهام نحو لا تتخذوا الهين اثنين فان الهين للتثنية فاثنين بعده صفة مؤكدة للنهى عن الاشراك ولافادة أن النهى عن اتخاذ الهين انما هو لمحض كونهما اثنين فقط لا لمعنى آخر من كونهما عاجزين أو غير ذلك ولان الواحدة تطلق ويراد بها النوعية كقوله ﷺ انما هو نحن وبنو المطلب شئ واحد وتطلق ويراد بها نفى العدة فالتثنية باعتبارها فلو قيل لا تتخذوا الهين فقط لتوهم أنه نهى عن اتخاذ جنسى آلهة وان جاز أن يتخذ من نوع واحد عددا آلهة ولهذا أكد بالواحدة قوله انما هو اله واحد ومثله فاسلك فيها من كل زوجين اثنين على قراءة تنوين كل وقوله فاذا نفخ فى الصور نفخة واحدة فهو تأكيد لرفع توهم

مثل هذا النظم وان نجد مثل هذه النظائر السابقة وتصادف مثل هذه الكلمات المتقدمة ولولا كراهة الاملال لجئت الى كل فصل فاستقريت على الترتيب كلماته وبينت لك مافى كل واحدة منها من البراعة ومن عجيب البلاغة ولعلك تستدل بما قلنا على ما بعده وتستضئ بنوره وتهتدى بهداه ونحن نذكر آيات أخر لتزداد استبصارا وتتقدم تيقنا تأمل من الكلام المؤتلف قوله (حم تنزيل الكتاب من الله العزيز العليم غافر الذنب وقابل التوب شديد العقاب ذى الطول لااله الا هو اليه المصير) أنت قد تدربت الآن بحفظ أسماء الله تعالى وصفاته فانظر هل وجدت فى كلام البشر وخطبهم مثل هذا النظم فى هذا القدر وما يجمع ماتجمل هذه الآية من شريف المعانى وحسن الفاتحة والخاتمة واتل مابعدها من الآى

تعدد النفخة لان هذه الصفة تدل على الكثرة بدليل (وإن تعدوا نعمة الله لاتحصوها) ومن ذلك قوله فان كانتا اثنتين فان لفظ كانتا يفيد التثنية فتفسيره باثنتين لم يفد زيادة عليه وقد أجاب على ذلك الاخفش والفارسى بأنه أفاد العدد المحض مجردا عن الصفة لانه قد كان يجوز أن يقال فان كانتا صغيرتين أو كبيرتين أو صالحتين أو غير ذلك من الصفات فلما قال اثنتين أفهم أن فرض الثنتين تعلق بمجرد كونهما اثنتين فقط وهى فائدة لاتحصل من ضمير المثنى وقيل أراد فان كانتا اثنتين فصاعدا فعبر بالادنى عنه وعما فوقها اكتفاء ونظيره فان لم يكونا رجلين والاحسن فيه أن الضمير عائد على الشهيدين المطلقين ومن الصفات المؤكدة قوله ولاطائر يطير بجناحيه فقوله يطير لتأكيد أن المراد بالطائر حقيقته فقد يطلق مجازا على غيره وقوله بجناحيه لتأكيد حقيقة الطيران لانه يطلق مجازا على شدة العدو والاسراع فى المشى ونظيره يقولون بألسنتهم لان القول يطلق مجازا على غير اللسانى بدليل ويقولون فى أنفسهم وكذا ولكن تعمى القلوب التى فى الصدور لان القلب يطلق مجازا على العين كما أطلقت العين مجازا على القلب فى قوله الذين كانت أعينهم فى غطاء عن ذكرى (قاعدة) الصفة العامة لاتأتى بعد الخاصة لايقال رجل فصيح متكلم بل متكلم فصيح وأشكل على هذا قوله تعالى فى اسمعيل وكان رسولا نبيا وأجيب بانه حال لاصفة أى مرسلا فى حال نبوته وقد تقدم فى نوع التقديم والتأخير امثلة من هذه (قاعدة) اذا وقعت الصفة بعد متضايفين أو لهما عدد جاز إجراؤها على المضاف وعلى المضاف اليه فمن الاول سبع سموات طباقا ومن الثانى سبع بقرات سمان * (فائدة). اذا تكررت النعوت لواحد فالاحسن أن تباعد معنى الصفات العطف نحو هو الاول والآخر والظاهر والباطن والاتركه نحو ولاتطع كل حلاف مهين هماز مشاء بنميم مناع للخير معتد أثيم عتل بعد ذلك زنيم . (فائدة) . قطع النعوت فى مقام المدح والذم أبلغ من اجرائها قال الفارسى اذا ذكرت صفات فى معرض المدح أو الذم فالاحسن أن يخالف فى اعرابها لان المقام يقتضى الاطناب فاذا خولف فى الاعراب كان المقصود أكمل لان المعانى عند الاختلاف تتنوع وتتفنن وعند الاتحاد تكون نوعا واحدا مثاله فى المدح والمؤمنون يؤمنون بما أنزل اليك وما أنزل من قبلك والمقيمين الصلاة والمؤتون الزكاة ولكن البر من آمن بالله الى قوله والموفون بعهدهم اذا عاهدوا والصابرين وقرىء شاذا الحمد لله رب العالمين برفع رب ونصبه ومثاله فى الذم وامرأته حمالة الحطب . (السادس) . البدل . والقصد به الايضاح بعد الابهام وفائدته البيان والتأكيد أما الاول فواضح انك اذا قلت رأيت زيدا أخاك بينت أنك تريد بزيد الاخ لاغير وأما التأكيد فلأنه على نية تكرار العامل فكأنه من جملتين ولانه دل على مادل عليه الاول إما بالمطابقة فى بدل الكل وإما بالتضمين فى بدل البعض أو بالالتزام فى بدل الاشتمال (مثال) الاول اهدنا الصرط المستقيم صرط الذين أنعمت عليهم الى صرط العزيز الحميد الله لنسفعا بالناصية ناصية كاذبة خاطئة ومثال الثانى ولله على الناس حج البيت من استطاع اليه سبيلا ولولا دفع الله الناس بعضهم ببعض (ومثال) الثالث وما أنسانيه الا الشيطان أن أذكره يسئلونك عن الشهر الحرام قتال فيه قل قتال فيه كبير قتل أصحاب الأخدود النار لجعلنا لمن يكفر بالرحمن لبيوتهم وزاد بعضهم بدل الكل من البعض وقد وجدت له مثالا فى القرآن وهو قوله يدخلون الجنة ولايظلمون شيئا جنات عدن فجنات عدن بدل من الجنة التى هى بعض وفائدته تقرير أنها جنات كثيرة لاجنة واحدة قال ابن السيد وليس كل بدل يقصد به رفع الاشكال الذى يعرض فى المبدل منه بل من البدل ما يراد به التأكيد وأن كان ماقبله غنيا عنه كقوله وانك لتهدى الى صراط مستقيم صراط الله ألاترى أنه لولم يذكر الصراط الثانى لم يشك أحد فى أن الصراط المستقيم هو صراط الله وقد نص سيبويه

واعرف وجه الخلوص من شىء الى شىء من احتجاج الى وعيد ومن اعذار الى انذار ومن فنون من الامر شتى مختلفة تأتلف بشريف النظم ومتباعدة تتقارب نعلى بالضم ثم جاء قوله كذبت قبلهم قوم نوح والأحزاب من بعدهم وهمت كل أمة برسولهم ليأخذوه وجادلوا بالباطل ليدحضوا به الحق فأخذتهم فكيف كان عقاب وكذلك حقت كلمة ربك على الذين كفروا أنهم أصحاب النار لآية الاولى أربعة فصول والثانية فصلان وجه الوقوف على شرف الكلام أن تتأمل موقع قوله وهمت كل أمة برسولهم ليأخذوه وهل تقع فى الحسن موقع قوله ليأخذوه كلمة (وهل تقوم مقامه فى الجزالة لفظة وهل يسد مسده فى الاصالة نكتة لو وضع موضع ذلك ليقتلوه أو ليرجموه أو لينفوه أو ليطردوه أو ليهلكوه أو ليذلوه ونحو هذا ما كان

على أن من البدل ما الغرض منه التأكيد اهـ وجعل منه ابن عبد السلام وإذ قال ابراهيم لأبيه آزر قال ولا بيان فيه لان الاب لا يلتبس بغيره ورد بانه يطلق على الجد فأبدل لبيان ارادة الأب حقيقة (النوع السابع) عطف البيان وهو كالصفة فى الايضاح لكن يفارقها فى أنه وضع البدل على الايضاح باسم يختص به بخلافها فانها وضعت لتدل على معنى حاصل فى متبوعها وفرق ابن كيسان بينه وبين البدل بأن البدل هو المقصود كأنك قررته فى موضع المبدل منه وعطف البيان وما عطف عليه كل منهما مقصود وقال ابن مالك فى شرح الكافيه عطف البيان يجرى مجرى النعت فى تكميل متبوعه ويفارقه فى أن تكميل متبوعه بشرح وتبيين لا بدلالة على معنى فى المتبوع أو سببية ويجرى التأكيد فى تقوية دلالته ويفارقه فى أنه لا يرفع توهم مجاز ويجرى البدل فى صلاحيته للاستقلال ويفارقه فى أنه غير منوى الاطراح ومن أمثلته فيه آيات بينات مقام ابراهيم من شجرة مباركة زيتونة وقوله بأنى لمجرد المدح بلا ايضاح ومنه جعل الله الكعبة البيت الحرام فالبيت الحرام عطف بيان للمدح لا للايضاح (النوع الثامن) عطف أحد المترادفين على الآخر والقصد منه التأكيد أيضا وجعل منه انما أشكو بثى وحزنى فما وهنوا لما أصابهم فى سبيل الله وما ضعفوا فلا يخاف ظلما هضما لا تخاف دركا ولا تخشى لا ترى فيها عوجا ولا أمتا قال الخليل العوج والامت بمعنى واحد سرهم ونجواهم شرعة ومنهاجا لا تبقى ولا تذر الا دعاء ونداء أطعنا سادتنا وكبراءنا لا يمسنا فيها نصب ولا يمسنا فيها لغوب فان نصب كلغب وزنا ومعنى صلوات من ربهم ورحمة عذرا أو نذرا قال ثعلب هما بمعنى وأنكر المبرد وجود هذا النوع فى القرآن وأول ما سبق على اختلاف المعنيين وقال بعضهم المخلص فى هذا ان تعتقد ان مجموع المترادفين يحصل معنى لا يوجد عند انفرادهما فان التركيب يحدث معنى زائدا واذا كانت كثرة الحروف تفيد زيادة المعنى فكذلك كثرة الالفاظ (النوع التاسع) عطف الخاص على العام وفائدته التنبيه على فضله حتى كأنه ليس من جنس العام تنزيلا للتغاير فى الوصف منزلة التغاير فى الذات وحكى أبو حيان عن شيخه أبى جعفر بن الزبير أنه كان يقول هذا العطف يسمى بالتجريد كأنه جرد من الجملة وأفرد بالذكر تفصيلا (ومن أمثلته) (حافظوا على الصلوات والصلاة الوسطى من كان عدوا لله وملائكته ورسله وجبريل وميكائيل ولتكن منكم أمة يدعون الى الخير ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر والذين يمسكون بالكتاب وأقاموا الصلاة) فان اقامتها من جملة التمسك بالكتاب وخصت بالذكر اظهارا لرتبتها لكونها عماد الدين وخص جبريل وميكائيل بالذكر ردا على اليهود فى دعوى عداوته وضم اليه ميكائيل لأنه ملك الرزق الذى هو حياة الأجساد كما أن جبريل ملك الوحى الذى هو حياة القلوب والأرواح وقيل إن جبريل وميكائيل لما كانا أميرى الملائكة لم يدخلا فى لفظ الملائكة أولا كما أن الأمير لا يدخل فى مسمى الجند حكاه الكرمانى فى العجائب ومن ذلك ومن يعمل سوءا أو يظلم نفسه ومن أظلم ممن افترى على الله كذبا أو قال أوحى الى ولم يوح اليه شىء بناء على انه لا يختص بالواو كما هو رأى ابن مالك فيه وفيما قبله وخص المعطوف فى الثانية بالذكر تنبيها على زيادة قبحه (تنبيه). المراد بالخاص والعام هنا ما كان فيه الأول شاملا للثانى لا المصطلح عليه فى الأصول (النوع العاشر) عطف العام على الخاص وأنكر بعضهم وجوده فأخطأ والفائدة فيه واضحة وهو التعميم وافراد الأول بالذكر اهتماما بشأنه (ومن أمثلته) ان صلاتى ونسكى والنسك العبادة فهو أعم وآتيناك سبعا من المثانى والقرآن العظيم رب اغفر لى ولوالدى ولمن دخل بيتى مؤمنا وللمؤمنين والمؤمنات فان الله هو مولاه وجبريل وصالح المؤمنين والملائكة بعد ذلك ظهير وجعل منه الزمخشرى ومن يدبر الامر بعد قوله قل من يرزقكم (النوع الحادى عشر) الايضاح بعد الابهام قال أهل البيان

ذلك بعيد ولا بارعا ولا عجيبا ولا بالغا فانقد موضع هذه الكلمة وتملم بها ما نذهب اليه من تخب الكلام وجميل الالفاظ والاهتداء للمعانى فان كنت تقدر ان شيئا من هذه الكلمات التى عددناها عليك أو غير لا نقف بك على غرضنا من هذا الكتاب فلا سبيل لك الى الوقوف على تصاريف الخطاب فافزع الى التقليد واكف نفسك مؤنة التفكير وان فطنت فانظر الى ما قال من رد عجز الخطاب الى صدره بقوله (فأخذتهم فكيف كان عقاب) ذكر عقيبها العذاب فى الآخرة اتلاها تلو العذاب فى الدنيا على الاحكام الذى رأيت ثم ذكر المؤمنين بالقران بعد ذكر المكذبين بالآيات والرسل فقال (الذين يحملون العرش من حوله يسبحون بحمد ربهم ويؤمنون به) الى أن ذكر ثلاث آيات وهذا

إذا اردت أن تبهم ثم توضح فالك تطنب وفائدته إما رؤية المعنى فى صورتين مختلفتين الابهام والايضاح أو لتمكن المعنى فى النفس تمكنا زائدا لوقوعه بعد الطلب فانه أعز من المنساق بلا تعب أو لتكمل لذة العلم به فان الشىء إذا علم من وجه ما تشوقت النفس للعلم به من باقى وجوهه وتألمت فاذا حصل العلم من بقية الوجوه كانت لذته أشد من علمه من جميع وجوهه دفعة واحدة (ومن أمثلته) رب اشرح لى صدرى فان أشرح يفيد طلب شرح شىء ما له وصدرى يفيد تفسيره وبيانه كذلك ويسر لى أمرى والمقام يقتضى التأكيد للارسال المؤذن بتلقى الشدائد وكذلك ألم نشرح لك صدرك فان المقام يقتضى التأكيد لانه مقام امتنان وتفخيم وكذا وقضينا اليه ذلك الأمر ان دابر هؤلاء مقطوع مصبحين ومنه التفصيل بعد الاجمال نحو ان عدة الشهور عند الله اثنا عشر شهرا إلى قوله منها أربعة حرم وعكسه كقوله ثلاثة أيام فى الحج وسبعة إذا رجعتم تلك عشرة كاملة اعيد ذكر العشرة لرفع توهم ان الواو فى وسبعة بمعنى أو فتكون الثلاثة داخلة فيها كما فى قوله خلق الأرض فى يومين ثم قال وجعل فيها رواسى من فوقها وبارك فيها وقدر فيها أقواتها فى اربعة أيام فان من جملتها اليومين المذكورين أولا وليست أربعة غيرهما وهذا أحسن الأجوبة فى الآية وهو الذى أشار اليه الزمخشرى ورجحه ابن عبد السلام وجزم به الزملكانى فى أسرار التنزيل قال ونظيره وواعدنا موسى ثلاثين ليلة وأتممناها بعشر فانه رافع لاحتمال أن تكون تلك العشرة من غير مواعدة قال ابن عسكر فى فائدة لوعد بثلاثين أولا ثم بعشر ليتجدد له أقرب انقضاء المواعدة ويكون فيه متأهبا مجتمع الرأى حاضر الذهن لانه لو وعد بالاربعين أولا كانت متساوية فلما فصلت استشعرت النفس قرب التمام وتجدد بذلك عزم لم يتقدم وقال الكرمانى فى العجائب فى قوله تلك عشرة كاملة ثمانية أجوبة جوابان من التفسير وجواب من الفقه وجواب من النحو وجواب من اللغة وجواب من المعنى وجوابان من الحساب وقد سقتها فى أسرار التنزيل (النوع الثانى عشر) التفسير قال أهل البيان وهو أن يكون فى الكلام لبس وخفاء فيؤتى بما يزيله ويفسره (ومن أمثلته) ان الانسان خلق هلوعا إذا مسه الشر جزوعا وإذا مسه الخير منوعا فقوله إذا مسه الخ تفسير للهلوع كما قال أبو العالية وغيره القيوم لا تأخذه سنة ولا نوم قال البيهقى فى شرح الأسماء الحسنى قوله لا تأخذه سنة تفسير للقيوم يسومونكم سوء العذاب يذبحون الآية فيذبحون وما بعده تفسير للسوم ان مثل عيسى عند الله كمثل آدم خلقه من تراب الآية فخلقه وما بعده تفسير للمثل لا تتخذوا عدوى وعدوكم أولياء تلقون اليهم بالمودة فتلقون الخ تفسير لاتخاذهم أولياء الصمد لم يلد ولم يولد الآية قال محمد بن كعب القرظى لم يلد الخ تفسير للصمد وهو فى القرآن كثير قال ابن جنى ومتى كانت الجملة تفسيرا لم يحسن الوقف على ما قبلها دونها لان تفسير الشىء لاحق به ومتمم له وجار مجرى بعض اجزائه (النوع الثانى عشر) وضع الظاهر موضع المضمر ورأيت فيه تأليفا مفردا لابن الصائغ وله فوائد منها زيادة التقرير والتمكين نحو قل هو الله أحد الله الصمد والاصل هو الصمد وبالحق انزلناه وبالحق نزل ان الله لذو فضل على الناس ولكن أكثر الناس لا يشكرون لتحسبوه من الكتاب وما هو من الكتاب ويقولون هو من عند الله وما هو من عند الله (ومنها) قصد التعظيم نحو واتقوا الله ويعلمكم الله والله بكل شىء عليم أولئك حزب الله ألا ان حزب الله هم المفلحون وقرآن الفجر ان قرآن الفجر كان مشهودا ولباس التقوى ذلك خير (ومنها) قصد الاهانة والتحقير نحو أولئك حزب الشيطان ألا ان حزب الشيطان هم الخاسرون ان الشيطان ينزغ بينهم ان الشيطان الخ (ومنها) ازالة اللبس حيث يوهم الضمير أنه غير الأول نحو قل اللهم مالك الملك تؤتى الملك لو قال تؤتيه لاوهم أنه الاول قاله ابن الخشاب يظنون بالله ظن السوء عليهم دائرة السوء لانه لو قال عليهم دائرته لأوهم أن الضمير

كلام مفصول تعلم عجيب اتصاله بما سبق ومضى وانتسابه إلى ما تقدم تقضى وعظم موضعه فى معناه ورفيع ما يتضمن تحميدهم وتسبيحهم وحكاية كيفية دعاء الملائكة بقوله (ربنا وسعت كل شىء رحمة وعلما) هل تعرف شرف هذه الكلمة لفظا ومعنى ولطيف هذه الحكاية وتلاؤم هذا الكلام وتشاكل هذا النظام وكيف يهتدى إلى وضع هذه المعانى بشرى وإلى تركيب ما يلائمها من الالفاظ انسى ثم ذكر ثلاث آيات فى أمر الكافرين على ما ترى ثم نبه على أمر القرآن وأنه من آياته بقوله (هو الذى يريكم آياته وينزل لكم من السماء رزقا وما يتذكر إلا من ينيب) وإنما ذكر هذين الامرين اللذين يختص بالقدرة عليهما لتناسبهما فى أنهما من تنزيله من السماء ولان الرزاق الذى لو لم يرزق

عائد إلى الله تعالى (فبدأ بأوعيتهم قبل وعاء أخيه ثم استخرجها من وعاء أخيه) لم يقل منه لئلا يتوهم عود الضمير إلى الأخ فيصير كأنه مباشر بطلب خروجها وليس كذلك لما في المباشرة من الأذى الذي تأباه النفوس الأبية فأعيد لفظ الظاهر لنفي هذا ولم يقل من وعائه لئلا يتوهم عود الضمير إلى يوسف لأنه العائد عليه ضمير استخرجها (ومنها) قصد تربية المهابة وإدخال الروع على ضمير السامع بذكر الاسم المقتضي لذلك كما يقول الخليفة أمير المؤمنين يأمرك بكذا ومنه (إن الله يأمركم أن تؤدوا الأمانات إلى أهلها إن الله يأمر بالعدل) (ومنها) قصد تقوية داعية الأمور ومنه (فإذا عزمت فتوكل على الله إن الله يحب المتوكلين (ومنها) تعظيم الأمر نحو (أولم يروا كيف يبدئ الله الخلق ثم يعيده إن ذلك على الله يسير قل سيروا في الأرض فانظروا كيف بدأ الخلق هل أتى على الإنسان حين من الدهر لم يكن شيئا مذكورا إنا خلقنا الإنسان (ومنها) الاستلذاذ بذكره ومنه وأورثنا الأرض نتبوأ من الجنة لم يقل منها ولهذا عدل عن ذكر الأرض إلى الجنة (ومنها) قصد التوصل من الظاهر إلى الوصف ومنه فآمنوا بالله ورسوله النبي الأمي الذي يؤمن بالله بعد قوله إني رسول الله لم يقل فآمنوا بالله وبي ليتمكن من إجراء الصفات التي ذكرها ليعلم أن الذي وجب الإيمان به والاتباع له هو من وصف بهذه الصفات ولو أتى بالضمير لم يمكن ذلك لأنه لا يوصف (ومنها) التنبيه على علية الحكم نحو فبدل الذين ظلموا قولا غير الذي قيل لهم فأنزلنا على الذين ظلموا رجزا فإن الله عدو للكافرين لم يقل لهم إعلاما بأن من عادى هؤلاء فهو كافر وأن الله إنما عاداه لكفره فمن أظلم ممن افترى على الله كذبا أو كذب بآياته إنه لا يفلح المجرمون والذين يمسكون بالكتاب وأقاموا الصلاة إنا لا نضيع أجر المصلحين إن الذين آمنوا وعملوا الصالحات إنا لا نضيع أجر من أحسن عملا (ومنها) قصد العموم نحو وما أبرئ نفسي إن النفس لأمارة لم يقل إنها لئلا يفهم تخصيص ذلك بنفسه أولئك هم الكافرون حقا وأعتدنا للكافرين عذابا (ومنها) قصد الخصوص نحو وامرأة مؤمنة إن وهبت نفسها للنبي لم يقل لك تصريحا بأنه خاص به (ومنها) الإشارة إلى عدم دخول الجملة في حكم الأولى نحو فإن يشأ الله يختم على قلبك ويمح الله الباطل فإن ويمح الله استئناف لا داخل في حكم الشرط (ومنها) مراعاة الجناس ومنه قل أعوذ برب الناس السورة ذكره الشيخ عز الدين ومثله ابن الصائغ بقوله خلق الإنسان من علق ثم قال علم الإنسان ما لم يعلم كلا إن الإنسان ليطغى فإن المراد بالإنسان الأول الجنس وبالثاني آدم أو من يعلم الكتابة أو إدريس وبالثالث أبو جهل (ومنها) مراعاة الترصيع وتوازن الألفاظ في التركيب ذكره بعضهم في قوله أن تضل إحداهما فتذكر إحداهما الأخرى (ومنها) أن يتحمل ضميرا لا بد منه ومنه أتيا أهل قرية استطعما أهلها لو قال استطعماها لم يصح لأنهما لم يستطعما القرية أو استطعماهم فكذلك لأن جملة استطعما صفة لقرية النكرة لا لأهل فلا بد أن يكون فيها ضمير يعود عليها ولا يمكن إلا مع التصريح بالظاهر كذا حرره السبكي في جواب سؤال سأله الصلاح الصفدي في ذلك حيث قال

أسيدنا قاضي القضاة ومن إذا ... بدا وجهه استحيى له القمران
ومن كفه يوم الندا ويراعه ... على طرسه بحران يلتقيان
ومن إن دجت في المشكلات مسائل ... جلاها بفكر دائم اللمعان
رأيت كتاب الله أكبر معجز ... لأفضل من يهدى به الثقلان
ومن جملة الإعجاز كون اختصاره ... بإيجاز ألفاظ وبسط معان
ولكنني في الكهف أبصرت آية ... بها الفكر في طول الزمان عيان
وما هي إلا استطعما أهلها فقد ... نرى استطعماهم مثله ببيان

لم يمكن بقاء النفس تجب طاعته والنظر في آياته ثم قال (فادعوا الله مخلصين له الدين ولو كره الكافرون رفيع الدرجات ذو العرش يلقي الروح من أمره على من يشاء من عباده لينذر يوم التلاق يوم هم بارزون لا يخفى على الله منهم شيء لمن الملك اليوم لله الواحد القهار قف على هذه الدلالة وفكر فيها وراجع نفسك في مراعاة معاني هذه الصفات العالية والكلمات السامية والحكم البالغة والمعاني الشريفة تعلم ورودها عن الإلهية ودلالتها على الربوبية وتتحقق أن الخطب المنقولة عنهم والأخبار المأثورة في كلماتهم الفصيحة من الكلام الذي تتعلق به الهمم البشرية وما تحوم عليه الأفكار الآدمية وتعرف مباينتها لهذا الضرب من القول أي خاطر يتشوف إلى أن يقول (يلقي الروح من أمره على من يشاء من عباده لينذر يوم التلاق

فما الحكمة الغراء فى وضع ظاهر . مكان ضمير ان ذلك اشان
فارشد على عادات فضلك حيرتى . فما لى بها عند البيان يدان

(تنبيه) اعادة الظاهر بمعناه أحسن من اعادته بلفظه كما مر فى آيات انا لانضيع أجر المصلحين أجر من أحسن عملا ونحوها ومنه ما يود الذين كفروا من أهل الكتاب ولا المشركين أن ينزل عليكم من خير من ربكم والله يختص برحمته من يشاء) فان انزال الخير مناسب للربوبية وأعاده بلفظ الله لأن تخصيص الناس بالخير دون غيرهم مناسب للالهية لان دائرة الربوبية أوسع ومنه الحمد لله الذى خلق السموات والأرض الى قوله بربهم يعدلون واعادته فى جملة أخرى أحسن منه فى الجملة الواحدة لانفصالها وبعد الطول أحسن من الاضمار لئلا يبقى الذهن متشاغلا بسبب ما يعود عليه فيفوته ماشرع فيه كقوله وتلك حجتنا آتيناها ابراهيم على قومه بعد قوله واذ قال ابراهيم لأبيه آزر (النوع الرابع عشر) الايغال وهو الامعان وهو ختم الكلام بما يفيد نكتة يتم المعنى بدونها وزعم بعضهم أنه خاص بالشعر ورد بأنه وقع فى القرآن من ذلك يا قوم اتبعوا المرسلين اتبعوا من لا يسألكم أجرا وهم مهتدون فقوله وهم مهتدون ايغال لانه يتم المعنى بدونه إذ الرسول مهتد لامحالة لكن فيه زيادة مبالغة فى الحث على اتباع الرسل والترغيب فيه وجعل ابن أبى الأصبع منه ولا يسمع الصم الدعاء إذا ولوا مدبرين فان قوله إذا ولوا مدبرين زائد على المعنى مبالغة فى عدم انتفاعهم ومن أحسن من الله حكما لقوم يوقنون زائد على المعنى لمدح المؤمنين والتعريض بالذم لليهود وانهم بعيدون عن الايقان انه لحق مثل ما انكم تنطقون فقوله مثل ما الخ زائد على المعنى لتحقيق هذا الوعد وانه واقع معلوم ضرورة لا يرتاب فيه أحد (النوع الخامس عشر) التذييل وهو أن يؤتى بجملة عقب جملة والثانية تشتمل على المعنى الاول للتأكيد منطوقه أو مفهومه ليظهر المعنى لمن لم يفهمه ويتقرر عند من فهمه نحو (ذلك جزيناهم بما كفروا وهل نجازى إلا الكفور وقل جاء الحق وزهق الباطل إن الباطل كان زهوقا وما جعلنا لبشر من قبلك الخلد أفان مت فهم الخالدون كل نفس ذائقة الموت ويوم القيامة يكفرون بشرككم ولا ينبئك مثل خبير) (النوع السادس عشر) الطرد والعكس قال الطيبى وهو أن يؤتى بكلامين يقرر الاول بمنطوقه مفهوم الثانى وبالعكس كقوله تعالى ليستأذنكم الذين ملكت أيمانهم والذين لم يبلغوا الحلم منكم ثلاث مرات الى قوله ليس عليكم ولا عليهم جناح بعدهن فمنطوق الامر بالاستئذان فى تلك الاوقات خاصة مقرر لمفهوم رفع الجناح فيما عداها وبالعكس وكذا قوله لا يعصون الله ما أمرهم ويفعلون ما يؤمرون قلت وهذا النوع يقابله فى الايجاز نوع الاحتباك (النوع السابع عشر) التكميل ويسمى بالاحتراس وهو أن يؤتى فى كلام يوهم خلاف المقصود بما يدفع ذلك الوهم نحو أذلة على المؤمنين أعزة على الكافرين فانه لو قتصر على أذلة لتوهم أنه لضعفهم فدفعه بقوله أعزة ومثله أشداء على الكفار رحماء بينهم إذ لو اقتصر على أشداء لتوهم أنه لغلظهم تخرج بيضاء من غير سوء لا يحطمنكم سليمان وجنوده وهم لا يشعرون احتراس لئلا يتوهم نسبة الظلم الى سليمان ومثله فتصيبكم منهم معرة بغير علم وكذا قالوا نشهد انك لرسول الله والله يعلم انك لرسوله والله يشهد ان المنافقين لكاذبون فالجملة الوسطى احتراس لئلا يتوهم أن التكذيب لما فى نفس الامر قال فى عروس الافراح فان قيل كل من ذلك أفاد معنى جديدا فلا يكون اطنابا قلنا هو اطناب لما قبله من حيث رفع توهم غير المراد بفضله تفيد فى نفسه (النوع الثامن عشر) التتميم وهو أن يؤتى فى كلام لا يوهم غير المراد بفضلة تفيد نكتة كالمبالغة فى قوله ويطعمون الطعام على حبه أى مع حب الطعام أى اشتهائه فان الطعام حينئذ أبلغ وأكثر أجرا ومثله وآتى المال على حبه ومن يعمل من الصالحات وهو مؤمن فلا يخاف

يوم هم بارزون) وأى لفظ يدرك هذا المضمار وأى حكيم يهتدى إلى ما لهذا من الغرر وأى فصيح يهتدى إلى هذا النظم ثم استقرىء الآية إلى آخرها واعتبر كلماتها وراع مدها قوله (اليوم تجزى كل نفس بما كسبت لاظلم اليوم ان الله سريع الحساب) من يقدر على تأليف هذه الكلمات الثلاث على قربها وعلى خفتها فى النظم وموقعها من القلب ثم تأمل قوله (وأنذرهم يوم الآزفة إذ القلوب لدى الحناجر كاظمين ما للظالمين من حميم ولا شفيع يطاع يعلم خائنة الاعين وما تخفى الصدور والله يقضى بالحق والذين يدعون من دونه لا يقضون بشىء ان الله هو السميع البصير) كل كلمة من ذلك على ماقد وصفتها من أنه إذا رآها الانسان فى رسالة كانت عينها أو فى خطابة كانت وجهها أو قصيدة كانت غرة غرتها وبيت قصيدتها

فقوله وهو مؤمن تتميم فى غاية الحسن (النوع التاسع عشر) الاستقصاء وهو ان يتناول المتكلم معنى فيستقصيه فيأتى بجميع عوارضه ولوازمه بعد أن يستقصى جميع أوصافه الذاتية بحيث لا يترك لمن يتناوله بعده فيه مقالا كقوله تعالى أيود أحدكم أن تكون له جنة الآية فانه تعالى لو اقتصر على قوله جنة لكان كافيا فلم يقف عند ذلك قال فى تفسيرها من نخيل وأعناب فان مصاب صاحبها بها أعظم ثم زاد تجرى من تحتها الانهار متمم الوصفها بذلك ثم كمل وصفها بعد التتميمين فقال له فيها من كل الثمرات فاتى بكل ما يكون فى الجنان ليشتد الأسف على افسادها ثم قال فى وصف صاحبها وأصابه الكبر ثم استقصى المعنى فى ذلك بما يوجب تعظيم المصاب بقوله بعد وصفه بالكبر وله ذرية ولم يقف عند ذلك حتى وصف الذرية بالضعفاء ثم ذكر استئصال الجنة التى ليس لهذا المصاب غيرها بالهلاك فى أسرع وقت حيث قال فاصابها اعصار ولم يقتصر على ذكره للعلم بأنه لا يحصل به سرعة الهلاك فقال فيه نار ثم لم يقف عند ذلك حتى أخبر باحتراقها لاحتمال أن تكون النار ضعيفة لا تفى باحتراقها لما فيه من الانهار ورطوبة الأشجار فاحترس عن هذا الاحتمال بقوله فاحترقت فهذا أحسن استقصاء وقع فى كلام وأتمه وأكمله قال ابن أبى الاصبع والفرق بين الاستقصاء والتتميم والتكميل أن التتميم يرد على المعنى الناقص ليتم فيكمل والتكميل يرد على المعنى التام أوصافه والاستقصاء يرد على المعنى التام الكامل فيستقصى لوازمه وعوارضه وأوصافه وأسبابه حتى يستوعب جميع ما تقع الخواطر عليه فلا يبقى لاحد فيه مساغ (النوع العشرون) الاعتراض وسماه قدامة التفاتا وهو الاتيان بجملة أو أكثر لا محل له من الاعراب فى أثناء كلام أو كلامين اتصلا معنى لنكتة غير دفع الايهام كقوله ويجعلون لله البنات سبحانه ولهم ما يشتهون فقوله سبحانه اعتراض لتنزيه الله سبحانه وتعالى عن البنات والشناعة على جاعليها وقوله لتدخلن المسجد الحرام ان شاء الله آمنين فجملة الاستثناء اعتراض للتبرك ومن وقوعه بأكثر من جملة فأتوهن من حيث أمركم الله ان الله يحب التوابين ويحب المتطهرين نساؤكم حرث لكم فقوله نساؤكم متصل بقوله فأتوهن لانه بيان له وما بينهما اعتراض للحث على الطهارة وتجنب الادبار وقوله يا أرض ابلعى ماءك إلى قوله وقيل بعدا فيه اعتراض بثلاث جمل وهى غيض الماء وقضى الامر واستوت على الجودى قال فى الاقصى القريب ونكتته افادة ان هذا الامر واقع بين القولين لا محالة ولو أتى به آخرا لكان الظاهر تأخره فبتوسطه ظهر كونه غير متأخر ثم فيه اعتراض فى اعتراض فان وقضى الامر معترض بين وغيض واستوت لان الاستواء يحصل عقب الغيض وقوله ولمن خاف مقام ربه جنتان إلى قوله متكئين على فرش فيه اعتراض بسبع جمل إذا عرب حالا منه ومن وقوع اعتراض فى اعتراض فلا أقسم بمواقع النجوم وانه لقسم لو تعلمون عظيم انه لقرآن كريم اعتراض بين القسم وجوابه بقوله وانه لقسم الآية وبين القسم وصفته بقوله لو تعلمون تعظيما للمقسم به وتحقيقا لاجلاله واعلاما لهم بأن له عظمة لا يعلمونها قال الطيبى فى التبيان ووجه حسن الاعتراض حسن الافادة مع أن مجيئه مجىء ما لا يترقب فيكون كالحسنة تأتيك من حيث لا تحتسب (النوع الحادى والعشرون) التعليل وفائدته التقرير والابلغية فان النفوس ابعث على قبول الاحكام المعللة من غيرها وغالب التعليل فى القرآن على تقدير جواب سؤال اقتضته الجملة الاولى وحروف اللام وان واذ والباء وكى ومن ولعل وقد مضت أمثلتها فى نوع الادوات ومما يقتضى التعليل لفظ الحكمة كقوله حكمة بالغة وذكر الغاية من الخلق نحو قوله جعل لكم الارض فراشا والسماء بناء ألم نجعل الارض مهادا والجبال أوتادا

(النوع السابع والخمسون) فى الخبر والانشاء اعلم أن الحذاق من النحاة وغيرهم وأهل البيان قاطبة

كالياقوتة التى تكون فريدة العقد وعين القلادة ودرة الشذر إذا وقع بين كلام وشحه وإذا ضمن فى نظام زينه وإذا اعترض فى خطاب تميز عنه وبان بحسنه منه ولست أقول هذا لك فى آية دون آية وسورة دون سورة وفصل دون فصل وقصة دون قصة ومعنى دون معنى لأنى قد شرحت لك أن الكلام فى حكاية القصص والاخبار وفى الشرائع والاحكام وفى الديانة والتوحيد وفى الحجج والتثبيت هو خلاف الكلام فيما عدا هذه الأمور الا ترى أن الشاعر المفلق إذ جاء إلى الزهد قصر والأديب إذا تكلم فى بيان الأحكام وذكر الحلال والحرام لم يكن كلامه على حسب كلامه فى غيره ونظم القرآن لا يتفاوت فى شىء ولا يتباين فى أمره ولا يختل فى حال بل له المثل الاعلى والفضل الاسنى وفيما شرحناه لك كفاية وفيما

على انحصار الكلام فيهما وأنه ليس له قسم ثالث ورادعى قوم ان أقسام الكلام عشرة نداء ومسئلة وأمر وتشفع وتعجب وقسم وشرط ووضع وشك واستفهام وقيل تسعة باسقاط الاستفهام لدخوله فى المسئلة وقيل سبعة باسقاط الشك لأنه من قسم الخبر وقال الأخفش هى ستة خبر واستخبار وأمر ونهى ونداء وتمن وقال بعضهم خمسة خبر وأمر وتصريح وطلب ونداء وقال قوم أربعة خبر واستخبار وطلب ونداء وقال كثيرون ثلاثة خبر وطلب وانشاء قالوا لأن الكلام اما ان يحتمل التصديق والتكذيب أولا الأول الخبر والثانى ان اقترن معناه بلفظه فهو الانشاء وان لم يقترن بل تأخر عنه فهو الطلب والمحققون على دخول الطلب فى الانشاء وان معنى اضرب مثلا وهو طلب الضرب مقترن بلفظه وأما الضرب الذى يوجد بعد ذلك فهو متعلق الطلب لا نفسه وقد اختلف الناس فى حد الخبر فقيل لا يحد لعسره وقيل لانه ضرورى لان الانسان يفرق بين الانشاء والخبر ضرورة ورجحه الامام فى المحصول والاكثر على حده فقال القاضى أبو بكر والمعتزلة الخبر الكلام الذى يدخله الصدق والكذب فاورد عليه خبر الله تعالى فانه لا يكون الاصادقا فأجاب القاضى بأنه يصح دخوله لغة وقيل الذى يدخله التصديق والتكذيب وهو سالم من الايراد المذكور وقال أبو الحسن البصرى كلام يفيد بنفسه نسبة فاورد عليه قم فانه يدخل فى الحد لأن القيام منسوب الطالب منسوب وقيل الكلام المفيد بنفسه اضافة أمر من الأمور الى أمر من الأمور نفيا أو اثباتا وقيل القول المقتضى بصريحه نسبة معلوم الى معلوم بالنفى أو الاثبات وقال بعض المتأخرين الانشاء ما يحصل مدلوله فى الخارج بالكلام والخبر خلافه وقال بعض من جعل الاقسام ثلاثة الكلام ان افاد بالوضع طلبا فلا يخلوا ما ان يكون طلب ذكر الماهية أو تحصيلها أو الكف عنها والأول الاستفهام والثانى الأمر والثالث النهى وان لم يفد طلبا بالوضع فان لم يحتمل الصدق والكذب سمى تنبيها وانشاء لأنك نبهت به على مقصودك وانشأته أى ابتكرته من غير أن يكون موجودا فى الخارج سواء أفاد طلبا باللازم كالتمنى والترجى والنداء والقسم أم لا كأنت طالق وان احتملهما من حيث هو فهو خبر

(فصل) . القصد بالخبر افادة المخاطب وقد يرد بمعنى الأمر نحو والوالدات يرضعن والمطلقات يتربصن وبمعنى النهى نحو لا يمسه الا المطهرون وبمعنى الدعاء نحو وإياك نستعين أى أعنا ومنه تبت يدا أبى لهب وتب فانه دعاء عليه وكذا قاتلهم الله غلت أيديهم ولعنوا بما قالوا وجعل منه قوم حصرت صدورهم قالوا هو دعاء عليهم بضيق صدورهم عن قتال أحد ونازع ابن العربى فى قولهم ان الخبر يرد بمعنى الامر أو النهى قال فى قوله تعالى فلا رفث ليس نفيا لوجود الرفث بل نفى لمشروعيته فان الرفث يوجد مع بعض الناس واخبار الله تعالى لا يجوز ان تقع بخلاف مخبره وانما يرجع النفى الى وجوده مشروعا لا الى وجوده محسوسا كقوله والمطلقات يتربصن ومعناه مشروعا لا محسوسا فانا نجد مطلقات لا يتربصن فعاد النفى الى الحكم الشرعى لا الى الوجود الحسى وكذا لا يمسه الا المطهرون أى لا يمسه أحد منهم شرعا فان وجد المس فعلى خلاف حكم الشرع قال وهذه الدفينة التى فاتت العلماء فقالوا ان الخبر يكون بمعنى النهى وما وجد ذلك قط ولا يصح أن يوجد فانهما مختلفات حقيقة ويتباينان وضعا انتهى (فرع) من أقسامه على الاصح التعجب قال ابن فارس وهو تفضيل شىء على اضرابه وقال ابن الصائغ استعظام صفة خرج بها المتعجب منه عن نظائره وقال الزمخشرى معنى التعجب تعظيم الأمر فى قلوب السامعين لأن التعجب لا يكون الا من شىء خارج عن نظائره واشكاله وقال الرمانى المطلوب فى التعجب الابهام لأن من شأن الناس ان يتعجبوا مما لا يعرف سببه فكل ما استبهم السبب كان التعجب أحسن قال واصل التعجب انما هو للمعنى الخفى سببه والصيغة الدالة عليه تسمى تعجبا مجازا قال ومن أجل الابهام لم تعمل نعم الا فى الجنس من أجل التفخيم ليقع التفسير على نحو التفخيم بالاضمار قبل الذكر

بيناه بلاغ ونذكر فى الاحكاميات وغيرها آيات أخر منها قوله (يسئلونك ماذا أحل لهم قل أحل لكم الطيبات وما علمتم من الجوارح مكلبين تعلمونهن مما علمكم الله فكلوا مما أمسكن عليكم واذكروا اسم الله عليه واتقوا الله ان الله سريع الحساب) أنت تجد فى هذه الآية من الحكمة والتصرف العجيب والنظم البارع مايدلك ان شئت على الاعجاز مع هذا الاختيار والايجاز فكيف إذا بلغ ذلك آيات وكانت سورة نحو هذه الآية قوله (الذين يتبعون الرسول النبى الامى الذى يجدونه مكتوبا عندهم فى التوراة والانجيل يأمرهم بالمعروف وينهاهم عن المنكر ويحل لهم الطيبات ويحرم عليهم الخبائث ويضع عنهم إصرهم والاغلال التى كانت عليهم فالذين آمنوا به وعزروه ونصروه واتبعوا النور الذى أنزل معه أولئك هم المفلحون)

ثم قد وضعوا للتعجب صيغا من لفظه وهي ما أفعل وأفعل به وصيغا من غير لفظه نحو كبر كقوله (كبرت كلمة تخرج من أفواههم كبر مقتا عند الله كيف تكفرون بالله) (قاعدة) قال المحققون إذا ورد التعجب من الله صرف إلى المخاطب كقوله فما أصبرهم على النار أى هؤلاء يجب أن يتعجب منهم وإنما لا يوصف تعالى بالتعجب لأنه استعظام يصحبه الجهل وهو تعالى منزه عن ذلك ولهذا تعبر جماعة بالتعجب بدله أى انه تعجب من الله للمخاطبين و نظير هذا مجيء الدعاء والترجي منه تعالى إنما هو بالنظر إلى ما تفهمه العرب أى هؤلاء مما يجب أن يقال لهم عندكم هذا ولذلك قال سيبويه فى قوله لعله يتذكر أو يخشى المعنى اذهبا على رجائكم وطمعكما وفى قوله ويل للمطففين ويل يومئذ للمكذبين لا تقل هذا دعاء لأن الكلام بذلك قبيح ولكن العرب إنما تكلموا بكلامهم وجاء القرآن على لغتهم وعلى ما يعنون فكأنه قيل لهم ويل للمطففين أى هؤلاء ممن وجب هذا القول لهم لان هذا الكلام إنما يقال لصاحب الشرور والهلكة فقيل هؤلاء ممن دخل فى الهلكة . (فرع) . من أقسام الخبر الوعد والوعيد نحو سنريهم آياتنا فى الآفاق وسيعلم الذين ظلموا وفى كلام ابن قتيبة ما يوهم أنه انشاء . (فرع) . من أقسام الخبر النفى بل هو شطر الكلام كله والفرق بينه و بين الجحد أن النافى إن كان صادقا سمى كلامه نفيا ولا يسمى جحدا وإن كان كاذبا سمى جحدا ونفيا أيضا فكل جحد نفى وليس كل نفى جحدا ذكره أبو جعفر النحاس وابن الشجرى وغيرهما مثال النفى ما كان محمد أبا أحد من رجالكم ومثال الجحد نفى فرعون وقومه آيات موسى قال تعالى (فلما جاءتهم آياتنا مبصرة قالوا هذا سحر مبين وجحدوا بها واستيقنتها أنفسهم) وأدوات النفى لا ولات وليس وما وان ولم ولن ولما وقد تقدمت معانيها وما افترقت فيه فى نوع الأدوات ونورد هنا فائدة زائدة قال الخوبى أصل أدوات النفى لا وما لأن النفى إما فى الماضى وإما فى المستقبل والاستقبال أكثر من الماضى أبدا ولا أخف من ما فوضعوا الأخف للأكثر ثم أن النفى فى الماضى إما أن يكون نفيا واحدا مستمرا أو نفيا فيه أحكام متعددة وكذلك النفى فى المستقبل فصار النفى على أربعة أقسام واختاروا له أربع كلمات ما ولم ولن ولا وأما إن ولما فليسا باصلين فما ولا فى الماضى والمستقبل متقابلان ولم كأنه مأخوذ من لا وما لأن لم نفى للاستقبال لفظا والمضى معنى فأخذ اللام من لا التى هى لنفى المستقبل والميم من ما التى هى لنفى الماضى وجمع بينهما اشارة إلى أن فى لم إشارة إلى المستقبل والماضى وقدم اللام على الميم إشارة إلى أن لا هى أصل النفى ولهذا ينفى بها فى أثناء الكلام فيقال لم يفعل زيد ولا عمرو وأما لما فتركيب بعد تركيب كأنه قال لم وما لتوكيد معنى النفى فى الماضى وتفيد الاستقبال أيضا ولهذا تفيد لما الاستمرار . (تنبيهات) . الأول زعم بعضهم أن شرط صحة النفى عن الشيء صحة اتصاف المنفى عنه بذلك الشيء وهو مردود بقوله تعالى وما ربك بغافل عما يعملون وما كان ربك نسيا لا تأخذه سنة ولا نوم ونظائره والصواب أن انتفاء الشيء عن الشيء قد يكون لكونه لا يمكن منه عقلا وقد يكون لكونه لا يقع منه مع إمكانه (الثانى) نفى الذات الموصوفة قد يكون نفيا للصفة دون الذات وقد يكون نفيا للذات أيضا من الأول وما جعلناهم جسدا لا يأكلون الطعام أى بل جسد يأكلونه ومن الثانى لا يسئلون الناس الحافا أى لا سؤال لهم أصلا فلا يحصل منهم الحاف ما للظالمين من حميم ولا شفيع يطاع أى لا شفيع لهم أصلا فما تنفعهم شفاعة الشافعين أى لا شافعين لهم تنفعهم شفاعتهم بدليل فما لنا من شافعين ويسمى هذا النوع عند أهل البديع نفى الشيء بايجابه وعبارة ابن رشيق فى تفسيره أو يكون الكلام ظاهره إيجاب الشيء وباطنه نفيه بأن ينفى ما هو من سببه كوصفه وهو المنفى فى الباطن وعبارة غيره أن ينفى الشيء مقيدا والمراد نفيه مطلقا مبالغة فى النفى وتأكيدا له ومنه ومن يدع مع الله الها آخر لا برهان له به فان الهًا مع الله لا يكون إلا عن غير برهان (١)

وكالآية التى بعدها فى التوحيد وإثبات النبوة كالإيات الثلاث فى المواريث أى بارع يقدر على جميع أحكام الفرائض فى قدرها من الكلام ثم كيف يقدر على ما فيها من بديع النظم وإن جئت إلى آيات الاحتجاج كقوله تعالى (لو كان فيهما آلهة إلا الله لفسدتا فسبحان الله رب العرش عما يصفون لا يسئل عما يفعل وهم يسئلون) وكالآيات فى التوحيد كقوله (هو الحى لا إله الا هو فادعوه مخلصين له الدين الحمد لله رب العالمين) وكقوله (تبارك الذى نزل الفرقان على عبده ليكون للعالمين نذيرا الذى له ملك السموات والأرض ولم يتخذ ولدا ولم يكن له شريك فى الملك وخلق كل شيء فقدره تقديرا) وكقوله (تبارك الذى بيده الملك وهو على كل شيء قدير) إلى آخرها وكقوله والصافات صفا فالزاجرات زجرا فالتاليات ذكرا إن الهكم لواحد رب

(١) عبارة النسخة الكستيلية فإن إلها مع الله لا يكون عن غير برهان والظاهر صحة عبارة أصل نسختنا لو قيل فيها بأن كون إله الخ من جهة الاعراب والمعنى أيضا والله أعلم من مصححه عبد الوصف محمد

السموات والأرض وما بينهما ورب المشارق أنا زينا السماء الدنيا بزينة الكواكب وحفظا من كل شيطان مارد لا يسمعون إلى الملأ الأعلى ويقذفون من كل جانب دحورا ولهم عذاب واصب إلا من خطف الخطفة فأتبعه شهاب ثاقب) هذه من الآيات التي قال فيها الله تعالى ذكره (الله نزل أحسن الحديث كتابا متشابها مثاني تقشعر منه جلود الذين يخشون ربهم ثم تلين جلودهم وقلوبهم إلى ذكر الله ذلك هدى الله يهدي به من يشاء ومن يضلل الله فماله من هاد) وانظر بعين عقلك وراجع جلية بصيرتك إذا تفكرت في كل كلمة مما نقلناه إليك وعرضناه عليك ثم فيما ينظم من الكلمات ثم إلى أن يتكامل فصلا وقصة أو يتم حديثا وسورة لا بل فكر في جميع القرآن على هذا الترتيب وتدبره على نحو هذا التنزيل فلم ندع ما ادعيناه

ويقتلون النبيين بغير حق فإن قتلهم لا يكون إلا بغير حق رفع السموات بغير عمد ترونها فإنها لا عمد لها أصلا (الثالث) قد يراد به نفي الشيء رأسا لعدم كمال وصفه وانتفاء ثمرته كقوله في صفة أهل النار لا يموت فيها ولا يحيى فنفى عنه الموت لأنه ليس بموت صريح ونفى عنه الحياة لأنها ليست بحياة طيبة ولا نافعة وتراهم ينظرون إليك وهم لا يبصرون فإن المعتزلة احتجوا بها على نفي لرؤية فإن النظر في قوله تعالى إلى ربها ناظرة لا يستلزم الإبصار ورد بأن المعنى أنها تنظر إليه بإقبالها عليه وليست تبصر شيئا ولقد علموا لمن اشتراه ماله في الآخرة من خلاق ولبئس ما شروا به أنفسهم لو كانوا يعلمون فإنه وصفهم أولا بالعلم على سبيل التوكيد القسمي ثم نفاه آخرا عنهم لعدم جريهم على موجب العلم قاله السكاكي (الرابع) قالوا المجاز يصح نفيه بخلاف الحقيقة وأشكل على ذلك وما رميت إذ رميت ولكن الله رمى فإن المنفي فيه الحقيقة وأجيب بأن المراد بالرمي هنا المترتب عليه وهو وصوله إلى الكفار فالوارد عليه النفي هنا مجاز لا حقيقة والتقدير وما رميت خلقا إذ رميت كسبا أو ما رميت انتهاء إذ رميت ابتداء (الخامس) نفي الاستطاعة قد يراد به نفي القدرة والإمكان وقد يراد نفي الامتناع وقد يراد به الوقوع بمشقة وكلفة من الأول فلا يستطيعون توصية فلا يستطيعون ردها فما استطاعوا أن يظهروه وما استطاعوا له نقبا ومن الثاني هل يستطيع ربك على القراءتين أي هل يفعل أو هل تجيبنا إلى أن تسأل فقد علموا أنه قادر على الإنزال وأن عيسى قادر على السؤال ومن الثالث إنك لن تستطيع معي صبرا . (قاعدة) . نفي العام يدل على نفي الخاص وثبوته لا يدل على ثبوته وثبوت الخاص يدل على ثبوت العام ونفيه لا يدل على نفيه ولا شك أن زيادة المفهوم من اللفظ توجب الالتذاذ به فلذلك كان نفي العام أحسن من نفي الخاص وإثبات الخاص أحسن من إثبات العام فالأول كقوله فلما أضاءت ما حوله ذهب الله بنورهم لم يقل بضوئهم بعد قوله أضاءت لأن النور أعم من الضوء إذ يقال على القليل والكثير وإنما يقال الضوء على النور الكثير ولذلك قال هو الذي جعل الشمس ضياء والقمر نورا ففي الضوء دلالة على النور فهو أخص منه فعدمه يوجب عدم الضوء بخلاف العكس والقصد إزالة النور عنهم أصلا ولذا قال عقبه وتركهم في ظلمات ومنه ليس بي ضلالة ولم يقل ضلال كما قالوا إنا لنراك في ضلال لأنها أعم منه فكان أبلغ في نفي الضلال وعبر عن هذا بأن نفي الواحد يلزم منه نفي الجنس ألبتة وبأن نفي الأدنى يلزم منه نفي الأعلى والثاني كقوله وجنة عرضها السموات والأرض ولم يقل طولها لأن العرض أخص إذ كل ماله عرض فله طول ولا ينعكس ونظير هذه القاعدة أن نفي المبالغة في الفعل لا يستلزم نفي أصل الفعل وقد أشكل على هذا آيتان قوله تعالى وما ربك بظلام للعبيد وقوله وما كان ربك نسيا (وأجيب) عن الآية الأولى بأجوبة (أحدها) أن ظلاما وإن كان للكثرة لكنه جيء به في مقابلة العبيد الذي هو جمع كثرة ويرشحه أنه تعالى قال علام الغيوب فقابل صيغة فعال بالجمع وقال في آية أخرى عالم الغيب فقابل صيغة فاعل الدالة على أصل الفعل بالواحد (الثاني) أنه نفى الظلم الكثير لينتفي القليل ضرورة لأن الذي يظلم إنما يظلم لانتفاعه بالظلم فإذا ترك الكثير مع زيادة نفعه فلأن يترك القليل أولى (الثالث) أنه على النسبة أي بذي ظلم حكاه ابن مالك عن المحققين (الرابع) أنه أتى بمعنى فاعل لا كثرة فيه (الخامس) أن أقل القليل لو ورد منه تعالى لكان كثيرا كما يقال زلة العالم كبيرة (السادس) أنه أراد ليس بظالم ليس بظالم تأكيد للنفي فعبر عن ذلك بليس بظلام (السابع) أنه ورد جوابا لمن قال ظلام والتكرار إذا ورد جوابا لكلام خاص لم يكن له مفهوم (الثامن) أن صيغة المبالغة وغيرها في صفات الله سواء في الإثبات فجرى النفي على ذلك (التاسع) أنه قصد التعريض بأن ثم ظلاما للعبيد من ولاة الجور ويجاب عن الثانية بهذه الأجوبة

وبعاشر وهو مناسبة رءوس الآى * (فائدة). قال صاحب الياقوتة قال ثعلب والمبرد العرب اذا جاءت بين الكلامين بجحدين كان الكلام إخبارا نحو وما جعلناهم جسدا لايأكلون الطعام (١) والمعنى انما جعلناهم جسدا يأكلون الطعام واذا كان الجحد فى أول الكلام كان جحدا حقيقيا نحو ما زيد بخارج وإذا كان فى أول الكلام جحدان كان احدهما زائدا وعليه فى ما أن مكناكم فيه فى أحد الاقوال

. (فصل). من أقسام الانشاء الاستفهام وهو طلب الفهم وهو بمعنى الاستخبار وقيل الاستخبار ما سبق أولا ولم يفهم حق الفهم فاذا سألت عنه ثانيا كان استفهاما حكاه ابن فارس فى فقه اللغة وأدواته الهمزة وهل وما ومن وأى وكم وكيف وأين وأنى ومتى وأيان ومرت فى الأدوات قال ابن مالك فى المصباح وماعدا الهمزة نائب عنها ولكونه طلب ارتسام صورة ما فى الخارج فى الذهن لزم أن لايكون حقيقة الا إذا صدر من شاك مصدق بامكان الاعلام فان غير الشاك إذا استفهم لزم منه تحصيل الحاصل وإذا لم يصدق بامكان الاعلام انتفت عنه فائدة الاستفهام قال بعض الائمة وما جاء فى القرآن على لفظ الاستفهام فانما يقع فى خطاب الله على معنى أن المخاطب عنده علم ذلك الاثبات أو النفى حاصل وقد تستعمل صيغة الاستفهام فى غيره مجازا وألف فى ذلك العلامة شمس الدين ابن الصائغ كتابا سماه روض الافهام فى أقسام الاستفهام قال فيه قد توسعت العرب فأخرجت الاستفهام عن حقيقته لمعان أو أشربته تلك المعانى ولايختص التجوز فى ذلك بالهمزة خلافا للصفار (الاول) الانكار والمعنى فيه على النفى وما بعده منفى ولذلك تصحبه الا كقوله فهل يهلك الا القوم الفاسقون وهل يجازى الا الكفور وعطف عليه المنفى فى قوله فمن يهدى من أضل الله ومالهم من ناصرين أى لايهدى ومنه أنؤمن لك واتبعك الارذلون أنؤمن لبشرين مثلنا أى لا نؤمن أم له البنات ولكم البنون ألكم الذكر وله الانثى أى لايكون هذا أشهدوا خلقهم أى ماشهدوا ذلك وكثيرا ما يصحبه التكذيب وهو فى الماضى بمعنى لم يكن وفى المستقبل بمعنى لايكون نحو أفأصفاكم ربكم بالبنين الآيه أى لم يفعل ذلك أنلزمكموها وأنتم لها كارهون أى لايكون هذا الإلزام (الثانى) التوبيخ وجعله بعضهم من قبيل الانكار الا أن الاول انكار ابطال وهذا انكار توبيخ والمعنى على أن ما بعده واقع جدير بان ينفى فالنفى هنا غير قصدى والاثبات قصدى عكس ما تقدم ويعبر عن ذلك بالتقريع أيضا نحو أفعصيت أمرى أتعبدون ما تنحتون أتدعون بعلا وتذرون أحسن الخالقين وأكثر ما يقع التوبيخ فى امر ثابت ووبخ على فعله كما ذكر ويقع على ترك فعل كان ينبغى أن يقع كقوله أو لم نعمركم ما يتذكر فيه من تذكر ألم تكن أرض الله واسعة فتهاجروا فيها (الثالث) التقرير وهو حمل المخاطب على الاقرار والاعتراف بأمر قد استقر عنده قال ابن جنى ولا يستعمل ذلك بهل كما يستعمل بغيرها من أدوات الاستفهام وقال الكندى ذهب كثير من العلماء فى قوله هل يسمعونكم اذ تدعون أو ينفعونكم الى أن هل تشارك الهمزة فى معنى التقرير أو التوبيخ الا انى رأيت أبا على أبى ذلك وهو معذور فان ذلك من قبيل الانكار ونقل أبو حيان عن سيبويه أن استفهام التقرير لا يكون بهل انما يستعمل فيه الهمزة ثم نقل عن بعضهم أن هل تأتى تقريرا كما فى قوله تعالى هل فى ذلك قسم لذى حجر والكلام مع التقرير موجب ولذلك يعطف عليه صريح الموجب ويعطف على صريح الموجب فالاول كقوله تعالى ألم نشرح لك صدرك ووضعنا عنك وزرك ألم يجدك يتيما فآوى ووجدك ألم يجعل كيدهم فى تضليل وأرسل والثانى نحو أكذبتم بآياتى ولم تحيطوا بها علما على ما قرره الجرجانى من جعلها مثل وجحدوا بها واستيقنتها أنفسهم ظلما وعلوا وحقيقة استفهام التقرير أنه استفهام انكار نفى وقد دخل على النفى ونفى النفى اثبات

لبعضه ولم نصف ما وصفناه إلا فى كلام وإن كانت الدلالة فى البعض أبين وأظهر والآية أكشف وابهر واذا تأملت على ما هديناك اليه ووقفناك عليه فانظر هل ترى وقع هذا النور فى قلبك واشتماله على لبك وسريانه فى حسك ونفوذه فى عروقك وامتلاءك به ايقانا واحاطة واهتداءك به ايمانا وبصيرة أم هل تجد الرعب يأخذ منك مأخذه من وجه والهزة تعمل فى جوانبك من لون والاريحية تستولى عليك من باب وهل تجد الطرب يستفزك للطيف ما فطنت له والسرور يحركك من عجيب ما وقفت عليه وتجد فى نفسك من المعرفة التى حدثت لك عزة وفى اعطافك ارتياحا وهزة وترى لك فى الفضل تقدما وتبريزا وفى اليقين سبقا وتحقيقا وترى مطارح الجهال تحت أقدام الغفلة ومهاويهم فى ظلال الذلة والدلة وأقدارهم بالعين

(١) عبارة الكستلية هنا غير محررة وتنتقص معنى كلمة والمعنى إلى وإذا اه مصححه عيد لوصيف محمد

ومن أمثلته (أليس الله بكاف عبده ألست بربكم) وجعل منه الزمخشرى (ألم تعلم أن الله على كل شئ قدير
(الرابع) التعجب أو التعجيب نحو كيف تكفرون بالله مالى لا أرى الهدهد وقد اجتمع هذا القسم
وسابقاه فى قوله أتأمرون الناس بالبر قال الزمخشرى الهمزة للتقرير مع التوبيخ من حالهم
ويحتمل التعجيب والاستفهام الحقيقى ماولاهم عن قبلتهم (الخامس) العتاب كقوله ألم يأن للذين
آمنوا أن تخشع قلوبهم لذكر الله قال ابن مسعود كان بين اسلامهم وبين أن عوتبوا بهذه الآية الا
أربع سنين (اخرجه) الحاكم ومن ألطفه ما عاتب الله به خير خلقه بقوله عفى الله عنك لم أذنت لهم ولم
يتأدب الزمخشرى بادب الله فى هذه الآية على عادته فى سوء الادب (السادس) التذكير وفيه نوع
اختصار كقوله ألم أعهد اليكم يا بنى آدم أن لا تعبدوا الشيطان ألم أقل لكم انى أعلم غيب السموات والارض
هل علمتم ما فعلتم بيوسف وأخيه (السابع) الافتخار نحو أليس لى ملك مصر (الثامن) التفخيم نحو
مال هذا الكتاب لا يغادر صغيرة ولا كبيرة (التاسع) التهويل والتخويف نحو الحاقة ما الحاقة
القارعة ما القارعة (العاشر) عكسه وهو التسهيل والتخفيف نحو وماذا عليهم لو آمنوا (الحادى عشر)
التهديد والوعيد نحو ألم نهلك الأولين (الثانى عشر) التكثير نحو وكم من قرية أهلكناها (الثالث
عشر) التسوية وهو الاستفهام الداخل على جملة يصح حلول المصدر محلها نحو سواء عليهم أأنذرتهم
أم لم تنذرهم (الرابع عشر) الأمر نحو أأسلمتم أى اسلموا فهل أنتم منتهون أى انتهوا أتصبرون أى
اصبروا (الخامس عشر) التنبيه وهو من أقسام الأمر نحو ألم تر إلى ربك كيف مد الظل أى انظر ألم تر
أن الله أنزل من السماء ماء فتصبح الأرض مخضرة ذكره صاحب الكشاف عن سيبويه ولذلك رفع الفعل
فى جوابه وجعل منه قوله فأين تذهبون للتنبيه على الضلال وكذا من يرغب عن ملة ابرهيم الا من سفه
نفسه (السادس عشر) الترغيب نحو من ذا الذى يقرض الله قرضا حسنا هل أدلكم على تجارة تنجيكم
(السابع عشر) النهى نحو أتخشونهم فالله أحق أن تخشوه بدليل فلا تخشوا الناس واخشونى
ما غرك بربك الكريم أى لا تغتر (الثامن عشر) الدعاء وهو كالنهى إلا أنه من الأدنى إلى الأعلى نحو
أتهلكنا بما فعل السفهاء أى لا تهلكنا (التاسع عشر) الاسترشاد نحو أتجعل فيها من يفسد فيها
(العشرون) التمنى نحو فهل لنا من شفعاء (الحادى والعشرون) الاستبطاء نحو متى نصر الله (الثانى
والعشرون) العرض ألا تحبون أن يغفر الله لكم (الثالث والعشرون) التحضيض نحو ألا تقاتلون
قوما نكثوا إيمانهم (الرابع والعشرون) التجاهل نحو أأنزل عليه الذكر من بيننا (الخامس
والعشرون) التعظيم نحو من ذا الذى يشفع عنده إلا باذنه (السادس والعشرون) التحقير نحو أهذا
الذى يذكر آلهتكم أهذا الذى بعث الله رسولا ويحتمله وما قبله قراءة من فرعون (السابع
والعشرون) الاكتفاء نحو أليس فى جهنم مثوى للمتكبرين (الثامن والعشرون[1]) الاستبعاد نحو
أنى لهم الذكرى (التاسع والعشرون) الايناس نحو وما تلك بيمينك ياموسى (الثلاثون) التهكم
والاستهزاء نحو أصلواتك تأمرك ألا تأكلون مالكم لا تنطقون (الحادى والثلاثون) التأكيد لما
سبق من معنى أداة الاستفهام قبله كقوله أفمن حق عليه كلمة العذاب أفأنت تنقذ من فى النار قال
الموفق عبد اللطيف البغدادى أى من حق عليه كلمة العذاب فانك لا تنقذه فمن للشرط والفاء جواب
الشرط والهمزة فى أفأنت دخلت معادة لطول الكلام وهذا نوع من أنواعها وقال الزمخشرى الهمزة
الثانية هى الأولى كررت لتوكيد معنى الانكار والاستبعاد (الثانى والثلاثون) الأخبار نحو
أفى قلوبهم مرض أم ارتابوا هل أتى على الانسان (تنبيهات) الأول هل يقال إن معنى الاستفهام فى هذه
الأشياء موجود وانضم اليه معنى آخر أو تجرد عن الاستفهام بالكلية قال فى عروس الأفراح محل

نظر

التى أن تلحظ بها مراتبهم بحيث يجب أن ترتبها هذا كله فى تأمل الكلام وعجيب نظامه وعجيب معانيه واحكامه فان
جئت إلى ما يبسط فى العالم من بركته وأنواره وتمكن فى الآفاق من يمنه وأضوائه وثبت فى القلوب من إكباره وإعظامه وتقرر فى النفوس من حتم أمره ونهيه ومضى فى الدماء من مفروض حكمه وإلى أنه جعل عماد الصلاة التى هى تلو الايمان فى التأكيد وثانية التوحيد فى الوجوب وفرض حفظه ووكل الصغار والكبار بتلاوته وأمر عند افتتاحه بما أمر به لتعظيمه من قوله (فاذا قرأت القرآن فاستعذ بالله من الشيطان الرجيم) لم يؤمر بالتعوذ لافتتاح أمر كما أمر به لافتتاحه فهل يدلك هذا على عظيم شأنه وراجح ميزانه وعالى مكانه وجملة الأمر أن نقد الكلام شديد وتمييزه صعب. ومما كتب إلى الحسن بن عبد الله العسكرى أخبرنى أبو

---

(١) وقد سقط هذا النوع من النسخة الكستلية فذكر فيها بعد عنوان الثامن والعشرون الإيناس وترك عنوان التاسع والعشرون وهو نقص لا يغتفر وخاط يتنبه له محب الاطلاع على المراجع اه مصححه عبد الوصيف محمد

نظر قال والذي يظهر الأول قال ويساعده قول التنوخي في الاقصى القريب أن لعل تكون للاستفهام مع بقاء الترجي قال ومما يرجحه ان الاستبطاء في قولك كم أدعوك معناه ان الدعاء وصل إلى حد لا أعلم عدده فانا أطلب أن أعلم عدده والعادة تقضي بأن الشخص انما يستفهم عن عدد ماصدر منه إذا كثر فلم يعلمه وفي طلب فهم عدده مايشعر بالاستبطاء وأما التعجب فالاستفهام معه مستمر فمن تعجب من شيء فهو بلسان الحال سائل عن سببه فكأنه يقول أي شيء عرض لي في حال عدم رؤية الهدهد وقد صرح في الكشاف ببقاء الاستفهام في هذه الآية وأما التنبيه على الضلال فالاستفهام فيه حقيقي لان معنى أين تذهب أخبرني إلى أي مكان تذهب فاني لا أعرف ذلك وغاية الضلال لا يشعر إلى أين تنتهي وأما التقرير فان قلنا المراد به الحكم بثبوته فهو خبر بان المذكور عقيب الاداة واقع أو طلب أقرار المخاطب به مع كون السائل يعلم فهو استفهام يقرر المخاطب أي يطلب منه أن يكون مقرا به وفي كلام أهل الفن مايقتضي الاحتمالين والثاني أظهر وفي الايضاح تصريح به ولا بدع في صدور الاستفهام ممن يعلم المستفهم عنه لانه طلب الفهم إما طلب فهم المستفهم أو وقوع فهم لمن لم يفهم كائنا من كان وبهذا تنحل اشكالات كثيرة في مواقع الاستفهام ويظهر بالتأمل بقاء معنى الاستفهام مع كل أمر من الأمور المذكورة انتهى ملخصا (الثاني) القاعدة أن المنكر يجب أن يلي الهمزة وأشكل عليها قوله تعالى (أفأصفاكم ربكم بالبنين) فان الذي يليها هنا الاصفاء بالبنين وليس هو المنكر انما المنكر قولهم انه اتخذ من الملائكة اناثا (وأجيب) بان لفظ الاصفاء مشعر بزعم أن البنات لغيرهم أو بان المراد بمجموع الجملتين وينحل منهما كلا واحد والتقدير أجمع بين الاصفاء بالبنين واتخاذ البنات وأشكل منه قوله أتأمرون الناس بالبر وتنسون أنفسكم ووجه الاشكال انه لا جائز ان يكون المنكر أمر الناس بالبر فقط كما تقتضيه القاعدة المذكورة لأن أمر البر ليس مما ينكر ولا نسيان النفس فقط لانه يصير ذكر أمر الناس بالبر لا مدخل له ولا لمجموع الامرين لانه يلزم ان تكون العبادة جزء المنكر ولا نسيان النفس بشرط الامر لان النسيان منكر مطلقا ولا يكون نسيان النفس حال الامر أشد منه حال عدم الأمر لان المعصية لا تزداد بشاعتها بانضمامها إلى الطاعة لان جمهور العلماء على أن الامر بالبر واجب وان كان الانسان ناسيا لنفسه وأمره لغيره بالبر كيف يضاعف معصية نسيان ولا يأتي الخير بالشر قال في عروس الافراح ويجاب بان فعل المعصية مع النهي عنها أفحش لأنها تجعل حال الانسان كالمتناقض ويجعل القول كالمخالف للفعل ولذلك كانت المعصية مع العلم أفحش منها مع الجهل قال ولكن الجواب على أن الطاعة الصرفة كيف تضاعف المعصية المقارنة لها من جنسها فيه دقة

(فصل) من أقسام الانشاء وهو طلب فعل غير كف وصيغة أفعل ولتفعل وهي حقيقة في الايجاب نحو وأقيموا الصلاة فليصلوا معك وترد مجازا لمعان أخر منها الندب نحو وإذا قرىء القرآن فاستمعوا له وأنصتوا والاباحة نحو فكان توهم نص الشافعي على أن الامر فيه للاباحة ومنه إذا حللتم فاصطادوا والدعاء من السافل للعالي نحو رب اغفر لي والتهديد نحو اعملوا ماشئتم إذ ليس المراد الأمر بكل عمل شاءوا والإهانة نحو ذق إنك أنت العزيز الكريم والتسخير اى التذليل نحو كونوا قردة عبر به عن نقلهم من حالة إلى حالة إذلالا لهم فهو أخص من الاهانة والتعجيز نحو فأتوا بسورة من مثله إذ ليس المراد طلب ذلك منهم بل إظهار عجزهم والامتنان نحو كلوا من ثمره إذا أثمر والعجب نحو انظر كيف ضربوا لك الأمثال والتسوية نحو فاصبروا أو لا تصبروا والارشاد نحو وأشهدوا إذا تبايعتم والاحتقار نحو ألقوا ما أنتم ملقون والانذار نحو قل تمتعوا والاكرام نحو ادخلوها بسلام والتكوين وهو أعم من التسخير نحو كن فيكون

بكر بن دريد قال سمعت ابا حاتم يقول سمعت الاصمعي يقول فرسان الشعراء أقل من فرسان الحرب وقال سمعت أبا عمرو بن العلاء يقول العلماء بالشعر أعز من الكبريت الأحمر وإذا كان الكلام المتعارف المتداول بين الناس يشق تمييزه ويصعب نقده يذهب عن محاسنه الكثير وينظرون إلى كثير من قبيحه بعين الحسن وكثير من حسنته بعين القبح ثم يختلفون في الاحسن منه اختلافا كثيرا وتتباين آراؤهم في تفضيل ما تفضل منه فكيف لا يتحيرون فيما لا يحيط به علمهم ولا يأتي في مقدورهم ولا يمر بخواطرهم وقد حير القوم الذين لم يكن أحد أفصح منهم ولا أتم بلاغه ولا أحسن براعة حتى دهشوا حين ورد عليهم وولهت عقولهم ولم يكن عقدهم فيه جواب غير ضرب الامثال والتحريض عليه والتوهم فيه وتقسيمه أقساما وجعله

والانعام أى تذكير النعمة نحو كلوا مما رزقكم الله، التكذيب نحو قل فأتوا بالتوراة فاتلوها قل هلم شهداءكم الذين يشهدون أن الله حرم هذا والمشورة نحو فانظر ماذا ترى والاعتبار نحو فانظروا إلى ثمره والتعجب نحو أسمع بهم وابصر ذكره السكاكى فى استعمال الانشاء بمعنى الخبر

. (فصل) . ومن أقسامه النهى وهو طلب الكف عن فعل وصيغة لا تفعل وهى حقيقة فى التحريم وترد مجاز المعان منها الكراهة نحو ولا تمش فى الأرض مرحا والدعاء نحو ربنا لا تزغ قلوبنا والارشاد نحو لا تسألوا عن أشياء إن تبد لكم تسؤكم والتسوية نحو أو لا تصبروا والاحتقار والتقليل نحو لا تمدن عينيك الآية أى فهو قليل حقير وبيان العاقبة نحو ولا تحسبن الذين قتلوا فى سبيل الله أمواتا بل أحياء أى عاقبة الجهاد الحياة لا الموت واليأس نحو لا تعتذروا والاهانة نحو اخسئوا فيها ولا تكلمون

. (فصل) . ومن أقسامه التمنى وهو طلب حصول شىء على سبيل المحبة ولا يشترط امكان المتمنى بخلاف المترجى لكن نوزع فى تسمية تمنى المحال طلبا بأن ما لا يتوقع كيف يطلب قال فى عروس الافراح فالاحسن ما ذكره الإمام وأتباعه من أن التمنى والترجى والنداء له القسم ليس فيها طلب بل هو تنبيه ولا بدع فى تسمية انشاء اه وقد بالغ قوم فجعلوا التمنى من قسم الخبر وان معناه النفى والزمخشرى ممن جزم بخلافه ثم استشكل دخول التكذيب فى جوابه فى قوله يا ليتنا نرد ولا نكذب إلى قوله وانهم لكاذبون وأجاب بتضمنه معنى العدة فتعلق به التكذيب وقال غيره التمنى لا يصح فيه الكذب وانما الكذب فى المتمنى الذى يترجح عند صاحبه وقوعه فهو إذن وارد على ذلك الاعتقاد الذى هو ظن وهو خبر صحيح قال وليس المعنى فى قوله وانهم لكاذبون ان ما تمنوا ليس بواقع لأنه ورد فى معرض الذم لهم وليس فى ذلك المتمنى ذم بل التكذيب ورد على أخبارهم عن أنفسهم أنهم لا يكذبون وانهم يؤمنون وحرف التمنى الموضوع له ليت نحو يا ليتنا نرد يا ليت قومى يعلمون يا ليتنى كنت معهم فافوز وقد يتمنى بهل حيث يعلم فقده نحو فهل لنا من شفعاء فيشفعوا لنا وبلو نحو فلو ان لنا كرة فنكون ولذا نصب الفعل فى جوابها وقد يتمنى بلعل فى البعيد فتعطى حكم ليت فى نصب الجواب نحو لعلى أبلغ الأسباب أسباب السموات فاطلع

. (فصل) . ومن أقسامه الترجى نقل القرافى فى الفروق والاجماع على أنه انشاء وفرق بينه وبين التمنى بأنه فى الممكن والتمنى فيه وفى المستحيل وبان الترجى فى القريب والتمنى فى البعيد وبأن الترجى فى المتوقع والتمنى فى غيره وبان التمنى فى المشفوق للنفس والترجى فى غيره وسمعت شيخنا العلامة الكافيجى يقول الفرق بين التمنى وبين العرض هو الفرق بينه وبين حرف الترجى لعل وعسى وقد ترد مجازا لتوقع محذور ويسمى الاشفاق نحو لعل الساعة قريب

. (فصل) . ومن أقسامه النداء وهو طلب اقبال المدعو على الداعى بحرف نائب مناب أدعو ويصحب فى الاكثر الأمر والنهى والغالب تقدمه نحو يا أيها الناس اعبدوا ربكم يا عبادى فاتقون يا ايها المزمل قم الليل يا قوم استغفروا ربكم يا أيها الذين آمنوا لا تقدموا وقد يتأخر نحو وتوبوا إلى الله جميعا أيها المؤمنون وقد يصحب الجملة الخبرية لتعقبها جملة الأمر نحو يا أيها الناس ضرب مثل فاستمعوا له يا قوم هذه ناقة الله لكم آية فذروها وقد لا يعقبها نحو يا عبادى لا خوف عليكم اليوم يا أيها الناس أنتم الفقراء إلى الله يا أبت هذا تأويل رؤياى وقد تصحبه الاستفهاميه نحو يا أبت لم تعبد ما لا يسمع ولا يبصر يا أيها النبى لم تحرم يا قوم مالى أدعوكم وقد ترد صورة النداء لغيره مجازا كالاغراء والتحذير وقد اجتمع فى قوله تعالى ناقة الله وسقياها والاختصاص كقوله رحمة الله وبركاته عليكم أهل البيت والتنبيه كقوله ألا يسجدوا والتعجب

عضين وكيف لا يكون أحسن الكلام وقد قال الله تعالى (الله نزل أحسن الحديث كتابا متشابها مثانى تقشعر منه جلود الذين يخشون ربهم ثم تلين جلودهم وقلوبهم إلى ذكر الله ذلك هدى الله يهدى به من يشاء من عباده ومن يضلل الله فاله من هاد) استغنم وافهم هذه الآية وكفاك استفد علم هذه الكلمات وقد أغناك فليس يوقف على حسن الكلام بطوله ولا نعرف براعته بكثرة فصوله ان القليل يدل على الكثير والقريب قد يهجم بك على البعيد ثم انه سبحانه وتعالى لما علم من عظم شأن هذه المعرفة وكبر محلها وذهابها على أقوام ذكر فى آخر هذه الآية ما ذكر وبين ما بين فقال) ذلك هدى الله يهدى به من يشاء) فلا يعلم ما وصفنا لك إلا بهداية من العزيز الحميد وقال (من يضلل الله فاله من هاد وقال (يضل به كثيرا) ويهدى به كثيرا) وقد بسطنا لك

كقوله ياحسرة على العباد والتحسر كقوله ياليتني كنت ترابا (قاعدة) أصل النداء بيان أن تكون للبعيد
حقيقة أو حكما وقد ينادي بها القريب لنكت منها اظهار الحرص في وقوعه على اقبال المدعو نحو ياموسى
أقبل ومنها كون الخطاب المتلو معتنى به نحو ياأيها الناس اعبدوا ربكم ومنها قصد تعظيم شأن المدعو نحو
يارب وقد قال تعالى إني قريب ومنها قصد انحطاطه كقول فرعون واني لاظنك ياموسى مسحورا (فائدة)
قال الزمخشري وغيره كثر في القرآن النداء بيا أيها دون غيره لان فيها أوجها من التأكيد وأسبابا
من المبالغة منها مافي يامن التأكيد والتنبيه ومافي هامن التنبيه ومافي التدرج من الابهام في أي الى
التوضيح والمقام يناسب المبالغة والتأكيد لان كل مانادى له عباده من أوامره ونواهيه وعظاته وزواجره
ووعده ووعيده ومن اقتصاص أخبار الأمم الماضية وغير ذلك مما أنطق الله به كتابه أمور عظام
وخطوب جسام ومعان واجب عليهم أن يتيقظوا لها ويميلوا بقلوبهم وبصائرهم اليها وهم غافلون
فاقتضى الحال أن ينادوا بالآكد الابلغ

*(فصل) * ومن أقسامه القسم نقل القرافي الاجماع على انه انشاء وفائدته تأكيد الجملة الخبرية
وتحقيقها عند السامع وسيأتي بسط الكلام فيه في النوع السابع والستين

*(فصل) * ومن أقسامه الشرط

*(النوع الثامن والخمسون) * في بدائع القرآن أفرده بالتصنيف ابن أبي الأصبع فأورد فيه نحو
مائة نوع وهي المجاز والاستعارة والكناية والارداف والتمثيل والتشبيه والايجاز والاتساع
والاشارة والمساواة والبسط والايغال والتشريع والتتميم والاتضاح ونفي الشيء بايجابه والتكميل
والاحتراس والاستقصاء والتذييل والزيادة والترديد والتكرار والتفسير والمذهب الكلامي
والقول بالموجب والمناقضة والانتقال والاسجال والتسليم والتمكين والتوشيح والتسهيم ورد العجز
على الصدر وتشابه الاطراف ولزوم مالا يلزم والتخيير والايهام وهو التورية والاستخدام والالتفات
والاستطراد والاطراد والانسجام والادماج والافتنان والاقتدار وائتلاف اللفظ مع اللفظ وائتلاف
اللفظ مع المعنى والاستدراك والاستثناء والاقتصاص والابدال وتأكيد المدح بما يشبه الذم
والتخويف والتغاير والتقسيم والتدبيج والتنكيت والتجريد والتعديد والترتيب والترقي والتدلي
والتضمين والجناس والجمع والتفريق والجمع والتقسيم والجمع مع التفريق والتقسيم وجمع المؤتلف
والمختلف وحسن النسق وعتاب المرء نفسه والعكس والعنوان والفرائد والقسم واللف والنشر
والمشاكلة والمزاوجة والموازنة والمراجعة والنزاهة والابداع والمقارنة وحسن الابتداء وحسن الختام
وحسن التخلص والاستطراد فأما المجاز وما بعده الى الايضاح فقد تقدم بعضها في أنواع مفردة وبعضها
في نوع الايجاز والاطناب مع أنواع أخر كالتعريض والاحتباك والاكتفاء والطرد والعكس وأما نفي
الشيء بايجابه فقد تقدم في النوع الذي قبل هذا وأما المذهب الكلامي والخمسة بعده فستأتي في نوع
الجدل مع أنواع أخر مزيدة وأما التمكين والثمانية بعده فستأتي في أنواع الفواصل وأما حسن التخلص
والاستطراد فسيأتيان في نوع المناسبات وأما حسن الابتداء وبراعة الختام فسيأتيان في نوعي
الفواتح والخواتم وها أنا أورد الباقي مع زوائد ونفائس لاتوجد مجموعة في غير هذا الكتاب (الايهام)
ويدعى التورية أن يذكر لفظ له معنيان اما بالاشتراك أو التواطؤ أو الحقيقة والمجاز أحدهما
قريب والآخر بعيد ويقصد البعيد ويورى عنه بالقريب فيتوهمه السامع من أول وهلة قال
الزمخشري لاترى بابا في البيان أدق ولا ألطف من التورية ولا أنفع ولا أعون على تعاطي تأويل
المتشابهات في كلام الله ورسوله قال ومن أمثلتها الرحمن على العرش استوى فان الاستواء على

القول رجاء افهامك
وهذا المنهاج الذي رأيته
ان سلكته يأخذ بيدك
ويدلك على رشدك
ويغنيك عن ذكر براعته
آية آية لك واعلم انا لم
نقصد فيما سطرناه من
الآيات وسميناه من
السور والدلالات ذكر
الأحسن والأكشف
والأظهر لانا نعتقد في كل
سورة ذكرناها أو أضربنا
عن ذكرها اعتقادا
واحدا في الدلالة على
الاعجاز والكفاية في
التمتع والبرهان ولكن لم
يكن بد من أن نذكر بعض
فذكرنا ما تيسر وقلنا
فيما اتجه في الحال وخطر
وان كنا نعتقد ان الاعجاز
في بعض القرآن أظهر
وفي بعض أدق وأغمض
والكلام في هذا الفصل
يجيء بعد هذا فاحفظ
عنا في الجملة ما كررنا
والسير بعد ذلك في
التفصيل اليك وحصل
ما أعطيناك من العلامة
ثم النظر عليك قد اعتمدنا
على أن الآيات تنقسم
الى قسمين أحدهما مايتم

معنيين الاستقرار فى المكان وهو المعنى القريب المورى به الذى هو غير مقصود لتنزيهه تعالى عنه والثانى الاستيلاء والملك وهو المعنى البعيد المقصود الذى ورى به عنه بالقريب المذكور انتهى وهذه التورية تسمى مجردة لانها لم يذكر فيها شىء من لوازم المورى به ولا المورى عنه ومنها ما يسمى مرشحة وهى متى ذكر فيها شىء من لوازم هذا أو هذا قوله تعالى والسماء بنيناها بأيد فانه يحتمل الجارحة وهو المورى به وقد ذكر من لوازمه على جهة الترشيح البنيان ويحتمل القوة والقدرة وهو البعيد المقصود قال ابن أبى الاصبع فى كتابه الاعجاز ومنها قالوا تالله انك لفى ضلالك القديم فالضلال يحتمل الحب وضد الهدى فاستعمل أولاد يعقوب ضد الهدى تورية عن الحب فاليوم ننجيك ببدنك على تفسيره بالدرع فان البدن يطلق عليه وعلى الجسد والمراد البعيد وهو الجسد قال ومن ذلك قوله بعد ذكر أهل الكتاب من اليهود والنصارى حيث قال (ولئن أتيت الذين أوتوا الكتاب بكل آية ما تبعوا قبلتك وما انت بتابع قبلتهم) ولما كان الخطاب لموسى من الجانب الغربى وتوجهت اليه اليهود وتوجهت النصارى الى المشرق كانت قبلة الاسلام وسطا بين القبلتين قال الله تعالى (وكذلك جعلناكم أمة وسطا) أى خيارا وظاهر اللفظ يوهم التوسط مع ما يعضده من توسط قبلة المسلمين صدق على لفظه وسط هاهنا أن يسمى تعالى به لاحتمالها المعنيين ولما كان المراد أبعدهما وهو الخيار صلحت أن تكون من أمثلة التورية قلت وهى مرشحة تلازم المورى عنه وهو قوله لتكونوا شهداء على الناس فانه من لوازم كونهم خيارا أى عدولا والاتيان قبلها من قسم المجردة ومن ذلك قوله والنجم والشجر يسجدان فان النجم يطلق على الكوكب ويرشحه له ذكر الشمس والقمر وعلى مالا ساق له من النبات وهو المعنى البعيد له وهو المقصود فى الآية ونقلت من خط شيخ الاسلام ابن حجر ان من التورية فى القرآن قوله تعالى (وما أرسلناك الا كافة للناس) فان كافة بمعنى مانع أى تكفهم عن الكفر والمعصية والهاء للمبالغة وهذا معنى بعيد والمعنى القريب المتبادر ان المراد جامعة بمعنى جميعا لكن منع من حمله على ذلك ان التأكيد يتراخى عن المؤكد فكما لا تقول رأيت جميعا الناس لا تقول رأيت كافة الناس (الاستخدام) هو والتورية أشرف أنواع البديع وهما سيان بل فضله بعضهم عليها ولهم فيه عبارتان احداهما أن يؤتى بلفظ له معنيان فأكثر مرادا به أحد معانيه ثم يؤتى بضميره مرادا به المعنى الآخر هذه طريقة السكاكى واتباعه والأخرى أن يؤتى بلفظ مشترك ثم بلفظين يفهم من أحدهما أحد المعنيين ومن الآخر الآخر وهذه طريقة بدر الدين بن جماعة فى المصباح ومشى عليها ابن أبى الاصبع ومثله بقوله تعالى لكل أجل كتاب الآية فلفظ كتاب يحتمل الامر المحتوم والكتاب المكتوب فلفظ أجل يخدم المعنى الاول ويمحو يخدم الثانى ومثل غيره بقوله تعالى (لا تقربوا الصلاة وأنتم سكارى) الآية فالصلاة يحتمل أن يراد فعلها وموضعها وقوله حتى تعلموا ما تقولون يخدم الاول والاعابرى سبيل يخدم الثانى قيل ولم يقع فى القرآن على طريقة السكاكى قلت وقد استخرجت بفكرى آيات على طريقته منها قوله تعالى (أتى أمر الله فأمر) الله يراد به قيام الساعة والعذاب وبعثة النبى صلى الله عليه وسلم وقد أريد بلفظه الاخير كما أخرج ابن مردويه من طريق الضحاك عن ابن عباس فى قوله تعالى أتى أمر الله قال محمد وأعيد الضمير عليه فى تستعجلوه مرادا به قيام الساعة والعذاب ومنها وهى أظهرها قوله تعالى (ولقد خلقنا الانسان من سلالة) من طين فان المراد به آدم ثم أعاد عليه الضمير مرادا به ولده ثم قال ثم جعلناه نطفة فى قرار مكين ومنها قوله تعالى لا تسألوا عن أشياء ان تبد لكم تسؤكم ثم قال قد سألها قوم من قبلكم أى أشياء اخرى لان الاولين لم يسألوا عن الاشياء التى سأل عنها الصحابة فنهوا عن سؤالها

بنفسه أو بنفسه وفاصلته فيتميز فى الكلام انارة النجم فى الظلام والثانى ما يشتمل على كلمتين أو كلمات اذا تأملتها وجدت كل كلمة منها فى نهاية البراعة وغاية البلاغة وانما يبين ذلك بان تتصور هذه الكلمة مضمنة بين أضعاف كلام كثير أو خطاب طويل فتراها ما بينها تدل على نفسها وتعلو على ما قد قرن منها لعلو جنسها فاذا ضمت الى أخواتها وجاءت فى ذواتها أرتك القلائد منظومة كما كانت تريك عند تأمل الافراد منها اليواقيت منثورة والجواهر مبثوثة ولولا ما أكره من تضمين القرآن فى الشعر لانشدتك الفاظا وقعت مضمنة لتعلم كيف تلوح عليه وكيف ترى بهجتها فى أثنائه وكيف تمتاز منه حتى أنه لو تأمله من لم يقرأ القرآن لتبين أنه أجنبى من الكلام الذى تضمنه والباب الذى توسطه وأنكر مكانه واستكبر موضعه ثم

(الالتفات) نقل الكلام من أسلوب إلى آخر أعني من التكلم أو الخطاب أو الغيبة إلى آخر منها بعد التعبير بالاول هذا هو المشهور وقال السكاكي أما ذلك أو التعبير بأحدهما فيما حقه التعبير بغيره وله فوائد منها تطرية الكلام وصيانة السمع عن الضجر والملال لما جبلت عليه النفوس من حب التنقلات والسلامة من الاستمرار على منوال واحد وهذه فائدته العامة ويختص كل موضع بنكت ولطائف باختلاف محله كما سنبينه مثاله من التكلم إلى الخطاب ووجهه حث السامع وبعثه على الاستماع حيث أقبل المتكلم عليه وأعطاه فضل عناية تختص بالمواجهة قوله تعالى (ومالي لا أعبد الذي فطرني واليه ترجعون) الاصل واليه أرجع فالتفت من التكلم إلى الخطاب ونكتته أنه أخرج الكلام في معرض مناصحته لنفسه وهو يريد نصح قومه تلطفا وإعلاما أنه يريد لهم ما يريد لنفسه ثم التفت اليهم لكونه في مقام تخويفهم ودعوتهم إلى الله تعالى كذا جعلوا هذه الآية من الالتفات وفيه نظر لانه إنما يكون منه إذا قصد الاخبار عن نفسه في كلا الجملتين وهنا ليس كذلك لجواز أن يريد بقوله ترجعون المخاطبين لا نفسه (وأجيب) بأنه لو كان المراد ذلك لما صح الاستفهام الانكاري لان رجوع العبد إلى مولاه ليس بمستلزم أن يعبده غير ذلك الراجع فالمعنى كيف لا أعبد من اليه رجوعي وإنما عدل عن واليه أرجع إلى واليه ترجعون لانه داخل فيهم ومع ذلك أفاد فائدة حسنة وهي تنبيههم على أنه مثلهم في وجوب عبادة من اليه الرجوع ومن أمثلته أيضا قوله تعالى (وأمرنا لنسلم لرب العالمين وأن أقيموا الصلاة) ومثاله من التكلم إلى الغيبة ووجهه أن يفهم السامع أن هذا نمط المتكلم وقصده من السامع حضر أو غاب وأنه ليس في كلامه ممن يتلون ويتوجه ويبدي في الغيبة خلاف ما نبديه في الحضور قوله تعالى (انا فتحنا لك فتحا مبينا ليغفر لك الله) والاصل لنغفر لك انا أعطيناك الكوثر فصل لربك والاصل لنا أمرا من عندنا انا كنا مرسلين رحمة من ربك والاصل منا اني رسول الله اليكم جميعا إلى قوله فآمنوا بالله ورسوله والاصل وبي وعدل عنه لنكتتين أحدهما دفع التهمة عن نفسه بالعصبية لها والاخرى تنبيههم على استحقاقه الاتباع بما اتصف به من الصفات المذكورة والخصائص المتلوة ومثاله من الخطاب إلى التكلم لم يقع في القرآن ومثل له بعضهم بقوله فاقض ما أنت قاض ثم قال انا آمنا بربنا وهذا المثال لا يصح لان شرط الالتفات أن يكون المراد به واحدا ومثاله من الخطاب إلى الغيبة حتى إذا كنتم في الفلك وجرين بهم والاصل بكم ونكتة العدول عن خطابهم إلى غاية حالهم لغيرهم التعجب من كفرهم وفعلهم إذ لو استمر على خطابهم لفاتت تلك الفائدة وقيل لان الخطاب أولا كان مع الناس مؤمنهم وكافرهم بدليل (هو الذي يسيركم في البر والبحر) فلو وجرين بكم للزم الذم للجميع فالتفت عن الاول للاشارة إلى اختصاصه بهؤلاء الذين شأنهم ما ذكره عنهم في آخر الآية عدولا من أن الخطاب العام إلى الخاص قلت ورأيت عن بعض السلف في توجيهه عكس ذلك وهو أن الخطاب أوله خاص وآخره عام فاخرج ابن أبي حاتم عن عبد الرحمن بن زيد بن أسلم أنه قال في قوله حتى إذا كنتم في الفلك وجرين بهم قال ذكر الحديث عنهم ثم حدث عن غيرهم ولم يقل وجرين بكم لانه قصد أن يجمعهم وغيرهم وجرين بهؤلاء وغيرهم من الخلق هذه عبارته فلله در السلف ما كان أوقفهم على المعاني اللطيفة التي يدأب المتأخرون فيها زمانا طويلا ويفنون فيها أعمارهم ثم غاية أن يحوموا حول الحمى ومما ذكر في توجيهه أيضا أنهم وقت الركوب حضروا إلا أنهم خافوا الهلاك وغلبة الرياح فخاطبهم خطاب الحاضرين ثم لما جرت الرياح بما تشتهي السفن وأمنوا الهلاك لم يبق حضورهم كما كان على عادة الانسان انه إذا أمن غاب قلبه عن ربه فلما غابوا ذكرهم الله بصيغة الغيبة وهذه اشارة صوفية ومن أمثلته أيضا وما آتيتم من زكاة تريدون وجه الله فأولئك هم

تناسبها في البلاغة والابداع وتماثلها في السلاسة والاغراب ثم انفرادها بذلك الاسلوب وتخصصها بذلك الترتيب ثم سائر ما قدمنا ذكره مما نكره اعادته وأنت ترى غيره من الكلام يضطرب في مجاريه ويختل تصرفه في معانيه ويتفاوت التفاوت الكثير في طرقه ويضيق به النطاق في مذاهبه ويرتبك في أطرافه وجوانبه ويسلمه للتكلف الوحش كثرة تصرفه ويحمله على التصنع الظاهر موارد تنقله وتخاصة ونظم القرآن في مؤتلفه ومختلفه وفي فصله ووصله وافتتاحه واختتامه وفي كل نهج يسلكه وطريق يأخذ فيه وباب يتهجم عليه ووجه يؤمه على ما وصفه الله تعالى به لا يتفاوت كما قال ولو كان من عند غير الله لوجدوا فيه اختلافا كثيرا ولا يخرج عن تشابهه وتماثله كما قال (قرآنا عربيا غير ذي عوج) وكما قال كتابا متشابها)

المضعفون و كره اليكم الكفر والفسوق والعصيان أولئك هم الراشدون ادخلوا الجنة انتم وأزواجكم تحبرون يطاف عليهم والاصل عليكم ثم قال وأنتم فيها خالدون فكرر الالتفات ومثاله من الغيبة الى التكلم الله الذى يرسل الرياح فتثير سحابا فسقناه وأوحى فى كل سماء أمرها وزينا سبحان الذى أسرى بعبده الى قوله باركنا حوله لنريه من آياتنا ثم التفت ثانيا الى الغيبة فقال إنه هو السميع البصير وعلى قراءة الحسن لنريه الغيبية يكون التفاتا ثانيا من باركنا وفى آياتنا التفات ثالث وفى أنه التفات رابع قال الزمخشرى وفائدته فى هذه الآيات وأمثالها التنبيه على التخصيص بالقدرة وأنه لايدخل تحت قدرة أحد ومثاله من الغيبة الى الخطاب (وقالوا اتخذوا الرحمن ولدا لقد جئتم شيئا اذا ألم يروا كم أهلكنا من قبلهم من قرن مكناهم فى الأرض مالم نمكن لكم وسقاهم ربهم شرابا طهورا إن هذا كان لكم جزاء) أراد النبى أن يستنكحها خالصة لك ومن محاسنة ماوقع فى سورة الفاتحة فان العبد اذا ذكر الله تعالى وحده ثم ذكر صفاته التى كل صفة منها تبعث على شدة الاقبال وآخرها مالك يوم الدين المفيد أنه مالك الامر كله فى يوم الجزاء يجد من نفسه حاملا لايقدر على الخطاب من هذه صفاته بتخصيصه بغاية الخضوع والاستعانة فى المهمات وقيل انما اختير لفظ الغيبة للحمد وللعبادة الخطاب للاشارة الى أن الحمد دون العبادة فى الرتبة لانك تحمد نظيرك ولا تعبده فاستعمل لفظ الحمد مع الغيبة ولفظ العبادة مع لينسب الى المعظم حال المخاطبة والمواجهة ماهو أعلى رتبة وذلك على طريقة التأدب وعلى نحو من ذلك جاء آخر السورة فقال الذين أنعمت عليهم مصرحا بذكر المنعم واسناد الانعام اليه لفظا ولم يقل صراط المنعم عليهم فلما صار إلى ذكر الغضب زوى عنه لفظه فلم ينسبه اليه لفظا وجاء باللفظ منحرفا عن ذكر الغاضب فلم يقل غير الذين غضبت عليهم تفاديا عن نسبة الغضب اليه فى اللفظ حال المواجهه وقيل لانه لما ذكر الحقيق بالحمد وأجرى عليه الصفات العظيمة من كونه ربا للعالمين ورحمانا ورحيما ومالكا ليوم الدين تعلق العلم بمعلوم عظيم الشأن حقيق بأن يكون معبودا دون غيره مستعانا به فخوطب بذلك لتمييزه بالصفات المذكورة تعظيما لشأنه حتى كأنه قيل اياك يامن هذه صفاته نخص بالعبادة والاستعانة لاغيرك قيل ومن لطائفه التنبيه على أن مبتدأ الخلق للغيبة منهم عنه سبحانه وتعالى وقصورهم عن محاضرته ومخاطبته وقام حجاب العظمة عليهم فاذا عرفوه بما هوله وتوسلوا للقرب بالثناء عليه وأقروا بالمحامد له تعبدوا له بما يليق بهم وتأهلوا لمخاطبته ومناجاته فقالوا اياك نعبد واياك نستعين * (تنبيهات) . الاول شرط الالتفات أن يكون الضمير فى المنتقل اليه عائدا فى نفس الامر الى المنتقل عنه ولا يلزم عليه أن يكون فى أنت صديقى التفات (الثانى) شرطه أيضا أن يكون فى جملتين صرح به صاحب الكشاف وغيره والا يلزم عليه أن يكون نوعا غريبا (الثالث) ذكر التنوخى فى الاقصى القريب وابن الاثير وغيرهما نوعا غريبا من الالتفات وهو بناء الفعل للمفعول بعد خطاب فاعله أو تكلمه كقوله غير المغضوب عليهم بعد أنعمت فإن المعنى غير الذين غضبت عليهم وتوقف فيه صاحب عروس الافراح (الرابع) قال ابن أبى الاصبع جاء فى القرآن من الالتفات قسم غريب جدا لم أظفر فى الشعر بمثاله وهو أن يقدم المتكلم فى كلامه مذكورين مرتبين ثم يخبر عن الاول منهما وينصرف عن الأخبار عنه الى الاخبار عن الثانى ثم يعود الى الاخبار عن الأول كقوله ان الانسان لربه لكنود وانه على ذلك لشهيد انصرف عن الاخبار عن الانسان الى الاخبار عن ربه تعالى ثم قال منصرفا عن الاخبار عن ربه تعالى الى الاخبار عن الانسان وانه لحب الخير لشديد قال وهذا يحسن ان يسمى التفات الضمائر (الخامس) يقرب من الالتفات نقل الكلام من خطاب الواحد او الاثنين او الجمع لخطاب الآخر ذكره التنوخى وابن الاثير وهو ستة

ولا يخرج عن ابانته كما قال بلسان عربى مبين وغيره من الكلام كثير التلون دائم التغير يقف بك على بديع مستحسن ويعقبه قبيح مستهجن ويطلع عليك بوجه الحسناء ثم يعرض للهجر بخد القبيحة الشوهاء ويأتيك باللفظة المستنكرة بين الكلمات التى هى كاللآلىء الزهر وقد يأتيك باللفظة الحسنة بين الكلمات البهم قد يقع اليك منه الكلام المنبج والنظم المشوش والحديث المشوه وقد تجد منه مالا يتناسب ولا يتشابه ولا يتألف ولا يتماثل وقد قيل فى وصف ماجرى هذا المجرى

وشعر كبعر الكبش فرق بينه
لسان دعى فى القريض دخيل

وقال آخر

وبعض قريض القوم اولاد علة
يكد لسان الناطق المتحفظ

فان قال قائل فقد نجد فى آيات القرآن مايكون نظمه بخلاف ما وصفت

أقسام أيضا مثاله من الواحد إلى الإثنين (قالوا أجئتنا لتلفتنا عما وجدنا عليه آباءنا وتكون لكما الكبرياء فى الأرض) وإلى الجمع يا أيها النبى إذا طلقتم النساء ومن الإثنين إلى الواحد فمن ربكما ياموسى فلا يخرجنكما من الجنة فتشقى وإلى الجمع وأوحينا إلى موسى وأخيه أن تبوآ لقومكما بمصر بيوتا واجعلوا بيوتكم قبلة ومن الجمع إلى الواحد وأقيموا الصلاة وبشر المؤمنين إلى الإثنين يامعشر الجن والإنس إن استطعتم إلى قوله فبأى آلاء ربكما تكذبان (السادس) ويقرب منه أيضا الانتقال من الماضى أو المضارع أو الأمر إلى آخر مثاله عن الماضى إلى المضارع أرسل الرياح فتثير خر من السماء فتخطفه الطير إن الذين كفروا ويصدون عن سبيل الله وإلى الأمر قل أمر ربى بالقسط وأقيموا وجوهكم وأحلت لكم الأنعام إلا ما يتلى عليكم فاجتنبوا ومن المضارع إلى الماضى ويوم ينفخ فى الصور ففزع ويوم نسير الجبال وترى الأرض بارزة وحشرناهم وإلى الأمر قال إنى أشهد الله واشهدوا أنى برىء. ومن الأمر إلى الماضى واتخذوا من مقام ابراهيم مصلى وعهدنا وإلى المضارع وأن أقيموا الصلاة واتقوه وهو الذى إليه تحشرون (الاطراد) هو أن يذكر المتكلم أسماء آباء الممدوح مرتبة على حكم ترتيبها فى الولادة قال ابن أبى الأصبع ومنه فى القرآن قوله تعالى حكاية عن يوسف (واتبعت ملة آبائى ابراهيم واسحق ويعقوب) قال وإنما لم يأت به على الترتيب المألوف فإن العادة الابتداء بالأب ثم الجد ثم الجد الأعلى لأنه لم يرد هنا مجرد ذكر الآباء وإنما ذكرهم ليذكر ملتهم التى اتبعها فبدأ بصاحب الملة ثم بمن أخذها عنه أولا فأولا على الترتيب ومثله قول أولاد يعقوب نعبد إلهك وإله آبائك ابرهيم واسمعيل واسحق (الانسجام) هو أن يكون الكلام لخلوه من العقادة منحدرا كتحدر الماء المنسجم ويكاد لسهولة تركيبه وعذوبة ألفاظه أن يسيل رقة والقرآن كله كذلك قال أهل البديع وإذا قوى الانسجام فى النثر جاءت قراءته موزونة بلا قصد لقوة انسجامه ومن ذلك ما وقع فى القرآن موزونا فمنه من بحر الطويل فمن شاء فليؤمن ومن شاء فليكفر ومن المديد واصنع الفلك بأعيننا ومن البسيط فأصبحوا لا ترى إلا مساكنهم ومن الوافر ويخزهم وينصركم عليهم ويشف صدور قوم مؤمنين ومن الكامل والله يهدى من يشاء إلى صراط مستقيم ومن الهزج فألقوه على وجه أبى يأت بصيرا ومن الرجز ودانية عليهم ظلالها وذللت قطوفها تذليلا ومن الرمل وجفان كالجواب وقدور راسيات ومن السريع أو كالذى مر على قرية ومن المنسرح إنا خلقنا الانسان من نطفة ومن الخفيف لا يكادون يفقهون حديثا ومن المضارع يوم التناد يوم تولون مدبرين ومن المقتضب فى قلوبهم مرض ومن المجتث نبىء عبادى أنى أنا الغفور الرحيم ومن المتقارب وأملى لهم إن كيدى متين (الادماج) قال ابن أبى الأصبع هو أن يدمج المتكلم غرضا فى غرض أو بديعا فى بديع بحيث لا يظهر فى الكلام إلا أحد الغرضين أو أحد البديعين كقوله تعالى وله الحمد فى الأولى والآخرة أدمجت المبالغة فى المطابقة لأن انفراده تعالى بالحمد فى الآخرة وهى الوقت الذى لا يحمد سواه مبالغة فى الوقت بالانفراد بالحمد وهو وإن خرج مخرج المبالغة فى الظاهر فالأمر فيه حقيقة فى الباطن فإنه رب الحمد والمنفرد به فى الدارين اه (قلت) والأولى أن يقال فى هذه الآية إنها من ادماج غرض فى غرض فإن غرض منها تفرده تعالى بوصف الحمد أدمج فيه الإشارة إلى البعث والجزاء (الافتنان) هو الاتيان فى كلام بفنين مختلفين كالجمع بين الفخر والتعزية فى قوله تعالى (كل من عليها فان ويبقى وجه ربك ذو الجلال والاكرام) فإنه تعالى عزى جميع المخلوقات من الانس والجن والملائكة وسائر أصناف ما هو قابل للحياة وتمدح بالبقاء بعد فناء الموجودات فى عشر لفظات مع وصفه ذاته بعد انفراده بالبقاء بالجلال والإكرام سبحانه وتعالى ومنه ثم ننجى الذين اتقوا الآية جمع فيها بين هناء وعزاء (الاقتدار) هو أن

ولا تميز الكلمات بوجه البراعة وإنما تكون البراعة عندك منه فى مقدار يزيد على الكلمات المفردة وحد يتجاوز حد الألفاظ المستبدة وإن كان الأكثر على ما وصفته به قيل له نحن نعلم أن قوله (حرمت عليكم أمهاتكم وبناتكم وأخواتكم) وعماتكم وخالاتكم إلى آخر الآية ليس من القبيل الذى يمكن إظهار البرعة فيه وإبانة الفصاحة وذلك يجرى عندنا مجرى ما يحتاج إلى ذكره من الأسماء والألقاب فلا يمكن إظهار البلاغة فيه فطلبها فى نحو هذا ضرب من الجهالة بل الذى يعتبر فى نحو ذلك تنزيل الخطاب وظهور الحكمة فى الترتيب والمعنى وذلك حاصل فى هذه الآية إن تأملت ألا ترى أنه بدأ بذكر الأم لعظم حرمتها وإدلائها بنفسها ومكان بعضيتها فهى أصل لكل من يدلى بنفسه منهن لأنه ليس فى ذوات الأنساب أقرب

يبرز المتكلم المعنى الواحد فى عدة صور واقتدار امنه على نظم الكلام وتركيبه على صياغة قوالب المعانى والأغراض فتارة يأتى به فى لفظ الاستعارة وتارة فى صورة الإرداف وحينا فى مخرج الإيجاز ومرة فى قالب الحقيقة قال ابن أبى الأصبع وعلى هذا أتت جميع قصص القرآن فانك ترى القصة الواحده التى لاتختلف معانيها تأتى فى صورة مختلفة وقوالب من ألفاظ متعددة حتى لا تكاد تشتبه فى موضعين منه ولابد أن تجد الفرق بين صورها ظاهر (ائتلاف اللفظ مع اللفظ وائتلافه مع المعنى) الأول أن تكون الألفاظ تلائم بعضها بأن يقرن الغريب بمثله والمتداول بمثله رعاية لحسن الجوار والمناسبة والثانى أن تكون ألفاظ الكلام ملائمة للمعنى المراد وإن كان فخما كانت الفاظه مفخمة أوجزلا فجزلة أو غريبا فغريبة أو متداولا فمتداوله أو متوسطا بين الغرابة والاستعمال فكذلك فالأول كقوله تعالى تالله تفتؤ تذكر يوسف حتى تكون حرضا أتى بأغرب ألفاظ القسم وهى التاء. فانها أقل استعمالا وأبعد من أفهام العامة بالنسبة إلى البا. والواو وبأغرب صيغ الأفعال التى ترفع الأسما وتنصب الأخبار فان تزال أقرب إلا الأفهام وأكثر استعمالا منها وبأغرب ألفاظ الهلاك وهو الحريض فاقتضى حسن الوضع فى النظم أن تجاور كل لفظة بلفظة من جنسها فى الغرابة توخيا لحسن الجوار ورعاية فى ائتلاف المعانى بالألفاظ ولتتعادل الألفاظ فى الموضع وتتناسب فى النظم ولما أراد غير ذلك قال (وأقسموا بالله جهد أيمانهم) فأتى بجميع الألفاظ متداولة لا اغرابة فيها ومن الثانى قوله تعالى (ولا تركنوا إلى الذين ظلموا فتمسكم النار) لما كان الركون إلى الظالم وهو الميل إليه والاعتماد عليه دون مشاركته فى الظلم وجب أن يكون العقاب عليه دون العقاب على الظلم فأتى بلفظ المس الذى هو دون الإحراق والاصطلاء وقوله لها ما كسبت وعليها ما اكتسبت أتى بلفظ الاكتساب المشعر بالكلفة والمبالغة فى جانب السيئة لثقلها وكذا قوله فكبكبوا فيها فانه أبلغ من كبوا للاشارة إلى انهم مكبون كباعنيفا فظيعا وهم يصطرخون فانه أبلغ من يصرخون للاشارة إلى أنهم يصرخون صرخا منكرا خارجا عن الحد المعتاد وأخذ عزيز مقتدر فانه أبلغ قادر للاشارة إلى زيادة التمكن فى القدرة وأنه لاراد له ولامعقب ومثل ذلك واصطبر فانه أبلغ من اصبر والرحمن فانه أبلغ من الرحيم فانه يشعر باللطف والرفق كما أن الرحمن يشعر بالفخامة والعظمة ومنه الفرق بين سقى وأسقى فان سقى لما لا كلفة معه فى السقيا ولهذا أورده تعالى فى شراب الجنة فقال (وسقاهم ربهم شرابا طهورا) وأسقى لما فيه كلفة ولهذا أورده فى شراب الدنيا فقال وأسقيناكم ماء فراتا لأسقيناهم ماء غدقا لأن السقيا فى الدنيا لا تخلو من الكلفة أبدا (الاستدراك) والاستثناء شرط كونهما من البديع أن يتضمنا ضربا من المحاسن زائدا على ما يدل عليه المعنى اللغوى مثال الاستدراك (قالت الأعراب آمنا قل لم تؤمنوا ولكن قولوا أسلمنا) فانه لو اقتصر على قوله لم تؤمنوا لكان منفرا لهم لأنهم ظنوا الاقرار بالشاهدين من غير اعتقاد إيمانا فاوجبت البلاغة ذكر الاستدراك ليعلم أن الإيمان موافقة القلب اللسان وان انفرد اللسان بذلك يسمى اسلاما ولايسمى إيمانا وزاد ذلك أيضا حا بقوله ولما يدخل الإيمان فى قلوبكم فلما يضمن الاستدراك ايضاح ماعليه ظاهر الكلام من الاشكال عد من المحاسن ومثال الاستثناء فلبث فيهم ألف سنة إلا خمسين عاما فان الإخبار عن هذه المدة بهذه الصيغة يمهد عذر نوح فى دعائه على قومه بدعوة أهلكتهم عن آخرهم إذ لو قيل فلبث فيهم تسعمائة وخمسين عاما لم يكن فيه من التهويل ما فى الأول لأن لفظ الألف فى الأول أول مايطرق السمع فيشغل بها عن سماع بقية الكلام وإذا جاء الاستثناء لم يبق له بعد ما تقدمه وقع يزيل ماحصل عنده من ذكر الألف (الاقتصاص) ذكره ابن فارس وهو أن يكون كلام فى سورة مقتصا من كلام فى سورة أخرى أو فى تلك السورة كقوله تعالى وآتيناه

أجره

مثلها ولما جاء إلى ذوات الأسباب ألحق لها حكم الأم من الرضاع لان اللحم ينشره اللبن بما يغذو فيحصل بذلك أيضا لها حكم البعضية فنشر الحرمة بهذا المعنى وألحقها بالوالدة وذكر الأخوات من الرضاعة فنبه على كل من يدلى بغيرها وجعلها تلو الأم من الرضاع والكلام فى إظهار حكم هذه الآية وفوائدها يطول ولم نضع كتابنا لهذا وسبيل هذا أن نذكره فى كتاب معانى القرآن إن سهل الله لنا املاءه وجمعه فلم تنفك هذه الآية من الحكم التى تخلف حكمة الإعجاز فى النظم والتأليف والفائدة التى تنوب مناب العدول عن البراعة فى وجه الترصيف فقد علم السائل أنه لم يأت بشىء ولم يهتد للاغراض فى دلالات الكلام وفوائد ومتصرفاته وفنونه ومتوجهاته وقد يتفق فى الشعر ذكر الأسامى فحسن موقعه كقول أبى داود الأسدى

أجره فى الدنيا وأنه فى الآخرة لمن الصالحين والآخرة دار ثواب لا عمل فيها فهذا مقتص من قوله تعالى (ومن يأتيه مؤمنا قد عمل الصالحات فأولئك لهم الدرجات العلى) ومنه ولولا نعمة ربى لكنت من المحضرين مأخوذ من قوله فأولئك فى العذاب محضرون وقوله ويوم يقوم الأشهاد مقتص من أربع آيات لأن الاشهاد أربعة الملائكة فى قوله وجاءت كل نفس معها سائق وشهيد والأنبياء فى قوله فكيف إذا جئنا من كل أمة بشهيد وجئنا بك على هؤلاء شهيدا وأمة محمد فى قوله لتكونوا شهداء على الناس والأعضاء فى قوله يوم تشهد عليهم ألسنتهم الآية وقوله ويوم التناد قرىء مخففا ومشددا فالأول مأخوذ من قوله ونادى أصحاب الجنة أصحاب النار والثانى من قوله يوم يفر المرء من أخيه (الابدال) هو إقامة بعض الحروف مقام بعض وجعل منه ابن فارس فانفلق أى انفرق ولهذا قال فكان كل فرق فالراء واللام متعاقبان وعن الخليل فى قوله تعالى فجاسوا خلال الديار أنه أريد فحاسوا فجاءت الجيم مقام الحاء وقد قرىء بالحاء أيضا وجعل منه الفارسى إنى أحببت حب الخير أى الخيل وجعل منه أبو عبيدة الامكاء وتصدية (تأكيد المدح) بما يشبه الذم قال ابن أبى الأصبع هو فى غاية العزة فى القرآن قال ولم أجد منه فى القرآن إلا آية واحدة وهى قوله (قل يا أهل الكتاب هل تنقمون منا إلا أن آمنا بالله) الآية فان الاستثناء بعد الاستفهام الخارج مخرج التوبيخ على ما عابوا به المؤمنين من الايمان يوهم إن ما يأتى بعده مما يوجب أن ينتقم على فاعله مما يذم فلما أتى بعد الاستثناء بما يوجب مدح فاعله كان الكلام متضمنا تأكيد المدح بما يشبه الذم (قلت) ونظيرها قوله (وما نقموا إلا أن أغناهم الله ورسوله من فضله وقوله الذين أخرجوا من ديارهم بغير حق إلا أن يقولوا ربنا الله) فان ظاهر الاستثناء أن ما بعده حق يقتضى الاخراج فلما كان صفة مدح يقتضى الاكرام لا الاخراج كان تأكيدا للمدح بما يشبه الذم وجعل منه التنوخى فى الأقصى القريب لا يسمعون فيها لغوا ولا تأثيما إلا قيلا سلاما سلاما استثنى سلاما سلاما الذى هو ضد اللغو والتأثيم فكان ذلك مؤكدا لانتفاء اللغو والتأثيم انتهى (التفويف) هو اتيان المتكلم بمعان شتى من المدح والوصف وغير ذلك من الفنون كل فن فى جملة منفصلة عن أختها مع تساوى الجمل فى الزنة وتكون فى الجمل الطويلة والمتوسطة والقصيرة فمن الطويلة (الذى خلقنى فهو يهدين والذى هو يطعمنى ويسقين وإذا مرضت فهو يشفين والذى يميتنى ثم يحيين) ومن المبسوطة (يولج الليل فى النهار ويولج النهار فى الليل ويخرج الحى من الميت ويخرج الميت من الحى) قال ابن أبى الأصبع ولم يأت المركب من القصيرة فى القرآن (التقسيم) هو استيفاء أقسام الشىء الموجودة إلا الممكنة عقلا نحو هو الذى يريكم البرق خوفا وطمعا إذ ليس فى رؤية البرق إلا الخوف من الصواعق والطمع فى الأمطار ولا ثالث لهذين القسمين وقوله فمنهم ظالم لنفسه ومنهم مقتصد ومنهم سابق بالخيرات فان العالم لا يخلو من هذا الأقسام الثلاثة إما عاص ظالم لنفسه واما سباق مبادر للخيرات واما متوسط بينهما مقتصد فيها ونظيرها كنتم أزواجا ثلاثة فأصحاب الميمنة ما أصحاب الميمنة وأصحاب المشأمة ما أصحاب المشأمة والسابقون السابقون وكذا قوله تعالى له ما بين أيدينا وما خلفنا وما بين ذلك استوفى أقسام الزمان قولا رابع لها وقوله والله خلق كل دابة من ماء فمنهم من يمشى على بطنه ومنهم من يمشى على رجليه ومنهم من يمشى على أربع استوفى أقسام الخلق فى المشى وقوله الذين يذكرون الله قياما وقعودا وعلى جنوبهم استوفى جميع هيآت الذاكر وقوله يهب لمن يشاء إناثا ويهب لمن يشاء الذكور أو يزوجهم ذكرانا وإناثا ويجعل من يشاء عقيما استوفى جميع أحوال المتزوجين ولا خامس لها (التدبيج) هو أن يذكر المتكلم ألوانا يقصد التورية بها والكناية قال ابن أبى الأصبع كقوله تعالى ومن الجبال جدد بيض وحمر مختلف

إن يقتلوك فقد ثللت عروشهم
بعتيبة بن الحارث بن شهاب
بأشدهم كلبا على أعدائه
وأعزهم فقدا على الأصحاب

وقد يتفق ذكر الأسامى فيفسد النظم ويقبح الوزن والآيات الاحكاميات التى لا بد فيها من أمر البلاغة يعتبر فيها من الألفاظ ما يعتبر فى غيرها وقد يمكن فيها وكل موضع أمكن ذلك فقد وجد فى القرآن فى بابه ما ليس عليه مزيد فى البلاغة وعجيب النظم ثم فى جملة الآيات ما إن لم تراع البديع البليغ فى الكلمات والأفراد والألفاظ الآحاد فقد تجد ذلك مع تركب الكلمتين والثلاث ويطرد ذلك فى الابتداء والخروج والفواصل وما يقع بين الفاتحة والخاتمة من الواسطة أو باجتماع ذلك أو فى بعض ذلك ما يخلف الابداع فى أفراد الكلمات وإن كانت الجملة والمعظم على ماسبق الوصف فيه

ألوانها وغرابيب سود قال المراد بذلك والله اعلم الكناية عن المشتبه والواضح من الطرق لأن الجادة البيضاء هى الطريق التى كثر السلوك عليها جدا وهى أوضح الطرق وأبينها ودونها الحمراء ودون الحمراء السوداء كأنها فى الخفاء والالتباس ضد البيضاء فى الظهور والوضوح ولما كانت هذه الألوان الثلاثة فى الظهور للعين طرفين وواسطة فالطرف الأعلى فى الظهور البياض والطرف الأدنى فى الخفاء السواد والأحمر بينهما على وضع الألوان فى التركيب وكانت ألوان الجبال لاتخرج عن هذه الألوان الثلاثة والهداية بكل علم نصب للهداية منقسمة هذه القسمة أتت الآية الكريمة منقسمة كذلك لحصل فيها التدبيج وصحة التقسيم (التنكيت) هو ان يقصد المتكلم إلى شىء بالذكر دون غيره بما يسد مسده لأجل نكتة فى المذكور ترجح مجيئه على سواه كقوله تعالى وانه هو رب الشعرى خص الشعرى بالذكر دون غيرها من النجوم وهو تعالى رب كل شىء لأن العرب كان ظهر فيهم رجل يعرف بابن أبى كبشة عبد الشعرى ودعا خلقا إلى عبادتها فانزل الله تعالى وأنه هو رب الشعرى التى ادعيت فيها الربوبية (التجريد) وهو أن ينتزع من أمر ذى صفة أخر مثله مبالغة فى كمالها فيه نحو لى من فلان صديق حميم جرد من الرجل الصديق آخر مثله متصفا بصفة الصداقة نحو مررت بالرجل الكريم والنسمة المباركة جرد من الرجل الكريم آخر مثله متصفا بصفة البركة وعطفه عليه كأنه غيره وهو هو ومن أمثلته فى القرآن لهم فيها دار الخلد ليس المعنى ان الجنة فيها دار خلد وغير دار خلد بل هى نفسها دار الخلد فكأنه جرد من الدار دارا ذكره فى المحتسب وجعل منه يخرج الحى من الميت ويخرج الميت من الحى على أن المراد بالميت النطفة قال الزمخشرى وقرأ عبيد بن عمير فكانت وردة كالدهان بالرفع بمعنى حصلت منها وردة قال وهو من التجريد وقرىء أيضا يرثنى وارث من آل يعقوب قال ابن جنى هذا هو التجريد وذلك أنه يريد وهب لى من لدنك وليا يرثنى وارث من آل يعقوب وهو الوارث نفسه فكأنه جرد منه وارثا (التعديد) هو ايقاع الألفاظ المفردة على سياق واحد وأكثر مايوجد فى الصفات كقوله هو الله الذى لا إله إلا هو الملك القدوس السلام المؤمن المهيمن العزيز الجبار المتكبر وقوله التائبون العابدون الحامدون الآية وقوله مسلمات مؤمنات الآية (الترتيب) هو أن يورد أوصاف الموصوف على ترتيبها فى الخلقة الطبيعية ولايدخل فيها وصفا زائدا ومثله عبد الباقى اليمنى بقوله (هو الذى خلقكم من تراب ثم من نطفة ثم من علقة ثم يخرجكم طفلا ثم لتبلغوا أشدكم ثم لتكونوا شيوخا) وبقوله فكذبوه فعقروها الآية (الترقى والتدلى) تقدما فى نوع التقديم والتأخير (التضمين) يطلق على أشياء أحدها إيقاع لفظ موقع غيره لتضمنه معناه وهو نوع من المجاز تقدم فيه الثانى حصول معنى فيه من غير ذكر له باسم هو عبارة عنه وهذا نوع من الايجاز تقدم أيضا (الثالث) تعلق ما بعد الفاصلة بها وهذا مذكور فى نوع الفواصل (الرابع) إدراج كلام الغير فى أثناء الكلام لقصد تأكيد المعنى أو ترتيب النظم وهذا هو النوع البديعى قال ابن أبى الأصبع ولم أظفر فى القرآن بشىء منه إلا فى موضعين تضمنا فصلين من التوراة والانجيل قوله وكتبنا عليهم فيها أن النفس بالنفس الآية وقوله محمد رسول الله الآية ومثله ابن النقيب وغيره بايداع حكايات المخلوقين فى القرآن كقوله تعالى حكاية عن الملائكة أتجعل فيها من يفسد فيها وعن المنافقين أنؤمن كما آمن السفهاء وقالت اليهود وقالت النصارى وكذلك ما أودع فيه من اللغات الأعجمية (الجناس) هو تشابه اللفظين فى اللفظ قال فى كنز البراعة وفائدته الميل إلى الاصغاء اليه فان مناسبة الالفاظ تحدث ميلا واصغاء اليها ولأن اللفظ المشترك إذا حمل على معنى ثم جاء والمراد به آخر كان للنفس تشوق اليه وأنواع الجناس كثيرة منها التام بأن يتفقا فى أنواع الحروف وأعدادها وهيآتها

وإذا عرف ما يجرى اليه الكلام وينتهى اليه الخطاب وقف عليه الأسلوب ويختص به القبيل بان عند أهل الصنعة تميز بابه وانفراد سبيله ولم يشك البليغ فى انتمائه إلى الجهة التى ينتمى اليها ولم يرتب الاديب البارع فى انتسابه إلى ما عرف من نهجه وهذا كما يعرف طريقه مترسل فى رسالته فهو لايخفى عليه بناء قاعدته وأساسه فكأنه يرى أنه يعد عليه مجارى حركاته وأنفاسه وكذلك فى الشعر واختلاف ضروبه يعرف المتحقق به طبع كل أحد وسبيل كل شاعر وفى نظم القرآن أبواب كثيرة لم نستوفها وتقصيها يطول وعجائبها لاتنقضى فمنها الكلام (٣) والإشارات وإذا بلغ الكلام من هذا القبيل مبلغا ربما زاد الافهام به على الإيضاح أوساوى مواقع التفسير والشرح مع استيفائه شروطه كأن النهاية

كقوله تعالى (ويوم تقوم الساعة يقسم المجرمون ما لبثوا غير ساعة) قيل ولم يقع منه فى القران سواه واستنبط شيخ الإسلام ابن حجر موضعا آخر وهو (يكاد سنا برقه يذهب بالابصار يقلب الله الليل والنهار ان فى ذلك لعبرة لأولى الأبصار) وأنكر بعضهم كون الآية الاولى من الجناس وقال الساعة فى الموضعين بمعنى واحد (والتجنيس) أن يتفق اللفظ ويختلف المعنى ولا يكون أحدهما حقيقة والآخر مجازا بل يكونان حقيقتين وزمان القيامة وان طال لكنه عند الله فى حكم الساعة الواحدة فاطلاق الساعة على القيامة مجاز وعلى الآخرة حقيقة وبذلك يخرج الكلام عن التجنيس كما لو قلت ركبت حمارا ولقيت حمارا تعنى بليدا ومنها المصحف ويسمى جناس الخط بأن تختلف الحروف فى النقط كقوله والذى هو يطعمنى ويسقين وإذا مرضت فهو يشفين ومنها المحرف بأن يقع الاختلاف فى الحركات كقوله ولقد أرسلنا فيهم منذرين فانظر كيف كان عاقبة المنذرين وقد اجتمع التصحيف والتحريف فى قوله وهم يحسبون أنهم يحسنون صنعا ومنها الناقص بان يختلف فى عدد الحروف سواء كان الحرف المزيد أولا اووسطا أو آخرا كقوله (والتفت الساق بالساق الى ربك يومئذ المساق كلى من كل الثمرات) ومنها المزيل بأن نزيد أحدهما أكثر من حرف فى الآخر أو الأول وسمى بعضهم بالمتوج كقوله وانظر الى الهك ولكنا كنا مرسلين من آمن بالله ان ربهم بهم مذبذبين بين ذلك ومنهم المضارع وهو أن يختلفا بحرف مقارب فى المخرج سواء كان فى الأول أو الوسط أو الآخر كقوله تعالى وهم ينهون عنه وينأون عنه ومنها اللاحق بأن يختلفا بحرف غير مقارب فيه كذلك كقوله ويل لكل همزة لمزة وانه على ذلك لشهيد وإنه لحب الخير لشديد ذلكم بما كنتم تفرحون فى الارض بغير حق وبما كنتم تمرحون وإذا جاءهم أمر من الامن ومنها المرفق وهو ما تركب من كلمة وبعض أخرى كقوله جرف هار فانهار ومنها الفظى بان يختلفا بحرف مناسب للآخر مناسبة لفظية كالضاد والظاء كقوله وجوه يومئذ ناضرة الى ربها ناظرة ومنها تجنيس القلب بان يختلفا فى ترتيب الحروف نحو فرقت بين بنى إسرائيل ومنها تجنيس الاشتقاق بان يجتمعا فى أصل الاشتقاق ويسمى المقتضب نحو فروح وريحان فأقم وجهك للدين القيم وجهت وجهى ومنها تجنيس الاطلاق بان يجتمعا فى المشابهة فقط كقوله وجنى الجنتين قال انى لعملكم من القالين ليريه كيف يوارى وان يردك بخير فلا راد اناقلتم الى الأرض أرضيتم وإذا أنعمنا على الانسان أعرض الى قوله فذو دعاء عريض (تنبيه) لكون الجناس من المحاسن اللفظية لا المعنوية ترك عند قوة المعنى كقوله تعالى وما أنت بمؤمن لنا ولو كنا صادقين قيل ما الحكمة فى كونه لم يقل وما أنت بمصدق فانه يؤدى معناه مع رعاية التجنيس (وأجيب) بان فى مؤمن لنا من المعنى ما ليس فى مصدق لان معنى قولك فلان مصدق لى قال صدقت وأما مؤمن معناه مع رعاية التصديق اعطاء الامن ومقصودهم التصديق وزيادة وهو طلب الامن فلذلك عبر به وقد زل بعض الأدباء فقال فى قوله أتدعون بعلا وتذرون أحسن الخالقين لو قال وتدعون لكان فيه مراعاة التجنيس (وأجاب) الامام فخر الدين بان فصاحة القرآن ليست لرعاية هذه التكليفات بل لاجل قوة المعانى وجزالة الالفاظ وأجاب غيره بان مراعاة المعانى أولى من مراعاة الالفاظ لو قال أتدعون وتدعون لوقع الالتباس على القارىء فيجعلهما بمعنى واحد تصحيفا وهذا الجواب غير ناضج وأجاب ابن الزملكانى بان التجنيس تحسين وانما يستعمل فى مقام الوعد والاحسان لا فى مقام التهويل وأجاب الخوبى بأن تدع أخص من تذر بمعنى ترك الشىء مع اعتنائه بشهادة الاشتقاق نحو الايداع فانه عبارة عن ترك الوديعة مع الاعتناء بحالها ولهذا يختار لها من هو مؤتمن عليها ومن ذلك الدعة بمعنى الراحة وأما تذر فمعناه الترك مطلقا أو الترك مع الاعراض

فى معناه وذلك كقوله (سبحان الذى أسرى بعبده ليلا من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى الذى باركنا حوله لنريه من آياتنا انه هو السميع البصير) فصول هذه الآية وكلماتها على ما شرحنا من قبل البلاغة واللطف فى التقديم وفى تضمن هذا الأمر المعظم والمقام الكريم ويتلو هذه قوله (وآتينا موسى الكتاب وجعلناه هدى لبنى إسرائيل) هذا خروج لو كان فى غير هذا المكان لتصور فى صورة المنقطع وقد تمثل فى هذا النظم لبراعته وعجيب أمره وموقع مالا ينفك منه القول وقد اتبرأ الكلام المتصل بعضه من بعض ويظهر عليه التبيج والتباين للخلل الواقع فى النظم وقد تصور هذا الفصل للطفه وصلا ولم يبن عليه تميز الخروج ثم انظر كيف أجرى هذا الخطاب الى ذكر نوح وكيف أثنى عليه وكيف يليق صفته بالفاصلة ويتم النظم بها مع

والرفض الكلي قال الراغب يقال فلان يذر الشيء أي يقذفه لقلة الاعتداد به ومنه الوزرة قطعة من اللحم لقلة الاعتداد به ولاشك أن السياق انما يناسب هذا دون الاول فاريد هنا تبشيع حالهم في الاعراض عن ربهم وانهم بلغوا الغاية في الاعراض انتهى (الجمع هو أن يجمع بين شيئين أو أشياء متعددة في حكم كقوله تعالى (المال والبنون زينة الحياة الدنيا) جمع المال والبنون في الزينة وكذا قوله (الشمس والقمر بحسبان والنجم والشجر يسجدان) (الجمع والتفريق) هو أن تدخل شيئين في معنى وتفرق بين جهتي الادخال وجعل منه الطيبي قوله الله يتوفى الانفس حين موتها الآية جمع النفسين في حكم المتوفى ثم فرق بين جهتي التوفي بالحكم بالامساك والارسال أي الله يتوفى الانفس التي تقبض والتي لم تقبض فيمسك الاولى ويرسل الاخرى (الجمع والتقسيم) وهو جمع متعدد تحت حكم ثم تقسيمه كقوله تعالى ثم أورثنا الكتاب الذين اصطفينا من عبادنا فمنهم ظالم لنفسه ومنهم مقتصد ومنهم سابق بالخيرات (الجمع مع التفريق والتقسيم) كقوله تعالى يوم يأت لا تكلم نفس الا باذنه الآيات فالجمع في قوله لا تكلم نفس الا باذنه لانها متعددة معنى اذ النكرة في سياق النفي تعم والتفريق قوله فمنهم شقي وسعيد والتقسيم قوله فأما الذين شقوا وأما الذين سعدوا (جمع المؤتلف والمختلف) هو أن تريد التسوية بين الزوجين فتأتي بمعان مؤتلفة في مدحها وتروم بعد ذلك ترجيح أحدهما على الآخر بزيادة فضل لا تنقص الآخر فتأتي لاجل ذلك بمعان تخالف معنى التسوية كقوله تعالى وداود وسليمان اذ يحكمان الآية سوى في حكم والعلم وزاد فضل سليمان بالفهم (حسن النسق) هو أن يأتي المتكلم بكلمات متتالية معطوفات متلاحمات تلاحما سليما مستحسنا بحيث اذا أفردت كل جملة منه قامت بنفسها واستقل معناها بلفظها ومنه قوله تعالى وقيل ياأرض ابلعي ماءك الآية فان جمله معطوف بعضها على بعض بواو النسق على الترتيب الذي تقتضيه البلاغة من الابتداء بالاسم الذي هو انحسار الماء عن الأرض المتوقف عليه غاية مطلوب أهل السفينة من الاطلاق من سجنها ثم انقطاع مادة السماء المتوقف عليه تمام ذلك من دفع أذاه بعد الخروج ومنه اختلاف ما كان بالارض ثم الاخبار بذهاب الماء بعد انقطاع المادتين الذي هو متأخر عنه قطعا ثم بقضاء الامر الذي هو هلاك من قدر هلاكه ونجاة من سبق نجاته وأخر عما قبله لان علم ذلك لاهل السفينة بعد خروجهم منها وخروجهم موقوف على ما تقدم ثم أخبر باستواء السفينة واستقرارها المفيد ذهاب الخوف وحصول الامن من الاضطراب ثم ختم بالدعاء على الظالمين لافادة أن الغرق وان عم الارض لم يشمل الامن استحق العذاب لظلمه (عتاب المرء نفسه) منه ويوم يعض الظالم على يديه يقول ياليتني الآيات وقوله أن تقول نفس ياحسرتى على مافرطت في جنب الله الآيات (العكس) هو أن يؤتى بكلام يقدم فيه جزء ويؤخر آخر ثم يقدم المؤخر ويؤخر المقدم كقوله تعالى ماعليك من حسابهم من شيء وما من حسابك عليهم من شيء يولج الليل في النهار ويولج النهار في الليل ويخرج الحي من الميت ويخرج الميت من الحي هن لباس لكم وأنتم لباس لهن لاهن حل لهم ولاهم يحلون لهن وقد سئل عن الحكمة في عكس هذا اللفظ (فاجاب) ابن المنير فائدته الاشارة الى أن الكفار مخاطبون بفروع الشريعة وقال الشيخ بدر الدين بن الصاحب الحق ان كل واحد من فعل المؤمنة والكافر منفى عنه الحل أما فعل المؤمنة فيحرم لانها مخاطبة وأما فعل الكافر فنفى عنه الحل باعتبار أن هذا الوطء مشتمل على المفسدة فليس الكفار مورد الخطاب بل الأئمة ومن قام مقامهم مخاطبون بمنع ذلك لان الشرع أمر باخلاء الوجود من المفاسدة فاتضح ان المؤمنة نفى عنها الحل باعتبار والكافر نفى عنه الحل باعتبار قال ابن أبي الاصبع ومن غريب أسلوب هذا النوع قوله تعالى ومن يعمل من الصالحات من ذكر

خروجها مخرج البروز من الكلام الاول الى ذكره واجرائه الى مدحه بشكره وكونهم من ذريته يوجب عليهم أن يسيروا بسيرته وأن يستنوا بسنته في أن يشكر واكشكره ولا يتخذوا من دون الله وكيلا وأن يعتقدوا تعظيم تخليصه اياهم من الطوفان لما حملهم عليه ونجاهم فيه حين أهلك من عداهم به وقد عرفهم انه إنما يؤاخذكم بذنوبهم وفسادهم فيما سلط عليهم من قبلهم وعاقبهم ثم عاد عليهم بالافضال والاحسان حتى يتذكروا ويعرفوا قدر نعمة الله عليهم وعلى نوح الذي ولدهم وهم من ذريته فلما عادوا الى جهالتهم وتمردوا في طغيانهم عاد عليهم بالتعذيب ثم ذكر الله عز وجل في ثلاث آيات بعد ذلك معنى هذه القصة التي كانت لهم بكلمات قليلة في العدد كثيرة الفوائد لايمكن شرحها الا بالتفصيل

أو أنثى وهو مؤمن فأولئك يدخلون الجنة ولا يظلمون نقيرا ومن أحسن دينا ممن أسلم وجهه لله وهو محسن فان نظم الآية الثانية عكس نظم الأولى لتقديم العمل فى الأولى على الايمان وتأخيره فى الثانية عن الاسلام ومنه نوع يسمى القلب والمقلوب المستوى ومالا يستحيل بالانعكاس وهو أن تقرأ الكلمة من آخرها إلى أولها كما تقرأ من أولها إلى آخرها كقوله تعالى كل فى فلك وربك فكبر ولا ثالث لهما فى القرآن (العنوان) قال ابن أبى الأصبع هو أن يأخذ المتكلم فى عرض فيأتى لقصد تكميله وتأكيده بأمثله فى ألفاظ تكون عنوانا لاخبار متقدمة وقصص سالفة ومنه نوع عظيم جدا وهو عنوان العلوم بأن يذكر فى الكلام ألفاظا تكون مفاتيح العلوم ومداخل لها فمن الاول قوله تعالى واتل عليهم نبأ الذى آتيناه آياتنا فانسلخ منها الآية فانه عنوان قصة بلعام ومن الثانى قوله تعالى انطلقوا إلى ظل ذى ثلاث شعب الآية فيها عنوان علم الهندسة فان الشكل المثلث أول الأشكال وإذا نصب فى الشمس على أى ضلع من أضلاعه لا يكون له ظل لتحديد رؤس زواياه فأمر الله تعالى أهل جهنم بالانطلاق إلى ظل هذا الشكل تهكما بهم وقوله وكذلك نرى ابراهيم ملكوت السموات والأرض الآيات فيها عنوان علم الكلام وعلم الجدل وعلم الهيئة (الفرائد) هو مختص بالفصاحة دون البلاغة لأنه الإتيان بلفظ تتنزل منزلة الفريدة من العقد وهى الجوهرة التى لا نظير لها تدل على عظم فصاحة هذا الكلام وقوة وعارضته وجزالة منطقه وأصالة عربيته بحيث لو أسقطت من الكلام عزت على الفصحاء ومنه لفظ حصحص فى قوله الآن حصحص الحق والرفث فى قل أحل لكم ليلة الصيام الرفث إلى نسائكم ولفظة فزع فى قوله حتى إذا فزع عن قلوبهم وخائنة الأعين فى قوله يعلم خائنة الأعين وألفاظ كقوله فلما استيأسوا منه خلصوا نجيا وقوله فاذا نزل بساحتهم فساء صباح المنذرين (القسم) هو أن يريد المتكلم الحلف على شيء فيحلف بما يكون فيه فخر له أو تعظيم لشأنه أو تنويه لقدره أو ذم لغيره أو جاريا مجرى الغزل الرقيق أو خارجا مخرج الموعظة والزهد كقوله فورب السماء والأرض إنه لحق مثل ما أنكم تنطقون أقسم سبحانه وتعالى بقسم يوجب الفخر لتضمنه التمدح بأعظم قدرة وأجل عظمة لعمرك أنهم لفى سكرتهم يعمهون أقسم سبحانه وتعالى بحياة نبيه ﷺ تعظيما لشأنه وتنويها بقدره وسيأتى فى نوع الأقسام أشياء تتعلق بذلك (اللف والنشر) هو أن يذكر شيئا أو أشياء إما تفصيلا بالنص على كل واحد أو اجمالا بأن يؤتى بلفظ يشتمل على متعدد ثم يذكر أشياء على عدد ذلك كل واحد يرجع إلى واحد من المتقدم ويفوض إلى عقل السامع رد كل واحد إلى ما يليق به فالإجمال كقوله تعالى وقالوا لن يدخل الجنة إلا من كان هودا أو نصارى أى وقالت اليهود لن يدخل الجنة إلا اليهود وقالت النصارى لن يدخل الجنة إلا النصارى وإنما سوغ الإجمال فى اللف ثبوت العناد بين اليهود والنصارى فلا يمكن أن يقول أحد الفريقين بدخول الفريق الآخر الجنة فوثق بالعقل فى أنه يرد كل قول إلى فريقه لامن اللبس وقائل ذلك يهود المدينة ونصارى نجران (قلت) وقد يكون الإجمال فى النشر لافى اللف بان يؤتى بمتعدد ثم بلفظ يشتمل على متعدد يصلح لهما نحو حتى يتبين لكم الخيط الأبيض من الخيط الأسود من الفجر على قول أبى عبيدة أن الخيط الأسود أريد به الفجر الكاذب لا الليل وقد بينته فى أسرار التنزيل والتفصيلى قسمان أحدهما أن يكون على ترتيب اللف كقوله تعالى جعل لكم الليل والنهار لتسكنوا فيه ولتبتغوا من فضله فالسكون راجع إلى الليل والابتغاء راجع إلى النهار وقوله تعالى ولا تجعل يدك مغلولة إلى عنقك ولا تبسطها كل البسط فتقعد ملوما محسورا فاللوم راجع إلى البخل ومحسورا راجع إلى الإسراف لأن معناه منقطعا لا شيء عندك وقوله ألم يجدك يتيما الآيات فان قوله فأما اليتيم فلا تقهر راجع إلى

الكثير والكلام الطويل ثم لم يخل يضاعف الكلام بما ترى من الموعظة على أعجب تدريج وأبدع تاريخ بقوله (إن أحسنتم أحسنتم لأنفسكم وإن أسأتم فلها) ولم ينقطع بذلك الكلام وأنت ترى الكلام يتبدد مع اتصاله وينتشر مع انتظامه فكيف بالقاء ما ليس منه فى أثنائه وطرح ما بعده فى ادراجه إلى أن خرج إلى قوله (عسى ربكم أن يرحمكم وان عدتم عدنا) يعنى ان عدتم إلى الطاعة عدنا إلى العفو خرج خروجا آخر إلى ذكر القرآن وعلى هذا فقس بحثك عن شرف الكلام وماله من علو الشأن لا يطاب مطلبا إلا انفتح ولا يسلك قلبا إلا انشرح ولا يذهب مذهبا إلا استنار وأضاء ولا يضرب مضربا إلا بلغ فيه السماء لا تقع منه على فائدة فقدرت أنها أقصى فوائدها إلا قصرت ولا تظفر بحكمة فظننت أنها

قوله الم يجدك يتيما فآوى وأما السائل فلا تنهر رجع إلى قوله ووجدك ضالا فان المراد السائل عن العلم كما فسره مجاهد وغيره وأما بنعمة ربك فحدث راجع إلى قوله ووجدك عائلا فأغنى رأيت هذا المثال فى شرح الوسيط للنووى المسمى بالتنقيح والثانى أن يكون على عكس ترتيبه كقوله تعالى يوم تبيض وجوه وتسود وجوه فأما الذين اسودت وجوههم الخ وجعل منه جماعة قوله تعالى حتى يقول الرسول والذين آمنوا معه متى نصر الله ألا ان نصر الله قريب قالوا متى نصر الله قول الذين آمنوا ألا ان نصر الله قريب قول الرسول وذكر الزمخشرى له قسما آخر كقوله تعالى ومن آياته منامكم بالليل والنهار وابتغاؤكم من فضله قال هذا من باب اللف وتقديره ومن آياته منامكم وابتغاؤكم من فضله بالليل والنهار الا أنه فصل بين منامكم وابتغاؤكم بالليل والنهار لأنهما زمانان والزمان والواقع فيه كشىء واحد من اقامة اللف على الاتحاد (المشاكلة) ذكر الشىء بلفظ غيره لوقوعه فى صحبته تحقيقا أو تقديرا فالأول كقوله تعالى تعلم ما فى نفسى ولا أعلم ما فى نفسك ومكروا ومكر الله فان اطلاق النفس والمكر فى جانب البارى تعالى لمشاكلة ما معه وكذا قوله وجزاء سيئة سيئة مثلها لأن الجزاء حق لا يوصف بأنه سيئة فمن اعتدى عليكم فاعتدوا عليه فاليوم ننساكم كما نسيتم ويسخرون منهم سخر الله منهم إنما نحن مستهزؤون الله يستهزىء بهم ومثال التقديرى قوله تعالى صبغة الله أى تطهير الله لأن الايمان يطهر النفوس والأصل فيه أن النصارى كانوا يغمسون أولادهم فى ماء أصفر يسمونه المعمودية ويقولون إنه تطهير لهم فعبر عن الإيمان بصبغة الله للمشاكلة بهذه القرينة (المزاوجة) أن يزاوج بين معنيين فى الشرط الجزاء أو ما جرى مجراهما كقوله

إذا ما نهى الناهى فلج بى الهوى * أصاخت إلى الواشى فلج بها الهجر

ومنه فى القرآن أتيناه آياتنا فانسلخ منها فاتبعه الشيطان فكان من الغاوين (المبالغة) أن يذكر المتكلم وصفا فيزيد فيه حتى يكون أبلغ المعنى الذى قصده وهى ضربان مبالغة بالوصف بان يخرج إلى حد الاستحالة ومنها يكاد زيتها يضىء ولو لم تمسسه نار ولا يدخلون الجنة حتى يلج الجمل فى سم الخياط ومبالغة بالصيغة وصيغ المبالغة فعلان كالرحمن وفعيل كالرحيم وفعال كالتواب والغفار والقهار وفعول كغفور وشكور وودود وفعل كحذر واشر وفرح وفعال بالتخفيف كعجاب وبالتشديد ككبار وفعل كلبد وكبر وفعلى كالعليا والحسنى وشورى والسوأى (فائدة) الأكثر على أن فعلان أبلغ من فعيل ومن ثم قيل الرحمن أبلغ من الرحيم ونصره السهيلى بأنه ورد على صيغة التثنية والتثنية تضعيف فكان البناء تضاعفت فيه الصفة وذهب ابن الانبارى إلى أن الرحيم أبلغ من الرحمن ورجحه ابن عسكر بتقديم الرحمن عليه وبأنه جاء على صيغة الجمع كعبيد وهو أبلغ من صيغة التثنية وذهب قطرب إلى أنهما سواء (فائدة) ذكر البرهان الرشيدى أن صفات الله التى على صيغة المبالغة كلها مجاز لأنها موضوعة للمبالغة ولا مبالغة فيها لأن المبالغة أن تثبت للشىء أكثر مما له وصفاته تعالى متناهية فى الكمال لا يمكن المبالغة فيها وأيضا فالمبالغة تكون فى صفات تقبل الزيادة والنقصان وصفات الله منزهة عن ذلك واستحسنه الشيخ تقى الدين السبكى وقال الزركشى فى البرهان التحقيق أن صيغ المبالغة قسمان أحدهما ما تحصل المبالغة فيه بحسب زيادة الفعل والثانى بحسب تعدد المفعولات ولاشك أن تعددها لا يوجب للفعل زيادة إذ الفعل الواحد قد يقع على جماعة متعددين وعلى هذا القسم تنزل صفاته تعالى ويرتفع الاشكال ولهذا قال بعضهم فى حكيم معنى المبالغة فيه تكرار حكمه بالنسبة إلى الشرائع وقال فى الكشاف المبالغة فى التواب للدلالة على كثرة من يتوب عليه من عباده أو لأنه بليغ فى قبول التوبة نزل صاحبها منزلة من لم يذنب قط لسعة كرمه وقد أورد بعض الفضلاء

زبدة حكمها إلا وقد أخللت ان الذى عارض القرآن بشعر امرىء القيس لأضل من حمار أهله وأحمق من هنبقه لو كان شعره كله كالأبيات المختارة التى قدمناها لأوجب البراءة من قوله

وسن كسنيق سناء وسنما ذعرت بمدلاج الهجير نهوض

قال الأصمعى لا أدرى ما السن ولا السنيق ولا السنم وقال بعضهم السنيق أكمة وقال فيها

له قصرا عير وساقا نعامة كفحل الهجان القيصرى العضوض

وقوله

عصافير وذبان ودود واجرأ من مجلجلة الذباب

وزاد فى تقبيح ذلك وقرعه فى أبيات فيها

فقد طوفت فى الآفاق حتى رضيت من الغنيمة بالإياب

وكل مكارم الأخلاق سارت اليه همتى وانما اكتسابى

وكقوله فى قصيدة قالها فى نهاية السقوط

ازمان فوها كلما نبهتها كالمسك فاح وظل فى

الفضلاء سؤالا على قوله والله على كل شيء قدير وهو أن قديرا من صيغ المبالغة فيستلزم الزيادة على معنى قادر والزيادة على قادر محال اذا لايجاد من واحد لا يمكن فيه التفاضل باعتبار كل فرد فرد (وأجيب) بأن المبالغة لما تعذر حملها على كل فرد وجب صرفها الى مجموع الافراد التي دل السياق عليها فهي بالنسبة الى كثرة المتعلق لا الوصف (المطابقة) وتسمى الطباق الجمع بين متضادين في الجملة وهو قسمان حقيقي ومجازي والثاني يسمى التكافؤ وكل منهما اما لفظي أو معنوي واما طباق ايجاب أو سلب فمن أمثلة ذلك فليضحكوا قليلا وليبكوا كثيرا وانه هو أضحك وأبكى وانه هو أمات وأحيى لكيلا تأسوا على مافاتكم ولا تفرحوا بما آتاكم وتحسبهم أيقاظا وهم رقود ومن أمثلة المجازي أومن كان ميتا فأحييناه أي ضالا فهديناه ومن أمثلة طباق السلب تعلم ما في نفسي ولا أعلم ما في نفسك فلا تخشوا الناس واخشوني ومن أمثلة المعنوي ان أنتم الا تكذبون قالوا ربنا يعلم انا اليكم لمرسلون معناه ربنا يعلم انا لصادقون جعل لكم الأرض فراشا والسماء بناء قال أبو علي الفارسي لما كان البناء رفعا للمبني قوبل بالفراش الذي هو على خلاف البناء ومنه نوع يسمى الطباق الخفي كقوله مما خطاياهم أغرقوا فأدخلوا نارا لان الغرق من صفات الماء فكأنه جمع بين الماء والنار قال ابن منقذ وهي أخفى مطابقة في القرآن وقال ابن المعتز من أملح الطباق وأخفاه قوله تعالى ولكم في القصاص حياة لان معنى القصاص القتل فصار القتل سبب الحياة ومنه نوع سمي ترصيع الكلام وهو اقتران الشيء بما يجتمع معه في قدر مشترك كقوله ان لك الا تجوع فيها ولا تعرى وأنك لا تظمأ فيها ولا تضحى أتى بالجوع مع العرى وبابه أن يكون مع الظمأ وبالضحى مع الظمأ وبابه أن يكون مع العرى لكن الجوع والعرى اشتركا في الخلو فالجوع خلو الباطن من الطعام والعرى خلو الظاهر من اللباس والظمأ والضحى اشتركا في الاحتراق فالظمأ احتراق الباطن من العطش والضحى احتراق الظاهر من حر الشمس ومنه نوع يسمى المقابلة وهي أن يذكر لفظان فأكثر ثم اضدادها على الترتيب قال ابن أبي الاصبع والفرق بين الطباق والمقابلة من وجهين أحدهما أن الطباق لا يكون الا من ضدين فقط والمقابلة لا تكون الا بما زاد من الاربعة الى العشرة والثاني ان الطباق لا يكون الا بالأضداد والمقابلة بالاضداد وبغيرها قال السكاكي ومن خواص المقابلة انه اذا شرط في الاول أمر شرط في الثاني ضده كقوله تعالى فأما من أعطى واتقى الآيتين قابل بين الاعطاء والبخل والاتقاء والاستغناء والتصديق والتكذيب واليسرى والعسرى ولما جعل التيسير في الاول مشتركا بين الاعطاء والاتقاء والتصديق جعل ضده وهو التعسير مشتركا بين أضدادها وقال بعضهم المقابلة اما الواحد بواحد وذلك قليل جدا كقوله لا تأخذه سنة ولا نوم أو اثنين باثنين كقوله فليضحكوا قليلا وليبكوا كثيرا أو ثلاثة بثلاثة كقوله يأمرهم بالمعروف وينهاهم عن المنكر ويحل لهم الطيبات ويحرم عليهم الخبائث واشكروا لي ولا تكفرون أو أربعة بأربعة كقوله فأما من أعطى الآيتين أو خمسة بخمسة كقوله ان الله لا يستحيي أن يضرب مثلا ما الآيات قابل بين بعوضة فما فوقها وبين فأما الذين وأما الذين كفروا وبين يضل ويهدي وبين ينقضون وميثاقه وبين يقطعون وأن يوصل أو ستة بستة كقوله زين للناس حب الشهوات الآية ثم قال قل أؤنبئكم الآية قابل الجنات والانهار والخلد والأزواج والتطهير والرضوان بازاء النساء والبنين والذهب والفضة والخيل المسومة والانعام والحرث وقسم آخر المقابلة الى ثلاثة أنواع نظيري ونقيضي وخلافي مثال الأول مقابلة السنة بالنوم في الآية الأولى فانهما جميعا من باب الرقاد المقابل باليقظة في آية وتحسبهم أيقاظا وهم رقود وهذا مثال الثاني فانهما نقيضان ومثال الثالث مقابلة الشر بالرشد في قوله (وأنا لا ندري أشر أريد بمن في الأرض أم أراد بهم ربهم رشدا) فانهما خلافان لا نقيضان فان نقيض

القدام
أفلا ترى أظعانهم بواكرا
كالنخل من شوكان حين
صرام
وكان شاربها أصاب لسانه
موم يخالط جسمه بقام
وكقوله لم يفعلوا فعل
آل حنظلة
أنهم جير بئسما ائتمروا
لا حميري وفى ولا عدس
ولا أست عير يحكها الثغر
ان بني عوف ابتنوا حسبا
ضيعة الداخلون اذ غدروا
وكقوله أبلغ شهابا وأبلغ
هل أتاك الخبر مال
انا تركنا منكم قتلى
بخوعى وسبيا كالسعالى
يمشين بين رجالنا
معترفات بجوع وهزال
ولم يقع مثل ذلك له وحده
فقد قال الاعشى
فأدخلك الله برد الجنان
جذلان في مدخل طيب
وقال أيضا فرميت غفلة
عينه عن شأنه
فأصبت حبة قلبها وطحالها
وقال في فرسه
ويأمر لليحموم كل عشية
بقت وتعليق فقد كاد
يسنق وقال
شأ ومشل شلو
ل شاشل شول

الشر الخير والرشد الغى (الموارية) براء مهملة وباء موحدة أن يقول المتكلم قولا يتضمن ماينكر عليه فاذا حصل الانكار استحضر بحذقه وجها من الوجوه يتخلص به امابتحريف كلمة أو تصحيفها أو زيادة أو نقص قال ابن أبى الاصبع ومنه قوله تعالى حكاية عن أكبر اولاد يعقوب ارجعوا الى أبيكم فقولوا له ياأبانا ان ابنك سرق فانه قرىء ان ابنك سرق ولم يسرق فأتى بالكلام على الصحة بابدال ضمة من فتحة وتشديد الراء وكسرتها (المراجعة) قال ابن ابى الاصبع هى أن يحكى المتكلم مراجعة فى القول جرت بينه وبين محاوره باوجز عبارة وأعدل سبك وأعذب ألفاظ ومنه قوله تعالى قال انى جاعلك للناس اماما قال ومن ذريتى قال لاينال عهدى الظالمين جمعت هذه القطعة وهى بعض آية ثلاث مراجعات فيها معانى الكلام من الخبر والاستخبار والامر والنهى والوعد والوعيد بالمنطوق والمفهوم قلت أحسن من هذا أن يقال جمعت الخبر والطلب والاثبات والنفى والتأكيد والحذف والبشارة والنذارة والوعد والوعيد (النزاهة) هى خلوص ألفاظ الهجاء من الفحش حتى يكون كما قال أبو عمرو بن العلاء وقد سئل عن أحسن الهجاء هو الذى اذا أنشدته العذراء فى خدرها لايقبح عليها ومنه قوله تعالى (واذا دعوا الى الله ورسوله ليحكم بينهم اذا فريق منهم معرضون) ثم قال أفى قلوبهم مرض أم ارتابوا أم يخافون أن يحيف الله عليهم ورسوله بل أولئك هم الظالمون فان ألفاظ ذم هؤلاء المخبر عنهم بهذا الخبر أتت منزهة عما يقبح فى الهجاء من الفحش وسائر هجاء القرآن كذلك (الابداع) بالباء الموحدة ان يشتمل الكلام على عدة ضروب من البديع قال ابن أبى الاصبع ولم أرفى الكلام مثل قوله تعالى ياأرض ابلعى ماءك فان فيها عشرين ضربا من البديع وهى سبع عشرة لفظة وذلك المناسبة التامة فى ابلعى واقلعى والاستعارة فيهما والطباق بين الارض والسماء والمجاز فى قوله ياسماء فان الحقيقة يامطر السماء والإشارة فى وغيض الماء فانه عبر به عن معان كثيرة لان الماء لايغيض حتى يقلع مطر السماء وتبلع الأرض مايخرج منها من عيون الماء فينقص الحاصل على وجه الارض من الماء (والارداف) فى واستوت (والتمثيل) فى وقضى الامر (والتعليل) فان غيض الماء علة الاستواء (وصحة التقسيم) فانه استوعب فيه أقسام الماء حالة نقصه اذليس الا احتباس ماء السماء والماء النابع من الارض وغيض الماء الذى على ظهرها (والاحتراس) فى الدعاء لئلا يتوهم ان الغرق لعمومه يشمل من لايستحق الهلاك فان عدله تعالى يمنع أن يدعو على غير مستحق (وحسن النسق) وائتلاف اللفظ مع المعنى والايجاز فانه تعالى قص القصة مستوعبة بأخصر عبارة (والتسهيم) فان أول الآية يدل على آخرها (والتهذيب) لان مفرداتها موصوفة بصفات الحسن كل لفظة سهلة مخارج الحروف عليها رونق الفصاحة مع الخلو من البشاعة وعقادة التركيب (وحسن البيان) من جهة ان السامع لايتوقف فى فهم المعنى الكلام ولا يشكل عليه شىء منه (والتمكين) لان الفاصلة مستقرة فى محلها مطمئنة فى مكانها غير قلقة ولا مستدعاة (والانسجام) هذا ما ذكره ابن أبى الاصبع قلت وفيها أيضا الاعتراض

* (النوع التاسع والخمسون) . فى فواصل الآى الفاصلة كلمة آخر الآية كقافية الشعر وقرينة السجع وقال الدانى كلمة آخر الجملة قال الجعبرى وهو خلاف المصطلح ولادليل له فى تمثيل سيبويه بيوم يأتى وما كنا نبغ وليسا رأس آية لان مراده الفواصل اللغوية لا الصناعية وقال القاضى أبو بكر الفواصل حروف متشاكلة فى المقاطع يقع بها افهام المعانى وفرق الدانى بين الفواصل ورؤوس الآى فقال الفاصلة هى الكلام المنفصل عما بعده والكلام المنفصل قد يكون رأس آية وغير رأس وكذلك الفواصل يكن رؤوس آية وغيرها وكل رأس آية فاصلة وليس كل فاصلة

وهذه الألفاظ فى معنى واحد وقد وقع لزهير نحوه كقوله
فاقسمت جهدا بالمنازل من منى
وما سفحت فيه المقادم والقمل
كيف يقال هذا فى قصيدة يقول فيها
وهل ينبت الخطى الا وشيجة
وتغرس الا فى منابتها النخل
وكقوله الطرماح
سوف تدنيك من لميس سبنتاة
مارت بالبول ماء الكراض
السبنتاة الناقة الصلبة والكراض ماء الفحل أسالت ماء الفحل مع البول فلم تعقد عليه ولم تحمل فتضعف والمائر السائل فان قال قائل أجدك تحاملت على امرىء القيس ورأيت أن شعره يتفاوت بين اللين والشراسة وبين اللطف والشكاسة وبين التوحش والاستئناس والتقارب والتباعد ورأيت الكلام الاعدل أفضل والنظام المستوثق أكمل وأنت تجد البحترى يسبق فى

رأس آية قال ولاجل كون معنى الفاصلة هذا ذكر سيبويه فى تمثيل القوافى يوم يأت وما كنا نبغ وليس رأس آية باجماع مع إذا يسر وهو رأس آية باتفاق وقال الجعبرى لمعرفة الفواصل طريقان توقيفى وقياسى أما التوقيفى فما ثبت أنه ﷺ وقف عليه دائما تحققنا أنه فاصلة وما وصله دائما تحققنا أنه ليس بفاصلة وما وقف عليه مرة ووصله أخرى احتمل الوقف أن يكون لتعريف الفاصلة أو لتعريف الوقف التام أو للاستراحة والوصل أن يكون غير فاصلة أو فاصلة وصلها لتقدم تعريفها وأما القياسى فهو ما ألحق من المحتمل غير المنصوص بالمنصوص لمناسب ولا محذور فى ذلك لا زيادة فيه ولا نقصان وإنما غايته أنه محل فصل أو وصل والوقف على كل كلمة كلمة جائز ووصل القرآن كله جائز فاحتاج القياس إلى طريق تعرفه فنقول فاصلة الآية كقرينة السجعة فى النثر وقافية البيت فى الشعر وما يذكر من عيوب القافية من اختلاف الحركة والاشباع والتوجيه فليس بعيب فى الفاصلة وجاز الانتقال فى الفاصلة والقرينة وقافية الارجوزة من نوع إلى آخر بخلاف قافية القصيدة ومن ثم ترى ترجعون مع عليم والميعاد مع الثواب والطارق مع الثاقب والأصل فى الفاصلة والقرينة المتجردة فى الآية والسجعة المساواة ومن ثم اجمع العادون على ترك عد آيات بآخرين ولا الملائكة المقربون فى النساء وكذب بها الاولون بسبحان ولتبشر به المتقين بمريم ولعلهم يتقون به ومن الظلمات إلى النور وأن الله على كل شىء قدير بالطلاق حيث لم يشاكل طرفيه وعلى ترك عد أفغير دين الله يبغون أفحكم الجاهلية يبغون وعدوا نظائرها للمناسبة نحو لأولى الالباب بآل عمران وعلى الله كذبا بالكهف والسلوى بطه وقال غيره تقع الفاصلة عند الاستراحة بالخطاب لتحسين الكلام بها وهى الطريقة التى يباين القرآن بها سائر الكلام وتسمى فواصل لانه ينفصل عنده الكلامان وذلك أن آخر الآية بينها وبين ما بعدها وأخذ من قوله تعالى كتاب فصلت آياته ولايجوز تسميتها قوافى اجماعا لان الله تعالى لما سلب عنه اسم الشعر وجب سلب القافية عنه أيضا لانها منه وخاصة به فى الاصطلاح وكما يمتنع استعمال القافية فيه يمتنع استعمال الفاصلة فى الشعر لانها صفة لكتاب الله تعالى فلا تتعداه وهل يجوز استعمال السجع فى القرآن خلاف الجمهور على المنع لان أصله من سجع الطير فشرف القرآن ان يستعار لشىء منه لفظ أصله مهمل ولاجل تشريفه عن مشاركة غيره من الكلام الحادث فى وصفه بذلك ولان القرآن من صفاته تعالى فلا يجوز وصفه بصفة لم يرد الاذن بها قال الرمانى فى اعجاز القرآن ذهب الاشعرية إلى امتناع أن يقال فى القرآن سجع وفرقوا بأن السجع هو الذى يقصد فى نفسه ثم يحال المعنى عليه والفواصل التى تتبع المعانى ولا تكون مقصودة فى نفسها قال ولذلك كانت الفواصل بلاغة والسجع عيبا وتبعه على ذلك القاضى أبو بكر الباقلانى ونقله عن نص أبى الحسن الاشعرى وأصحابنا كلهم قال وذهب كثير من غير الاشاعرة إلى اثبات السجع فى القرآن وزعموا أن ذلك مما يبين به فضل الكلام وأنه من الاجناس التى يقع بها التفاضل فى البيان والفصاحة كالجناس والالتفات ونحوهما قال وأقوى ما استدلوا به الاتفاق على أن موسى أفضل من هرون لمكان السجع قيل فى موضع هرون وموسى لما كانت الفواصل فى موضع آخر بالواو والنون قيل موسى وهرون قالوا وهذا يفارق أمر الشعر لانه لا يجوز أن يقع فى الخطاب إلا مقصودا اليه وإذا وقع غير مقصود كان دون القدر الذى نسميه شعرا وذلك القدر مما يتفق وجوده من المفحم كما يتفق وجوده من الشاعر وأما ما جاء فى القرآن من السجع فهو كثير لا يصح أن يتفق غير مقصود اليه وبنوا الامر فى ذلك على تحديد معنى السجع فقال أهل اللغة هو موالاة الكلام على حد واحد وقال ابن دريد سجعت الحمامة معناه رددت صوتها قال القاضى

هذا الميدان ويفوت الغاية فى هذا الشأن وأنت ترى الكتاب يفضلون كلامه على كل كلام ويقدمون رأيه فى البلاغة على كل رأى وكذلك تجد لابى نواس من بهجة اللفظ ودقيق المعنى ما يتحير فيه أهل اللفظ ويقدمه الشطار والظراف على كل شاعر ويرون لنظمه روعة لا يرونها لنظم غيره وزبرجا لا يتفق لسواه فكيف يعرف فضل ماسواه عليه فالجواب أن الكلام فى أن الشعر لا يجوز أن يوازن به القرآن قد تقدم وإذ كنا قد بينا ان شعر امرىء القيس وهو كبيرهم الذى يقرون بتقدمه وشيخهم الذى يعترفون بفضله وقائدهم الذى يأتمون به وإمامهم الذى يرجعون اليه كيف سبيله وكيف طريق منزلته عن منزلة نظم القرآن وأنه لا يخلط بشعره غبار ذلك النظم وهو إذا لحظ ذلك كان كما قال

فاصبحت من ليلى الغداة كناظر
مع الصبح فى أعجاز نجم مغرب
وكما قاله أيضا
راحت مشرقة ورحت مغربا
فمتى التقاء مشرق ومغرب
واذا كنا قد أبنا فى القاعدة ما علمت وفضلنا لك فى شعره ما عرفت لم نحتج الى أن نتكلم على شعر شاعر وكلام كل بليغ والقليل يدل على الكثير وقد بينا فى الجملة مباينة أسلوب نظم القرآن جميع الاساليب ومزيته عليها فى النظم والترتيب وتقدمه عليها فى كل حكمة وبراعة ثم تكلمنا على التفصيل على ما شهدت ولا يبقى علينا بعد ذلك سؤال ثم نقول أنت تعلم أن من يقول بتقدم البحترى فى الصنعة به من الشغل فى تفضيله على ابن الرومى أو تسوية ما بينهما مالا يطمع معه فى تقديمه على امرىء القيس ومن فى طبقته وكذلك أبو نواس انما يعدل شعره بشعر اشكاله ويقابل

وهذا غير ولو كان القرآن سجعا لكان غير خارج عن أساليب كلامهم ولو كان داخلا فيها لم يقع بذلك اعجاز لو جاز أن يقال هو سجع معجز لجاز أن يقولوا شعر معجز وكيف والسجع مما كان تألفه الكهان من العرب ونفيه من القرآن أجدر بأن يكون حجة من نفى الشعر لان الكهانة تنافى النبوات بخلاف الشعر وقد قال ﷺ اسجع كسجع الكهان فجعله مذموما قال وما توهموا أنه سجع باطل لان مجيئه على صورته لا يقتضى كونه هو لان السجع يتبع المعنى فيه اللفظ الذى يؤدى السجع وليس كذلك ما اتفق مما هو فى معنى السجع من القرآن لان اللفظ وقع فيه تابعا للمعنى وفرق بين أن ينتظم الكلام فى نفسه بألفاظه التى تؤدى المعنى المقصود منه وبين أن يكون المعنى منتظما دون اللفظ ومتى ارتبط المعنى بالسجع كان افادة السجع كافادة غيره ومتى انتظم المعنى بنفسه دون السجع كان مستجلبا لتحسين الكلام دون تصحيح المعنى قال وللسجع منهج محفوظ وطريق مضبوط من أخل به وقع الخلل فى كلامه ونسب الى الخروج عن الفصاحة كما أن الشاعر اذا خرج عن الوزن المعهود كان مخطئا وأنت ترى فواصل القرآن متفاوتة بعضها متدانى المقاطع وبعضها يمتد حتى يتضاعف طوله عليه وترد الفاصلة ذلك الوزن الاول بعد كلام كثير وهذا فى السجع غير مرضى ولا محمود قال وأما ما ذكر من تقديم موسى على هرون فى موضع وتأخيره عنه فى موضع لمكان السجع وتساوى مقاطع الكلام فليس بصحيح بل القاعدة فيه اعادة القصة الواحدة بألفاظ مختلفة تؤدى معنى واحدا وذلك الامر الصعب الذى تظهر فيه الفصاحة وتتبين فيه البلاغة ولهذا اعيد كثير من القصص على ترتيبات متفاوتة تنبيها بذلك على عجزهم عن الاتيان بمثله مبتدأ به ومتكررا ولو امكنهم المعارضة لقصدوا تلك القصة وعبروا عنها بألفاظ لم تؤد الى تلك المعانى ونحوها فعلى هذا القصد بتقديم بعض الكلمات على بعض وتأخيرها اظهار الاعجاز دون السجع الى أن قال فبان بذلك أن الحروف الواقعة فى الفواصل متناسبة موقع النظائر التى تقع فى الاسجاع لا تخرجها عن حدها ولا تدخلها فى باب السجع وقد بينا أنهم يذمون كل سجع خرج عن اعتدال الاجزاء فكان بعض مصاريعه كلمتين وبعضها أربع كلمات ولا يرون ذلك فصاحة بل يرونه عجزا فلو فهموا اشتمال القرآن على السجع فقالوا نحن نعارضه بسجع معتدل يزيد فى الفصاحة على طريقة القرآن اه كلام القاضى فى كتاب الاعجاز ونقل صاحب عروس الافراح عنه أنه ذهب فى الانتصار الى جواز تسمية الفواصل سجعا وقال الخفاجى فى سر الفصاحة قول الرمانى إن السجع عيب والفواصل بلاغة غلط فانه ان أراد بالسجع ما يتبع المعنى وهو غير مقصود بتكلف فذلك بلاغة والفواصل مثله وإن أراد به ما تقع المعانى تابعة له وهو مقصود بتكلف فذلك عيب والفواصل مثله وأظن الذى دعاهم الى تسمية كل ما فى القرآن فواصل ولم يسموا ما تماثلت حروفه سجعا رغبتهم فى تنزيه القرآن عن الوصف اللاحق بغيره من الكلام المروى عن الكهنة وغيرهم وهذا غرض فى التسمية قريب والحقيقة ما قلناه قال والتحرير أن الاسجاع حروف متماثلة فى مقاطع الفواصل فان قيل اذا كان عندكم ان السجع محمود فهلا ورد القرآن كله مسجوعا وما الوجه فى ورود بعضه مسجوعا وبعضه غير مسجوع (قلنا) إن القرآن نزل بلغة العرب وعلى عرفهم وعادتهم وكان الفصيح منهم لا يكون كلامه كله مسجوعا لما فيه من أمارات التكلف والاستكراه لا سيما من طول الكلام فلم يرد كله مسجوعا جريا منه على عرفهم فى اللطافة الغالبة أو الطبقة العالية من كلامهم ولم يخل من السجع لانه يحسن فى بعض الكلام على الصفة السابقة وقال ابن النفيس يكفى فى حسن السجع ورود القرآن به ولا يقدح فى ذلك خلوه فى بعض الآيات لان الحسن قد يقتضى المقام الانتقال الى أحسن منه وقال حازم من الناس من يكره

نقطيع

تقطيع الكلام الى مقادير متناسبة الاطراف غير متقاربة فى الطول والقصر لما فيه من التكلف
الا مايقع الالمام به فى النادر من الكلام ومنهم من يرى أن التناسب الواقع بافراغ الكلام فى قالب
التقفية وتحليتها بمناسبات المقاطع أكيد جدا ومنهم وهو الوسط من يرى أن السجع وان كان زينة
للكلام فقد يدعو الى التكلف فرأى ان لا يستعمل فى جملة الكلام وان لا يخلى الكلام منه جملة وأنه
يقبل منه ما اجتلبه الخاطر عفوا بلا تكلف قال وكيف يعاب السجع على الاطلاق وانما نزل القرآن
على اساليب الفصيح من كلام العرب فوردت الفواصل فيه بازاء ورود الاسجاع فى كلامهم وانما لم يجىء
على اسلوب واحد لأنه لا يحسن فى كلام جميعا أن يكون مستمرا على نمط واحد لما فيه من التكلف
ولما فى الطبع من الملل ولأن الافتنان فى ضروب الفصاحة أعلى من الاستمرار على ضرب واحد فلهذا
وردت بعض آى القرآن متماثلة المقاطع وبعضها غير متماثلة

* (فصل) * ألف الشيخ شمس الدين بن الصائغ الحنفى كتابا سماه إحكام الرأى فى أحكام الآى
قال فيه اعلم أن المناسبة أمر مطلوب فى اللغة العربية يرتكب لها أمور من مخالفة الأصول قال
وقد تتبعت الاحكام التى وقعت فى آخر الآى مراعاة للمناسبة فعثرت منها على نيف عن الاربعين
حكما أحدها تقديم المعمول إما على العامل نحو أهؤلاء اياكم كانوا يعبدون قيل ومنه واياك نستعين
أو على معمول آخر أصله التقديم نحو لنريك من آياتنا الكبرى اذا أعربنا الكبرى مفعول نرى
أو على الفاعل نحو ولقد جاء آل فرعون النذر ومنه تقديم خبر كان على اسمها نحو ولم يكن له كفوا أحد
(الثانى) تقديم ما هو متأخر فى الزمان نحو فلله الآخرة والاولى ولولا مراعاة الفواصل لقدمت
الاولى كقوله له الحمد فى الأولى والآخرة (الثالث) تقديم الفاضل على الافضل نحو برب هارون
وموسى وتقدم مافيه (الرابع) تقديم الضمير على ما يفسره نحو فأوجس فى نفسه خيفة موسى
(الخامس) تقديم الصفة الجملة على الصفة المفردة نحو ونخرج له يوم القيامة كتابا يلقاه منشورا
(السادس) حذف ياء المنقوص المعرف نحو الكبير المتعال يوم التناد (السابع) حذف ياء الفعل
غير المجزوم نحو والليل اذا يسر (الثامن) حذف ياء الاضافة نحو فكيف كان عذابى ونذر فكيف
كان عقاب (التاسع) زيادة حرف المد نحو الظنونا والرسولا والسبيلا ومنه ابقاؤه مع الجازم نحو
لا تخاف دركا ولا تخشى سنقرئك فلا تنسى على القول بأنه نهى (العاشر) صرف ما لا ينصرف نحو
قواريرا قواريرا (الحادى عشر) ايثار تذكير اسم الجنس كقوله اعجاز نخل منقعر (الثانى عشر)
ايثار تأنيثه نحو اعجاز نخل خاوية ونظير هذين قوله فى القمر وكل صغير وكبير مستطر وفى الكهف
لا يغادر صغيرة ولا كبيرة إلا أحصاها (الثالث عشر) الاقتصار على أحد الوجهين الجائزين اللذين
قرئ بهما فى السبع فى غير ذلك كقوله تعالى فأولئك تحروا رشدا ولم يجئ رشدا فى السبع وكذا وهيء
لنا من أمرنا رشدا لأن الفواصل فى السورتين بحركة الوسط وقد جاء فى وان يروا سبيل الرشد وبهذا
يبطل ترجيح الفارسى قراءة التحريك بالاجماع عليه فيما تقدم ونظير ذلك قراءة تبت يدا أبى لهب
بفتح الهاء وسكونها ولم يقرأ سيصلى نارا ذات لهب الا بالفتح لمراعاة الفاصلة (الرابع عشر) ايراد الجملة
التى رد بها ما قبلها على غير وجه المطابقة فى الاسمية والفعلية كقوله تعالى ومن الناس من يقول آمنا
بالله وباليوم الآخر وما هم بمؤمنين لم يطابق بين قولهم آمنا وبين ما رد به فيقول ولم يؤمنوا أو وما آمنوا
لذلك (الخامس عشر) ايراد أحد القسمين غير مطابق للآخر كذلك نحو ولعلمن الله الذين
صدقوا وليعلمن الكاذبين ولم يقل كذبوا (السادس عشر) ايراد أحد جزأى الجملتين على غير
الوجه الذى أورد نظيرها من الجملة الأخرى نحو أولئك الذين صدقوا وأولئك هم المتقون

كلامه بكلام اضرابه
من أهل عصره وانما يقع
بينهم التباين اليسير
والتفاوت القليل فاما
ان يظن ظان أو يتوهم
متوهم أن جنس الشعر
معارض لنظم القرآن
فكأنما خر من السماء
فتخطفه الطير أو تهوى به
الريح فى مكان سحيق
وانما هى خواطر يغير
بعضها على بعض
ويقتدى فيها بعض ببعض
والغرض الذى يرمى
اليه ويصح التوافى عليه
فى الجملة فهو قبيل
متداول وجنس متنازع
وشريعة مورودة
وطريقة مسلوكة
الا ترى إلى ما روى عن
الحسين بن الضحاك قال
أنشدت أبا نواس قصيدتى
التى فيها

وشاطرى اللسان مختلق النكر
يه * زان المجون بالنسك
كأنه نصب كأسه قمر
يكرع فى بعض أنجم الفلك

قال فأنشدنى أبو نواس
بعد أيام قصيدته التى
يقول فيها

أعاذل أعتبت الامام وأعتبا
وأعربت عما فى الضمير وأعربا

(السابع عشر) ايثار أغرب اللفظين نحو قسمة ضيزى ولم يقل جائزة لينبذن فى الحطمة ولم يقل جهنم أو النار وقال فى المدثر سأصليه سقر وفى سأل انها لظى وفى القارعة فأمه هاوية لمراعاة فواصل كل سورة (الثامن عشر) اختصاص كل من المشتركين بموضع نحو وليذكر أولو الالباب وفى سورة طه ان فى ذلك لآيات لأولى النهى (التاسع عشر) حذف المفعول نحو فأما من أعطى واتقى ماودعك ربك وماقلى ومنه حذف متعلق افعل التفضيل نحو يعلم السر وأخفى خير وأبقى (العشرون) الاستغناء بالافراد عن التثنية نحو فلا يخرجنكما من الجنة فتشقى (الحادى والعشرون) الاستغناء به عن الجمع نحو واجعلنا للمتقين أماما ولم يقل ائمة كما قال وجعلناهم أئمة يهدون إن المتقين فى جنات ونهر أى أنهار (الثانى والعشرون) الاستغناء بالتثنية عن الافراد نحو ولمن خاف مقام ربه جنتان قال الفراء أراد جنة كقوله فان الجنة هى المأوى فثنى لأجل الفاصلة قال والقوافى تحتمل من الزيادة والنقصان مالايحتمله سائر الكلام ونظير ذلك قول الفراء أيضا فى قوله تعالى اذانبعث أشقاها فانهما رجلان قدار وآخر معه ولم يقل أشقياها للفاصلة وقد أنكر ذلك ابن قتيبة وأغلظ فيه وقال انما يجوز فى رءوس الآى زيادة هاء السكت أو الألف أو حذف همز أو حذف فاما أن يكون الله وعد بجنتين فيجعلهما جنة واحدة لأجل رءوس الآى معاذ الله وكيف هذا وهو يصفها بصفات الاثنين قال ذواتا أفنان ثم قال فيهما وأما ابن الصائغ فانه نقل عن الفراء أنه أراد جنات فأطلق الاثنين على لاجل الفاصلة ثم قال وهذا غير بعيد قال وانما عاد الضمير بعد ذلك بصيغة التثنية مراعاة للفظ وهذا هو الثالث والعشرون (الرابع والعشرون) الاستغناء بالجمع عن الافراد نحو لابيع فيه ولاخلال أى ولاخلة كما فى الآية الأخرى وجمع مراعاة للفاصلة (الخامس والعشرون) اجراء غير العاقل مجرى العاقل نحو رأيتهم لى ساجدين كل فى فلك يسبحون (السادس والعشرون) إمالة مالا يمال كآى طه والنجم (السابع والعشرون) الاتيان بصيغة المبالغة كقدير وعليم مع ترك ذلك فى نحو هو القادر وعالم الغيب ومنه وما كان ربك نسيا (الثامن والعشرون) ايثار بعض أوصاف المبالغة على بعض نحو ان هذا شىء عجاب أوثر على عجيب لذلك (التاسع والعشرون) الفصل بين المعطوف والمعطوف عليه نحو (ولولا كلمة سبقت من ربك لكان لزاما وأجل مسمى) (الثلاثون) ايقاع الظاهر موقع المضمر نحو (والذين يمسكون بالكتاب وأقاموا الصلاة انا لا نضيع أجر المصلحين) وكذا آية الكهف (الحادى والثلاثون) وقوع مفعول موقع فاعل كقوله حجابا مستورا كان وعده مأتيا أى ساترا وآتيا (الثانى والثلاثون) وقوع فاعل موقع مفعول نحو أخرج عيشة راضية ماء دافق (الثالث والثلاثون) الفصل بين الموصوف والصفة نحو أخرج المرعى فجعله غثاء أحوى ان أعرب أحوى صفة لمرعى أى حالا (الرابع والثلاثون) ايقاع حرف مكان غيره نحو بأن ربك أوحى لها والاصل اليها (الخامس والثلاثون) تأخير الوصف غير الابلغ ومنه الرحمن الرحيم رءوف رحيم لأن الرأفة أبلغ من الرحمة (السادس والثلاثون) حذف الفاعل ونيابة المفعول نحو ومالاحد عنده من نعمة تجزى (السابع والثلاثون) اثبات هاء السكت نحو ماليه سلطانيه ماهيه (الثامن والثلاثون) الجمع بين المجرورات نحو ثم لاتجد لك به علينا تبيعا فان الاحسن الفصل بينها الا أن مراعاة الفاصلة اقتضت عدمه وتأخير تبيعا (التاسع والثلاثون) العدول عن صيغة المضى الى صيغة الاستقبال نحو فريقا كذبتم وفريقا تقتلون والاصل قتلتم (الاربعون) تغير بنية الكلمة نحو طور سينين والاصل سينا * (تنبيه). قال ابن الصائغ لايمتنع فى توجيه الخروج عن الاصل فى الآيات المذكورة أمور أخرى مع وجه المناسبة فان القرآن العظيم كما جاء فى الأثر لاتنقضى عجائبه

فصل

وقلت لساقيها اجزها فلم أكد
ليأبى أمير المؤمنين وأشربا
لجزرها عن عقارا ترى لها
الى الشرف الأعلى شعاعا مطنبا
اذا عب فيها شارب القوم خلته
يقبل فى داج من الليل كوكبا
قال فقلت له ياأبا على هذه مقالى فقال أتظن أنه يروى لك معنى وأنا حى فتامل هذا الاخذ وهذا الوضع وهذا الاتباع أما الخليع فقد رأى الابداع فى المعنى فاما العبارات فانها ليست على ماظنه لان قوله يكرع ليس بصحيح وفيه احالة لان النهر لا يصح تصور ان يكرع فى نجم وأما قول بى نواس اذا عب فيها فكلمة قد قصد فيها المتانة وكان سبيله أن يختار سواه من ألفاظ الشراب ولو فعل ذلك كان أملح وقوله شارب القوم فيه ضرب من التكلف الذى لابد له

(فصل) قال ابن أبي الاصبع لا تخرج فواصل القرآن عن احد أربعة أشياء التمكين والتصدير والتوشيح والايغال فالتمكين ويسمى ائتلاف القافية أن يمهد الناثر للقرينة أو الشاعر للقافية تمهيدا تأتي به القافية أو القرينة متمكنة في مكانها مستقرة في قرارها مطمئنة في مواضعها غير نافرة ولا قلقة متعلقا معناها بمعنى الكلام كله تعلقا تاما بحيث لو طرحت لاختل المعنى واضطرب الفهم وبحيث لو سكت عنها كمله السامع بطبعه ومن أمثلة ذلك ياشعيب أصلواتك تأمرك أن نترك الآية فانه لما تقدم في الآية ذكر العبادة وتلاه ذكر التصرف في الأموال اقتضى ذلك ذكر الحلم والرشد على الترتيب لان الحلم يناسب العبادات والرشد يناسب الأموال وقوله أولم يهد لهم كم أهلكنا من قبلهم من القرون يمشون في مساكنهم ان في ذلك لآيات أفلا يسمعون أولم يروا أنا نسوق الماء إلى قوله أفلا تبصرون فأتى في الآية الأولى يهد لهم وختمها بيسمعون لان الموعظة فيها مسموعة وهي أخبار القرون وفي الثانية بيروا وختمها بيبصرون لانها مرئية وقوله لا تدركه الابصار وهو يدرك الابصار وهو اللطيف الخبير فان اللطيف يناسب ما لا يدرك بالبصر والخبير يناسب ما يدركه وقوله ولقد خلقنا الانسان من سلالة من طين إلى قوله فتبارك الله أحسن الخالقين فان في هذه الفاصلة التمكين التام المناسب لما قبلها وقد بادر بعض الصحابة حين نزل أول الآية إلى ختمها قبل أن يسمع آخرها فأخرج ابن أبي حاتم من طريق الشعبي عن زيد بن ثابت قال أملى على رسول الله ﷺ هذه الآية ولقد خلقنا الانسان من سلالة من طين إلى قوله خلقا آخر قال معاذ بن جبل فتبارك الله أحسن الخالقين فضحك رسول الله ﷺ فقال له معاذ مم ضحكت يارسول الله قال بها ختمت وحكى ان اعرابيا سمع قارئا يقرأ فان زللتم من بعد ما جاءتكم البينات فاعلموا أن الله غفور رحيم ولم يكن يقرأ القرآن فقال ان كان هذا كلام الله فلا يقول كذا الحكيم لا يذكر الغفران عند الزلل لانه اغراء عليه (تنبيهات) الأول قد تجتمع فواصل في موضع واحد وتخالف بينها كأوائل النحل فانه تعالى بدأ بذكر الأفلاك فقال خلق السموات والارض بالحق ثم ذكر خلق الانسان من نطفة ثم خلق الانعام ثم عجائب النبات فقال هو الذي أنزل من السماء ماء لكم منه شراب ومنه شجر فيه تسيمون ينبت لكم به الزرع والزيتون والنخيل والأعناب ومن كل الثمرات ان في ذلك لآية لقوم يتفكرون فجعل مقطع هذه الآية التفكر فانه استدلال بحدوث الانواع المختلفة من النبات على وجود الاله القادر المختار ولما كان هنا مظنة سؤال وهو أنه لم لا يجوز أن يكون المؤثر فيه طبائع الفصول وحركات الشمس والقمر وكان الدليل لا يتم الا بالجواب عن هذا السؤال كان مجال التفكر والنظر والتأمل باقيا فاجاب تعالى عنه من وجهين أحدهما أن تغيرات العالم السفلي مربوطة بأحوال حركات الافلاك فتلك الحركات كيف حصلت فان كان حصولها بسبب أفلاك أخرى لزم التسلسل وان كان من الخالق الحكيم فذلك اقرار بوجود الاله تعالى وهذا هو المراد بقوله وسخر لكم الليل والنهار والشمس والقمر والنجوم مسخرات بأمره ان في ذلك لآيات لقوم يعقلون فجعل مقطع هذه الآية العقل وكأنه قيل ان كنت عاقلا فاعلم أن التسلسل باطل فوجب انتهاء الحركات إلى حركة يكون موجدها غير متحرك وهو الاله القادر المختار والثاني أن نسبة الكوكب والطبائع إلى جميع أجزاء الورقة الواحدة والحبة الواحدة واحدة ثم انا نرى الورقة الواحدة من الورد أحد وجهيها في غاية الحمرة والآخر في غاية السواد فلو كان المؤثر موجبا بالذات لامتنع حصول هذا التفاوت في الآثار فعلمنا ان المؤثر قادر مختار وهذا هو المراد من قوله (وما ذرأ لكم في الأرض مختلفا ألوانه ان في ذلك لآية لقوم يذكرون) كأنه قيل اذكر ما ترسخ في عقلك أن الواجب بالذات والطبع لا يختلف تأثيره فاذا نظرت حصول هذا الاختلاف علمت أن المؤثر ليس هو الطبائع بل الفاعل

منه او من مثله لاقامة الوزن ثم قوله خلته يقبل في دج من الليل كوكبا تشبيه بحالة واحدة من أحواله وهي أن يشرب حيث لا ضوء هناك وانما يتناوله ليلا فليس بتشبيه مستوفى على ما فيه من الوقوع والملاحة وقد قال ابن الرومي ما هو أوقع منه وأملح وأبدع ومهفهف تمت محاسنه حتى تجاوز منية النفس تصبو الكئوس إلى مراشفه وتحن في يده إلى الحبس أبصرته والكأس بين فم منه وبين أنامل خمس وكأنها وكأن شاربها قمر يقبل عارض الشمس ولاشك في أن تشبيه ابن الرومي أحسن وأعجب إلا أنه تمكن من إيراده في بيتين وهمامع سبقهما إلى المعنى أتيا به في بيت واحد وانما أردت بهذا ان أعرفك أن هذه الامور متقاربة يقع فيها التنافس والتعارض والاطماع متعلقة بها والهمم تسموا اليها وهي ألف طباعنا وطوع مداركنا ومجانس

المختار فلهذا جعل مقطع الآية التذكر ومن ذلك قوله تعالى قل تعالوا أتل ما حرم ربكم عليكم الآيات فان الأولى ختمت بقوله لعلكم تعقلون والثانية بقوله لعلكم تذكرون والثالثة بقوله لعلكم تتقون لأن الوصايا التي في الآية الأولى إنما يحمل على تركها عدم العقل الغالب على الهوى لأن الإشراك بالله لعدم استكمال العقل الدال على توحيده وعظمته وكذلك عقوق الوالدين لا يقتضيه العقل لسبق إحسانهما إلى الولد بكل طريق وكذلك قتل الأولاد بالوأد من الاملاق مع وجود الرازق الحي الكريم وكذلك إتيان الفواحش لا يقتضيه عقل وكذا قتل النفس لغيظ أو غضب في القاتل فحسن بعد ذلك يعقلون وأما الثانية فتعلقها بالحقوق المالية والقولية فان من علم أن له أيتاما يخلفهم من بعده لا يليق به أن يعامل أيتام غيره إلا بما يجب أن يعامل به أيتامه ومن يكيل أو يزن أو يشهد لغيره لو كان ذلك الأمر له لم يحب أن يكون فيه خيانة ولا بخس وكذا من وعد لو وعد لم يحب أن يخلف ومن أحب ذلك عامل الناس به ليعاملوه بمثله فترك ذلك إنما يكون لغفلة عن تدبر ذلك وتأمله فلذلك ناسب الختم بقوله لعلكم تذكرون وأما الثالثة فلأن ترك اتباع شرائع الله الدينية مؤد إلى غضبه وإلى عقابه فحسن لعلكم تتقون أي عقاب الله بسببه ومن ذلك قوله في الأنعام أيضا وهو الذي جعل لكم النجوم الآيات فانه ختم الأولى بقوله لقوم يعلمون والثانية بقوله لقوم يفقهون والثالثة بقوله لقوم يؤمنون وذلك لأن حساب النجوم والاهتداء بها يختص بالعلماء بذلك فناسب ختمه بيعلمون وإنشاء الخلائق من نفس واحدة ونقلهم من صلب إلى رحم ثم إلى الدنيا ثم إلى حياة وموت والنظر في ذلك والفكر فيه أدق فناسب ختمه بيفقهون لأن الفقه فهم الأشياء الدقيقة ولما ذكر ما أنعم به على عباده من سعة الأرزاق والأقوات والثمار وأنواع ذلك ناسب ختمه بالايمان الداعي وإلى شكره تعالى على نعمه ومن ذلك قوله تعالى وما هو بقول شاعر قليلا ما تؤمنون ولا بقول كاهن قليلا ما تذكرون حيث ختم الأولى بتؤمنون والثانية بتذكرون ووجهه أن مخالفة القرآن لنظم الشعر ظاهرة واضحة لا تخفى على أحد فقول من قال شعر كفر وعناد محض فناسب ختمه بقوله قليلا ما تؤمنون وأما مخالفته لنظم الكهان وألفاظ السجع فيحتاج إلى تذكر وتدبر لأن كلامهما نثر فليست مخالفته له في وضوحها لكل أحد كمخالفته الشعر وإنما تظهر بتدبر ما في القرآن من الفصاحة والبلاغة والبدائع والمعاني الأنيقة فحسن ختمه بقوله قليلا ما تذكرون ومن بديع هذا النوع اختلاف الفاصلتين في موضعين والمحدث عنه واحد لنكتة لطيفة كقوله تعالى في سورة إبراهيم (وإن تعدوا نعمة الله لا تحصوها إن الانسان لظلوم كفار) ثم قال في سورة النحل (وان تعدوا نعمة الله لا تحصوها إن الله لغفور رحيم) قال ابن المنير كأنه يقول إذا حصلت النعم الكثيرة فأنت آخذها وأنا معطيها فحصل لك عند أخذها وصفان كونه ظلوما وكونك كفارا يعني لعدم وفائك بشكرها ولي عند اعطائها وصفان وهما إني غفور رحيم أقابل ظلمك بغفراني وكفرك برحمتي فلا أقابل تقصيرك إلا بالتوفير ولا أجازي جفاك إلا بالوفاء وقال غيره إنما خص سورة إبراهيم بوصف المنعم عليه وسورة النحل بوصف المنعم لأنه في سورة ابراهيم مساق وصف الانسان وفي سورة النحل في مساق صفات الله وإثبات الوهيته ونظيره قوله تعالى في سورة الجاثية (من عمل صالحا فلنفسه ومن أساء فعليها ثم إلى ربكم ترجعون) وفي فصلت ختم بقوله وما ربك بظلام للعبيد ونكتة ذلك أن قبل الآية الأولى قل للذين آمنوا يغفروا للذين لا يرجون أيام الله ليجزي قوما بما كانوا يكسبون فناسب الختام بفاصلة البعث لأن قبله وصفهم بانكاره وأما الثانية فالختام بما فيها مناسب لأنه لا يضيع عملا صالحا ولا يزيد على من عمل سيئا وقال في سورة النساء (إن الله لا يغفر أن يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء ومن يشرك بالله فقد افترى إثما عظيما) ثم أعادها وختم بقوله ومن يشرك بالله فقد

لكلامنا وإعجاب قوم بنحو هـذا وما يجري مجراه وإيثار أقوام لشعر البحتري على أبي تمام وعبد الصمد وابن الرومي وتقديم قوم كل هؤلاء أو بعضهم عليه وذهاب قوم عن التفرقة ليس بأمر يضربنا ولا سبب يعترض على أفهامنا ونحن نعمد إلى بعض قصائد البحتري فنتكلم عليها كما تكلمنا على قصيدة امرىء القيس ليزداد الناظر في كتابنا بصيرة ويستخلص من سر المعرفة سريرة ويعلم كيف تكون الموازنة وكيف تقع المشابهة والمقاربة ونجعل تلك القصيدة التي نذكرها أجود شعره سمعت الصاحب اسماعيل بن عباد يقول سمعت أبا الفضل بن العميد يقول سمعت أبا مسلم الرستمي يقول سمعت البحتري يذكر أن أجود شعر قاله (أهلا بذلكم الخيال المقبل) قال وسمعت أبا الفضل بن العميد يقول أجود شعره هو قوله في

ضل

ضل ضلالا بعيدا ونكتته ذلك أن الأولى نزلت فى اليهود وهم الذين افتروا على الله ما ليس فى كتابه والثانية نزلت فى المشركين ولا كتاب لهم وضلالهم أشد ونظيره قوله فى المائدة ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الكافرون ثم أعادها فقال فأولئك هم الظالمون ثم قال فى الثالثة فأولئك هم الفاسقون ونكتته أن الأولى نزلت فى أحكام المسلمين والثانية فى اليهود والثالثة فى النصارى وقيل الأولى فيمن جحد ما أنزل الله والثانية فيمن خالف مع علمه ولم ينكره والثالثة فيمن خالفه جاهلا وقيل الكافر والظالم والفاسق كلها بمعنى واحد وهو الكفر عبر عنه بألفاظ مختلفة لزيادة الفائدة واجتناب صورة التكرار وعكس هذا اتفاق الفاصلتين والمحدث عنه مختلف كقوله فى سورة النور يا أيها الذين آمنوا ليستأذنكم الذين ملكت أيمانكم إلى قوله كذلك يبين الله لكم الآيات والله عليم حكيم ثم قال وإذا بلغ الأطفال منكم الحلم فليستأذنوا كما استأذن الذين من قبلهم كذلك يبين الله لكم آياته والله عليم حكيم

(التنبيه الثانى) من مشكلات الفواصل قوله تعالى ان تعذبهم فانهم عبادك وإن تغفر لهم فانك أنت العزيز الحكيم فإن قوله وان تغفر لهم يقتضى أن تكون الفاصلة الغفور الرحيم وكذا نقلت عن مصحف أبى وبها قرأ ابن شنبوذ وذكر فى حكمته أنه لا يغفر لمن استحق العذاب إلا من ليس فوقه أحد يرد عليه حكمه فهو العزيز أى الغالب الحكيم هو الذى يضع الشيء فى محله وقد يخفى وجه الحكمة على بعض الضعفاء فى بعض الأفعال فيتوهم أنه خارج عنها وليس كذلك فكان فى الوصف بالحكيم احتراس حسن أى وان تغفر لهم مع استحقاقهم العذاب فلا معترض عليك لأحد فى ذلك والحكمة فيما فعلته ونظير ذلك قوله فى سورة التوبة أولئك سيرحمهم الله إن الله عزيز حكيم وفى سورة الممتحنة واغفر لنا ربنا إنك أنت العزيز الحكيم وفى غافر ربنا وأدخلهم جنات عدن إلى قوله إنك أنت العزيز الحكيم وفى النور ولولا فضل الله عليكم ورحمته وأن الله تواب حكيم فإن بادىء الرأى يقتضى تواب رحيم لأن الرحمة مناسبة للتوبة لكن عبر به إشارة إلى فائدة مشروعية اللعان وحكمته وهى الستر عن هذه الفاحشة العظيمة ومن خفى ذلك أيضا قوله فى سورة البقرة هو الذى خلق لكم ما فى الأرض جميعا ثم استوى إلى السماء فسواهن سبع سموات وهو بكل شيء عليم وفى آل عمران (قل إن تخفوا ما فى صدوركم أو تبدوه يعلمه الله ويعلم ما فى السموات وما فى الأرض والله على كل شيء قدير) فان المتبادر إلى الذهن فى آية البقرة الختم بالقدرة وفى آية آل عمران الختم بالعلم والجواب أن آية البقرة لما تضمنت الإخبار عن خلق الأرض وما فيها على حسب حاجات أهلها ومنافعهم ومصالحهم وخلق السموات خلقا مستويا محكما من غير تفاوت والخالق على الوصف المذكور يجب ان يكون عالما بما فعله كليا وجزئيا مجملا ومفصلا ناسب ختمها بصفة العلم وآية آل عمران لما كانت فى سياق الوعيد على موالاة الكفار وكان التعبير بالعلم فيها كناية عن المجازاة بالعقاب والثواب ناسب ختمها بصفة القدرة ومن ذلك قوله وان من شيء إلا يسبح بحمده ولكن لا تفقهون تسبيحهم انه كان حليما غفورا فالختم بالحلم والمغفرة عقب تسابيح الأشياء غير ظاهر فى بادىء الرأى وذكر فى حكمته أنه لما كانت الأشياء كلها تسبح ولا عصيان فى حقها وأنتم تعصون ختم بمراعاة المقدر فى الآية وهو العصيان كما جاء فى الحديث لولا بهائم رتع وشيوخ ركع وأطفال رضع لصب عليكم العذاب صبا ولرص رصا وقيل التقدير حليما عن تفريط المسبحين غفورا لذنوبهم وقيل حليما عن المخاطبين الذين لا يفقهون التسبيح بإهمالهم النظر فى الآيات والعبر ليعرفوا حقه بالتأمل فيما أودع مخلوقاته مما يوجب تنزيهه

(التنبيه الثالث) فى الفواصل ما لا نظير له فى القرآن كقوله عقب الأمر بالغض فى سورة النور إن الله خبير بما يصنعون وقوله عقب الأمر بالدعاء والاستجابة لعلهم يرشدون وقيل فيه تعريض بليلة القدر حيث ذكر عقب ذكر رمضان أى لعلهم

الشيب زجر له لو كان ينزجر قال وسئلت عن ذلك فقلت البحترى أعرف بشعر نفسه من غيره فنحن الآن نقول فى هذه القصيدة ما يصلح فى مثل هذا قوله

أهلا بذلكم الخيال المقبل فعل الذى نهواه أو لم يفعل

برق سرى فى بطن وجرة فاهتدت بسناه أعناق الركاب الضلل

البيت الأول فى قبوله ذلكم الخيال ثقل روح وتطويل وحشو وغيره أصلح له وأخف منه قول الصنوبرى

أهلا بذلك زوره من زور شمس بدت فى فلك الدور

وعذوبة الشعر تذهب بزيادة حرف أو نقصان حرف فيصير إلى الكزازة وتعود ملاحته بذلك ملوحة وفصاحته عيا وبراعته تكلفا وسلاسته تعسفا وملاسته تلويا وتعقدا فهذا فصيل وفيه شيء آخر وهو أن هذا الخطاب إنما يستقيم مهما خوطب به الخيال

يرشدون إلى معرفتها وأما التصدير فهو أن تكون تلك اللفظة بعينها تقدمت فى أول الآية وتسمى أيضا رد العجز على الصدر وقال ابن المعتز هو ثلاثة أقسام الأول توافق آخر الفاصلة وآخر كلمة فى الصدر نحو أنزله بعلمه والملائكة يشهدون وكفى بالله شهيدا والثانى أن يوافق أول كلمة منه نحو وهب لنا من لدنك رحمة إنك أنت الوهاب قال إنى لعملكم من القالين الثالث أن يوافق بعض كلماته نحو (ولقد استهزىء برسل من قبلك فحاق بالذين سخروا منهم ما كانوا به يستهزؤن انظر كيف فضلنا بعضهم على بعض وللآخرة أكبر درجات وأكبر تفضيلا قال لهم موسى ويلكم لا تفتروا على الله كذبا إلى قوله وقد خاب من افترى فقلت استغفروا ربكم إنه كان غفارا) وأما التوشيح فهو أن يكون فى أول الكلام ما يستلزم القافية والفرق بينه وبين التصدير أن هذا دلالته معنوية وذاك لفظية كقوله تعالى إن الله اصطفى آدم الآية فان اصطفى لا يدل على أن الفاصلة العالمين باللفظ لأن لفظ العالمين غير لفظ اصطفى ولكن بالمعنى لأنه يعلم أن من لوازم اصطفى شىء ان يكون مختارا على جنسه وجنس هؤلاء المصطفين العالمون وكقوله وآية لهم الليل نسلخ الآية قال ابن أبى الأصبع فان من كان حافظا لهذه السورة متفطنا إلى أن مقاطع آيها النون المردفة وسمع صدور الآية انسلاخ النهار من الليل علم أن الفاصلة مظلمون لأن من انسلخ النهار عن ليلة أظلم أى دخل فى الظلمة ولذلك سمى توشيحا لأن الكلام لما دل على آخره نزل المعنى منزلة الوشاح ونزل أول الكلام وآخره منزلة العاتق والكشح الذين يجول عليهما الوشاح (واما الإيغال) فتقدم فى نوع الإطناب

* (فصل) قسم البديعيون السجع ومثله الفواصل إلى أقسام مطرف ومتوازى ومرصع ومتوازن ومتماثل فالمطرف أن يختلف الفاصلتان فى الوزن وتتفقا فى حروف السجع نحو (مالكم لا ترجون لله وقارا وقد خلقكم أطوارا) والمتوازى أن يتفقا وزنا وتقفية ولم يكن ما فى الأولى مقابلا لما فى الثانية فى الوزن والتقفية نحو فيها سرر مرفوعة وأكواب موضوعة والمتوازن ان يتفقا فى الوزن دون التقفية نحو ونمارق مصفوفة وزرابى مبثوثة والمرصع ان يتفقا وزنا وتقفية ويكون ما فى الأولى مقابلا لما فى الثانية كذلك نحو (ان الينا ايابهم ثم ان علينا حسابهم ان الابرار لفى نعيم وان الفجار لفى جحيم) والمتماثل ان يتساويا فى الوزن دون التقفية وتكون افراد الأولى مقابلة لما فى الثانية فهو بالنسبة إلى المرصع كالمتوازن بالنسبة إلى المتوازى نحو (وآتيناهما الكتاب المستبين وهديناهما الصراط المستقيم) فالكتاب والصراط يتوزنان وكذا المستبين والمستقيم واختلفا فى الحرف الأخير

. (فصل) بقى نوعان بديعيان متعلقان بالفواصل احدهما التشريع وسماه ابن أبى الاصبع التوام واصله أن يبنى الشاعر بيته على وزنين من أوزان العروض فاذا أسقط منها جزأ أو جزئين صار الباقى بيتا من وزن آخر ثم زعم قوم اختصاصه به وقال آخرون بل يكون فى النثر بان يكون مبنيا على سجعتين لو اقتصر على الأولى منهما كان الكلام تاما مفيدا وان ألحقت به السجعة الثانية كان فى التمام والافادة على حاله مع زيادة معنى مازاد من اللفظ قال ابن أبى الاصبع وقد جاء من هذا الباب معظم سورة الرحمن فان آياتها لو اقتصر فيها على أولى الفاصلتين دون فبأى آلاء ربكما تكذبان لكان تاما مفيدا وقد كمل بالثانية فأفاد معنى زائدا من التقرير والتوبيخ قلت التمثيل غير مطابق والأولى أن يمثل بالآيات التى فى اثنائها ما يصلح أن يكون فاصلة كقوله لتعلموا أن الله على كل شىء قدير وان الله قد احاط بكل شىء علما واشباه ذلك الثانى الاستلزام ويسمى لزوم مالا يلزم وهو أن يلتزم فى الشعر أو النثر حرفا او حرفين فصاعدا قبل الروى بشرط عدم الكلفة مثال التزام حرف فاما اليتيم فلا تقهر وأما السائل فلا تنهر التزم الهاء قبل الراء ومثله ألم نشرح لك صدرك الآيات التزم فيها الراء

قبل

حال اقباله فأما ان يحكى الحال التى كانت وسلفت على هذه العيادة ففيه عهدة وفى تركيب الكلام عن هذا المعنى عقدة هذه لبراعته وحذقه فى هذه الصنعة يماق نحو هذا الكلام ولا ينظر فى عواقبه لأن ملاحة قوله تعطى على عيون الناظرين فيه نحو هذه الأمور ثم قوله فعلى الذى نهواه أو لم يفعل ليست بكلمة رشيقة ولا لفظة ظريفة وإن كانت كسائر الكلام فأما بيته الثانى فهو عظيم الموقع فى البهجة وبديع المأخذ حسن الرواء انيق المنظر والمسمع يملأ القلب والفهم ويفرح الخاطر وترى بشاشته فى العروق وكان البحترى يسمى نحو هذه الابيات عروق الذهب وفى نحوه ما يدل على براعته فى الصناعة وحذقه فى البلاغة ومع هذا كله فيه ما نشرحه من الخلل مع الديباجة الحسنة والرونق المليح وذلك أنه جعل الخيال كالبرق لاشراقه

قبل الكاف فلا أقسم بالخنس الجوار الكنس التزم فيها النون المشددة قبل الشين والليل وما وسق والقمر إذا اتسق ومثال التزام حرفين والطور وكتاب مسطور ما أنت بنعمة ربك بمجنون وان لك لاجرا غير ممنون بلغت التراق وقيل من راق وظن أنه الفراق ومثال التزام ثلاثة أحرف تذكروا فاذاهم مبصرون واخوانهم يمدونهم فى الغى ثم لا يقصرون (تنبيهات الأول) قال أهل البديع أحسن السجع ونحوه ما تساوت قرائنه نحو فى سدر مخضود وطلح منضود وظل ممدود ويليه ما طالت قرينته الثانية نحو والنجم إذا هوى ماضل صاحبكم وماغوى أو الثالثة نحو خذوه فغلوه ثم الجحيم صلوه ثم فى سلسلة الآية وقال ابن الأثير الأحسن فى الثانية المساواة والا فاطول قليلا وفى الثالثة أن تكون اطول وقال الخفاجى لا يجوز أن تكون الثانية اقصر من الأولى (الثانى) قالوا أحسن السجع ما كان قصيرا لدلالته على قوة المنشىء وأقله كلمتان نحو يا أيها المدثر قم فانذر الآيات والمرسلات عرفا الآيات والذاريات ذروا الآيات والعاديات ضبحا الآيات والطويل ما زاد عن العشر كغالب الآيات وما بينهما متوسط كآيات سورة القمر (الثالث) قال الزمخشرى فى كشافه القديم لا تحسن المحافظة على الفواصل لمجردها الا مع بقاء المعانى على سردها على المنهج الذى يقتضيه حسن النظم والتآمه فاما أن يهمل المعانى ويهتم بتحسين اللفظ وحده غير منظور فيه إلا مؤداه فليس من قبيل البلاغة وبنى على ذلك ان التقديم فى وبالآخرة هم يوقنون ليس لمجرد الفاصلة بل لرعاية الاختصاص (الرابع) مبنى الفواصل على الوقف ولهذا ساغ مقابلة المرفوع بالمجرور وبالعكس كقوله انا خلقناهم من طين لازب مع قوله عذاب واصب وشهاب ثاقب وقوله بماء منهمر مع قوله قد قدر وسحر مستمر وقوله وما لهم من دونه من وال مع قوله وينشىء السحاب الثقال (الخامس) كثر فى القرآن ختم الفواصل بحروف المد واللين والحاق النون وحكمته وجود التمكن من التطريب فى ذلك كما قال سيبويه أنهم إذا ترنموا يلحقون الألف والياء والنون لانهم أرادوا مد الصوت ويتركون ذلك اذا لم يترنموا وجاء فى القرآن على أسهل موقف وأعذب مقطع (السادس) حروف الفواصل اما متماثلة واما متقاربة فالاولى مثل والطور وكتاب مسطور فى رق منشور والبيت المعمور والثانى مثل الرحمن الرحيم مالك يوم الدين ق والقرآن المجيد بل عجبوا ان جاءهم منذر منهم فقال الكافرون هذا شىء عجيب قال الإمام فخر الدين وغيره فواصل القرآن لا تخرج عن هذين القسمين بل تنحصر فى المتماثلة والمتقاربة قال وبهذا يترجح مذهب الشافعى على مذهب أبى حنيفة فى عد الفاتحة سبع آيات من البسملة وجعل صراط الذين إلى آخرها آية فان من جعل آخر الآية السادسة أنعمت عليهم مردود بأنه لا يشابه فواصل سائر آيات السورة لا بالمماثلة ولا بالمقاربة ورعاية التشابه فى الفواصل لازمة (السابع) كثر فى الفواصل التضمين والايطاء لانهما ليسا بعيبين فى النثر وان كان معيبين فى النظم لتضمين ان يكون ما بعد الفاصلة متعلقا بها كقوله تعالى وانكم لتمرون عليهم مصبحين وبالليل والايطاء تكرر الفاصلة بلفظه كقوله تعالى فى الاسراء هل كنت الا بشرا رسولا وختم بذلك الآيتين بعدها

. (النوع الستون) . فى فواتح السور أفردها بالتأليف ابن ابى الاصبع فى كتاب سماه الخواطر السوانح فى أسرار الفواتح وأنا ألخص هنا ماذكره مع زوائد من غيره . اعلم ان الله تعالى افتتح سور القرآن بعشرة أنواع من الكلام لا يخرج شىء من السور عنها الأول الثناء عليه تعالى والثناء قسمان اثبات لصفات المدح ونفى وتنزيه من صفات النقص فالاول التحميد فى خمس سور وتبارك فى سورتين والثانى التسبيح فى سبع سور قال الكرمانى فى متشابه القرآن التسبيح كلمة استأثر الله بها فبدأ بالمصدر فى بنى اسرائيل لانه الاصل ثم بالماضى فى الحديد والحشر لانه اسبق الزمانين ثم بالمضارع فى الجمعة

فى مسراه كما يقال انه يسرى كنسيم الصبا فيطيب مامر به كذلك يضىء مامر حوله وينور مامر به وهذا غلو فى الصنعة الا ان ذكره بطن وجرة حشو وفى ذكره خلل لان النور القليل يؤثر فى بطون الأرض وما اطمأن منها بخلاف مايؤثر فى غيرها فلم يكن من سبيله أن يربط ذلك ببطن وجرة وتحديده المكان على الحشو أحمد من تحديد امرىء القيس من ذكر سقط اللوى بين الدخول فحومل فتوضح فالمقراة لم يقنع بذكر حد حتى حده بأربع حدود كأنه يريد بيع المنزل فيخشى إن أخل بحد أن يكون بيعه فاسدا أو شرطه باطلا فهذا باب ثم انما يذكر الخيال بخفاء الأثر ودقة المطلب ولطف المسلك وهذا الذى ذكر يضاد هذا الوجه ويخالف ما يوضع عليه أصل الباب ولا يجوز أن يقدر مقدر أن البحترى قطع الكلام الأول وابتدأ بذكر

والنفا بن ثم بالأمر فى الاعلى استيعابا لهذه الكلمة من جميع جهاتها الثانى حروف التهجى فى تسع وعشرين سورة وقد مضى الكلام عليها مستوعبا فى نوع المتشابه ويأتى الالمام بمناسبتها فى نوع المناسبات الثالث النداء فى عشر سور خمس بنداء الرسول صلى الله عليه وسلم الاحزاب والطلاق والتحريم والمزمل والمدثر وخمس بنداء الأمة النساء والمائدة والحج والحجرات والممتحنة الرابع الجمل الخبرية نحو يسألونك عن الانفال براءة من الله أتى أمر الله اقترب للناس حسابهم قد أفلح المؤمنون سورة أنزلناها تنزيل الكتاب الذين كفروا انا فتحنا اقتربت الساعة الرحمن قد سمع الله الحاقة سأل سائل انا ارسلنا نوحا لا أقسم فى موضعين عبس انا أنزلناه لم يكن القارعة الهاكم انا أعطيناك فتلك ثلاث وعشرون سورة الخامس القسم فى خمس عشرة سورة سورة أقسم فيها بالملائكة وهى والصافات وسورتان بالافلاك والبروج والطارق وست سور بلوازمها فالنجم قسم بالثريا والفجر بمبدأ النهار والشمس بآية النهار والليل بشطر الزمان والضحى بشطر النهار والعصر بالشطر الآخر أو بجملة الزمان وسورتان بالهواء الذى هو أحد العناصر والذاريات والمرسلات وسورة بالتربة التى هى منها أيضا وهى الطور وسورة بالنبات وهى والتين وسورة بالحيوان الناطق وهى والنازعات وسورة بالبهم وهى والعاديات السادس الشرط فى سبع سور الواقعة والمنافقون والتكوير والانفطار والانشقاق والزلزلة والنصر السابع الامر فى ست سور قل أوحى اقرأ قل يا أيها الكافرون قل هو الله أحد قل أعوذ المعوذتين الثامن الاستفهام فى ست هل أتى عم يتساءلون هل أتاك ألم نشرح ألم تر أرأيت التاسع الدعاء فى ثلاث ويل للمطففين ويل لكل همزة تبت العاشر التعليل فى لايلاف قريش هكذا جمع أبو شامة قال وما ذكرناه فى قسم الدعاء يجوز أن يذكر مع الخبر وكذا الثناء كله خبر الاسبح فانه يدخل فى قسم الامر وسبحان يحتمل الامر والخبر ثم نظم ذلك فى بيتين فقال

أثنى على نفسه سبحانه بثبو ت الحمد والسلب لما استفتح السورا
والأمر والشرط والتعليل والقسم الد عا حروف التهجى استفهم الخبرا

(وقال) أهل البيان من البلاغة حسن الابتداء وهو أن يتأنق فى أول الكلام لانه أول ما يقرع السمع فان كان محررا أقبل السامع على الكلام ووعاه والا أعرض عنه ولو كان الباقى فى نهاية الحسن فينبغى أن يؤتى فيه باعذب اللفظ واجزله وأرقه وأسلسه وأحسنه نظما وسبكا وأصحه معنى وأوضحه وأخلاه من التعقيد والتقديم والتأخير الملبس أو الذى لا يناسب قولا وقد أتت جميع فواتح السور على أحسن الوجوه وأبلغها وأكملها كالتحميدات وحروف الهجاء والنداء وغير ذلك ومن الابتداء الحسن نوع أخص منه يسمى براعة الاستهلال وهو أن يشتمل أول الكلام على ما يناسب الحال المتكلم فيه ويشير إلى ما سيق الكلام لاجله والعلم الأسنى فى سورة الفاتحة التى هى مطلع القرآن فانها مشتملة على جميع مقاصده كما قال البيهقى فى شعب الايمان أخبرنا أبو القاسم بن حبيب انبأنا أبو محمد بن صالح بن هانئ انبأنا الحسين بن الفضل حدثنا عفان بن مسلم عن الربيع بن صبيح عن الحسن قال أنزل الله مائة وأربعة كتب أودع علومها فى أربعة منها التوراة والانجيل والزبور والفرقان ثم أودع علوم التوراة والانجيل والزبور والفرقان ثم أودع علوم القرآن المفصل ثم أودع علوم المفصل فاتحة الكتاب فمن علم تفسيرها كان كمن علم تفسير جميع الكتب المنزلة وقد وجه ذلك بأن العلوم التى احتوى عليها القرآن وقامت بها الأديان أربعة علم الأصول ومداره على معرفة الله تعالى وصفاته واليه الاشارة برب العالمين الرحمن الرحيم ومعرفة النبوات واليه الاشارة بالذين أنعمت عليهم ومعرفة المعاد واليه الاشارة بملك يوم الدين وعلم العبادات واليه الاشارة بإياك نعبد وعلم السلوك وهو حمل النفس

برق لمع من ناحية حبيبه من جهة بطن وجرة لان هذا القطع ان كان فمله كان خارجا به عن النظم المحمود ولم يكن مبدعا ثم كان لا تكون فيه فائدة لأن كل برق شمر وتكرر وقع الاهتداء به فى الظلام وكان لا يكون مما نظمه مفيدا ولا متقدما وهو على ما كان من مقصده فهو ذو لفظ محمود ومعنى مستحب غير مقصود ويعلم بمثله أنه طلب العبارات وتعليق القول بالاشارات وهذا من الشعر الجنس الذى يحلو لفظه وتقل فوائده كقول القائل

ولما قضينا من منى كل حاجة
ومسح باركان من هو ماسح
وشدت على حدب المهارى رحالنا
ولا ينظر الغادى الذى هو رائح
أخذنا بأطراف الاحاديث بيننا
وسالت بأعناق المطى الاباطح

على الآداب الشرعية والانقياد لرب البرية واليه الاشاره باياك نستعين اهدنا الصراط المستقيم وعلم القصص وهو الاطلاع على أخبار الأمم السالفة والقرون الماضية ليعلم المطلع على ذلك سعادة من أطاع الله وشقاوة من عصاه واليه الاشارة بقوله صراط الذين أنعمت عليهم غير المغضوب عليهم ولا الضالين فنبه فى الفاتحة على جميع مقاصد القرآن وهذا هو الغاية فى براعة الاستهلال مع ما اشتملت عليه من الالفاظ الحسنة والمقاطع المستحسنة وأنواع البلاغة وكذلك أول سورة إقرأ فانها مشتملة على نظير ما اشتملت عليه الفاتحة من براعة الاستهلال لكونها أول ما أنزل فان فيها الأمر بالقراءة والبداءة فيها باسم الله وفيه الاشارة إلى علم الاحكام وفيها ما يتعلق بتوحيد الرب واثبات ذاته وصفاته من صفة ذات وصفة فعل وفى هذه الاشارة إلى أصول الدين وفيها ما يتعلق بالاخبار من قوله علم الانسان مالم يعلم ولهذا قيل انها جديرة أن تسمى عنوان القرآن لأن عنوان الكتاب يجمع مقاصده بعبارة وجيزة فى أوله

* (النوع الحادى والستون) * فى خواتم السورهى أيضا مثل الفواتح فى الحسن لأنها آخر ما يقرع الاسماع فلهذا جاءت متضمنة للمعانى البديعة مع إيذان السامع بانتهاء الكلام حتى لا يبقى معه للنفوس تشوق إلى ما يذكر بعد لأنها بين أدعية ووصايا فرائض وتحميد وتهليل ومواعظ ووعد ووعيد إلى غير ذلك كتفصيل جملة المطلوب فى خاتمة الفاتحة إذ المطلوب الأعلى الايمان المحفوظ من المعاصى المسببة لغضب الله والضلال ففصل جملة ذلك بقوله الذين أنعمت عليهم والمراد المؤمنون ولذلك أطلق الانعام ولم يقيده ليتناول كل انعام لأن من أنعم الله عليه بنعمة الايمان فقد أنعم الله عليه بكل نعمة لأنها مستتبعة لجميع النعم ثم وصفهم بقوله غير المغضوب عليهم ولا الضالين يعنى أنهم جمعوا بين النعم المطلقة وهى نعمة الايمان وبين السلامة من غضب الله تعالى والضلال المسببين عن معاصيه وتعدى حدوده وكالدعاء الذى اشتملت عليه الآيتان من آخر سورة البقرة وكالوصايا التى ختمت بها سورة آل عمران يا أيها الذين آمنوا اصبروا وصابروا الآية والفرائض التى ختمت بها سورة النساء وحسن الختم بها لما فيها من أحكام الموت الذى هو آخر أمر كل حى ولأنها آخر ما نزل من الاحكام وكالتبجيل والتعظيم الذى ختمت به المائدة وكالوعد والوعيد الذى ختمت به الانعام وكالتحريض على العبادة بوصف حال الملائكة الذى ختمت به الاعراف وكالحض على الجهاد وصلة الارحام الذى ختم به الانفال وكوصف الرسول ومدحه والتهليل الذى ختمت به براءة وتسليته عليه الصلاة والسلام الذى ختم به يونس ومثلها خاتمة هود ووصف القرآن ومدحه الذى ختم به يوسف والوعيد والرد على من كذب الرسول الذى به ختم الرعد ومن أوضح ما آذن بالختام خاتمة ابراهيم هذا بلاغ للناس الآية ومثلها خاتمة الاحقاف وكذا خاتمة الحجر بقوله واعبد ربك حتى يأتيك اليقين وهو مفسر بالموت فانها فى غاية البراعة وانظر إلى سورة الزلزلة كيف بدئت باهوال القيامة وختمت بقوله فمن يعمل مثقال ذرة خيرا يره ومن يعمل مثقال ذرة شرا يره وانظر إلى براعة آخر آية نزلت وهى قوله واتقوا يوما ترجعون فيه إلى الله وما فيها من الاشعار بالآخرية المستلزمة للوفاة وكذا آخر سورة نزلت وهى سورة النصر فيها الاشعار بالوفاة كما أخرج البخارى من طريق سعيد بن جبير عن ابن عباس أن عمر سألهم عن قوله إذا جاء نصر الله والفتح فقالوا فتح المدائن والقصور قال ما تقول يا ابن عباس قال أجل ضرب لمحمد نعيت له نفسه (وأخرج) أيضا عنه قال كان عمر يدخلنى مع أشياخ بدر فكان بعضهم وجد فى نفسه فقال لم يدخل هذا معنا ولنا أبناء مثله فقال عمر إنه من قد علمتم ثم دعاهم ذات يوم فقال ما تقولون فى قول الله إذا جاء نصر الله والفتح فقال بعضهم أمرنا أن نحمد الله ونستغفره إذا جاء نصرنا وفتح علينا وسكت بعضهم

هذه ألفاظ بعيدة المطالع والمقاطع حلوة المجانى والمواقع قليلة المعانى والفوائد فأما قول البحترى بعد ذلك

من غادة منعت وتمنع نيلها
فلو أنها بذلت لنا لم تبذل
كالبدر غير مخيل والغصن غيـ
ـر مميل والدعص غير مهيل

فالبيت الاول على ما تكلف فيه من المطابقة وتجشم الصنعة ألفاظه أوفر من معانيه وكلماته أكثر من فوائده وتعلم أن القصد وضع العبارات فى مثله ولو قال هى عنوعه ممانعة كان ينوب عن تطويله وتكثيره الكلام وتهويله ثم هو معنى متداول مكرر على كل لسان وأما البيت الثانى فأنت تعلم أن التشبيه بالبدر والغصن والدعص أمر منقول متداول ولا فضيلة فى التشبيه بنحو ذلك وانما يبقى تشبيهه ثلاثة أشياء بثلاثة أشياء فى البيت وهذا أيضا قريب لأن المعنى مكرر ويبقى له

فلم يقل شيئا فقال لى أكذلك تقول يا ابن عباس فقلت لا قال فما تقول قلت هو أجل رسول الله ﷺ أعلمه له قال إذا جاء نصر الله والفتح وذلك علامة أجلك فسبح بحمد ربك واستغفره انه كان توابا فقال عمر انى لا أعلم منها إلا ما تقول

* (النوع الثانى والستون) * فى مناسبة الآيات والسور أفرده بالتأليف العلامة أبو جعفر بن الزبير شيخ أبى حيان فى كتاب سماه البرهان فى مناسبة ترتيب سور القرآن ومن أهل العصر الشيخ برهان الدين البقاعى فى كتاب سماه نظم الدرر فى تناسب الآى والسور وكتابى الذى صنفته فى أسرار التنزيل كامل بذلك جامع لمناسبات السور والآيات مع ما تضمنه من بيان وجوه الاعجاز وأساليب البلاغة وقد لخصت منه مناسبة السور خاصة فى جزء لطيف سميته تناسق الدرر فى تناسب السور وعلم المناسبة علم شريف قل اعتناء المفسرين به لدقته وممن أكثر منه الامام فخر الدين فقال فى تفسيره أكثر لطائف القرآن مودعة فى الترتيبات والروابط وقال ابن العربى فى سراج المريدين ارتباط آى القرآن بعضها ببعض حتى يكون كالكلمة الواحدة متسقة المعانى منتظمة المبانى علم عظيم لم يتعرض له الا عالم واحد عمل فيه سورة البقرة ثم فتح الله لنا فيه فلما لم نجد له حملة ورأينا الخلق بأوصاف البطلة ختمنا عليه وجعلناه بيننا وبين الله ورددناه اليه وقال غيره أول من أظهر علم المناسبة الشيخ أبو بكر النيسابورى وكان غزير العلم فى الشريعة والأدب وكان يقول على الكرسى إذا قرىء عليه لم جعلت هذه الآية إلى جنب هذه وما الحكمة فى جعل هذه السورة إلى جنب هذه السورة وكان يزرى على علماء بغداد لعدم علمهم بالمناسبة وقال الشيخ عز الدين عبد السلام المناسبة علم حسن لكن يشترط فى حسن ارتباط الكلام ان يقع فى أمر متحد مرتبط أوله بآخره فان وقع على أسباب مختلفة لم يقع فيه ارتباط ومن ربط ذلك فهو متكلف بما لا يقدر عليه إلا بربط ركيك يصان عن مثله حسن الحديث فضلا عن أحسنه فان القرآن نزل فى نيف وعشرين سنة فى أحكام مختلفة شرعت لأسباب مختلفة وما كان كذلك لا يتأتى ربط بعضه ببعض وقال الشيخ ولى الدين الملوى قد وهم من قال لا يطلب للآى الكريمة مناسبة لأنها على حسب الوقائع المفرقة وفصل الخطاب أنها على حسب الوقائع تنزيلا وعلى حسب الحكمة ترتيبا وتأصيلا فالمصحف على وفق ما فى اللوح المحفوظ مرتبة سوره كلها وآياته بالتوقيف كما أنزل جملة إلى بيت العزة ومن المعجز البين أسلوبه ونظمه الباهر والذى ينبغى فى كل آية ان يبحث أول كل شىء عن كونها مكملة لما قبلها أو مستقلة ثم المستقلة ما وجه مناسبتها لما قبلها ففى ذلك علم جم وهكذا فى السور يطلب وجه اتصالها بما قبلها وما سيقت له اهـ وقال الامام الرازى فى سورة البقرة ومن تأمل فى لطائف نظم هذه السورة وفى بدائع ترتيبها علم أن القرآن كما أنه معجز بحسب فصاحة ألفاظه وشرف معانيه فهو أيضا بسبب ترتيبه ونظم آياته ولعل الذين قالوا إنه معجز بسبب أسلوبه أرادوا ذلك إلا أنى رأيت جمهور المفسرين معرضين عن هذه اللطائف غير منتبهين لهذه الاسرار وليس الأمر فى هذا الباب إلا كما قيل

والنجم تستصغر الابصار صورته * والذنب للطرف لا للنجم فى الصغر

(فصل) . المناسبة فى اللغة المشاكلة والمقاربة ومرجعها فى الآيات ونحوها إلى معنى رابط بينها عام أو خاص عقلى او حسى أو خيالى أو غير ذلك من أنواع العلاقات أو التلازم الذهنى كالسبب والمسبب والعلة والمعلول والنظيرين والضدين ونحوه وفائدته جعل أجزاء الكلام بعضها آخذا بأعناق بعض فيقوى بذلك الارتباط ويصير التأليف حاله حال البناء المحكم المتلائم الاجزاء . فنقول ذكر الآية بعد الأخرى إما أن يكون ظاهر الارتباط لتعلق الكلم بعضه ببعض وعدم بالأولى فواضح وكذلك إذا كانت الثانية للاولى على وجه التأكيد أو التفسير أو الاعتراض أو البدل وهذا القسم لا كلام فيه وإما أن لا يظهر

الارتباط

بعد ذلك شىء آخر وهو تعمله للترصيع فى البيت كله إلا أن هذه الاستثناآت فيها ضرب من التكلف لأن التشبيه بالغصن كاف فاذا زاد فقال كالغصن غير معوج كان ذلك من باب التكلف خللا وكان ذلك زيادة يستغنى عنها وكذلك قوله كالدعص غير مهيل لأنه إذا انهال خرج عن أن يكون مطلق التشبيه مصروفا اليه فلا يكون لتقييده معنى وأما قوله ما الحسن عندك يا سعاد بمحسن

فيما أتاه ولا الجمال بمجمل

عذل المشوق وان من سيما الهوى

فى حيث تجهله لجاج العذل

قوله فى البيت الأول عندك حشو وليس بواقع ولا بديع وفيه كلفة والمعنى الذى قصده أنت تعلم أنه متكرر على لسان الشعراء وفيه شىء آخر لأنه يذكر أن حسنها لم يحسن فى تهييج

الارتباط بل يظهر أن كل جملة مستقلة عن الاخرى وانها خلاف النوع المبدوء به فأما أن تكون معطوفة على الاولى بحرف من حروف العطف المشركة فى الحكم أولا فان كانت معطوفة فلا بد ان يكون بينهما جهة جامعة على ما سبق تقسيمه كقوله تعالى يعلم ما يلج فى الارض وما يخرج منها وما ينزل من السماء وما يعرج فيها وقوله ويقبض ويبسط واليه ترجعون للتضاد بين القبض والبسط والولوج والخروج والنزول والعروج وشبه التضاد بين السماء والأرض ومما الكلام فيه التضاد ذكر الرحمة بعد ذكر العذاب والرغبة بعد الرهبة وقد جرت عادة القرآن اذا ذكر احكاما ذكر بعدها وعدا ووعيدا ليكون باعثا على العمل بما سبق ثم يذكر آيات توحيد وتنزيه ليعلم عظم الآمر والناهى وتأمل سورة البقرة والنساء والمائدة تجده كذلك وان لم تكن معطوفة فلا بد من دعامة تؤذن باتصال الكلام وهى قرائن معنوية تؤذن بالربط وله أسباب أحدها التنظير فان الحاق النظير بالنظير من شأن العقلاء كقوله كما أخرجك ربك من بيتك بالحق عقب قوله أولئك هم المؤمنون حقا فانه تعالى أمر رسوله أن يمضى لامره فى الغنائم على كره أصحابه كما مضى لأمره فى خروجه من بيته لطلب العير أو للقتال وهم له كارهون والقصد ان كراهتهم لما فعله من قسمة الغنائم ككرهتهم للخروج وقد تبين فى الخروج الخير من الظفر والنصر والغنيمة وعز الاسلام فكذا يكون فيما فعله من القسمة فليطيعوا ما أمروا به ويتركوا هوى أنفسهم الثانى المضادة كقوله فى سورة البقرة ان الذين كفروا سواء عليهم الآية فان أول السورة كان حديثا عن القرآن وأن من شأنه الهداية للقوم الموصوفين بالإيمان فلما أكمل وصف المؤمنين عقب بحديث الكافرين فبينهما جامع وهمى ويسمى بالتضاد من هذا الوجه وحكمته التشويق والثبوت على الأول كما قيل وبضدها تتبين الأشياء فان قيل هذا جامع بعيد لان كونه حديثا عن المؤمنين بالعرض لا بالذات والمقصود بالذات الذى هو مساق الكلام انما هو الحديث عن القرآن لانه مفتتح القول قيل لا يشترط فى الجامع ذلك بل يكفى التعلق على أى وجه كان ويكفى فى وجه الربط ما ذكرنا لان القصد تأكيد أمر القرآن والعمل به والحث على الايمان ولهذا لما فرغ من ذلك قال وان كنتم فى ريب مما نزلنا على عبدنا فرجع الى الأول (الثالث) الاستطراد كقوله تعالى (يا بنى آدم قد أنزلنا عليكم لباسا يوارى سوآتكم وريشا ولباس التقوى ذلك خير) قال الزمخشرى هذه الآية واردة على سبيل استطراد عقب ذكر بدو السوآت وخصف الورق عليهما اظهار للمنة فيما خلق من اللباس ولما فى العرى وكشف العورة من المهانة والفضيحة واشعارا بأن الستر باب عظيم من أبواب التقوى وقد خرجت على الاستطراد قوله تعالى لن يستنكف المسيح أن يكون عبدا لله ولا الملائكة المقربون فان أول الكلام ذكر للرد على النصارى الزاعمين نبوة المسيح ثم استطراد للرد على العرب الزاعمين نبوة الملائكة ويقرب من الاستطراد حتى لا يكاد ان يفترقان حسن التخلص وهو أن ينتقل مما ابتدىء به الكلام الى المقصود على وجه سهل يختلسه اختلاسا دقيق المعنى بحيث لا يشعر السامع بانتقال من المعنى الاول الا وقد وقع عليه الثانى لشدة الالتئام بينهما وقد غلط ابو العلا محمد بن غنم فى قوله لم يقع منه فى القرآن شىء لما فيه من التكلف وقال ان القرآن انما ورد على الاقتضاب الذى هو طريقة العرب من الانتقال الى غير ملائم وليس كما قال ففيه من التخلصات العجيبة ما يحير العقول وانظر الى سورة الاعراف كيف ذكر فيها الانبياء والقرون الماضية والامم السالفة ثم ذكر موسى الى أن قص حكاية السبعين رجلا ودعائه لهم ولسائر أمته بقوله واكتب لنا فى هذه الدنيا حسنة وفى الآخرة وجوابه تعالى عنه ثم تخلص بمناقب سيد المرسلين بعد تخلصه لامته بقوله قال عذابى أصيب به من أشاء ورحمتى وسعت كل شىء فسأكتبها للذين من صفاتهم

وجده وتهييم قلبه وضد هذا المعنى هو الذى يميل اليه أهل الهوى والحب وبيت كشاجم أسلم من هذا وأبعد من الخلل وهو قوله

بحياة حسنك احسنى وبحق من جعل الجمال عليك وقفا اجمل

وأما البيت الثانى فان قوله فى حيث حشا بقوله فى ووقع ذلك مستنكرا وحشيانا فرا عن طبعه جافيا فى وضعه فهو كرقعة من جلدة فى ديباج حسن فهو يمحو حسنه ويأتى على جماله ثم فى المعنى شىء لأن لحاج العذل لا يدل على هوى مجهول ولو كان مجهولا لم يهتدوا للعذل عليه فعلم لن المقصد استجلاب العبارات دون المعانى ثم لو سلم من هذا الخلل لم يكن فى البيت معنى بديع ولا شىء يفوت قول الشعراء فى العذل فان ذلك جلهم الدلول وقولهم المكرر وأما قوله

ماذا عليك من انتظار متيم

كيت وكيت وهم الذين يتبعون الرسول النبي الامي واخذفي صفاته الكريمة وفضائله وفي سورة الشعراء حكى قول ابرهيم ولاتخزني يوم يبعثون فتخلص منه الى وصف المعاد بقوله يوم لاينفع مال ولا بنون الخ وفي سورة الكهف حكى قول ذي القرنين في السد بعد دكه الذي هو من اشراط الساعة ثم النفخ في السور وذكر الحشر ووصف مآل الكفار والمؤمنين وقال بعضهم الفرق بين التخلص والاستطراد أنك في التخليص تركت ما كنت فيه بالكلية وأقبلت على ماتخلصت اليه وفي الاستطراد تمر بذكر الامر الذي استطردت اليه مرورا كالبرق الخاطف ثم تتركه وتعود الى ما كنت فيه وكأنك لم تقصده وانما عرض عروضا قيل وبهذا يظهر أن مافي سورتي الاعراف والشعراء من باب الاستطراد لا التخلص لعوده في الاعراف الى قصة موسى بقوله ومن قوم موسى أمة الخ. وفي الشعراء الى ذكر الانبياء والامم ويقرب من حسن التخلص الانتقال من حديث الى آخر تنشيطا للسامع مفصولا بهذا كقوله في سورة ص بعد ذكر الانبياء هذا ذكر وان للمتقين لحسن مآب فان هذا القرآن نوع من الذكر لما انتهى ذكر الانبياء وهو نوع من التنزيل أراد أن يذكر نوعا آخر وهو ذكر الجنة وأهلها ثم لما فرغ قال هذا وان للطاغين لشر مآب فذكر النار وأهلها قال ابن الاثير هذا في هذا المقام من الفصل الذي هو أحسن الوصل وهي علاقة أكيدة بين الخروج من كلام الى آخر ويقرب منه أيضا حسن المطلب قال الزنجاني والطيبي وهو أن يخرج الى الغرض بعد تقدم الوسيلة كقوله أياك نعبد واياك نستعين قال الطيبي ومما اجتمع فيه حسن التخلص والمطلب معا قوله حكاية عن ابرهيم (فانهم عدولي الا رب العالمين الذي خلقني فهو يهدين الى قوله رب هب لي حكما وألحقني بالصالحين) (قاعدة) قال بعض المتأخرين الامر الكلي المفيد لعرفان مناسبات الآيات في جميع القرآن هو انك تنظر الغرض الذي سيقت له السورة وتنظر ما يحتاج اليه ذلك الغرض من المقدمات وتنظر الى مراتب تلك المقدمات في القرب والبعد من المطلوب وتنظر عند انجرار الكلام في المقدمات الى ما يستتبعه من استشراف نفس السامع الى الاحكام واللوازم التابعة له التي تقتضي البلاغة شفاء الغليل بدفع عناء الاستشراف الى الوقوف عليها فهذا هو الامر الكلي المهيمن على حكم الربط بين جميع اجزاء القرآن فاذا عقلته تبين لك وجه النظم مفصلا بين كل آية وآية في كل سورة انتهى * (تنبيه). من الآيات ما اشكلت مناسبتها لما قبلها من ذلك قوله تعالى في سورة القيامة لاتحرك به لسانك لتعجل به والآيات فان وجه مناسبتها لاول السورة وآخرها عسر جدا فان السورة كلها في احوال القيامة حتى زعم بعض الرافضة انه سقط من السورة شيء وحتى ذهب القفال فيما حكاه الفخر الرازي أنها نزلت في الانسان المذكور قبل في قوله ينبأ الانسان يومئذ بما قدم وأخر قال يعرض عليه كتابه فاذا أخذ في القراءة تلجلج خوفا فاسرع في القراءة فيقال له لاتحرك به لسانك لتعجل به ان علينا ان نجمع عملك وان نقرأ عليك فاذا قرأناه عليك فاتبع قرآنه بالاقرار بأنك فعلت ثم ان علينا بيان أمر الانسان وما يتعلق بعقوبته اه وهذا يخالف ما ثبت في الصحيح انها نزلت في تحريك النبي ﷺ لسانه حالة نزول الوحي عليه وقد ذكر الائمة لها مناسبات منها أنه تعالى لما ذكر القيامة وكان من شأن من يقصر عن العمل لها حب العاجلة وكان من أصل الدين أن المبادرة الى فعل الخير مطلوبة فنبه على أنه قد يعترض على هذا المطلوب ما هو أجل منه وهو الاصغاء الى الوحي وتفهم ما يرد منه والتشاغل بالحفظ قد يصد عن ذلك فأمر بان لايبادر الى التحفظ لان تحفيظه مضمون على ربه وليصغ الى ما يرد عليه الى أن ينقضي فيتبع ما تشتمل عليه لما انقضت الجملة المعترضة رجع الكلام الى ما يتعلق بالانسان المبدأ بذكره ومن هو من جنسه فقال كلا وهي كلمة ردع كأنه قال بل أنتم يا بني آدم لكونكم خلقتم من عجل تعجلون من كل شيء ومن ثم تحبون

بل ما يضرك وقفه في منزل ان سيل عي عن الجواب فلم يطلق رجعا فكيف يكون ان لم يسئل لست انكر حسن البيتين وظرفهما ورشاقتهما ولطفهما وماءهما وبهجتهما الا ان البيت الأول منقطع عن الكلام المتقدم ضربا من الانقطاع لانه لم يجر لمشافهة العذل ذكر وانما جرى ذكر العذل على وجه لايتصل هذا البيت به ولا يلائم ثم الذي ذكره من الانتصار وان كان ملجأ في اللفظ فهو في المعنى متكلف لان الواقف في الدار لاينتظر أمرا وانما يقف تحسرا وتذللا وتحير الشطر الاخير من البيت واقع والأول مستجلب وفيه تعليق عن أمر لم يجر له ذكر لأن وضع البيت يقتضي تقدم عزل على الوقوف ولم يحصل ذلك مذكورا في شعره من قبل وأما

العاجلة

العاجلة ومنها أن عادة القرآن اذا ذكر الكتاب المشتمل على عمل العبد حيث يعرض يوم القيامة اردفه بذكر الكتاب المشتمل على الاحكام الدينية فى الدنيا التى تنشأ عنها المحاسبة عملا وتركا كما قال فى الكهف ووضع الكتاب فترى المجرمين مشفقين مما فيه الى أن قال ولقد صرفنا فى هذا القرآن للناس من كل مثل الآية وقال فى سبحان فمن أوتى كتابه بيمينه فأولئك يقرؤن كتابهم الى أن قال ولقد صرفنا للناس فى هذا القرآن الآية وقال فى طه يوم ينفخ فى الصور ونحشر المجرمين يومئذ زرقا الى أن قال (فتعالى الله الملك الحق ولا تعجل بالقرآن من قبل أن يقضى اليك وحيه) (ومنها) أن أول السورة لما نزل الى ولو القى معاذيره صادف أنه ﷺ فى تلك الحالة بادر إلى تحفظ الذى نزل حرك به لسانه من عجلته خشية من تفلته نزل لا تحرك به لسانك لتعجل به الى قوله ثم ان علينا بيانه ثم عاد الكلام الى تكملة ما ابتدىء به قال الفخر الرازى ونحوه ما لو القى المدرس على الطالب مثلا مسئلة فتشاغل الطالب بشىء عرض له فقال له ألق الى بالك وتفهم ما أقول ثم كمل المسئلة فمن لا يعرف السبب يقول ليس هذا الكلام مناسبا للمسئلة بخلاف من عرف ذلك (ومنها) أن النفس لما تقدم ذكرها فى أول السورة عدل الى ذكر نفس المصطفى كأنه قيل هذا شأن النفوس وأنت يا محمد نفسك أشرف النفوس فلتأخذ بأكمل الاحوال (ومن ذلك) قوله تعالى يسئلونك عن الاهلة الآية فقد يقال أى رابط بين أحكام الاهلة وبين حكم إتيان البيوت (وأجيب) بأنه من باب الاستطراد لما ذكر أنها مواقيت للحج وكان هذا من أفعالهم فى الحج كما فى ثبت نزولها ذكر معه من باب الزيادة فى الجواب على ما فى السؤال كما سئل عن ماء البحر فقال هو الطهور ماؤه الحل ميتته (ومن ذلك) قوله تعالى ولله المشرق والمغرب الآية فقد يقال ما وجه اتصاله بما قبله وهو قوله ومن أظلم ممن منع مساجد الله الآية وقال الشيخ أبو محمد الجوينى فى تفسيره سمعت أبا الحسن الدهان يقول وجه اتصاله هو أن ذكر تخريب بيت المقدس قد سبق أى فلا يجرمنكم ذلك واستقبلوه فان لله المشرق والمغرب

(فصل) ومن هذا النوع مناسبة فواتح السور وخواتمها وقد أفردت فيه جزءا لطيفا سميته مراصد المطالع فى تناسب المقاطع والمطالع وانظر الى سورة القصص كيف بدئت بأمر موسى ونصرته وقوله فلن أكون ظهيرا للمجرمين وخروجه من وطنه وختمت بأمر النبى ﷺ بأنه لا يكون ظهيرا للكافرين وتسليته عن اخراجه من مكة ووعده بالعود اليها لقوله فى أول السورة إنا رادوه قال الزمخشرى وقد جعل الله فاتحة سورة قد أفلح المؤمنون وأورد فى خاتمتها أنه لا يفلح الكافرون فشتان ما بين الفاتحة والخاتمة وذكر الكرمانى فى العجائب مثله وقال فى سورة (ص) بدأها بالذكر وختمها به فى قوله ان هو الا ذكر للعالمين وفى سورة (ن) بدأها بقوله ما أنت بنعمة ربك بمجنون وختمها بقوله إنه لمجنون ومنه مناسبة فاتحة السورة لخاتمة ما قبلها حتى أن منها ما يظهر تعلقها به لفظا فى فجعلهم كعصف مأكول لايلاف قريش فقد قال الاخفش اتصالها بها من باب فالتقطه آل فرعون ليكون لهم عدوا وحزنا وقال الكواشى فى تفسير المائدة لما ختم سورة النساء بالأمر بالتوحيد والعدل بين العباد أكد ذلك بقوله يا أيها الذين أوفوا بالعقود وقال غيره اذا اعتبرت افتتاح كل سورة وجدته فى غاية المناسبة لما ختم به السورة قبلها ثم هو يخفى تارة ويظهر أخرى كافتتاح سورة الانعام بالحمد فانه مناسب لختام المائدة من فصل القضاء كما قال تعالى وقضى بينهم بالحق وقيل الحمد لله رب العالمين وكافتتاح سورة فاطر بالحمد لله فانه مناسب لختام ما قبلها من قوله وحيل بينهم وبين ما يشتهون كما فعل بأشياعهم من قبل كما قال تعالى فقطع دابر القوم الذين ظلموا والحمد لله رب العالمين وكافتتاح سورة الحديد بالتسبيح فانه مناسب

البيت الثانى فانه معلق بالاول لا يستقل الا به وهم يعيبون وقوف البيت على غيره ويرون أن البيت التام هو المحمود والمصراع التام بنفسه بحيث لا يقف على المصراع الآخر أفضل وأتم وأحسن وقوله فكيف يكون انلم يسئل مليح جدا ولا تستمر ملاحة ماقبله عليه ولا يطرد فيه الماء اطراده فيه وفيه شىء آخر لانه لا يصلح أن يكون السؤال سببا لان يعيا عن الجواب وظاهر القبول يقتضيه فأما قوله

لا تكلف لى الدموع فان لى
دمعا ينم عليه إن لم يفصل
ولقد سكنت الى الصدود من النوى
والشرى أريا عند طعم الحنظل
وكذاك طرفة حين أوجس ضربة
فى الرأس هان عليه فصد الاكحل

فالبيت الاول مخالف لما عليه مذهبهم فى طلب الاسعاد بالدموع والاسعاف بالبكاء

الختام سورة لواقعة بالآمر به وكافتتاح سورة البقرة بقوله الم ذلك الكتاب فانه اشارة إلى الصراط فى قوله اهدنا الصراط المستقيم كأنهم لما سألوا الهداية إلى الصراط قيل لهم ذلك الصراط الذى سألتم الهداية اليه هو الكتاب وهذا معنى حسن يظهر فيه ارتباط سورة البقرة بالفاتحة ومن لطائف سورة الكوثر أنها كالمقابلة التى قبلها لأن السابقة وصف الله فيها المنافق بأربعة أمور البخل وترك الصلاة والرياء فيها ومنع الزكاة فذكر فيها فى مقابلة البخل إنا أعطيناك الكوثر أى الخير الكثير وفى مقابلة ترك الصلاة فصل أى دم عليها وفى مقابلة الرياء لربك أى لا لرضاء الناس وفى مقابلة منع الماعون وانحر وأراد به التصدق بلحم الاضاحى وقال بعضهم لترتيب وضع السور فى المصحف أسباب تطلع على أنه توقيفى صادر عن حكيم أحدها بحسب الحروف كما فى الحواميم الثانى لموافقة أول السورة لآخر ما قبلها كآخر الحمد فى المعنى وأول البقرة (الثالث) للتوازن فى اللفظ كآخر تبت وأول الاخلاص (الرابع) المشابهة جملة السورة لجملة الأخرى كالضحى وألم نشرح قال بعض الأئمة وسورة الفاتحة تضمنت الاقرار بالربوبية والالتجاء اليه فى دين الاسلام والصيانة عن دين اليهودية والنصرانية وسورة البقرة تضمنت قواعد الدين وآل عمران مكملة لمقصودها فالبقرة بمنزلة اقامة الدليل على الحكم وآل عمران بمنزلة الجواب عن شبهات الخصوم ولهذا أورد فيها ذكر المتشابه لما تمسك به النصارى وأوجب الحج فى آل عمران وما فى البقره فذكر أنه مشروع وأمر باتمامه بعد الشروع فيه وكان خطاب النصارى فى آل عمران أكثر كما أن خطاب اليهود فى البقرة أكثر لأن التوراة أصل والانجيل فرع لها والنبى ﷺ لما هاجر إلى المدينة دعا اليهود وجاهدهم وكان جهاده للنصارى فى آخر الأمر كما كان دعاؤه لأهل الشرك قبل أهل الكتاب ولهذا كانت السور المكية فيها الدين الذى اتفق عليه الأنبياء فخوطب به جميع الناس والسور المدنية فيها خطاب من أقر بالأنبياء من أهل الكتاب والمؤمنين فخوطبوا بيا أهل الكتاب يا بنى اسرائيل يا أيها الذين آمنوا وأما سورة النساء فتضمنت أحكام الأسباب التى بين الناس وهى نوعان مخلوقة لله ومقدورة لهم كالنسب والصهر ولهذا افتتحت بقوله اتقوا ربكم الذى خلقكم من نفس واحدة وخلق منها زوجها ثم قال واتقوا الله الذى تساءلون به والارحام فانظر هذه المناسبة العجيبة فى الافتتاح وبراعة الاستهلال حيث تضمنت الآية المفتتح بها ما أكثر السورة فى أحكامه من نكاح النساء ومحرماته والمواريث المتعلقة بالارحام فان ابتداء هذا الامر كان بخلق آدم ثم خلق زوجه منه ثم بث منهما رجالا كثيرا ونساء فى غاية الكثرة وأما المائدة فسوره العقود تضمنت بيان تمام الشرائع ومكملات الدين والوفاء بعهود الرسل وما أخذ على الأمة وبها تم الدين فهى سورة التكميل لان فيها تحريم الصيد على المحرم الذى هو من تمام الاحرام وتحريم الخمر الذى هو من تمام حفظ العقل والدين وعقوبة المعتدين من السراق والمحاربين الذى هو من تمام حفظ الدماء والاموال واحلال الطيبات الذى هو من تمام عبادة الله تعالى ولهذا ذكر فيها ما يختص بشريعة محمد ﷺ كالوضوء والتيمم والحكم بالقرآن على كل ذى دين ولهذا أكثر فيها من لفظ الاكمال والاتمام وذكر فيها أن من ارتد عوض الله بخير منه ولا يزال هذا الدين كاملا ولهذا ورد أنها آخر ما نزل فيها من اشارات الختم والتمام وهذا الترتيب بين هذه السور الاربع المدنيات من أحسن الترتيب وقال أبو جعفر ابن الزبير حكى الخطابى أن الصحابة لما اجتمعوا على القرآن وضعوا سورة القدر عقب العلق استدلوا بذلك على أن المراد بها الكتابة فى قوله انا أنزلناه فى ليلة القدر الاشارة إلى قوله اقرأ قال القاضى أبو محمد العربى وهذا بديع جدا

(فصل) قال فى البرهان (ومن ذلك) افتتاح السور بالحروف المقطعة واختصاص كل واحده

بما

ومخالف لاول كلامه لانه يفيد مخاطبة العذل وهذا يفيد مخاطبة الرفيق وقد بينت لك أن القوم يسلكون حفظ الالفاظ وتصنيعها دون ضبط المعانى وترتيبها ولذلك قال الله عز وجل (والشعراء يتبعهم الغاوون الم تر أنهم فى كل واد يهيمون وأنهم يقولون مالا يفعلون) فأخبر أنهم يتبعون القول حيث توجه بهم واللفظ كيف أطاعهم والمعانى كيف تتبع ألفاظهم وذلك خلاف ما وضع عليه الابانة عن المقاصد بالخطاب ولذلك كان طلب الفصاحة فيه أسهل وأمكن فصار بهذا أبلغ خطابهم ثم لو ان هذا البيت وما يتلوه من البيتين سلم من نحو هذا لم يكن فى ذلك شىء يفوت شعر شاعر وكلام متكلم وأما قوله والشرى أرى فانه وإن كان قد تصنع له من جهة الطباق ومن جهة التجنيس المتقارب فهى كلمة ثقيلة على اللسان وهم يذمون

بما بدئت به حتى لم يكن لترد الم فى موضع الر ولا حم فى موضع طس قال وذلك إن كل سورة بدئت بحرف منها فان أكثر كلماتها وحروفها مماثل له فحق لكل سورة منها أن لا يناسبها غير الواردة فيها فلو وضع ق موضع ن لعدم التناسب الواجب مراعاة فى كلام الله وسورة ق بدئت به لما تكرر فيها من الكلمات بلفظ القاف من ذكر القرآن والخلق وتكرير القول ومراجعته مرارا والقرب من ابن آدم وتلقى الملكين وقول العتيد والرقيب والسائق والالقاء فى جهنم والتقدم بالوعد وذكر المتقين والقلب والقرون والتنقيب فى البلاد وتشقق الأرض وحقوق الوعيد وغير ذلك وقد تكرر فى سورة يونس من الكلام الواقع فيها الر مائتا كلمة أو أكثر فلهذا افتتحت بالر واشتملت سورة ص على خصومات متعددة فأولها خصومة النبي ﷺ مع الكفار وقولهم أجعل الآلهة إلها واحدا ثم اختصام الخصمين عند داود ثم تخاصم أهل النار ثم اختصام الملأ الأعلى ثم تخاصم إبليس فى شأن آدم ثم فى شأن بنيه وإغوائهم والم جمعت المخارج الثلاثة الحلق واللسان والشفتين على ترتيبها وذلك إشارة إلى البداية التى هى بدء الخلق والنهاية التى هى بدء الميعاد والوسط الذى هو المعاش من التشريع بالأوامر والنواهى وكل سورة افتتحت بها فهى مشتملة على الأمور الثلاثة وسورة الاعراف زيد فيها الصاد على الم لما فيها من شرح القصص قصة آدم فمن بعده من الأنبياء ولما فيها من ذكر فلا يكن فى صدرك حرج ولهذا قال بعضهم معنى المص ألم نشرح لك صدرك وزيد فى الرعد راء لأجل قوله رفع السموات ولأجل ذكر الرعد والبرق وغيرهما (واعلم) أن عادة القرآن العظيم فى ذكر هذه الحروف أن يذكر بعدها ما يتعلق بالقرآن كقوله (الم ذلك الكتاب الم الله لا إله إلا هو الحى القيوم نزل عليك الكتاب بالحق المص كتاب أنزل اليك الر تلك آيات الكتاب طه ما أنزلنا عليك القرآن لتشقى طسم تلك آيات الكتاب يس والقرآن ص والقرآن حم تنزيل الكتاب ق والقرآن) إلا ثلاث سور العنكبوت والروم ون ليس فيها ما يتعلق به وقد ذكرت حكمة ذلك فى أسرار التنزيل وقال الحرالى فى معنى حديث أنزل القرآن على سبعة أحرف زاجر وآمر وحلال وحرام ومحكم ومتشابه وأمثال (واعلم) أن القرآن منزل عند انتهاء الخلق وكمال كل الأمر بدأ فكان المتحلى به جامعا لانتهاء كل خلق وكمال كل أمر فلذلك هو ﷺ قسم الكون وهو الجامع الكامل ولذلك كان خاتما وكتابه كذلك وبدأ المعاد من حين ظهوره فاستوفى صلاح هذه الجوامع الثلاث التى قد خلت فى الأولين بداياتها وتمت عنده غاياتها بعثت لأتمم مكارم الأخلاق وهى صلاح الدنيا والدين والمعاد التى جمعها ﷺ اللهم اصلح لى دينى الذى هو عصمة أمرى واصلح لى دنياى التى فيها معاشى واصلح لى اخرتى التى اليها معادى وفى كل صلاح أقدام واحجام فتصير الثلاثة الجوامع ستة هى حروف القرآن الستة ثم وهب حرفا جامعا سابعا فردا لا ازواج له فتمت سبعة فأدنى تلك الحروف هو حرف اصلاح الدنيا فلها حرفان أحدهما حرف الحرام الذى لا تصلح النفس والبدن الا بالتطهير منه لبعده عن تقويمها (والثانى) حرف الحلال الذى تصلح النفس والبدن عليه لموافقته تقويمها وأصل هذين الحرفين فى التوراة وتمامها فى القرآن ويلى ذلك حرفا صلاح المعاد (أحدهما) حرف الزجر والنهى الذى لا تصلح الآخرة إلا بالتطهير منه لبعده عن حسناتها (والثانى) حرف الأمر الذى تصلح الآخرة عليه لتقاضيه لحسناتها وأصل هذين الحرفين فى الانجيل وتمامهما فى القرآن ويلى ذلك حرفا صلاح الدين (أحدهما) حرف المحكم الذى بان للعبد فيه خطاب ربه (والثانى) حرف المتشابه الذى لا يتبين للعبد فيه خطاب ربه من جهة قصور عقله عن ادراكه فالحروف الخمسة للاستعمال وهذا الحرف السادس للوقوف والاعتراف بالعجز وأصل هذين الحرفين فى الكتب المتقدمة كلها وتمامها فى القرآن ويختص القرآن بالحرف السابع الجامع وهو حرف المثل المبين للمثل

نحو هذا كما عابوا على أبى تمام قوله

كريم متى أمدحه أمدحه والورى معى
ومتى مالمته لمته وحدى

ذكر لى الصاحب بن عباد أنه جارى أبا الفضل ابن العميد فى محاسن القصيدة حتى انتهى إلى هذا البيت فذكر له أن قوله أمدحه أمدحه معيب لثقله من جهة تدارك حروف الحلق ثم رأيت بعد ذلك المتقدمين قد تكلموا فى هذه النكتة فعلمت أن ذلك شىء عند أهل الصنعة معروف ثم ان قوله عند أكل الحنظل ليس بحسن ولا واقع وأما البيت الثالث فهو أجنبى من كلامه غريب فى طباعه نافر من جملة شعره وفيه كزازة وفجاجة وان كان المعنى صالحا فأما قوله

وأغر فى الزمن البهيم محجل
قد رحت منه على أغر محجل
كالهيكل المبنى إلا أنه
فى الحسن جاء كصورة فى

الأعلى ولما كان هذا الحرف هو الحمد افتتح الله به أم القرآن وجمع فيها جوامع الحروف السبعة التى بثها فى القرآن فالآية الأولى تشتمل على حرف الحمد السابع والثانية تشتمل على حرفى الحلال والحرام اللذين أقامت الرحمانية بهما الدنيا والرحيمية الآخرة والثالثة تشمل على أمر الملك القيم على حرفى الأمر والنهى اللذين يبدأ أمرهما فى الدين والرابعة تشتمل على حرفى المحكم فى قوله إياك نعبد والمتشابه فى قوله وإياك نستعين ولما افتتح أم القرآن بالسابع الجامع الموهوب ابتدائت البقرة بالسادس المعجوز عنه وهو المتشابه اه كلام الحرانى والمقصود منه هو الأخير وبقيته يقبو عنه السمع وينفر عنه القلب ولا تميل اليه النفوس وأنا استغفر الله من حكايته على انى أقول فى مناسبة ابتداء البقرة بألم أحسن ماقال وهو أنه لما ابتدئت الفاتحة بالحرف المحكم الظاهر لكل أحد بحيث لا يعذر أحد فى فهمه ابتدئت البقرة بمقابله وهو الحرف المتشابه البعيد التأويل أو المستحيلة

(فصل) ومن هذا النوع مناسبة أسماء السور لمقاصدها وقد تقدم فى النوع السابع عشر الاشارة إلى ذلك وفى عجائب الكرمانى إنما سميت السور السبع حم على الاشتراك فى الاسم لما بينهن من التشاكل الذى اختصت به وهو أن كل واحدة منها استفتحت بالكتاب أوصفة الكتاب مع تقارب المقادير فى الطول والقصر وتشاكل الكلام فى النظام (فوائد منثورة) فى المناسبات فى تذكرة الشيخ تاج الدين السبكى ومن خطه نقلت سأل الامام ما الحكمة فى افتتاح سورة الاسراء بالتسبيح والكهف بالتحميد وأجاب بأن التسبيح حيث جاء يقدم على التحميد نحو فسبح بحمد ربك سبحان الله والحمد لله (وأجاب) ابن الزملكانى بأن سورة سبحان لما اشتملت على الاسراء الذى كذب المشركون به النبى ﷺ وتكذيبه تكذيب الله سبحانه وتعالى أتى بسبحان لتنزيه الله تعالى عما نسب اليه نبيه من الكذب وسورة الكهف لما أنزلت بعد سؤال المشركين عن قصة أصحاب الكهف وتأخر الوحى نزلت مبينة ان الله لم يقطع نعمته عن نبيه ولا عن المؤمنين بل أتم عليهم النعمة بانزال الكتاب فناسب افتتاحها بالحمد على هذه النعمة فى تيسير الخوبى ابتدئت الفاتحة بقوله الحمد لله رب العالمين بوصف أنه مالك جميع المخلوقين وفى الانعام والكهف وسبأ وفاطر لم يوصف بذلك بل بفرد من أفراد صفاته وهى خلق السموات والأرض والظلمات والنور فى الانعام وأنزل الكتاب فى الكهف وملك مافى السموات وما فى الأرض فى سبأ وخلقهما فى فاطر لأن الفاتحة أم القرآن ومطلعه فناسب الاتيان فيها بأبلغ الصفات وأعمها وأشملها فى العجائب للكرمانى ان قيل كيف جاء يسئلونك أربع مرات بغير واو يسئلونك عن الأهلة يسئلونك ماذا ينفقون يسئلونك عن الشهر الحرام يسئلونك عن الخمر ثم جاء ثلاث مرات بالواو ويسئلونك ماذا ينفقون ويسئلونك عن اليتامى ويسئلونك عن المحيض قلنا) لأن سؤالهم عن الحوادث الأول وقع متفرقا وعن الحوادث الآخر وقع فى وقت واحد فجىء بحرف الجمع دلالة على ذلك (فان قيل) كيف جاء ويسئلونك عن الجبال فقل وعادة القرآن مجىء قل فى الجواب بلا فاء (أجاب) الكرمانى بأن التقدير لو سئلت عنها فقل فان قيل كيف جاء وإذا سألك عبادى عنى فانى قريب وعادة السؤال يجىء جوابه فى القرآن بقل قلنا حذفت للاشارة إلى أن العبد فى حال الدعاء فى أشرف المقامات لا واسطة بينه وبين مولاه ورد فى القرآن سورتان أولهما يا أيها الناس فى كل نصف سورة فالتى فى النصف الأول تشتمل على شرح المبدأ والتى فى الثانى على شرح المعاد

(النوع الثالث والستون) فى الآيات المتشابهات أفرده بالتصنيف خلق أولهم فيما أحسب الكسائى ونظمه السخاوى وألف فى توجيهه الكرمانى كتابه البرهان فى متشابه القرآن وأحسن منه درة التنزيل

هيكل

فالبيت الأول لم يتفق له فيه خروج حسن بل هو مقطوع عما سلف من الكلام وعامة خروجه نحو هذا وهو غير بارع فى هذا الباب وهذا مذموم معيب منه لأن من كان صناعته الشعر وهو يأكل به وتغافل عما يدفع اليه فى كل قصيدة واستهان بأحكامه وتجويده مع تتبعه لأن يكون عامة فانه يصدر به اشعاره من النسيب عشرة أبيات وتتبعه للصنعة الكثيرة وتركيب العبارات وتنقيح الألفاظ وتزويرها كان ذلك أدخل فى عيبه وأدل على تقصيره أو قصوره وإنه لا يقع له الخروج منه وأما قوله وأغر فى الزمن البهيم محجل فان ذكر التحجيل فى الممدوح قريب وليس بالجيد وقد يمكن أن يقال أنه إذا قرن بالأغر حسن وجرى مجراه وانخرط فى سلكه وأهوى إلى مضماره ولم ينكر لمكانه من جوار فهذا عذر والعدول عنه أحسن وإنما أراد

وغرة التأويل لأبي عبدالله الرازي وأحسن من هذا ملاك التأويل لأبي جعفر بن الزبير ولم أقف عليه وللقاضي بدر الدين بن جماعة في ذلك كتاب لطيف سماه كشف المعاني من متشابه المثاني وفي كتاب أسرار التنزيل المسمى قطف الأزهار في كشف الأسرار من ذلك الجم الغفير والقصد به إيراد القصة الواحدة في صور شتى وفواصل مختلفة بل تأتي في موضع واحد مقدما وفي آخر مؤخرا كقوله في البقرة وادخلوا الباب سجدا وقولوا حطة وفي الأعراف وقولوا حطة وادخلوا الباب سجدا وفي البقرة وما أهل به لغير الله وسائر القرآن وما أهل لغير الله به أو في موضع بزيادة وفي آخر بدونها نحو سواء عليهم أأنذرتهم وفي يس وفي البقرة ويكون الدين لله وفي الانفال كله لله أو في موضع معرفا وفي آخر منكرا أو مفردا وفي آخر جمعا أو بحرف وفي آخر بحرف آخر أو مدغما وفي آخر مفكوكا وهذا النوع يتداخل مع نوع المناسبات وهذه أمثلة منه بتوجيهها قوله تعالى في البقرة هدى للمتقين وفي لقمان هدى ورحمة للمحسنين لأنه لما ذكر هنا مجموع الايمان ناسب المتقين ولما ذكر ثم الرحمة ناسب المحسنين قوله تعالى وقلنا يا آدم اسكن أنت وزوجك الجنة وكلا وفي الاعراف فكلا بالفاء قيل لأن السكنى في البقرة الاقامة وفي الاعراف اتخاذ المسكن فلما نسب مقول اليه تعالى وقلنا يا آدم ناسب زيادة الاكرام الواو الدالة على الجمع بين السكنى والأكل ولذا قال فيه رغدا وقال حيث شئتم لأنه أعم وفي الأعراف ويا آدم فأتى بالفاء الدالة على ترتيب الأكل على السكنى المأمور باتخاذها لأن الأكل بعد الاتخاذ ومن حيث لا تعطى عموم معنى حيث شئتما قوله تعالى واتقوا يوما لا تجزي نفس عن نفس شيئا الآية وقال بعد ذلك ولا يقبل منها عدل ولا تنفعها شفاعة ففيه تقديم العدل وتأخيره والتعبير بقبول الشفاعة تارة وبالنفع أخرى وذكر في حكمته أن الضمير في منها راجع في الأولى إلى النفس الأولى وفي الثانية إلى النفس الثانية فبين في الأولى أن النفس الشافعة الجازية عن غيرها لا يقبل منها شفاعة ولا يؤخذ منها عدل وقدمت الشفاعة لأن الشافع يقدم الشفاعة على بذل العدل عنها وبين في الثانية أن النفس المطلوبة بجرمها لا يقبل منها عدل عن نفسها ولا تنفعها شفاعة شافع منها وقدم العدل لأن الحاجة إلى الشفاعة إنما تكون عند رده ولذلك قال في الأولى لا تقبل منها شفاعة وفي الثانية ولا تنفعها شفاعة لأن الشفاعة إنما تقبل من الشافع وإنما تنفع المشفوع له قوله تعالى وإذ نجيناكم من آل فرعون يسومونكم سوء العذاب يذبحون وفي إبراهيم ولو يذبحون بالواو لأن الأولى من كلامه تعالى لهم فلم يعدد عليهم المحن تكرما في الخطاب والثانية من كلام موسى فعددها وفي الاعراف يقتلون وهو من تنويع الالفاظ المسمى بالتفنن قوله تعالى وإذ قلنا ادخلوا هذه القرية الاية وفي آية الاعراف اختلاف الفاظ ونكتته أن آية البقرة في معرض ذكر المنعم عليهم حيث قال يا بني إسرائيل اذكروا نعمتي الخ فناسب نسبة القول اليه تعالى وناسب قوله رغدا لأن المنعم به أتم وناسب تقديم وادخلوا الباب سجدا وناسب خطايا كم لأنه جمع كثرة وناسب الواو وفي وسنزيد لدلالتها على الجمع بينهما وناسب الفاء في فكلوا لأن الأكل مترتب على الدخول واية الاعراف افتتحت بما فيه توبيخهم وهو قولهم اجعل لنا الها كما لهم آلهة ثم اتخاذهم العجل فناسب ذلك واذقيل لهم وناسب ترك رغدا والسكنى تجامع الأكل فقال وكلوا وناسب تقديم ذكر مغفرة الخطايا وترك الواو في سنزيد ولما كان في الاعراف تبعيض الهادين بقوله ومن قوم موسى أمة يهدون بالحق ناسب تبعيض للظالمين بقوله الذين ظلموا منهم ولم يتقدم في البقرة مثله فترك وفي البقرة إشارة إلى سلامة غير الذين ظلموا لتصريحه بالانزال على المتصفين بالظلم والارسال أشد وقعا من الانزال فناسب سياق ذكر النعمة في البقرة ذلك وختم اية البقرة بيفسقون ولا يلزم منه الظلم والظلم يلزم منه الفسق فناسب كل لفظة منها سياقه وكذا في البقرة فانفجرت وفي الاعراف انبجست لأن الانفجار أبلغ

أن يرد العجز على الصدر ويأتي بوجه في التجنيس وفيه شيء لأن ظاهر كلامه يوهم أنه قد صار يتطى الأغر الأول وراثما عليه ولو سلم من ذلك لم يكن فيه ما يفوت حدود الشعراء وأقاويل الناس فأما ذكر الهيكل في البيت الثاني ورده عجز البيت عليه وظنه أنه قد ظفر بهذه اللفظة وعمل شيئا حتى كررها فهي كلمة فيها ثقل ونحن نجدهم إذا أرادوا أن يصنعوا نحو هذا قالوا ماهو الاصورة وما هو الاتمثال وما هو لادمية وما هو إلا ظبية ونحو ذلك من الكلمات الخفيفة على القلب واللسان وقد استدرك هو أيضا على نفسه فذكر أنه كصورة في هيكل ولو اقتصر على ذكر الصورة وحذف الهيكل كان أولى وأجمل ولو أن هذه الكلمة كررها أصحاب العزائم على الشياطين لراعوهم بها وأفزعوهم بذكرها وذلك من كلامهم وشبيه بصناعتهم وأما قوله

في كثرة الماء فناسب سياق ذكر النعم التعبير به قوله تعالى وقالوا لن تمسنا النار إلا أياما معدودة وفي آل عمران معدودات قال ابن جماعة لأن قائلي ذلك فرقتان من اليهود احداهما قالت إنما نعذب بالنار سبعة أيام عدد أيام الدنيا والأخرى قالت إنما نعذب أربعين عدة أيام عبادة آبائهم العجل فآيت البقرة تحتمل قصد الفرقة الثانية حيث عبر بجمع الكثرة وآل عمران بالفرقة الأولى حيث أتى بجمع القلة وقال أبو عبد الله الرازي إنه من باب التفنن قوله تعالى ان هدى الله هو الهدى وفي آل عمران إن الهدى هدى الله لأن الهدى في البقرة المراد به تحويل القبلة وفي آل عمران المراد به الدين لتقدم قوله لمن تبع دينكم ومعناه أن دين الله الإسلام قوله تعالى رب اجعل هذا بلدا آمنا وفي إبراهيم هذا البلد آمنا لأن الأول دعا به قبل مصيره بلدا عند ترك هاجر وإسماعيل به وهو واد فدعا بأن تصيره بلدا والثاني دعا به بعد عوده وسكنى جرهم به ومصيره بلدا فدعا بأمنه قوله تعالى قولوا آمنا بالله وما أنزل الينا وفي آل عمران قل آمنا بالله وما أنزل علينا لأن الأولى خطاب للمسلمين والثانية خطاب للنبي ﷺ وإلى ينتهى بها من كل جهة وعلى لا ينتهى بها إلا من جهة واحدة وهي العلو والقرآن يأتي المسلمين من كل جهة يأتي مبلغه اياهم منها وانما أتى النبي ﷺ من جهة العلو خاصة فناسب قوله علينا ولهذا أكثر ما جاء في جهة النبي صلى الله عليه وسلم بعلى وأكثر ما جاء في جهة الأمة بالى قوله تعالى تلك حدود الله فلا تقربوها وقال بعد ذلك فلا تعتدوها لأن الأولى وردت بعد نواه فناسب النهي عن قربانها والثانية بعد أوامر فناسب النهي عن تعديها وتجاوزها بأن يوقف عندها قوله تعالى نزل عليك الكتاب وقال وأنزل التوراة والإنجيل لأن الكتاب أنزل منجما فناسب الاتيان بنزل الدال على التكرير بخلافهما فانهما أنزلا دفعة قوله تعالى ولا تقتلوا أولادكم من إملاق وفي الاسراء خشية أملاق لان الاولى خطاب للفقراء المقلين أي لا تقتلوهم من فقر بكم فحسن نحن نرزقكم ما يزول به إملاقكم ثم قال واياهم أي نرزقكم جميعا والثانية خطاب للأغنياء أي خشية فقر يحصل لكم بسببهم ولذا حسن نحو نرزقكم واياكم قوله تعالى فاستعذ بالله إنه سميع عليم وفي فصلت أنه هو السميع العليم قال ابن جماعة لان آية الاعراف نزلت أولا وآية فصلت نزلت ثانيا فحسن التعريف أي هو السميع العليم الذي تقدم ذكره أولا عند نزوغ الشيطان قوله تعالى المنافقون والمنافقات بعضهم من بعض وقال في المؤمنين بعضهم أولياء بعض وفي الكفار والذين كفروا بعضهم أولياء بعض لأن المنافقين ليسوا متناصرين على دين معين وشريعة ظاهرة فكان بعضهم يهودا وبعضهم مشركين فقال من بعض أي في الشك والنفاق والمؤمنين متناصرون على دين الاسلام وكذلك الكفار المعلنون بالكفر كلهم أعوان بعضهم ويجتمعون على التناصر بخلاف المنافقين كما قال تعالى تحسبهم جميعا وقلوبهم شتى فهذه أمثلة يستضاء بها وقد تقدم منها كثير في نوع التقديم والتأخير وفي نوع الفواصل وفي أنواع أخر

* (النوع الرابع والستون) . في إعجاز القرآن أفرده بالتصنيف خلائق منهم الخطابي والرماني والزملكاني والامام الرازي وابن سراقة والقاضي أبو بكر الباقلاني قال ابن العربي لم يصنف مثل كتابه (اعلم) أن المعجزة أمر خارق للعادة مقرون بالتحدي سالم عن المعارضة واما حسية واما عقلية وأكثر معجزات بني إسرائيل كانت حسية لبلادتهم وقلة بصيرتهم وأكثر معجزات هذه الامة عقلية لفرط ذكائهم وكمال أفهامهم ولان هذه الشريعة لما كانت باقية على صفحات الدهر إلى يوم القيامة خصت بالمعجزة العقلية ليراها ذوو البصائر كما قال صلى الله عليه وسلم ما من الانبياء نبي الا أعطى ما مثله أمن عليه البشر وإنما كان الذي أوتيته وحيا أوحاه الله إلي فأرجو أن أكون أكثرهم تابعا أخرجه البخاري قيل إن معناه أن معجزات الانبياء انقرضت بانقراض أعصارهم فلم يشاهدها الا من حضرها

وانى الضلوع يشد عقد حزامه
يوم اللقاء على معم مخول
أخواله للرستمين بفاوس
وجدوده للتبعين بموكل
نبل المحزم مما يمدح به الخيل فهو لم يأت فيه ببديع وقوله يشد عقد حزامه داخل في التكلف والتعسف لا يقبل من مثله وان قبلناه من غيره لانه يتبع الالفاظ وينقدها نقدا شديدا فهلا قال يشد حزامه أو يأتي بحشو آخر سوى العقد فقد عقد هذا البيت بذكر العقد ثم قوله يوم اللقاء حشو آخر لا يحتاج اليه وأما البيت الثاني فمعناه أصلح من ألفاظه لانها غير مجانسة لطباعة وفيها غلظ ونفار وأما قوله
يهوى كما تهوى العقاب وقد رأت
صيدا وينقض انقضاض الاجدل
متوجس برقيقتين كأنما
تريان من ورق عليه موصل

ومعجزة القرآن مستمرة الى يوم القيامة وخرقه العادة فى أسلوبه وبلاغته وإخباره بالمغيبات فلا يمر عصر من الاعصار الا ويظهر فيه شىء مما أخبر به أنه سيكون يدل على صحة دعواه وقيل المعنى ان المعجزات الواضحة الماضية كانت حسية تشاهد بالابصار كناقة صالح وعصى موسى ومعجزة القرآن تشاهد بالبصيرة فيكون من يتبعه لاجلها أكثر لان الذى يشاهد بعين الرأس ينقرض بانقراض مشاهده والذى يشاهد بعين العقل باق يشاهده كل من جاء بعد الاول مستمرا (قال فى فتح البارى) ويمكن نظم القولين فى كلام واحد فان محصلهما لا ينافى بعضه بعضا ولا خلاف بين العقلاء ان كتاب الله تعالى معجز لم يقدر أحد على معارضته بعد تحديهم بذلك قال تعالى (وأن أحد من المشركين استجارك فاجره حتى يسمع كلام الله) فلو أن سماعه حجة عليه لم يقف أمره على سماعه ولا يكون حجة الا وهو معجزة وقال تعالى (وقالوا لولا أنزل عليه آيات من ربه قل انما الآيات عند الله وانما أنا نذير مبين أولم يكفهم انا أنزلنا عليك الكتاب يتلى عليهم) فأخبر أن الكتاب آيات من آياته كاف فى الدلالة قائم مقام معجزات غيره وآيات من سواه من الانبياء ولما جاء به النبى ﷺ اليهم وكانوا أفصح الفصحاء ومصاقع الخطباء وتحداهم على أن يأتوا بمثله وأمهلهم طول السنين فلم يقدروا كما قال تعالى (فليأتوا بحديث مثله ان كانوا صادقين ثم تحداهم بعشر سور منه فى قوله تعالى أم يقولون افتراه قل فأتوا بعشر سور مثله مفتريات وادعوا من استطعتم من دون الله ان كنتم صادقين فان لم يستجيبوا لكم فاعلموا انما أنزل بعلم الله ثم تحداهم بسورة فى قوله أم يقولون افتراه قل فأتوا بسورة مثله الآية ثم كرر فى قوله وان كنتم فى ريب مما نزلنا على عبدنا فأتوا بسورة مثله الآية فلما عجزوا عن معارضته والاتيان بسورة تشبهه على كثرة الخطباء فيهم والبلغاء نادى عليهم باظهار العجز واعجاز القرآن فقال (قل لئن اجتمعت الانس والجن على أن يأتوا بمثل هذا القرآن لا يأتون بمثله ولو كان بعضهم لبعض ظهيرا) فهذا وهم الفصحاء اللد وقد كانوا أحرص شىء على اطفاء نوره واخفاء أمره فلو كان فى مقدرتهم معارضته لعدلوا اليها قطعا للحجة ولم ينقل عن أحد منهم أنه حدث نفسه بشىء من ذلك ولا رامه بل عدوا الى العناد تارة والى الاستهزاء أخرى فتارة قالوا سحر وتارة قالوا شعر وتارة قالوا أساطير الاولين كل ذلك من التحير والانقطاع ثم رضوا بتحكيم السيف فى أعناقهم وسبى ذراريهم وحرمهم واستباحة أموالهم وقد كانوا آنف شىء وأشده حمية فلو علموا ان الاتيان بمثله فى قدرتهم لبادروا اليه لانه كان أهون عليهم كيف وقد أخرج الحاكم عن ابن عباس قال جاء الوليد بن المغيرة الى النبى ﷺ فقرأ عليه القرآن فكأنه رق له فبلغ ذلك أبا جهل فأتاه فقال ياعم ان قومك يريدون أن يجمعوا لك مالا ليعطوكه لئلا تأتى محمد التعرض لما قاله قال قد علمت قريش انى من أكثرها مالا قال فقل فيه قولا يبلغ قومك أنك كاره قال له وماذا أقول فوالله ما فيكم رجل أعلم بالشعر منى ولا برجزه ولا بقصيده ولا بأشعار الجن والله ما يشبه الذى نقول شيئا من هذا والله ان لقوله الذى يقوله لحلاوة وان عليه لطلاوة وانه لمثمر أعلاه مغدق أسفله وانه ليعلو ولا يعلى عليه وانه ليحطم ما تحته قال لا يرضى عنك قومك حتى تقول فيه قال فدعنى حتى أفكر فلما أفكر قال هذا سحر يؤثر يأثره عن غيره قال الجاحظ بعث الله محمدا ﷺ أكثر ما كانت العرب شاعرا وخطيبا وأحكم ما كانت لغة وأشد ما كانت عدة فدعا أقصاها وأدناها الى توحيد الله وتصديق رسالته فدعاهم بالحجة فلما قطع العذر وأزال الشبهة صار الذى يمنعهم من الاقرار الهوى والحمية دون الجهل والحيرة حملهم على حظهم بالسيف فنصب لهم الحرب ونصبوا له وقتل من عليتهم وأعلامهم وأعمامهم وبنى أعمامهم وهو فى ذلك يحتج عليهم بالقرآن ويدعوهم صباحا ومساء الى أن يعارضوهم ان كان كاذبا بسورة واحدة أو آيات يسيرة

ما ان يعاف قذى ولو أوردته
يوما خلائق حمدويه الاحول

البيت الاول صالح وقد قاله الناس ولم يسبق اليه ولم يقل مالم يقولوه بل هو منقول وفى سرعة عدو الفرس يشبيهات ليس هذا بأبدعها وقد يقولون يفوت الطارف ويسبق الريح ويجارى الوهم ويكر النظر ولولا أن الاتيان على محاسن ماقالوه فى ذلك يخرج الكلام عن غرض الكتاب نقلت لك جملة مما ذهبوا اليه فى هذا المعنى فتتبع تعلم أنه لم يأت فيها فيما يجعل عن الوصف أو يفوت منتهى الحد على أن الهوى يذكر عند الانقضاض خاصة وليس للفرس هذه الصفة فى الحقيقة الا أن يشبه جده فى العدو بحالة انقضاض البازى والعقاب وليست تلك الحالة بأسرع أحوال طيرانها وأما البيت الثانى فقوله ان الاذنين كأنهما من ورق موصل

فكلما ازداد تحديا لهم بها وتقريعا لعجزهم عنها تكشف عن نقصهم ما كان مستورا وظهر منه ما كان خفيا حين لم يجدوا حيلة ولا حجة قالوا له أنت تعرف من أخبار الأمم ما لا نعرف فلذلك يمكنك ما لا يمكننا قال فهاتوها مفتريات فلم يرم ذلك خطيب ولا طمع فيه شاعر ولا طبع فيه لتكلفه ولو تكلفه لظهر ذلك ولو ظهر لوجد من يستجيد ويحامى عليه ويكابر فيه ويزعم انه قد عارض وقابل وناقض فدل ذلك العاقل على عجز القوم مع كثرة كلامهم واستحالة لغتهم وسهولة ذلك عليهم وكثرة شعرائهم وكثرة من هجاه منهم وعارض شعراء أصحابه وخطباء أمتي لان سورة واحدة وآيات يسيرة كانت انقض لقوله وأفسد لأمره وأبلغ في تكذيبه وأسرع في تفريق أتباعه من بذل النفوس والخروج من الأوطان وانفاق الأموال وهذا من جليل التدبير الذى لا يخفى على من هو دون قريش والعرب في الرأى والعقل بطبقات ولهم القصيد العجيب والرجز الفاخر والخطب الطوال البليغة والقصار الموجزة ولهم الاسجاع والمزدوج واللفظ المنثور ثم يتحدى به أقصاهم بعد أن ظهر عجز أدناهم فمحال أكرمك الله ان تجمع هؤلاء كلهم على الغلط في الأمر الظاهر والخطأ المكشوف البين مع التقريع بالنقص والتوقيف على العجز وهم أشد الخلق انفة وأكثرهم مفاخرة والكلام سيد عملهم وقد احتاجوا اليه والحاجة تبعث على الحيلة في الأمر الغامض فكيف بالظاهر الجليل المنفعة وكما انه محال أن يطيقوه ثلاثا وعشرين سنة على الغلط في الأمر الجليل المنفعة فكذلك محال أن يتركوه وهم يعرفونه ويجدون السبيل اليه وهم يبذلون أكثر منه انتهى

(فصل) لما ثبت كون القرآن معجزة نبينا صلى الله عليه وسلم وجب الاهتمام بمعرفة وجه الاعجاز وقد خاض الناس في ذلك كثيرا فبين محسن ومسيء فزعم قوم أن التحدى وقع بالكلام القديم الذى هو صفة الذات وأن العرب كلفت في ذلك ما لا يطاق به وقع عجزها وهو مردود لان ما لا يمكن الوقوف عليه لا يتصور التحدى به والصواب ما قاله الجمهور أنه وقع بالدال على القديم وهو الالفاظ ثم زعم النظام أن اعجازه بالصرفة أى ان الله صرف العرب عن معارضته وسلب عقولهم وكان مقدورا لهم لكن عاقهم أمر خارجي فصار كسائر المعجزات وهذا قول فاسد بدليل قل لئن اجتمعت الانس والجن الآية فانه يدل على عجزهم مع بقاء قدرتهم ولو سلبوا القدرة لم تبق فائدة لاجتماعهم لمنزلته منزلة اجتماع الموتى وليس عجز الموتى مما يحتفل بذكره هذا مع أن الاجماع منعقد على اضافة الاعجاز إلى القرآن فكيف يكون معجزا وليس فيه صفة اعجاز بل المعجز هو الله تعالى حيث سلبهم القدرة على الاتيان بمثله وأيضا فيلزم من القول بالصرفة زوال الاعجاز بزوال زمان التحدى وخلو القرآن من الاعجاز وفي ذلك خرق لاجماع الأمة ان معجزة الرسول العظمى باقية ولا معجزة له باقية سوى القرآن قال القاضى أبو بكر ومما يبطل القول بالصرفة أنه لو كانت المعارضة ممكنة وانما منع منها الصرفة لم يكن الكلام معجزا وانما يكون بالمنع معجزا فلا يتضمن الكلام فضيلة على غيره في نفسه قال وليس هذا بأعجب من قول فريق منهم ان الكل قادرون على الاتيان بمثله وانما تأخروا عنه لعدم العلم بوجه ترتيب لو تعلموه لوصلوا اليه به ولا بأعجب من قول آخرين إن العجز وقع منهم وأما من بعدهم ففى قدرته الاتيان بمثله وكل هذا لا يعتد به وقال قوم وجه اعجازه ما فيه من الاخبار عن الغيوب المستقبلة ولم يكن ذلك من شأن العرب وقال آخرون ما تضمنه من الأخبار عن قصص الأولين وسائر المتقدمين حكاية من شاهدها وحضرها وقال آخرون ما تضمنه من الاخبار عن الضمائر من غير أن يظهر ذلك منهم بقول أو فعل كقوله اذ همت طائفتان منكم أن تفشلا ويقولون في أنفسهم لولا يعذبنا الله وقال القاضى أبو بكر وجه اعجازه ما فيه من النظم والتأليف والترصيف وأنه خارج

وإنما أراد بذلك حدتهما وسرعة حركتهما واحساسهما بالصوت كما يحس الورق بخفيف الريح وظاهر التشبيه غير واقع وإذا ضمن ما ذكرنا من المعنى كان المعنى حسنا ولكن لا يدل عليه اللفظ وإنما يجرى مجرى المضمن وليس هذا البيت برائق اللفظ ولا مشاكل فيه لطيفة غير قوله متوجس برقيقتين فان هذا القدر هو حسن وأما البيت الثالث فقد ذكرنا فيما مضى من الكتاب أنه من باب الاستطراد ونقلنا نظائر ذلك من قول أبى تمام فى نهاية الحسن فى هذا المعنى والذى وقع للبحترى فى هذا البيت عندى ليس بجيد فى لفظ ولا معنى وهو بيت وحش جدا قد صار قذى فى عين هذه القصيدة بل وخزا فيها ووبالا عليها قد كدر صفاءها وأذهب بهاءها وماءها وطمس بظلمته سناها وما وجه

عن جميع وجوه النظم المعتاد فى كلام العرب ومباين لاساليب خطاباتهم قال ولهذا لم يمكنهم معارضته
قال ولا سبيل إلى معرفة اعجاز القرآن من اصناف البديع أودعوها فى الشعر لأنه ليس مما يخرق
العادة بل يمكن استدراكه بالعلم والتدريب والتصنع به كقول الشعر ووصف الخطب وصناعة
الرسالة والحذق فى البلاغة وله طريق تسلك فاما شأن نظم القرآن فليس له مثال يحتذى ولا امام
يقتدى به ولا يصح وقوع مثله اتفاقا قال ونحن نعتقد أن الاعجاز فى بعض القرآن أظهر وفى بعضه
أدق وأغمض وقال الامام فخر الدين وجه الاعجاز الفصاحة وغرابة الاسلوب والسلامة من جميع
العيوب وقال الزملكانى وجه الاعجاز راجع إلى التأليف الخاص به لا مطلق التأليف بأن اعتدلت
مفرداته تركيبا وزنة وعلت مركباته معنى بأن يوقع كل فن فى مرتبته العليا فى اللفظ والمعنى وقال ابن عطية
الصحيح والذى عليه الجمهور والحذاق فى وجه اعجازه أنه بنظمه وصحة معانيه وتوالى فصاحة
ألفاظه وذلك أن الله أحاط بكل شىء علما وأحاط بالكلام كله فاذا ترتيب اللفظ من القرآن علم
باحاطته أى لفظة تصلح ان تلى الاولى وتبين المعنى بعد المعنى ثم كذلك من أول القرآن إلى اخره والبشر
يعمهم الجهل والنسيان والذهول ومعلوم ضرورة ان أحدا من البشر لا يحيط بذلك فبهذا جاء نظم
القرآن فى الغاية القصوى من الفصاحة وبهذا يبطل قول من قال ان العرب كان فى قدرتها الاتيان
بمثله فصرفوا عن ذلك والصحيح انه لم يكن فى قدرة أحد قط ولهذا ترى البليغ ينقح القصيدة أو الخطبة
حولا ثم ينظر فيها فيغير فيها وهلم جرا وكتاب الله تعالى لو نزعت منه لفظة ثم أدير لسان العرب على لفظة
أحسن منها لم يوجد ونحن تبين لنا البراعة فى أكثره ويخفى علينا وجهها فى مواضع لقصورنا عن مرتبة
العرب يومئذ فى سلامة الذوق وجودة القريحة وقامت الحجة على العالم بالعرب اذ كانوا أرباب الفصاحة
ومظنة المعارضة كما قامت الحجة فى معجزة موسى بالسحرة وفى معجزة عيسى بالاطباء فان الله انما جعل
معجزات الانبياء بالوجه الشهير أبدع ما يكون فى زمن النبى الذى أراد اظهاره فكان السحر قد انتهى
فى مدة موسى الى غايته وكذلك الطب فى زمن عيسى والفصاحة فى زمن محمد ﷺ وقال حازم
فى منهاج البلغاء وجه الاعجاز فى القرآن من حيث استمرت الفصاحة والبلاغة فيه من جميع انحائها
فى جميعه استمرارا لا يوجد له فترة ولا يقدر عليه أحد من البشر وكلام العرب ومن تكلم بلغتهم
لا تستمر الفصاحة والبلاغة فى جميع انحائها فى العالى منه إلا فى الشىء اليسير المعدود ثم تعرض الفترات
الانسانية فينقطع طيب الكلام ورونقه فلا تستمر لذلك الفصاحة فى جميعه بل توجد فى تفاريق
واجزاء منه وقال المراكشى فى شرح المصباح الجهة المعجزة فى القرآن تعرف بالتفكر فى علم البيان وهو
كما اختاره جماعة فى تعريفه ما يحترز به عن الخطأ فى تأدية المعنى وعن تعقيده ويعرف به وجوه
تحسين الكلام بعد رعاية تطبيقه لمقتضى الحال لأن جهة اعجازه ليست مفردات الفاظه والا لكانت
قبل نزوله معجزة ولا مجرد تأليفها والا لكان كل تأليف معجزا ولا اعرابها والا لكان كل كلام معرب
معجزا ولا مجردا اسلوبه والا لكان الابتداء باسلوب الشعر معجزا والاسلوب الطريق ولكان هذيان
مسيلمة معجزا ولان الاعجاز يوجد دونه أى الاسلوب فى نحو فلما استيأسوا منه خلصوا نجيا فاصدع
بما تؤمر ولا بالصرف عن معارضتهم لأن تعجبهم كان من فصاحته ولأن مسيلمة وابن المقفع والمعرى
وغيرهم قد تعاطوها فلم يأتوا الا بما تمجه الاسماع وتنفر الطباع ويضحك منه فى احوال تركيبه وبها
أى بتلك الاحوال اعجز البلغاء وأخرس الفصحاء فعلى اعجازه دليل اجمالى وهو ان العرب عجزت عنه
وهو بلسانها فغيرها أحرى ودليل تفصيلى مقدمته التفكر فى خواص تركيبه ونتيجته العلم بأنه تنزيل
من المحيط بكل شىء علما وقال الاصبهانى فى تفسيره اعلم ان اعجاز القرآن ذكر من وجهين أحدهما

مدح الفرس بأنه لا يعاف
قذى من المياه إذا وردها
كأنه أراد أن يسلك مسلك
بشار فى قوله ولا يشرب
الماء الا بدم واذا كان
لهذا الباب مجانبا وعن
هذا السمت بعيدا فهلا
وصفها بعزة الشرب كما
وصفها المتنبى فى قوله
وصول إلى المستصعبات
بخيله
فلو كان قرن الشمس ماء
لاوردا
وهلا سلك فيه مسلك
القائل
وانى للماء الذى شابه
القذى
اذا كثرت وراده لعيوف
ثم قوله ولواردته يوما
حشو بارد ثم قوله حدوبه
الاحوال وحش جدا
فما امقت هذا البيت
وابغضه وما اثقله
واسخفه وانما غطى على
عينه عيبه وزين له إيراده
طمعه فى الاستطراد
وهلا طمع فيه على وجه
لا يغض من بهجة كلامه
ولا معنى ألفاظه فقد كان
يمكن ذلك ولا يتعذر فأما
قوله
ذنب كما سحب الرداء
يذب عن

اعجاز متعلق بنفسه والثانى بصرف الناس عن معارضته فالأول اما ان يتعلق بفصاحته و بلاغته أو بمعناه أما الاعجاز المتعلق بفصاحته و بلاغته فلا يتعلق بعنصره الذى هو اللفظ والمعنى فان ألفاظه ألفاظهم قال تعالى قرآنا عربيا بلسان عربى ولا بمعانيه فان كثيرا منها موجود فى الكتب المتقدمة قال تعالى وإنه لفى زبر الأولين وماهو فى القرآن من المعارف الالهية و بيان المبدأ والمعاد والأخبار بالغيب فاعجازه ليس براجع إلى القرآن من حيث هو قرآن بل لكونها حاصلة من غير سبق تعليم و تعلم ويكون الاخبار بالغيب اخبارا بالغيب سواء كان بهذا النظم أو بغيره مؤدى بالعربية أو بلغة أخرى بعبارة أو اشارة فاذن النظم المخصوص صورة القرآن واللفظ والمعنى عنصره و باختلاف الصور يختلف حكم الشىء واسمه لا بعنصره كالخاتم والقرط والسوار فانه باختلاف صورها اختلفت أسماؤها لا بعنصرها الذى هو الذهب والفضة والحديد فان الخاتم المتخذ من الفضة ومن الذهب ومن الحديد يسمى خاتما وان كان العنصر مختلفا وان اتخذ خاتم وقرط وسوار من ذهب اختلفت أسماؤها باختلاف صورها وان كان العنصر واحدا قال فظهر من هذا ان الاعجاز المختص بالقران يتعلق بالنظم المخصوص و بيان كون النظم معجزا يتوقف على بيان نظم الكلام ثم بيان أن هذا النظم مخالف لنظم ماعداه فنقول مراتب تأليف الكلام خمس (الأولى) ضم الحروف المبسوطة بعضها إلى بعض لتحصل الكلمات الثلاث الاسم والفعل والحرف (والثانية) تأليف هذه الكلمات بعضها إلى بعض لتحصل الجمل المفيدة وهو النوع الذى يتداوله الناس جميعا فى مخاطباتهم وقضاء حوائجهم ويقال له المنثور من الكلام (والثالثة) يضم بعض ذلك إلى بعض ضما له مباد ومقاطع ومداخل ومخارج ويقال له المنظوم (والرابعة) ان يعتبر فى أواخر الكلام مع ذلك تسجيع ويقال له المسجع (والخامسة) أن يجعل مع ذلك وزن ويقال له الشعر والمنظوم إما محاورة ويقال له الخطابة وإما مكاتبة ويقال له الرسالة فأنواع الكلام لا تخرج عن هذه الأقسام ولكل من ذلك نظم مخصوص والقران جامع لمحاسن الجميع على نظم غير نظم شىء منها يدل على ذلك أنه لا يصح ان يقال له رسالة أو خطابة أو شعر أو سجع كما يصح أن يقال هو كلام والبليغ إذا قرع سمعه فصل بينه و بين ماعداه من النظم ولهذا قال تعالى (وإنه لكتاب عزيز لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه) تنبيها على أن تأليفه ليس على هيئة نظم يتعاطاه البشر فيمكن أن يغير بالزيادة والنقصان كحالة الكتب الاخر قال وأما الاعجاز المتعلق بصرف الناس عن معارضته فظاهر أيضا إذا اعتبر وذلك أنه مامن صناعة محمودة كانت أو مذمومة إلا و بينها و بين قوم مناسبات خفية واتفاقات جبلية بدليل ان الواحد يؤثر حرفة من الحرف فينشرح صدره بملابستها وتطيعه قواه فى مباشرتها فيقبلها بانشراح صدر ويزاولها باتساع قلبه فلما دعا الله أهل البلاغة والخطابة الذين يهيمون فى كل واد من المعانى بسلاطة لسانهم إلى معارضة القران وعجزهم عن الاتيان بمثله ولم يتصدوا للمعارضة لم يخف على اولى الالباب ان صارفا الهيا صرفهم عن ذلك وأى اعجاز أعظم من أن يكون كافة البلغاء عجزت فى الظاهر عن معارضته مصروفة فى الباطن عنها اه وقال السكاكى فى المفتاح اعلم ان اعجاز القران يدرك ولا يمكن وصفه كاستقامة الوزن تدرك ولا يمكن وصفها وكالملاحة وكما يدرك طيب النغم العارض لهذا الصوت ولا يدرك تحصيله لغير ذوى الفطرة السليمة إلا باتقان علم المعانى والبيان والتمرن فيهما وقال أبو حيان التوحيدى سئل بندار الفارسى عن موضع الاعجاز من القران فقال هذه مسئلة فيها حيف على المعنى وذلك أنه شبيه بقولك ماموضع الانسان من الانسان فليس للانسان موضع من الانسان بل متى أشرت إلى جملته فقد حققته ودللت على ذاته كذلك القران لشرفه لا يشار إلى شىء منه إلا وكان ذلك المعنى اية فى نفسه ومعجزة لمحاوله وهدى لقائله وليس

عرف وعرف كالقناع المسبل
تتوهم الجوزاء فى ارساغه
والبدر فوق جبينه المتهلل
فالبيت الأول وحش الابتداء منقطع عما سبق من الكلام وقد ذكرنا أنه لا يهتدى لوصل الكلام ونظام بعضه إلى بعض وانما يتصنع لغير هذا الوجه وكان يحتاج أن يقول ذنب كالرداء فقد حذف الوصل غير متسق ولا مليح وكان من سبيله أن لا يخفى عليه ولا يذهب عن مثله ثم قوله كما سحب الرداء قبيح فى تحقيق التشبيه وليس بواقع ولا مستقيم فى العبارة إلا على إضمار انه ذنب يسحبه كما يسحب الرداء وقوله يذب عن عرف ليس بحسن ولا صادق والمحمود ما ذكره امرؤ القيس وهو قوله (فويق الأرض ليس باعزل) وأما قوله (تتوهم الجوزاء فى ارساغه) فهو تشبيه مليح ولكنه

فى طاقه البشر الاحاطه بأغراض الله فى كلامه وأسراره فى كتابه فلذلك حارت العقول وتاهت البصائر عنده وقال الخطابى ذهب الاكثرون من علماء النظر إلى أن وجه الاعجاز فيه من جهة البلاغة لكن صعب عليهم تفصيلها وصغوا فيه إلى حكم الذوق قال والتحقيق ان أجناس الكلام مختلفة ومراتبها فى درجات البيان متفاوتة فمنها البليغ الرصين الجزل ومنها الفصيح القريب السهل ومنها الجائز المطلق الرسل وهذه أقسام الكلام الفاضل المحمودة فالأول اعلاها والثانى أوسطها والثالث ادناها وأقربها فحازت بلاغات القرآن من كل قسم من هذه الاقسام حصة وأخذت من كل نوع شعبة فانتظم لها بانتظام هذه الاوصاف نمط من الكلام يجمع صفتى الفخامة والعذوبة وهما على الانفراد فى نعوتهما كالمتضادين لان العذوبة نتاج السهولة والجزالة والمتانة يعالجان نوعا من الزعورة فكان اجتماع الامرين فى نظامه مع نبو كل واحد منهما عن الآخر فضيلة خص بها القرآن ليكون آية بينة لنبيه ﷺ وإنما تعذر على البشر الاتيان بمثله لأمور منها أن علمهم لا يحيط بجميع أسماء اللغة العربية وأوضاعها التى هى ظروف المعانى ولا تدرك أفهامهم جميع معانى الاشياء المحمولة على تلك الألفاظ ولا تكمل معرفتهم باستيفاء جميع وجوه المنظوم التى بها يكون ائتلافها وارتباط بعضها ببعض فيتواصلوا باختيار الافضل من الأحسن من وجوهها إلى أن يأتوا بكلام مثله وإنما يقوم الكلام بهذه الأشياء الثلاثة لفظ حاصل ومعنى به قائم ورباط لها ناظم واذا تأملت القرآن وجدت هذه الأمور منه فى غاية الشرف والفضيلة حتى لا ترى شيئا من الالفاظ أفصح ولا أجزل ولا أعذب من ألفاظه ولا ترى نظما أحسن تأليفا وأشد تلاوة وتشاكلا من نظمه وأما معانيه فكل ذى لب يشهد له بالتقدم فى أبوابه والترقى إلى أعلى درجاته وقد توجد هذه الفضائل الثلاث على التفرق فى أنواع الكلام فاما أن توجد مجموعة فى نوع واحد منه فلم توجد الا فى كلام العليم القدير فخرج من هذا أن القرآن إنما صار معجزا لأنه جاء بأفصح الالفاظ فى أحسن نظام والتأليف مضمنا أصح المعانى من توحيد الله تعالى وتنزيهه فى صفاته ودعائه إلى طاعته وبيان لطريق عبادته من تحليل وتحريم وحظر واباحة ومن وعظ وتقويم وأمر بمعروف ونهى عن منكر وارشاد إلى محاسن أخلاق وزجر عن مساويها واضعا كل شىء منها موضعه الذى لا يرى شىء أولى منه ولا يتوهم فى صورة العقل أمر أليق به منه مودعا أخبار القرون الماضية وما نزل من مثلات الله بمن مضى وعاند منهم منبئا عن الكوائن المستقبلة فى الاعصار الآتية من الزمان جامعا فى ذلك بين الحجة والمحتج له والدليل والمدلول عليه ليكون ذلك آكد للزوم مادعا عليه وأنباء عن وجوب ما أمر به ونهى عنه ومعلوم أن الاتيان بمثل هذه الأمور والجمع بين أشتاتها حتى تنتظم وتتسق أمور يعجز عنه قوى البشر ولا تبلغه قدرتهم فانقطع الخلق دونه وعجزوا عن معارضته بمثله أو مناقضته فى شكله ثم صار المعاندون له يقولون مرة إنه شعر لما رأوه منظوما ومرة إنه سحر لما رأوه معجوزا عنه غير مقدور عليه وقد كانوا يجدون له وقعا فى القلوب وقرعا فى النفوس يرهبهم ويحيرهم فلم يتمالكوا أن يعترفوا به نوعا من الاعتراف ولذلك قالوا إن له لحلاوة وإن عليه لطلاوة وكانوا مرة بجهلهم يقولون أساطير الاولين اكتتبها فهى تملى عليه بكرة وأصيلا مع علمهم أن صاحبهم أمى وليس بحضرته من يملى أن يكتب فى نحو ذلك من الامور التى أوجبها العناد والجهل والعجز ثم قال وقد قلت فى اعجاز القرآن وجها ذهب عنه الناس وهو صنيعه فى القلوب وتأثيره فى النفوس فانك لا تسمع كلاما غير القرآن منظوما ولا منثورا إذا قرع السمع خلص له إلى القلب من اللذة والحلاوة فى حال ذوى الروعة والمهابة حال آخر ما يخلص منه اليه قال تعالى (لو أنزلنا هذا القرآن على جبل لرأيته خاشعا متصدعا من خشية الله) وقال (الله نزل أحسن الحديث كتابا متشابها مثانى تقشعر منه جلود الذين يخشون ربهم) وقال ابن سراقة

لم يسبق اليه ولا انفرد به ولو نسخت لك ماقاله الشعراء فى تشبيه الغرة بالهلال والبدر والنجم وغير ذلك من الامور وتشبيه الحجول لتعجبت من بدائع قد وقعوا عليها وأمور مليحة قد ذهبوا اليها وليس ذلك موضع كلامنا فتتبع ذلك فى اشعارهم تعلم ما وصفت لك واعلم انا تركنا بقية كلامه فى وصف الفرس لأنه ذكر عشرين بيتا فى ذلك والذى ذكرناه فى هذا المعنى يدل على ما بعده ولا يمد وما تركناه أن يكون متوسطا إلى حد لا يفوت طريقة الشعراء ولو تتبعت أقاويل الشعراء فى وصف الخيل علمت أنه وإن جمع فاوعى وحشر فنادى ففيهم من سبقه فى ميدانه ومنهم من ساواه فى شأوه ومنهم من داناه فالقبيل واحد والنسيج متشاكل ولولا كراهة التطويل لنقلت جملة من أشعارهم فى ذلك لتقف على ماقلت

اختلف اهل العلم فى وجه اعجاز القرآن فذكروا فى ذلك وجوها كثيرة كلها حكمة وصواب وما بلغوا فى وجوه اعجازه جزأ واحدا من عشر معاشره فقال قوم هو الايجاز مع البلاغة وقال اخرون هو البيان والفصاحة وقال اخرون هو الوصف والنظم وقال اخرون هو كونه خارجا عن جنس كلام العرب من النظم والنثر والخطب والشعر مع كون حروفه فى كلامهم ومعانيه فى خطابهم وألفاظه من جنس كلماتهم وهو بذاته قبيل غير قبيل كلامهم وجنس اخر متميز عن أجناس خطابهم حتى أن من اقتصر على معانيه وغير حروفه أذهب رونقه ومن اقتصر على حروفه وغير معانيه أبطل فائدته فكان فى ذلك أبلغ دلالة على اعجازه وقال اخرون هو كون قارئه لا يكل وسامعه لا يمل وإن تكررت عليه ثلاثة وقال أخرون هو ما فيه من الاخبار عن الامور الماضية وقال اخرون هو ما فيه من علم الغيب والحكم على الامور بالقطع وقال اخرون هو كونه جامعا لعلوم يطول شرحها ويشق حصرها اه وقال الزركشى فى البرهان أهل التحقيق على أن الاعجاز وقع بجميع ما سبق من الاقوال إلا بكل واحد على انفراد فانه جمع ذلك كله فلا معنى لنسبته إلى واحد منها بمفرده مع اشتماله على الجميع بل وغير ذلك مما لم يسبق فمنها الروعة التى له فى قلوب السامعين واسماعهم سواء المقر والجاحد ومنها أنه لم يزل ولا يزال غضا طريا فى اسماع السامعين وفى ألسنة القارئين ومنها جمعه بين صفتى الجزالة والعذوبة وهما كالمتضادين لا يجتمعان غالبا فى كلام البشر ومنها جعله اخر الكتب غنيا عن غيره وجعل غيره من الكتب المتقدمة قد تحتاج إلى بيان يرجع فيه اليه كما قال تعالى (ان هذا القران يقص على بنى اسرائيل أكثر الذى هم فيه يختلفون) وقال الرمانى وجوه اعجاز القران تظهر من جهات ترك المعارضة مع توفر الدواعى وشدة الحاجة والتحدى للكافة والصرفة والبلاغة والاخبار عن الامور المستقبلة ونقض العادة وقياسه بكل معجزة قال ونقض العادة هو أن العادة كانت جارية بضروب من أنواع الكلام معروفة منها الشعر ومنها السجع ومنها الخطب ومنها الرسائل ومنها المنثور الذى يدور بين الناس فى الحديث فأتى القران بطريقة مفردة خارجة عن العادة لها منزلة فى الحسن تفوق به كل طريقة ويفوق الموزون الذى هو أحسن الكلام قال وأما قياسه بكل معجزة فانه يظهر اعجازه من هذه الجهة إذ كان سبيل فلق البحر وقلب العصا حية وما جرى هذا المجرى فى ذلك سبيلا واحدا فى الاعجاز إذ خرج عن العادة فصد الخلق عن المعارضة وقال القاضى عياض فى الشفا اعلم ان القرآن منطو على وجوه من الاعجاز كثيرة وتحصيلها من جهة ضبط أنواعها فى أربعة وجوه أولها حسن تأليفه والتئام كلمه وفصاحته ووجوه إيجازه وبلاغته الخارقة عادة العرب الذين هم فرسان الكلام وأرباب هذا الشأن (والثانى) صورة نظمه العجيب والاسلوب الغريب المخالف لاساليب كلام العرب ومنها نظمها ونثرها الذى جاء عليه ووقفت عليه مقاطع اياته وانتهت اليه فواصل كلماته ولم يوجد قبله ولا بعده نظير له قال وكل واحد من هذين النوعين الايجاز والبلاغة بذاتها والاسلوب الغريب بذاته نوع اعجاز على التحقيق لم تقدر العرب على الاتيان بواحد منهما إذ كل واحد خارج عن قدرتها مباين لفصاحته وكلامها خلافا لمن زعم أن الاعجاز فى مجموع البلاغة والاسلوب (الوجه الثالث) ما انطوى عليه من الاخبار المغيبات وما لم يكن فوجد كما ورد (الرابع) ما أنبأ به من أخبار القرون السالفة والامم البائدة والشرائع الداثرة مما كان لا يعلم منه القصة الواحدة الا الفذ من أخبار أهل الكتاب الذى قطع عمره فى تعلم ذلك فيورده ﷺ على وجهه ويأتى به على نصه وهو امى لا يقرأ ولا يكتب قال فهذه الوجوه الاربعة من اعجازه بينة لا نزاع فيها ومن الوجوه فى اعجازه غير ذلك اى وردت بتعجيز قوم فى قضايا واعلامهم انهم لا يفعلون فما فعلوا ولا قدروا على ذلك كقوله لليهود (فتمنوا الموت إن كنتم صادقين ولن يتمنوه أبدا) فما تمناه أحد منهم وهذا

على ماقاله فى المدح هذه القصيدة قال لمحمد بن على الشرف الذى لا يلحظ الجوزاء الامن عل وسحابة لولا تتابع مزنها فينا الراح المزن غير مبخل والجود يعدله عليه حاتم البيت الاول منقطع عما سرفا ولا وجولمن لم يعذل قبله على ما وصفنا به شعره من قطعة المعانى وفصله بينها وقلة تأتيه لتجويد الخروج والوصل وذلك نقصان فى الصناعة وتخلف فى البراعة وهذا إذا وقع فى مواضع قليلة عذر فيها وأما إذا كان بناء الطالب من كلامه على هذا فلا عذر له وأما المعنى الذى ذكره فليس بشىء ما سبق اليه وهو شىء مشترك فيه وقد قالوا فى نحوه وأن يجده سماء السماء وقالوا فى نحوه الكثير الذى يصعب نقل جميعه وكما قال المتنبى وعزمة بعثتها همة زحل من تحتها بمكان الترب من زحل

وحدثنى اسمعيل بن عباد أنه رأى أبا الفضل

الوجه داخل في الوجه الثالث ومنها الروعة التي تلحق قلوب سامعيه عند سماعهم والهيبة التي تعتريهم عند تلاوته وقد أسلم جماعة عند سماع آيات منه كما وقع لجبير بن مطعم انه سمع النبي ﷺ يقرأ في المغرب بالطور قال فلما بلغ هذه الآية (أم خلقوا من غير شيء أم هم الخالقون إلى قوله المسيطرون) كاد قلبي أن يطير قال وذلك أول ما وقر الاسلام في قلبي وقد مات جماعة عند سماع آيات منه أفردوا بالتصنيف ثم قال ومن وجوه اعجازه كونه آية باقية لا يعدم ما بقيت الدنيا مع ما تكفل الله بحفظه ومنها ان قارئه لا يمله وسامعه لا يمجه بل الاكباب على تلاوته يزيده حلاوة وترديده يوجب له محبة وغيره من الكلام يعادى إذا أعيد ويمل مع الترديد ولهذا وصف ﷺ القران بأنه لا يخلق على كثرة الرد ومنها جمعه لعلوم ومعارف لم يجمعها كتاب من الكتب ولا أحاط بعلمها احد في كلمات قليلة وأحرف معدودة قال وهذا الوجه داخل في بلاغته فلا يجب أن يعد فنا مفردا في اعجازه قال والأوجه التي قبله تعد في خواصه وفضائله لا اعجازه وحقيقة الاعجاز الوجوه الأربعة الأول فليعتمد عليها

(تنبيهات) الأول اختلف في قدر المعجز من القران فذهب بعض المعتزلة إلى أنه متعلق بجميع القران والآيتان السابقتان ترده وقال القاضي يتعلق الاعجاز بسورة طويلة كانت أو قصيرة تشبثا بظاهر قوله بسورة وقال في موضع اخر يتعلق بسورة أو قدرها من الكلام بحيث يتبين فيه تفاضل قوى البلاغة قال فاذا كانت اية بقدر حروف سورة وان كان كسورة الكوثر فذلك معجز قال ولم يقم دليل على عجزهم عن المعارضة في أقل من هذا القدر وقال قوم لا يحصل الاعجاز باية بل يشترط الآيات الكثيرة وقال اخرون يتعلق بقليل القرآن وكثيره لقوله فليأتوا بحديث مثله ان كانوا صادقين قال القاضي ولا دلالة في الآية لأن الحديث التام لا تتحصل حكايته في أقل من كلمات سورة قصيرة (الثاني) اختلف في أنه هل يعلم اعجاز القرآن ضرورة قال القاضي فذهب أبو الحسن الأشعري إلى أن ظهور ذلك على النبي ﷺ يعلم ضرورة وكونه معجزا يعلم بالاستدلال قال والذي نقوله ان الاعجمي لا يمكنه ان يعلم اعجازه الا استدلالا وكذلك من ليس ببليغ فاما البليغ الذي قد أحاط بمذاهب العرب وغرائب الصنعة فانه يعلم من نفسه ضرورة عجزه وعجز غيره عن الاتيان بمثله (الثالث) اختلف في تفاوت القران في مراتب الفصاحة بعد اتفاقهم على أنه في أعلى مراتب البلاغة بحيث لا يوجد في التراكيب ما هو أشد تناسبا ولا اعتدالا في افادة ذلك المعنى منه فاختار القاضي المنع وان كل كلمة فيه موصوفة بالذروة العليا وان كان بعض الناس أحسن احساسا من بعض واختار أبو نصر القشيري وغيره التفاوت فقال لا ندعي ان كل ما في القران على أرفع الدرجات في الفصاحة وكذا قال غيره في القران الافصح والفصيح وإلى هذا نحا الشيخ عز الدين بن عبد السلام ثم أورد سؤالا وهو أنه لم لم يأت القران جميعه بالافصح (وأجاب) عنه الصدر موهوب الجزري بما حاصله انه لو جاء القران على ذلك لكان على غير النمط المعتاد في كلام العرب من الجمع بين الافصح والفصيح فلا تتم الحجة في الاعجاز فجاء على نمط كلامهم المعتاد ليتم ظهور العجز عن معارضته ولا يقولوا مثلا اتيت بما لا قدرة لنا على جنسه كما لا يصح من البصير ان يقول للاعمى قد غلبتك بنظري لانه يقول له إنما تتم لك الغلبة لو كنت قادرا على النظر وكان نظرك أقوى من نظري وأما إذا فقد أصل النظر فكيف تصح مني المعارضة (الرابع) قيل الحكمة في تنزيه القران عن الشعر الموزون مع أن الموزون من الكلام رتبته فوق رتبة غيره ان القران منبع الحق ومجمع الصدق وقصارى أمر الشاعر التخييل بتصور الباطل في صورة الحق والافراط في الاطراء والمبالغة في الذم والايذاء دون اظهار الحق وإثبات الصدق ولهذا نزه الله نبيه عنه ولاجل شهرة الشعراء بالكذب سمى أصحاب البرهان القياسات المؤدية في أكثر الأمر إلى البطلان والكذب

ابن العميد قام لرجل ثم قال لمن حضره أتدرى من هذا هو الذى قال فى أبيه البحترى (لمحمد بن القاسم الشرف الذى) فذلك يدل على استعظامه البيت بما مدح به من البيت والبيت الثانى فى تشبيه جوده بالسحاب قريب وهو حديث مكرر ليس ينفك مديح شاعر منه وكان من سبيله أن يبدع فيه زيادة ابداع كما قد يقع لهم فى نحو هذا ولكنه لم يتصنع له وأرسله ارسالا وقد وقع فى المصراع الثانى ضرب من الخيل وذلك أن المزن إنما يبخل إذا منع نيله فذلك موجود فى كل نيل ممنوع وكلاهما محمود مع الاسعاف فان أسعف احدهما ومنع الآخر لم يمكن التشبيه وان كان إنما شبه غالب أحدهما بالآخر وذكر قصور أحدهما عن صاحبه حتى أنه قد يبخل فى وقت والآخر لا يبخل بحال فهذا جيد وليس فى حمل الالفاظ على

شعرية وقال بعض الحكماء لم ير متدين صادق اللهجة مفلقا فى شعره وأما ما وجد فى القرآن مما صورته صورة الموزون فالجواب عنه ان ذلك لا يسمى شعراً لأن شرط الشعر القصد ولو كان شعراً لكان كل من اتفق له فى كلامه شيء موزون شاعراً فكان الناس كلهم شعراء لأنه قل أن يخلو كلام احد عن ذلك وقد ورد ذلك على الفصحاء فلو اعتقدوه شعراً لبادروا إلى معارضته والطعن عليه لانهم كانوا أحرص شيء على ذلك وانما يقع ذلك لبلوغ الكلام الغاية القصوى فى الانسجام وقيل البيت الواحد وما كان على وزنه لا يسمى شعراً واقل الشعر بيتان فصاعدا وقيل الرجز لا يسمى شعراً أصلا وقيل أقل ما يكون من الرجز شعراً أربعة ابيات وليس ذلك فى القرآن بحال (الخامس) قال بعضهم التحدي وانما وقع للانس دون الجن لانهم ليسوا من أهل اللسان العربي الذى جاء القرآن على اساليبه وانما ذكروا فى قوله قل لئن اجتمعت الانس والجن تعظيما لاعجازه لان للهيئة الاجتماعية من القوة ما ليس للافراد فاذا فرض اجتماع الثقلين فيه وظاهر بعضهم بعضا وعجزوا عن المعارضة كان الفريق الواحد أعجز وقال غيره بل وقع للجن أيضا والملائكة منويون فى الآية لانهم لا يقدرون أيضا على الاتيان بمثل القرآن وقال الكرمانى فى غرائب التفسير انما اقتصر فى الآية على ذكر الانس والجن لانه ﷺ كان مبعوثا إلى الثقلين دون الملائكة (السادس) سئل الغزالى عن معنى قوله تعالى (ولو كان من عند غير الله لوجدوا فيه اختلافا كثيرا) (فاجاب) الاختلاف لفظ مشترك بين معان وليس المراد نفى اختلاف الناس فيه بل نفى الاختلاف عن ذات القرآن يقال هذا كلام مختلف أى لا يشبه أوله آخره فى الفصاحة أو هو مختلف الدعوى أى بعضه يدعو الى الدين وبعضه يدعو الى الدنيا وهو مختلف النظم فبعضه على وزن الشعر وبعضه منزحف وبعضه على أسلوب مخصوص فى الجزالة وبعضه على أسلوب يخالفه وكلام الله منزه عن هذه الاختلافات فانه على منهاج واحد فى النظم مناسب أوله اخره وعلى درجة واحدة فى غاية الفصاحة فليس يشتمل على الغث والسمين ومسوق لمعنى واحد وهو دعوة الخلق إلى الله تعالى وصرفهم عن الدنيا وكلام الآدميين تتطرق اليه هذه الاختلافات إذ كلام الشعراء والمترسلين إذا قيس عليه وجد فيه اختلاف فى منهاج النظم ثم اختلاف فى درجات الفصاحة بل فى أصل الفصاحة حتى يشتمل على الغث والسمين ولا يتساوى رسالتان ولا قصيدتان بل تشتمل قصيدة على أبيات فصيحة وأبيات سخيفة وكذلك تشتمل القصائد والاشعار على أغراض مختلفة لأن الشعراء والفصحاء فى كل واد يهيمون فتارة يمدحون الدنيا وتارة يذمونها وتارة يمدحون الجبن ويسمونه حزما وتارة يذمونه ويسمونه ضعفا وتارة يمدحون الشجاعة ويسمونها صرامة وتارة يذمونها ويسمونها تهورا ولا ينفك كلام آدمى عن هذه الاختلافات لأن منشأها اختلاف الأغراض والأحوال والإنسان تختلف أحواله فتساعده الفصاحة عند انبساط الطبع وفرحه وتتعذر عليه عند الانقباض وكذلك تختلف أغراضه فيميل إلى الشيء مرة ويميل عنه أخرى فيوجب ذلك اختلافا فى كلامه بالضرورة فلا يصادف انسان يتكلم فى ثلاث وعشرين سنة وهى مدة نزول القرآن فيتكلم على غرض واحد ومنهاج واحد لقد كان النبى ﷺ بشرا تختلف أحواله فلو كان هذا كلامه أو كلام غيره من البشر لوجدوا فيه اختلافا كثيرا (السابع) قال القاضى فان قيل هل تقولون ان غير القرآن من كلام الله معجز كالتوراة والانجيل قلنا ليس شيء من ذلك بمعجز فى النظم والتأليف وان كان معجزا كالقرآن فيما يتضمن من الاخبار بالغيوب وانما لم يكن معجزا لأن الله تعالى لم يصفه بما وصف به القرآن ولانا قد علمنا انه لم يقع التحدى اليه كما وقع فى القرآن ولأن ذلك اللسان لا يأتى به فيه من وجوه الفصاحة ما يقع به التفاضل الذى ينتهى إلى حد الاعجاز وقد ذكر ابن جنى فى الخاطريات فى قوله قالوا

الاشارة إلى هذا شيء والبيت الثالث وان كان معناه مكررا فلفظه مضطرب بالتأخير والتقديم يشبه ألفاظ المبتدئين وأما قوله فضل وإفضال وما أخذ المدى
بعد المدى كالفاضل المتفضل
سار إذا أدلج العفاة إلى الندى
لا يصنع المعروف غير معجل
فالبيت الأول منقطع عما قبله وليس فيه شيء غير التجنيس الذى ليس ببديع لتكرره على كل لسان وقوله ما أخذ المدى فانه لفظ مليح وهو كقول القائل
تدارك الآلة بعد الآلة
وروى الحالة بعد الحالة
وكقول امرىء القيس
(سمو حباب الماء حالا على حال)
ولكنها طريقة مذللة فهو فيها تابع وأما البيت الثانى فقريب فى اللفظ والمعنى وقوله لا يصنع المعروف ليس بلفظ

(ياموسى اما ان تلقي واما أن تكون أول من ألقى) ان العدول عن قوله وإما أن تلقي لغرضين أحدهما لفظي وهو المزاوجة لرؤس الآي والآخر معنوي وهو أنه تعالى أراد أن يخبر عن قوة أنفس السحرة واستطالتهم على موسى فجاء عنهم باللفظ أتم وأوفى منه في اسنادهم الفعل اليه ثم أورد سؤالا وهو انا لا نعلم ان السحرة لم يكونوا أهل لسان فيذهب بهم هذا المذهب من صنعة الكلام (وأجاب) بأن جميع ما ورد في القرآن حكاية عن غير أهل اللسان من القرون الخالية انما هو معرب عن معانيهم وليس بحقيقة ألفاظهم ولهذا لا يشك في أن قوله تعالى (قالوا ان هذان لساحران يريدان أن يخرجاكم من أرضكم بسحرهما ويذهبا بطريقتكم المثلى) ان هذه الفصاحة لم تجر عن لغة العجم (الثامن) قال البارزي في أول كتابه أنوار التحصيل في أسرار التنزيل اعلم أن المعنى الواحد قد يخبر عنه بألفاظ بعضها أحسن من بعض وكذلك كل واحد من جزأي الجملة قد يعبر عنه بأفصح ما يلائم الجزء الآخر ولا بد من استحضار معاني الجمل أو استحضار جميع ما يلائمها من الالفاظ ثم استعمال أنسبها وأفصحها واستحضار هذا متعذر على البشر في أكثر الاحوال وذلك عتيد حاصل في علم الله فلذلك كان القرآن أحسن الحديث وأفصحه وان كان مشتملا على الفصيح والافصح والمليح والأملح ولذلك أمثلة منها قوله تعالى (وجنى الجنتين دان) لو قال مكانه وثمر الجنتين قريب لم يقم مقامه من جهة الجناس بين الجنى والجنتين ومن جهة ان الثمر لا يشعر بمصيره الى حال يجنى فيها ومن جهة مؤاخاة الفواصل ومنها قوله تعالى (وما كنت تتلو من قبله من كتاب) أحسن من التعبير بتقرأ لثقله بالهمزة ومنها لا ريب فيه احسن من لا شك فيه لثقل الادغام ولهذا كثر ذكر الريب ومنها ولا تهنوا احسن من ولا تضعفوا لخفته وهن العظم مني احسن من ضعف لان الفتحة اخف من الضمة ومنها آمن اخف من صدق ولذا كان ذكره اكثر من ذكر التصديق وآثرك الله اخف من فضلك وآتى اخف من اعطى وانذر اخف من خوف وخير لكم اخف من افضل لكم والمصدر في نحو هذا خلق الله يؤمنون بالغيب اخف من مخلوق والغائب ونكح اخف من تزوج لأن فعل اخف من تفعل ولهذا كان ذكر النكاح فيه أكثر ولاجل التخفيف والاختصار استعمل لفظ الرحمة والغضب والرضا والحب والمقت في أوصاف الله تعالى مع أنه لا يوصف بها حقيقة لأنه لو عبر عن ذلك بالفاظ الحقيقة لطال الكلام كان يقال يعامله معاملة المحب والماقت فالمجاز في مثل هذا أفضل من الحقيقة لخفته واختصاره وابتنائه على التشبيه البليغ فان قوله (فلما آسفونا انتقمنا منهم) احسن من فلما عاملونا معاملة الغضب أو فلما اتوا الينا بما يأتيه المغضب اه (التاسع) قال الروماني فان قال قائل فلعل السور القصار يمكن فيها المعارضة قيل لا يجوز فيها ذلك من قبل ان متحدي قد وقع بها نظر العجز عنها في قوله فأتوا بسورة فلم يخص بذلك الطوال دون القصار فان قال فانه يمكن في القصار أن تغير الفواصل فيجعل بدل كل كلمة ما يقوم مقامها فهل يكون ذلك معارضة قيل له لا من قبل ان المفحم يمكنه أن ينشيء بيتا واحدا ولا يفصل بطبعه بين مكسور وموزون فلو ان مفحما رام ان يجعل بدل قوافي قصيدة رؤبة

وقاتم الاعماق خاوي المخترق * مشتبه الاعلام لماع الخفق

* بكل رف الريح من حيث اتخرق *

فجعل بدل المخترق الممزق وبدل الخفق الشفق وبدل انخرق انطلق لامكنه ذلك ولم يثبت له به قول الشعر ولا معارضة رؤبة في هذه القصيدة عند احد له ادنى معرفة فكذلك سبيل من غير الفواصل

(النوع الخامس والستون) في العلوم المستنبطة من القرآن قال تعالى (ما فرطنا في الكتاب من شيء وقال ونزلنا عليك الكتاب تبيانا لكل شيء) وقال ﷺ ستكون فتن قيل وما المخرج

محموم وأما قوله
عال على نظر الحسود كأنما
جذبته أفراد النجوم بأحبل
أو ما رأيت المجد ألقى رحله
في آل طاحة ثم لم يتحول
فالبيت الأول منكر جدا في جر النجوم بالارسان موضعه إلى العلو والتكلف فيه واقع والبيت الثاني أجنبي عنه بعيد منه وافتتاحه رديء وما وجه الاستفهام والتقرير والاستبانة والتوقيف والبيتان أجنبيان من كلامه غريبان من قصيدته ولم يقع له في المدح في هذه القصيدة شيء جيد ألا ترى أنه قال بعد ذلك
نفسي فداؤك يا محمد من فتى
يوفى على ظلم الخطوب فتنجلي
إني أريد أبا سعيد والعدى
بيني وبين سحابه المتهلل
كان هذا ليس من طبعه ولا من سبكه وقوله
مضر الجزيرة كلها وربيعة

منها قال كتاب الله فيه نبأ ما قبلكم وخبر ما بعدكم وحكم ما بينكم أخرجه الترمذى وغيره وأخرج سعيد ابن منصور عن ابن مسعود قال من أراد العلم فعليه بالقرآن فان فيه خبر الاولين والآخرين وقال البيهقى يعنى اصول العلم واخرج البيهقى عن الحسن قال أنزل الله مائة واربعة كتب اودع علومها اربعة منها التوراة والانجيل والزبور والفرقان ثم اودع علوم الثلاثة الفرقان وقال الامام الشافعى رضى الله عنه جميع ما تقوله الامة شرح للسنة وجميع السنة شرح للقرآن وقال أيضا جميع ما حكم به النبى ﷺ فهو مما فهمه من القرآن قلت ويؤيد هذا قوله ﷺ إنى لا أحل إلا ما أحل الله ولا احرم إلا ما حرم الله فى كتابه أخرجه بهذا اللفظ الشافعى فى الام وقال سعيد بن جبير ما بلغنى حديث عن رسول الله ﷺ على وجهه إلا وجدت مصداقه فى كتاب الله وقال ابن مسعود إذا حدثتكم بحديث أنبأتكم بتصديقه من كتاب الله تعالى اخرجهما ابن أبى حاتم وقال الشافعى أيضا ليست تنزل بأحد فى الدين نازلة الا فى كتاب الله الدليل على سبيل الهدى فيها فان قيل من الاحكام ما يثبت ابتداء بالسنة قلنا ذلك مأخوذ من كتاب الله فى الحقيقة لأن كتاب الله اوجب علينا اتباع الرسول ﷺ وفرض علينا الاخذ بقوله وقال الشافعى مرة بمكة سلونى عما شئتم أخبركم عنه فى كتاب الله فقيل له ما تقول فى المحرم يقتل الزنبور فقال بسم الله الرحمن الرحيم (ما آتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا) (وحدثنا) سفيان بن عيينة عن عبد الملك بن عمير عن ربعى بن خراش عن حذيفة بن اليمان عن النبى ﷺ أنه قال اقتدوا بالذين من بعدى أبى بكر وعمر وحدثنا سفيان عن مسعر بن كدام عن قيس بن مسلم عن طارق بن شهاب عن عمر بن الخطاب أنه أمر بقتل المحرم الزنبور وأخرج البخارى عن ابن مسعود أنه قال لعن الله الواشمات والمتوشمات والمتنمصات والمتفلجات للحسن المغيرات خلق الله تعالى فبلغ ذلك امرأة من بنى أسد فقالت له إنه بلغنى انك لعنت كيت وكيت فقال ومالى لا ألعن من لعن رسول الله ﷺ وهو فى كتاب الله فقالت لقد قرأت ما بين اللوحين فما وجدت فيه كما تقول قال لئن كنت قرأتيه لقد وجدته أما قرأت (وما آتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا) قالت بلى قال فانه قد نهى عنه وحكى ابن سراقة فى كتاب الاعجاز عن أبى بكر بن مجاهد أنه قال يوما ما من شىء فى العالم إلا وهو فى كتاب الله فقيل له فأين ذكر الخيانات فيه فقال فى قوله (ليس عليكم جناح أن تدخلوا بيوتا غير مسكونة فيها متاع لكم) فهى الخيانات قال ابن برهان ما قال النبى ﷺ ما من شىء فهو فى القرآن أو فيه أصله قرب أو بعد فهمه من فهمه وعمه عنه من عمه وكذا كل ما حكم به أو قضى به وانما يدرك الطالب من ذلك بقدر اجتهاده وبذل وسعه ومقدار فهمه وقال غيره ما من شىء إلا يمكن استخراجه من القرآن لمن فهمه الله حتى ان بعضهم استنبط عمر النبى ﷺ ثلاثا وستين سنة من قوله فى سورة المنافقين (ولن يؤخر الله نفسا إذا جاء أجلها) فانها رأس ثلاث وستين سورة وعقبها بالتغابن ليظهر التغابن فى فقده وقال ابن أبى الفضل المرسى فى تفسيره جمع القرآن علوم الاولين والآخرين بحيث لم يحط بها علما حقيقة إلا المتكلم بها ثم رسول الله ﷺ خلا ما استأثر به سبحانه وتعالى ثم ورث عنه معظم ذلك سادات الصحابة وأعلامهم مثل الخلفاء الاربعة وابن مسعود وابن عباس حتى قال لو ضاع لى عقال بعير لوجدته فى كتاب الله تعالى ثم ورث عنهم التابعون باحسان ثم تقاصرت الهمم وفترت العزائم وتضاءل أهل العلم وضعفوا عن حمل ما حمله الصحابة والتابعون من علومه وسائر فنونه فنوعوا علومه وقامت كل طائفة بفن من فنونه فاعتنى قوم بضبط لغاته وتحرير كلماته ومعرفة مخارج حروفه وعددها وعدد كلماته وآياته وسوره واحزابه وأنصافه وأرباعه وعدد سجداته والتعليم عند كل عشر آيات إلى غير ذلك

الخابور توعدنى وأزد الموصل
قد جدت بالطرف الجواد فثنه
لأخيك من ادد أبيك بمنصل

البيت الأول حسن المعنى وان كانت ألفاظه بذكر الاماكن لا يتأتى فيه التحسين وهذا المعنى قد يمكن ايراده بأحسن من هذا اللفظ وأبدع منه وأرق منه كقوله

إذا غضبت عليك بنو تميم
رأيت الناس كلهم غضابا

والبيت الثانى قد تعذر عليه وصله بما سبق من الكلام على وجه يلطف وهو قبيح اللفظ حيث يقول فيه فثنه لأخيك من أدد أبيك ومن آخذه بهذا التعرض لهذا السجع وذكر هذا النسب حتى أفسد به شعره وأما قوله بعد ذلك فى وصف السيف يقول

يتناول الروح البعيد مناله
عفوا ويفتح فى القضاء المقفل

من حصر الكلمات المتشابهة والآيات المتماثلة من غير تعرض لمعانيه ولا تدبر لما أودع فيه فسموا القراء واعتنى النحاة بالمعرب منه والمبنى من الاسماء والأفعال والحروف العاملة وغيرها وأوسعوا الكلام فى الأسماء وتوابعها وضروب الافعال واللازم والمتعدى ورسوم خط الكلمات وجميع مايتعلق به حتى أن بعضهم أعرب مشكله وبعضهم أعربه كلمة كلمة واعتنى المفسرون بألفاظه فوجدوا منه لفظا يدل على معنى واحد ولفظا يدل على معنيين ولفظا يدل على اكثر فاجروا الأول على حكمه وأوضحوا معنى الخفى منه وخاضوا ترجيح أحد محتملات ذى المعنيين والمعانى واعمل كل منهم فكره وقال بما اقتضاه نظره واعتنى الاصوليون بما فيه من الأدلة العقلية والشواهد الأصلية والنظرية مثل قوله تعالى (لو كان فيهما آلهة الا الله لفسدتا) الى غير ذلك من الآيات الكثيرة فاستنبطوا منه أدلة على وحدانية الله ووجوده وبقائه وقدمه وقدرته وعلمه وتنزيهه عما لا يليق به وسموا هذا العلم باصول الدين وتأملت طائفة منهم معانى خطابه فرأت منها ما يقتضى العموم ومنها ما يقتضى الخصوص إلى غير ذلك فاستنبطوا منه أحكام اللغة من الحقيقة والمجاز وتكلموا فى التخصيص والاخبار والنص والظاهر والمجمل والمحكم والمتشابه والأمر والنهى والفسخ الى غير ذلك من انواع الاقيسة واستصحاب الحال والاستقراء وسموا هذا الفن أصول الفقه وأحكمت طائفة صحيح النظر وصادق الفكر فيما فيه من الحلال والحرام وسائر الاحكام فأسسوا أصوله وفرعوا فروعه وبسطوا القول فى ذلك بسطا حسنا وسموه بعلم الفروع وبالفقه أيضا وتلمحت طائفة ما فيه من قصص القرون السالفة والامم الخالية ونقلوا أخبارهم ودونوا آثارهم ووقائعهم حتى ذكروا بدء الدنيا وأول الاشياء وسموا ذلك بالتاريخ والقصص وتنبه آخرون لما فيه من الحكم والامثال والمواعظ التى تقلقل قلوب الرجال وتكاد تدكدك الجبال فاستنبطوا ما فيه من الوعد والوعيد والتحذير والتبشير وذكر الموت والمعاد والنشر والحشر والحساب والعقاب والجنة والنار فصولا من المواعظ وأصولا من الزواجر فسموا بذلك الخطباء والوعاظ واستنبط قوم مما فيه من أصول التعبير مثل ما ورد فى قصة يوسف فى البقرات السمان وفى منامى صاحبى السجن وفى رؤياه الشمس والقمر والنجوم ساجدة وسموه تعبير الرؤيا واستنبطوا تفسير كل رؤيا من الكتاب فان عز عليهم اخراجها منه فمن السنة التى هى شارحة للكتاب فان عسر فمن الحكم والأمثال ثم نظروا إلى اصطلاح العوام فى مخاطباتهم وعرف عاداتهم الذى أشار القرآن بقوله وأمر بالعرف وأخذ قوم مما فى آية المواريث من ذكر السهام وأربابها وغير ذلك علم الفرائض واستنبطوا منها من ذكر النصف والثلث والربع والسدس والثمن حساب الفرائض ومسائل العول واستخرجوا منه أحكام الوصايا ونظر قوم إلى ما فيه من الآيات الدالات على الحكم الباهرة فى الليل والنهار والشمس والقمر ومنازله والنجوم والبروج وغير ذلك فاستخرجوا منه علم المواقيت ونظر الكتاب والشعراء إلى ما فيه من جزالة اللفظ وبديع النظم وحسن السياق والمبادى والمقاطع والمخالص والتلوين فى الخطاب والاطناب والايجاز وغير ذلك واستنبطوا منه المعانى والبيان والبديع ونظر فيه أرباب الاشارات واصحاب الحقيقة فلاح لهم من ألفاظه معان ودقائق جعلوا لها أعلاما اصطلحوا عليها مثل الفناء والبقاء والحضور والخوف والهيبة والانس والوحشة والقبض والبسط وما أشبه ذلك هذه الفنون التى أخذتها الملة الاسلامية منه وقد احتوى على علوم أخرى من علوم الاوائل مثل الطب والجدل والهيئة والهندسة والجبر والمقابلة والنجامة وغير ذلك أما الطب فمداره على حفظ نظام الصحة واستحكام القوة وذلك انما يكون باعتدال المزاج بتفاعل الكيفيات المتضادة وقد جمع ذلك فى آية واحدة وهى قوله تعالى (وكان بين ذلك قواما)

بابانة فى كل حتف مظلم
وهداية فى كل نفس مجهل
ماض وان لم يمضه يد فارس
بطل ومصقول وان لم يصقل

ليس لفظ البيت الاول بمضاه لديباجة شعره ولا له بهجة نظمه الظهور أثر التكلف عليه وتبين ثقل فيه وأما القضاء المقفل وفتحه فكلام غير محمود ولا مرضى واستعارة لو لم يستعرها كانت أولى به وهلا عيب عليه كما عيب على أبى تمام قوله

فضربت الشتاء فى أخدعيه
ضربة غادرته عودا ركوبا

وقالوا يستحق بهذه الاستعارة أن يصفع فى أخدعيه وقد اتبعه البحترى فى استعارة الاخدع ولوعا باتباعه فقال فى الفتح

وانى وقد بلغتنى الشرف العلا
واعتقت من ذل المطامع اخدعى

ان شيطانه حيث زين له هذه الكلمة تابعه حين

وعرفيا فيه بما يفيد نظام الصحة بعد اختلاله وحدوث الشفاء للبدن بعد اعتلاله فى قوله تعالى (شراب مختلف ألوانه فيه شفاء للناس) ثم زاد على طب الاجسام بطب القلوب وشفاء الصدور وأما الهيئة ففى تضاعيف سورة من الآيات التى ذكر فيها ملكوت السموات والأرض وما بث فى العالم العلوى والسفلى من المخلوقات وأما الهندسة ففى قوله انطلقوا إلى ظل ذى ثلاث شعب الآية وأما الجدل فقد حوت آياته من البراهين والمقدمات والنتائج والقول بالموجب والمعارضة وغير ذلك شيئا كثيرا ومناظرة ابراهيم نمرود ومحاجته قومه أصل فى ذلك عظيم وأما الجبر والمقابلة فقد قيل ان أوائل السور فيها ذكر مدد وأعوام وأيام لتواريخ أمم سالفة وأن فيها تاريخ بقاء هذه الأمة وتاريخ مدة أيام الدنيا وما مضى وما بقى مضروب بعضها فى بعض وأما النجامة ففى قوله أو اثارة من علم فقد فسره بذلك ابن عباس وفيه أصول الصنائع وأسماء الآلات التى تدعو الضرورة اليها كالخياطة فى قوله وطفقا يخصفان والحدادة آتونى زبر الحديد وألنا له الحديد الآية والبناء فى آيات والنجارة واصنع الفلك باعيننا والغزل نقضت غزلها والنسج كمثل العنكبوت اتخذت بيتا والفلاحة أفرأيتم ما تحرثون الآيات والصيد فى آيات والغوص كل بناء وغواص وتستخرج منه حلية والصياغة واتخذ قوم موسى من بعده من حليهم عجلا جسدا والزجاجة صرح ممرد من قوارير المصباح فى زجاجة والفخارة فأوقد لى ياهامان على الطين والملاحة أما السفينة الآية والكتابة علم بالقلم والخبز أحمل فوق رأسى خبزا والطبخ بعجل حنيذ والغسل والقصارة وثيابك فطهر قال الحواريون وهم القصارون والجزارة إلا ما ذكيتم والبيع والشراء فى آيات والصبغ صبغة الله جدد بيض وحمر والحجارة وتنحتون من الجبال بيوتا والكيالة والوزن فى آيات والرمى ومارميت اذ رميت وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة وفيه من أسماء الآلات وضروب المأكولات والمشروبات والمنكوحات وجميع ما وقع ويقع فى الكائنات ما يحقق معنى قوله ما فرطنا فى الكتاب من شىء اه كلام المرسى ملخصا وقال ابن سراقة من بعض وجوه اعجاز القرآن ما ذكر الله فيه من أعداد الحساب والجمع والقسمة والضرب له الموافقة والتأليف والمناسبة والتنصيف والمضاعفة ليعلم بذلك أهل العلم بالحساب أنه صلى الله عليه وسلم صادق فى قوله وأن القرآن ليس من عنده اذ لم يكن ممن خالط الفلاسفه ولا تلقى الحساب وأهل الهندسة وقال الراغب إن الله تعالى كما جعل نبوة النبيين بنبينا محمد صلى الله عليه وسلم مختتمة وشرائعهم بشريعته من وجه منتسخة ومن وجه مكملة متممة جعل كتابه المنزل عليه متضمنا لثمرة كتبه التى أولاها أولئك كما نبه عليه بقوله يتلو صحفا مطهرة فيها كتب قيمة وجعل من معجزة الكتاب أنه مع قلة الحجم متضمن للمعنى الجليل بحيث تقصر الالباب البشرية عن احصائه والآلات الدنيوية عن استيفائه كما نبه عليه بقوله (ولو أن ما فى الأرض من شجرة أقلام والبحر يمده من بعده سبعة ابحر ما نفدت كلمات الله) فهو وان كان لا يخلو للناظر فيه من نور ما يريه ونفع ما يوليه

كالبدر من حيث التفت رأيته ... يهدى إلى عينيك نورا ثاقبا
كالشمس فى كبد السماء وضوءها ... يغشى البلاد مشارقا ومغاربا

وأخرج أبو نعيم وغيره عن عبد الرحمن بن زياد بن أنعم قال قيل لموسى عليه السلام ياموسى انما مثل كتاب أحمد فى الكتب بمنزلة وعاء فيه لبن كلما مخضته أخرجت زبدته وقال القاضى أبو بكر ابن العربى فى قانون التأويل علوم القرآن خمسون علما وأربعمائة علم وسبعة آلاف علم وسبعون الف علم على عدد كلم القرآن مضروبة فى أربعة اذ لكل كلمة ظهر وبطن وحد ومطلع وهذا مطلق دون اعتبار تركيب وما بينها من روابط وهذا ما لا يحصى ولا يعلمه إلا الله قال وأم علوم القرآن ثلاثة توحيد

وتذكير

حسن عند هذه اللفظة لخبيث مارد وردىء معاند أراد أن يطلق أعنة الذم فيه ويسرح جيوش العتب اليه ولم يقنع بقفل القضاء حتى جعل للحتف ظلمة تجلى بالسيف وجعل السيف هاديا فى النفس المجهول الذى لا يهتدى اليه وليس فى هذا مع تحسين اللفظ وتنميقه شىء لأن السلاح وان كان معيبا فانه يهتدى إلى النفس وكان يجب أن يبدع فى هذا ابداع المتنبى فى قوله

كأن الهام فى الهيجا عيون ... وقد طبعت سيوفك من رقاد
وقد صغت الاسنة من هموم ... فما يخطرن الا فى فؤاد

فالاهتدا على هذا الوجه فى التشبيه بديع حسن وفى البيت الأول شىء آخر وذلك أن قوله ويفتح فى القضاء فى هذا الموضع حشو ردىء يلحق بصاحبه اللكنة ويلزمه الهجنة وأما البيت الثالث فانه أصلح هذه الابيات وان كان ذكر

وتذكير وأحكام فالتوحيد يدخل فيه معرفة المخلوقات ومعرفة الخالق بأسمائه وصفاته وأفعاله والتذكير منه الوعد والوعيد والجنة والنار وتصفية الظاهر والباطن والاحكام منها التكاليف كلها وتبيين المنافع والمضار والأمر والنهي والندب ولذلك كانت الفاتحة أم القرآن لان فيها الاقسام الثلاثة وسورة الاخلاص ثلثه لاشتمالها على أحد الاقسام الثلاثة وهو التوحيد وقال ابن جرير القرآن يشتمل على ثلاثة أشياء التوحيد والاخبار والديانات ولهذا كانت سورة الاخلاص ثلثه لانها تشمل التوحيد كله وقال علي ابن عيسى القرآن يشتمل على ثلاثين شيئا الاعلام والتنبيه والأمر والنهي والوعد والوعيد ووصف الجنة والنار وتعليم الاقرار بسم الله وبصفاته وأفعاله وتعليم الاعتراف بانعامه والاحتجاج على المخالفين والرد على الملحدين والبيان عن الرغبة والرهبة والخير والشر والحسن والقبيح ونعت الحكمة وفضل المعرفة ومدح الابرار وذم الفجار والتسليم والتحسين والتوكيد والتقريع والبيان عن ذم الاخلاق وشرف الآداب وقال شيذله وعلى التحقيق أن تلك الثلاثة التي قالها ابن جرير تشمل هذه كلها بل اضعافها فان القرآن لا يستدرك ولا تحصى عجائبه وأنا أقول قد اشتمل كتاب الله العزيز على كل شيء أما أنواع العلوم فليس منها باب ولا مسئلة هي أصل الا وفي القرآن ما يدل عليها وفيه عجائب المخلوقات وملكوت السموات والارض وما في الأفق الاعلى وتحت الثرى وبدء الخلق واسماء مشاهير الرسل والملائكة وعيون اخبار الامم السالفة كقصة آدم مع ابليس في اخراجه من الجنة وفي الولد الذي سماه عبد الحارث ورفع ادريس واغراق قوم نوح قصة عاد الاولى والثانية وثمود الناقة وقوم يونس وقوم شعيب الاولين والآخرين وقوم لوط وقوم تبع وأصحاب الرس وقصة ابراهيم في مجادلته قومه ومناظرته نمروذ ووضعه ابنه اسماعيل مع أمه بمكة وبنائه البيت وقصة الذبيح وقصة يوسف وما أبسطها وقصة موسى في ولادته والقائه في اليم وقتل القبطي ومسيره الى مدين وتزوجه بنت شعيب وكلامه تعالى بجانب الطور ومجيئه الى فرعون وخروجه واغراق عدوه وقصة العجل والقوم الذين خرج بهم وأخذتهم الصعقة وقصة القتيل وذبح البقرة وقصته مع الخضر وقصته في قتال الجبارين وقصة القوم الذين ساروا في سرب من الارض الى الصين وقصة طالوت وداود مع جالوت وفتنته وقصة سليمان وخبره مع ملكة سبأ وفتنته وقصة القوم الذين خرجوا فرارا من الطاعون فأماتهم الله ثم أحياهم وقصة ذي القرنين ومسيره الى مغرب الشمس ومطلعها وبنائه السد وقصة أيوب وذا الكفل والياس وقصة مريم وولادتها عيسى وارساله ورفعه وقصة زكريا وابنه يحيى وقصه أصحاب الكهف وقصة أصحاب الرقيم وقصة بخت نصر وقصة الرجلين الذين لاحدهما الجنة وقصة أصحاب الجنة وقصة مؤمن آل يس وقصة أصحاب الفيل وفيه من شأن النبي صلى الله عليه وسلم دعوة ابراهيم به وبشارة عيسى وبعثه وهجرته ومن غزواته سرية ابن الحضرمي في البقرة وغزوة بدر في سورة الانفال وأحد في آل عمران وبدر الصغرى فيها والخندق في الاحزاب والحديبية في الفتح والنضير في الحشر وحنين وتبوك في حجة الوداع في المائدة ونكاحه زينب بنت جحش وتحريم سريته وتظاهر أزواجه عليه وقصة الافك وقصة الاسراء وانشقاق القمر وسحر اليهود اياه وفيه بدء خلق الانسان الى موته وكيفية الموت وقبض الروح وما يفعل بها بعد وصعودها إلى السماء وفتح الباب للمؤمنة والقاء الكافرة وعذاب القبر والسؤال فيه ومقر الارواح وأشراط الساعة الكبرى وهي نزول عيسى وخروج الدجال ويأجوج ومأجوج والدابة والدخان ورفع القرآن والخسف وطلوع الشمس من مغربها وغلق باب التوبة وأحوال البعث من النفخات الثلاث نفخة الفزع ونفخة الصعق ونفخة القيام والحشر والنشر وأهوال الموقف وشدة حر الشمس وظل العرش والميزان والحوض والصراط

الفارس حشو أو تكلفا ولغوا لان هذا لا يتغير بالفارس والراجل على أنه ليس فيه بديع وأما قوله :

يغشى الوغى والترس ليس بجنة
من حده والدرع ليس بمعقل
مصغ الى حكم الردى فاذا مضى * لم يلتفت وإذا قضى لم يعدل
متوقد يبرى بأول ضربة
ما أدركت ولو أنها في يذبل

البيتان الأولان من الجنس الذي يكثر كلامه عليه وهي طريقة الذي يجتنبها وذلك من السبك الكتابي والكلام المعتدل الا أنه لم يبدع فيها بشيء وقد زيد عليه فيها ومن قصد إلى أن يكمل عشرة أبيات في وصف السيف فليس من حكمه أن يأتي بأشياء منقولة وأمور مذكورة وسبيله أن يغرب ويبدع كما أبدع المتنبي في قوله

سله الركض بعد وهن بنجد
فتصدى للغيث أهل الحجاز

والحساب لقوم ونجاة آخرين منه وشهادة الاعضاء وايتاء الكتب بالايمان والشمائل وخلف الظهور والشفاعة والمقام المحمود والجنة وأبوابها ومافيها من الانهار والأشجار والثمار والحلي والاواني ورؤيته تعالى والنار وأبوابها ومافيها من الاودية وأنواع العقاب وألوان العذاب والزقوم والحميم وفيه جميع أسمائه تعالى الحسنى كما ورد في حديث ومن أسمائه مطلقا ألف اسم ومن اسماء النبي صلى الله عليه وسلم جملة وفيه شعب الايمان البضع والسبعون وشرائع الاسلام الثلاثمئة وخمسة عشر وفيه أنواع الكبائر وكثير من الصغائر وفيه تصديق كل حديث ورد عن النبي ﷺ إلى غير ذلك مما يحتاج شرحه إلى مجلدات وقد أفرد الناس كتبا فيما تضمنه القرآن من الاحكام كالقاضي اسماعيل وأبي بكر ابن العلاء وأبي بكر الرازي والكيا الهراسي وابي بكر بن العربي وعبد المنعم بن الفرس وابن خويزمنداد وافرد آخرون كتبا فيما تضمنه من علم الباطن وأفرد ابن برجان كتابا فيما تضمنه من معاضدة الاحاديث وقد ألفت كتابا سميته الاكليل في استنباط التنزيل ذكرت كل ما كلما استنبط منه من مسئلة فقهيه أو اصولية أو اعتقاديه وبعضا مما سوى ذلك كثير الفائدة جم العائدة يجري مجرى الشرح لما أجملته في هذا النوع فليراجعه من أراد الوقوف عليه

(فصل) . قال الغزالي وغيره آيات الاحكام خمسمائة آية وقال بعضهم مائة وخمسون قيل ولعل مرادهم المصرح به فان آيات القصص والامثال وغيرها يستنبط منها كثير من الاحكام قال الشيخ عز الدين عبد السلام في كتاب الامام في أدلة الاحكام معظم آي القرآن لا تخلوا عن أحكام مشتملة على آداب حسنة وأخلاق جميلة ثم من الآيات ما صرح فيه بالاحكام ومنها ما يؤخذ بطريق الاستنباط إما بلا ضم الى آية أخرى كاستنباط صحة أنكحة الكفار من قوله وامرأته حمالة الحطب وصحة صوم الجنب من قوله فالآن باشروهن الى قوله حتى يتبين لكم الخيط الآية وإما به كاستنباط أن أقل الحمل ستة أشهر قوله وحمله وفصاله ثلاثون شهرا مع قوله وفصاله في عامين قال ويستدل على الاحكام تارة بالصيغة وهو ظاهر وتارة بالاخبار مثل احل لكم حرمت عليكم الميتة كتب عليكم الصيام وتارة بما رتب عليها في العاجل أو الاجل من خير أو شر أو نفع أو ضر وقد نوع الشارع في ذلك أنواعا كثيرة ترغيبا لعباده وترهيبا وتقريبا إلى أفهامهم فكل فعل عظمه الشرع أو مدحه أو مدح فاعله لأجله أو احبه أو احب فاعله أو رضي به ورضي عن فاعله أو وصفه بالاستقامة او البركة او الطيب أو اقسم به أو بفاعله كالاقسام بالشفع والوتر وبخيل المجاهدين وبالنفس اللوامة أو نصبه سببا لذكره لعبده أو لمحبته أو الثواب عاجل أو آجل أو لشكره ولهدايته اياه أو لارضاء فاعله أو لمغفرة ذنبه وتكفير سيآته أو بقبوله أو لنصرة فاعله أو بشارته أو وصف فاعله بالطيب أو وصف الفعل بكونه معروفا أو نفي الحزن والخوف عن فاعله أو وعده بالامن أو نصب سببا لولايته أو أخبر عن دعاء الرسول بحصوله أو وصفه بكونه قربة أو بصفة مدح كالحياة والنور والشفاء فهو دليل على مشروعيته المشتركة بين الوجوب والندب وكل فعل طلب الشارع تركه أو ذمه أو ذم فاعله أو عتب عليه أو مقت فاعله أو لعنه أو نفي محبته او محبة فاعله أو الرضى به أو عن فاعله أو شبه فاعله بالبهائم أو بالشياطين أو جعله مانعا من الهدى أو من القبول أو وصفه بسوء أو كراهة أو استعاذ الانبياء منه أو بغضوه أو جعل سببا لنفي الفلاح أو لعذاب عاجل آجل أو الذم أو لوم أو ضلالة أو معصية أو وصف بخبث أو رجس أو نجس أو بكونه فسقا أو اثما أو سببا لاثم أو رجس او لعن أو غضب أو زوال نعمة أو حلول نقمة أو حد من الحدود أو قسوة أو خزي أو ارتهان نفس أو لعداوة الله ومحاربته أو استهزائه أو سخريته أو جعله الله سببا لنسيانه فاعله أو وصفه نفسه بالصبر عليه أو بالحلم او بالصفح عنه اودعا الى التوبة منه او وصف فاعله بخبث او احتقار او نسبه الى عمل

هــذا باب صقاله واضــواته وكثر مائه وكقوله

ريان لو قذف الذي اسقيته لجرى من المهجات بحر مزبد

وقوله مصغ الى حكم الردى إن تأملته مقلوب كان ينبغي أن يقول يصغي الردى الى حكمه كما قال الآخر

(فالسيف يأمر والاقدار تنتظر)

وقوله وإذا اقضى لم يعدل متكرر على ألسنتهم في الشعر خاصة في نفس هذا المعنى والبيت الثالث سليم وهو كالاواين في خلوه عن البديع فأما قوله

فاذا أصاب فكل شيء مقتل

فاذا اصيب فما له من مقتل

وكأنما سود النمال وحمرها دبت بأيدي قراه وأرجل

البيت الاول يقصد به صنيعة اللفظ وهو في المعنى متفاوت لان المضرب قد لا يكون مقتلا وقد يطلق الشعراء ذلك ويرون أن هذا

الشيطان أو تزيينه أو تولى الشيطان لفاعله أو وصفه بصفة ذم ككونه ظلما أو بغيا أو عدوانا أو اثما أو مرضا أو تبرأ الانبياء منه أو من فاعله أو شكوا إلى الله من فاعله أو جاهروا فاعله بالعداوة أو نهوا عن الاسى والحزن عليه أو نصب سببا للخيبة فاعله عاجلا أو آجلا أو رتب عليه حرمان الجنة وما فيها أو وصف فاعله بأنه عدو لله أو بأن الله عدوه أو اعلم فاعله بحرب من الله ورسوله أو حمل فاعله اثم غيره أو قيل فيه لا ينبغى هذا أو لا نكون أو امره بالتقوى عند السؤال عنه أو امره بفعل مضاده أو بهجر فاعله أو تلاعن فاعلية فى الآخرة أو تبرؤ بعضهم عن بعض أو دعا بعضهم على بعض أو وصف فاعله بالضلالة وأنه ليس من الله فى شىء أو ليس من الرسول وأصحابه أو جعل اجتنابه سببا للفلاح أو جعله سببا لايقاع العداوة والبغضاء بين المسلمين أو قيل هل أنت منته أو نهى الانبياء عن الدعاء لفاعله أو رتب عليه ابعادا أو طردا أو لفظة قتل من فعله أو قاتله الله أو أخبر أن فاعله لا يكلمه الله يوم القيامة ولا ينظر اليه ولا يزكيه ولا يصلح عمله ولا يهدى كيده أو لا يفلح أو قيض له الشيطان أو جعل سببا لازاغة قلب فاعله أو صرفه عن آيات الله وسؤاله عن علة الفعل فهو دليل على المنع من الفعل ودلالته على التحريم أظهر من دلالته على مجرد الكراهة وتستفاد الاباحة من لفظ الاحلال ونفى الجناح والحرج والاثم والمؤاخذة ومن الاذن فيه والعفو عنه ومن الامتنان بما فى الاعيان من المنافع ومن السكوت عن التحريم ومن الانكار على من حرم الشىء من الاخبار بأنه خلق أو جعل لنا والاخبار عن فعل من قبلنا غير ذام عليه فان اقترن باخباره مدح دل على مشروعيته وجوبا أو استحبابا اه كلام الشيخ عز الدين وقال غيره قد يستنبط من السكوت وقد استدل جماعة على أن القرآن غير مخلوق بأن الله ذكر الانسان فى ثمانية عشر موضعا وقال إنه مخلوق وذكر القرآن فى أربعة وخمسين موضعا ولم يقل إنه مخلوق ولما جمع بينهما غاير فقال الرحمن علم القرآن خلق الانسان

* (النوع السادس والستون) * فى أمثال القرآن افرده بالتصنيف الامام أبو الحسن الماوردى من كبار اصحابنا قال تعالى (ولقد ضربنا للناس فى هذا القرآن من كل مثل لعلهم يتذكرون وقال تعالى وتلك الامثال نضربها للناس وما يعقلها إلا العالمون) وأخرج البيهقى عن أبى هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم أن القرآن نزل على خمسة أوجه حلال وحرام ومحكم ومتشابه وأمثال فاعملوا بالحلال واجتنبوا الحرام واتبعوا المحكم وآمنوا بالمتشابه واعتبروا بالامثال قال الماوردى من اعظم علم القرآن علم أمثاله والناس فى غفلة عنه لاشتغالهم بالامثال واغفالهم الممثلات والمثل بلا ممثل كالفرس بلا لجام والناقة بلا زمام وقال غيره قد عده الشافعى مما يجب على المجتهد معرفته من علوم القرآن فقال ثم معرفة ماضرب فيه من الامثال الدوال على طاعته المبينة لاجتناب ناهيه وقال الشيخ عز الدين إنما ضرب الله الامثال فى القرآن تذكيرا ووعظا فما اشتمل منها على تفاوت فى ثواب أو على احباط عمل أو على مدح أو ذم أو نحوه فانه يدل على الاحكام وقال غيره ضرب الامثال فى القرآن يستفاد منه أمور كثيرة التذكير والوعظ والحث والزجر والاعتبار والتقرير وتقريب المراد للعقل وتصويره بصورة المحسوس فان الامثال تصور المعانى بصورة الاشخاص لانها اثبت فى الاذهان لاستعانة الذهن فيها بالحواس ومن ثم كان الغرض فى المثل تشبيه الخفى بالجلى والغائب بالمشاهد وتأتى أمثال القرآن مشتملة على بيان تفاوت الاجر وعلى المدح والذم وعلى الثواب والعقاب وعلى تفخيم الامر أو تحقيره وعلى تحقيق أمر أو ابطاله قال تعالى (وضربنا لكم الامثال) فامتن علينا بذلك لما تضمنه من الفوائد قال الزركشى فى البرهان ومن حكمته تعليم البيان وهو من خصائص هذه الشريعة وقال الزمخشرى التمثيل إنما يصار اليه لكشف المعانى وادناء المتوهم من الشاهد فان كان الممثل له عظيما كان الممثل به مثله وان كان حقيرا

ابدع من قول المتنبى
وأنه بضده
يقتل السيف فى جسم القتيل به
وللسيوف كما للناس اجال
وهذه طريقة لهم يتمدحون بها فى قصف الرمح طعنا وتقطيع السيف ضربا وفى قوله وإذا اصيب فما له من مقتل تعسف لانه يريد بذلك أنه لا يتكسر فالتعبير بما عبر به عن المعنى الذى ذكرناه يتضمن التكلف وضربا من المحال وليس بالنادر والذى عليه الجلة ما حكيناه من غيره ونحوه قال بعض أهل الزمان
يقصف الفارس فى السمهرى وصد .
والحسام فريقا فريقا
والبيت الثانى أيضا هو معنى مكرر على ألسنة الشعراء وأما تصنيعه بسود النمال وحمرها فليس بشىء ولعله أراد بالحمر الذر والتفصيل بارد والاغراب به منكر وهو كما حكى عن بعضهم

كان الممثل به كذلك وقال الاصبهانى لضرب العرب الامثال واستحضار العلماء النظائر شأن ليس بالخفى في ابراز خفيات الدقائق ورفع الاستار عن الحقائق تريك المتخيل فى صورة المتحقق والمتوهم فى معرض المتيقن والغائب كانه مشاهد وفى ضرب الامثال تبكيت الخصم الشديد الخصومة وقمع لضراوة الجامع الابى فانه يؤثر فى القلوب مالا يؤثر وصف الشئ فى نفسه ولذلك أكثر الله تعالى فى كتابه وفى سائر كتبه الامثال ومن سورة الانجيل سورة تسمى سورة الامثال وفشت فى كلام النبى ﷺ وكلام الانبياء والحكماء

(* فصل) . أمثال القرآن قسمان ظاهر مصرح به وكامن لا ذكر للمثل فيه فمن أمثلة الاول قوله تعالى مثلهم كمثل الذى استوقد نارا الآيات ضرب فيها للمنافقين مثلين مثلا بالنار ومثلا بالمطر اخرج ابن أبى حاتم وغيره من طريق على ابن أبى طلحة عن ابن عباس قال هذا مثل ضربه الله للمنافقين كانوا يعتزون بالاسلام فيناكحهم المسلمون ويوارثونهم ويقاسمونهم الفىء فلما ماتوا سلبهم الله العز كما سلب صاحب النار ضوأه وتركهم فى ظلمات يقول فى عذاب أو كصيب هو المطر ضرب مثله فى القرآن فيه ظلمات يقول ابتلاء ورعد وبرق وتخويف يكاد البرق يخطف أبصارهم يقول يكاد محكم القرآن يدل على عورات المنافقين كلما أضاء لهم مشوا فيه يقول كلما أصاب المنافقون فى الاسلام عزا طمأنوا فان أصاب الاسلام نكبة قاموا فأبوا ليرجعوا الى الكفر كقوله ومن الناس من يعبد الله على حرف الآية ومنها قوله تعالى (أنزل من السماء ماء فسالت أودية بقدرها الآية اخرج ابن أبى حاتم من طريق على عن ابن عباس قال هذا مثل ضربه الله احتملت منه القلوب على قدر يقينها وشكها فأما الزبد فيذهب جفاء وهو الشك وأما ما ينفع الناس فيمكث فى الارض وهو اليقين كما يجعل الحلى فى النار فيؤخذ خالصه ويترك خبثه فى النار كذلك يقبل الله اليقين ويترك الشك وأخرج عن عطاء قال هذا مثل ضربه الله للمؤمن والكافر واخرج عن قتادة قال هذه ثلاثة أمثال ضربها الله فى مثل واحد يقول كما اضمحل هذا الزبد فصار جفاء لا ينتفع به ولا ترجى بركته كذلك يضمحل الباطل عن اهله وكما مكث هذا الماء فى الارض فأزرعت وربت بركته واخرجت نباتها وكذلك الذهب والفضة حين ادخل النار فاذهب خبثه كذلك يبقى الحق لأهله وكما اضمحل خبث هذا الذهب والفضة حين ادخل فى النار كذلك يضمحل الباطل عن أهله ومنها قوله تعالى والبلد الطيب الآية اخرج ابن أبى حاتم من طريق على عن ابن عباس قال هذا مثل ضربه الله المؤمن يقول هو طيب وعمله طيب كما ان البلد الطيب ثمرها طيب والذى خبث ضرب مثلا للكافر كالبلد السبخة المالحة والكافر هو الخبيث وعمله خبيث ومنها قوله تعالى أيود أحدكم أن تكون له جنة الآية أخرج البخارى عن ابن عباس قال قال عمر بن الخطاب يوما لاصحاب النبى ﷺ فيمن ترون هذه الآية نزلت أيود أحدكم أن تكون له جنة من نخيل وأعناب قالوا الله اعلم فغضب عمر فقال قولوا نعلم ولا نعلم فقال ابن عباس فى نفسى منها شىء فقال يا ابن أخى قل ولا تحقر نفسك قال ابن عباس ضربت مثلا لعمل قال عمر أى عمل قال ابن عباس لرجل غنى عمل بطاعة الله ثم بعث الله له الشيطان فعمل بالمعاصى حتى اغرق اعماله (واما الكامنة) فقال الماوردى سمعت ابا اسحق ابراهيم بن مضارب بن ابراهيم يقول سمعت أبى يقول سألت الحسن بن الفضل فقلت انك تخرج امثال العرب والعجم من القرآن فهل تجد فى كتاب الله خير الامور اوساطها قال نعم فى اربعة مواضع قوله تعالى (لا فارض ولا بكر عوان بين ذلك) وقوله تعالى (والذين اذا انفقوا لم يسرفوا ولم يقتروا وكان بين ذلك قواما) وقوله تعالى (ولا تجعل يدك مغلولة إلى عنقك ولا تبسطها كل البسط) وقوله تعالى (ولا تجهر بصلاتك ولا تخافت بها وابتغ بين ذلك سبيلا) (قلت) فهل تجد فى كتاب الله من جهل شيئا

أنه قال كان كذا حين كان الثريا بحذاء رأسى على سوء أو منحرفا قدر شبر أو نصف شبر أو أصبع أو ما يقارب ذلك فقيل له هذا من الورع الذى يبغضه الله ويمقته الناس ورب زيادة كانت نقصانا وصفه النمل بالسواد والحمرة فى هذا من ذلك الجنس وعليه خرج بقية البيت فى قوله (دت بأيدى قراه وارجل وكان يكفى ذكره الارجل عن ذكر الايدى ووصف الفرزدق بدب النمل شىء لا يشذ عن أحد منهم وإما قوله وكان شاهره اذا استضوى به الز ‍ ‍ حفان يعصى بالسماك الاعزل حملت حمائله القديمة بقلة من عهد عاد غضة لم تذبل البيت الأول منهما فيه ضرب من التكلف وهو منقول من اشعارهم والفاظهم وانما يقول قد يشد على الرجال بكوكب فجعل ذلك

عاداه قال نعم فى موضعين (بل كذبوا بما لا يحيطوا بعلمه واذلم يهتدوا به فسيقولون هذا افك قديم) (قلت) فهل تجد فى كتاب الله احذر شر من أحسنت اليه قال نعم (وما نقموا الا ان أغناهم الله ورسوله من فضله) (قلت) فهل تجد فى كتاب الله ليس الخبر كالعيان فى قوله تعالى (أولم تؤمن قال بلى ولكن ليطمئن قلبى) (قلت) فهل تجد فى الحركات البركات قال فى قوله تعالى (ومن يهاجر فى سبيل الله يجد فى الارض مراغما كثيرا وسعة) (قلت) فهل تجد كما تدين تدان قال فى قوله تعالى من يعمل سوأ يجز به (قلت) فهل تجد فيه قولهم حين تقلى تدرى قال وسوف يعلمون حين يرون العذاب من أضل سبيلا (قلت) فهل تجد فيه لا يلدغ المؤمن من جحر مرتين قال هل آمنكم عليه الا كما أمنتكم على أخيه من قبل (قلت) فهل تجد فيه من أعان ظالما سلط عليه قال كتب عليه أنه من تولاه فانه يضله ويهديه الى عذاب السعير (قلت) فهل تجد فيه قولهم لا تلد الحية الا حيية قال قال تعالى ولا يلدوا الا فاجرا كفارا (قلت) فهل تجد فيه للحيطان آذان قال وفيكم سماعون لهم (قلت) فهل تجد فيه الجاهل مرزوق والعالم محروم قال من كان فى الضلالة فليمدد له الرحمن مدا (قلت) فهل تجد فيه الحلال لا يأتيك الا قوتا والحرام لا يأتيك الا جزافا قال اذ تأتيهم حيتانهم يوم سبتهم شرعا ويوم لا يسبتون لا تأتيهم (فائدة) عقد جعفر بن شمس الخلافة فى كتاب الآداب بابا فى الفاظ من القرآن جارية مجرى المثل وهذا هو النوع البديعى المسمى بارسال المثل وأورد من ذلك قوله تعالى (ليس لها من دون الله كاشفة لن تنالوا البر حتى تنفقوا مما تحبون الآن حصحص الحق وضرب لنا مثلا ونسى خلقه ذلك بما قدمت يداك قضى الامر الذى فيه تستفتيان أليس الصبح بقريب وحيل بينهم وبين ما يشتهون لكل نبأ مستقر ولا يحيق المكر السيء الا بأهله قل كل يعمل على شاكلته وعسى أن تكرهوا شيئا وهو خير لكم كل نفس بما كسبت رهينة ما على الرسول الا البلاغ ما على المحسنين من سبيل هل جزاء الاحسان إلا الاحسان كم من فئة قليلة غلبت كثيرة آلآن وقد عصيت قبل تحسبهم جميعا وقلوبهم شتى ولا ينبئك مثل خبير كل حزب بما لديهم فرحون ولو علم الله فيهم خيرا لأسمعهم وقليل من عبادى الشكور لا يكلف الله نفسا الا وسعها لا يستوى الخبيث والطيب ظهر الفساد فى البر والبحر ضعف الطالب والمطلوب لمثل هذا فليعمل العاملون وقليل ما هم فاعتبروا يا أولى الابصار) فى ألفاظ أخر

• (النوع السابع والستون) • فى أقسام القرآن أفرده ابن القيم بالتصنيف فى مجلد سماه التبيان والقصد بالقسم تحقيق الخبر وتوكيده حتى جعلوا مثل والله يشهد ان المنافقين لكاذبون قسما وان كان فيه اخبار بشهادة لانه لما جاء توكيد للخبر سمى قسما وقد قيل ما معنى القسم منه تعالى فانه ان كان الأجل المؤمن فالمؤمن مصدق بمجرد الاخبار من غير قسم وان كان لاجل الكافر فلا يفيده (وأجيب) بأن القرآن نزل بلغة العرب ومن عادتها القسم اذا أرادت أن تؤكد أمرا وأجاب أبو القاسم القشيرى بان الله ذكر القسم لكمال الحجة وتأكيدها وذلك أن الحكم يفصل باثنين اما بالشهادة واما بالقسم فذكر تعالى فى كتابه النوعين حتى لا يبقى لهم حجة فقال شهد الله أنه لا اله الا هو والملائكة وأولوا العلم وقال قل أى وربى انه لحق وعن بعض الاعراب انه لما سمع قوله تعالى وفى السماء رزقكم وما توعدون فورب السماء والأرض إنه لحق صرخ وقال من ذا الذى أغضب الجليل حتى ألجأه الى اليمين ولا يكون إلا باسم معظم وقد أقسم الله تعالى بنفسه فى القرآن فى سبعة مواضع الآية المذكورة بقوله قل أى وربى لتبعثن قل بلى وربى فوربك لنحشرنهم والشياطين فوربك لنسئلنهم أجمعين فلا وربك لا يؤمنون فلا أقسم برب المشارق والمغارب والباقى كله قسم بمخلوقاته كقوله تعالى والتين والزيتون والصافات والشمس والليل والضحى فلا أقسم بالخنس فان قيل كيف أقسم بالخلق وقد ورد النهى عن

الكوكب السماك واحتاج الى أن يجعله أعزل للقافية ولو لم يحتج الى ذلك كان خيرا له لان هذه الصفة فى هذا الموضع نقصه من الموضع وموضع التكلف الذى ادعيناه الحشو الذى ذكره من قوله إذا استضوى به الزحفان وكان يكفى أن يقول كان صاحبه يعصى بالسماك وهذا وان كان قد تعمل فيه للفظ فهو لغو على ما بينا وأما البيت الثانى ففيه لغو من جهة قوله حمائله قديمة ولا فضيلة له فى ذلك ثم تشبيه السيف بالبقلة من تشبيهات العامة والكلام الرذل البذل لان العامة قد يتفق منها تشبيه واقع حسن ثم انظر الى هذا المقطع الذى هو بالعى أشبه منه بالفصاحة والى اللكنة أقرب منه الى البراعة وقد بينا ان مراعاة الفواتح والخواتم والمطالع والمقاطع والفصل والوصل بعد صحة الكلام ووجود الفصاحة فيه

القسم بغير الله (قلنا) اجيب عنه باوجه احدها انه على حذف مضاف أى ورب التين ورب الشمس وكذا الباقى (الثانى) ان العرب كانت تعظم هذه الاشياء وتقسم بها فنزل القرآن على ما يعرفون (الثالث) ان الاقسام إنما تكون بما يعظمه المقسم أو يجله وهو فوقه والله تعالى ليس شىء فوقه فاقسم تارة بنفسه وتارة بمصنوعاته لانها تدل على بارىء وصانع وقال ابن أبى الاصبع فى أسرار الفواتح القسم بالمصنوعات يستلزم القسم بالصانع لان ذكر المفعول يستلزم ذكر الفاعل إذ يستحيل وجود مفعول بغير فاعل (واخرج) ابن أبى حاتم عن الحسن قال ان الله يقسم بما شاء من خلقه وليس لاحد أن يقسم إلا بالله وقال العلماء أقسم الله تعالى بالنبى ﷺ فى قوله لعمرك لتعرف الناس عظمته عند الله ومكانته لديه أخرج ابن مردويه عن ابن عباس قال ما خلق الله ولا ذرأ ولا برأ نفسا أكرم عليه من محمد صلى الله عليه وسلم وما سمعت الله أقسم بحياة احد غيره قال لعمرك انهم لفى سكرتهم يعمهون وقال أبو القاسم القشيرى القسم بالشىء لا يخرج عن وجهين اما لفضيلة أو لمنفعة فالفضيلة كقوله وطور سينين وهذا البلد الامين والمنفعة نحو والتين والزيتون وقال غيره أقسم الله تعالى بثلاثة أشياء بذاته كالآيات السابقة وبفعله نحو والسماء وما بناها والارض وما طحاها ونفس وما سواها) وبمفعوله نحو والنجم إذا هوى والطور وكتاب مسطور والقسم إما ظاهر كالآيات السابقة وإما مضمر وهو قسمان دلت عليه اللام نحو لتبلون فى أموالكم وقسم دل عليه المعنى نحو وان منكم إلا واردها تقديره والله وقال أبو على الفارسى الالفاظ الجارية مجرى القسم ضربان أحدهما ما تكون كغيرها من الاخبار التى ليست بقسم فلا تجاب بجوابه كقوله (وقد أخذ ميثاقكم ان كنتم مؤمنين ورفعنا فوقكم الطور خذوا فيحلفون له كما يحلفون لكم) فهذا ونحوه يجوز أن يكون قسما وأن يكون حالا لخلوه من الجواب والثانى ما يتلقى بجواب القسم كقوله وإذ أخذ الله ميثاق الذين أوتوا الكتاب لتبيننه للناس وأقسموا بالله جهد أيمانهم لئن أمرتهم ليخرجن وقال غيره أكثر الاقسام فى القرآن المحذوفة الفعل لا تكون إلا بالواو فاذا ذكرت الباء أتى بالفعل كقوله وأقسموا بالله يحلفون بالله ولا تجد الباء مع حذف الفعل ومن ثم كان خطأ من جعل قسما بالله ان الشرك لظلم بما عهد عندك يحق ان كنت قلته فقد علمته وقال ابن القيم اعلم أنه سبحانه وتعالى يقسم بأمور على أمور وإنما يقسم بنفسه المقدسة الموصوفة بصفاته أو بآياته المستلزمة لذاته وصفاته وأقسامه ببعض المخلوقات دليل على أنه من عظيم آياته فالقسم اما على جملة خبرية وهو الغالب كقوله (فورب السماء والارض انه لحق) واما على جملة طلبية كقوله (فوربك لنسئلنهم أجمعين عما كانوا يعملون) مع أن هذا القسم قد يراد به تحقيق المقسم عليه فيكون من باب الخبر وقد يراد به تحقيق القسم فالمقسم عليه يراد بالقسم توكيده وتحقيقه فلابد أن يكون مما يحسن فيه وذلك كالامور الغائبة والخفية إذا أقسم على ثبوتها فاما الامور المشهورة الظاهرة كالشمس والقمر والليل والنهار والسماء والارض فهذه يقسم بها ولا يقسم عليها وما أقسم عليه الرب فهو من آياته فيجوز أن يكون مقسما به ولا ينعكس وهو سبحانه وتعالى يذكر جواب القسم تارة وهو الغالب ويحذفه أخرى كما يحذف جواب لو كثيرا للعلم به والقسم لما كان يكثر فى الكلام اختصر فصار فعلا القسم يحذف ويكتفى بالباء ثم عوض من الباء الواو فى الاسماء الظاهرة والتاء فى اسم الله تعالى كقوله (وتالله لأكيدن أصنامكم) قال ثم هو سبحانه وتعالى يقسم على أصول الايمان التى يجب على الخلق معرفتها تارة يقسم على التوحيد وتارة يقسم على أن القرآن حق وتارة على أن الرسول حق وتارة على الجزاء والوعد والوعيد وتارة يقسم على حال الانسان فالاول كقوله (والصافات صفا إلى قوله ان الهكم لواحد) والثانى (فلا أقسم بمواقع النجوم وانه لقسم لو تعلمون عظيم إنه لقرآن كريم) والثالث كقوله (يس والقرآن الحكيم إنك لمن

المرسلين

مما لابد منه وان الاخلال بذلك يخل بالنظم ويذهب رونقه ويحيل بهجته ويأخذ ماءه وبهاءه وقد أطلت عليك فيما نقلت وتكلفت ما سطرت لان هذا القبيل قبيل موضوع متعمل مصنوع وأصل الباب فى الشعر على أن ينظر إلى جملة القصة ثم يتعمل الالفاظ ولا ينظر بعد ذلك إلى مواقعها ولا يتأمل مطارحها وقد يقصد تارة إلى تحقيق الأغراض وتصوير المعانى التى فى النفوس ولكنه يلحق بأصل بابه ويميل بك إلى موضعه وبحسب الاهتمام بالصنعة يقع فيها التفاضل وان أردت أن تعرف أوصاف الفرس فقد ذكرت لك ان الشعراء قد تصرفوا فى ذلك بما يقع اليك أن كنت من أهل الصنعة مما يطول على نقله وكذلك فى السيف وذكر لى بعض أهل الأدب أن أحسن قطعة فى السيف قول أبى الهول

المرسلين والنجم إذا هوى ما ضل صاحبكم وما غوى) الآيات والرابع كقوله والذاريات إلى قوله (إنما توعدون لصادق وإن الدين لواقع) والمرسلات إلى قوله إنما توعدون لواقع والخامس كقوله والليل إذا يغشى إلى قوله ان سعيكم لشتى الآيات والعاديات إلى قوله أن الإنسان لربه لكنود والعصر ان الإنسان لفى خسر الخ والتين إلى قوله (لقد خلقنا الإنسان فى أحسن تقويم) الآيات لا أقسم بهذا البلد إلى قوله لقد خلقنا الإنسان فى كبد قال وأكثر ما يحذف الجواب إذا كان فى نفس المقسم به دلالة على المقسم عليه فان المقصود يحصل بذكره فيكون حذف المقسم عليه أبلغ وأوجز كقوله ص والقرآن ذى الذكر فان فى المقسم به من تعظيم القرآن ووصفه بأنه ذو الذكر المتضمن لتذكير العباد وما يحتاجون اليه والشرف والقدر ما يدل على المقسم عليه وهو كونه حقا من عند الله غير مفترى كما يقوله الكافرون ولهذا قال كثيرون إن تقدير الجواب أن القرآن لحق وهذا يطرد فى كل ما شابه ذلك كقوله ق والقرآن المجيد وقوله لا أقسم بيوم القيامة فانه يتضمن اثبات المعاد وقوله والفجر الآيات فانها زمان تتضمن أفعالا معظمة من المناسك وشعائر الحج التى هى عبادية محضة لله تعالى وذل وخضوع لعظمته وفى ذلك تعظيم ما جاء به محمد وإبراهيم عليهما الصلاة والسلام قال ومن لطائف القسم قوله (والضحى والليل إذا سجى) الآيات أقسم تعالى على إنعامه على رسوله وإكرامه له وذلك متضمن لتصديقه له فهو قسم على صحة نبوته وعلى جزائه فى الآخرة فهو قسم على النبوة والمعاد وأقسم بآيتين عظيمتين من آياته وتأمل مطابقة هذا القسم وهو نور الضحى الذى يوافى بعد ظلام الليل المقسم عليه وهو الوحى الذى وافاه بعد احتباسه عنه حتى قال اعدؤه ودع محمدا ربه فأقسم بضوء النهار بعد ظلمة الليل على ضوء الوحى ونوره بعد ظلمة احتباسه واحتجاجه

• (النوع الثامن والستون) . فى جدل القرآن أفرده بالتصنيف نجم الدين الطوفى قال العلماء قد اشتمل القرآن العظيم على جميع أنواع البراهين والادلة وما من برهان ودلالة وتقسيم وتحذير تبنى من كليات المعلومات العقلية والسمعية الا وكتاب الله قد نطق به لكن أورده على عادة العرب دون دقائق طرق المتكلمين لأمرين (أحدهما) بسبب ما قاله (وما أرسلنا من رسول الا بلسان قومه ليبين لهم) (والثانى) أن المائل إلى دقيق المحاجة هو العاجز عن اقامة الحجة بالجليل من الكلام فان من استطاع أن يفهم بالأوضح الذى يفهمه الأكثرون لم ينحط إلى الأغمض الذى لا يعرفه الا الأقلون ولم يكن ملغزا فأخرج تعالى مخاطباته فى محاجة خلقه فى أجلى صورة ليفهم العامة من جليها ما يقنعهم وتلزمهم الحجة وتفهم الخواص من أنبائها ما يربى على ما أدركه فهم الخطباء وقال ابن أبى الأصبع زعم الجاحظ أن المذهب الكلامى لا يوجد منه شىء فى القرآن وهو مشحون به وتعريفه أنه احتجاج المتكلم على ما يريد اثباته بحجة تقطع المعاند له فيه على طريقة أرباب الكلام (ومنه نوع منطقى) تستنتج منه النتائج الصحيحة من المقدمات الصادقة فان الإسلاميين من أهل هذا العلم ذكروا أن من أول سورة الحج إلى قوله وأن الله يبعث من فى القبور خمس نتائج تستنتج من عشر مقدمات قوله ذلك بأن الله هو الحق لأنه قد ثبت عندنا بالخبر المتواتر أنه تعالى أخبر بزلزلة الساعة معظما لها وذلك مقطوع بصحته لأنه خبر اخبر به من ثبت صدقه عمن ثبتت قدرته منقول الينا بالتواتر فهو حق ولا يخبر بالحق عما سيكون الا الحق فالله هو الحق وأخبر تعالى أنه يحيى الموتى لأنه أخبر عن أهوال الساعة بما أخبر وحصول فائدة هذا الخبر موقوفة على إحياء الموتى ليشاهدوا تلك الأحوال التى يقبلها الله من أجلهم وقد ثبت أنه قادر على كل شىء ومن إحياء الموتى فهو يحيى الموتى وأخبر أنه على كل شىء قدير لأنه أخبر أنه من يتبع الشياطين ومن يجادل فيه بغير علم يذقه عذاب السعير ولا يقدر على ذلك الا من هو على كل شىء قدير فهو على كل

الحميرى
حاز صمصامة الزبيدى من
بين جميع الأنام موسى الأمين
سيف عمرو وكان فيما سمعنا
خير ما أطبقت عليه الجفون
أخضر اللون بين برديه حد
من زعاف تميس فيه المنون
أوقدت فوقه الصواعق نارا
ثم شابت له الزعاف القيون
فاذا ما شهرته بهر الشمس ضياء فلم تكد تستبين
يستطير الأبصار كالقبس المشتعل لا تستقيم فيه العيون
وكان الفرند والرونق الجارى فى صفحته ماء معين
نعم مخراق ذى الحفيظة فى الهيجاء يعصى به ونعم القرين
ما يبالى إذا انتحاه لضرب أشمال سطت به أم يمين
وإنما يوازن شعر البحترى بشعر شاعر من طبقته ومن أهل عصره ومن

شيء قدير وأخبر أن الساعة آتية لاريب فيها لأنه أخبر بالخبر الصادق انه خلق الإنسان من تراب إلى قوله لكيلا يعلم من بعد علم شيئا وضرب لذلك مثلا بالأرض الهامدة التي ينزل عليها الماء فتهتز وتربو وتنبت من كل زوج بهيج ومن خلق الإنسان على ما أخبر به فأوجد بالخلق ثم أعدمه بالموت ثم يعيده بالبعث وأوجد الأرض بعد العدم فأحياها بالخلق ثم أماتها بالمحل ثم أحياها بالخصب وصدق خبره في ذلك كله بدلالة الواقع المشاهد على المتوقع الغائب حتى انقلب الخبر عيانا صدق خبره في الإتيان بالساعة ولا يأتي بالساعة إلا من يبعث من في القبور لأنها عبارة عن مدة تقوم فيها الأموات للمجازاة فهي آتية لاريب فيها وهو سبحانه وتعالى يبعث من في القبور وقال غير استدل سبحانه وتعالى على المعاد الجسماني ضروب (أحدها) قياس الإعادة على الابتداء كما قال تعالى (كما بدأكم تعودون كما بدأنا أول خلق نعيده أفعيينا بالخلق الأول) (ثانيها) قياس الإعادة على خلق السموات والأرض بطريق الأولى قال تعالى أو ليس الذي خلق السموات والأرض بقادر الآية (ثالثها) قياس الإعادة على إحياء الأرض بعد موتها بالمطر والنبات (رابعها) قياس الإعادة على إخراج النار من الشجر الأخضر (وقد روى) الحاكم وغيره ان أبي بن خلف جاء بعظم ففته فقال أيحيى الله هذا بعد ما بلى ورم فأنزل الله قل يحييها الذي أنشأها أول مرة فاستدل سبحانه وتعالى برد النشأة الأخرى إلى الأولى والجمع بينهما بعلة الحدوث (ثم زاد) في الحجاج قوله الذي جعل لكم من الشجر الأخضر نارا وهذه في غاية البيان في رد الشيء إلى نظيره والجمع بينهما من حيث تبديل الأعراض عليهما (خامسها) في قوله تعالى (وأقسموا بالله جهد أيمانهم لا يبعث الله من يموت بلى) الآيتين وتقريرها أن اختلاف المختلفين في الحق لا يوجب انقلاب الحق في نفسه وإنما تختلف الطرق الموصلة اليه والحق في نفسه واحد فلما ثبت أن هاهنا حقيقة موجودة لا محالة وكان لا سبيل لنا في حياتنا إلى الوقوف عليها وقوفا يوجب الائتلاف ويرفع عنا الاختلاف إذ كان الاختلاف مركوزا في فطرنا وكان لا يمكن ارتفاعه وزواله إلا بارتفاع هذه الجبلة ونقلها إلى صورة غيرها صح ضرورة ان لنا حياة أخرى غير هذه الحياة فيها يرتفع الخلاف والعناد وهذه هي الحالة التي وعد الله بالمصير اليها فقال (ونزعنا ما في صدورهم من غل) حقد فقد صار الخلاف الموجود كما ترى أوضح دليل على كون البعث الذي ينكره المنكرون كذا قرره ابن السيد ومن ذلك الاستدلال على أن صانع العالم واحد بدلالة التمانع المشار اليها في قوله (لو كان فيهما آلهة إلا الله لفسدتا) لأنه لو كان للعالم صانعان لكان لا يجري تدبيرهما على نظام ولا يتسق على أحكام ولكان العجز يلحقهما أو واحدهما وذلك لأنه لو أراد أحدهما إحياء جسم وأراد الآخر إماتته فإما أن تنفذ ارادتهما فيتناقض لاستحالة تجزي الفعل ان فرض الاتفاق أو لامتناع اجتماع الضدين إن فرض الاختلاف وإما ان لا تنفذ ارادتهما فيؤدي إلى عجزهما أو لا تنفذ إرادة أحدهما فيؤدي إلى عجزه والإله لا يكون عاجزا

* (فصل) * من الأنواع المصطلح عليها في علم الجدل السبر والتقسيم ومن أمثلته في القرآن قوله تعالى ثمانية أزواج من الضأن اثنين الآيتين فان الكفار لما حرموا ذكور الأنعام تارة وإناثها أخرى رد تعالى عليهم بطريق السبر والتقسيم فقال (إن الخلق لله) تعالى خلق من كل زوج مما ذكر ذكرا وأنثى فمم جاء تحريم ما ذكر ثم أي ما علته لا يخلو إما أن يكون من جهة الذكورة أو الأنوثة أو اشتمال الرحم الشامل لهما أو لا يدري له علة وهو التعبدي بأن أخذ ذلك عن الله تعالى وبالأخذ عن الله تعالى إما بوحي وإرسال رسول أو سماع كلامه ومشاهدة تلقي ذلك عنه وهو معنى قوله (أم كنتم شهداء إذ وصاكم الله بهذا) فهذه وجوه التحريم لا تخرج عن واحد منها والأول يلزم عليه أن يكون جميع الذكور حراما والثاني يلزم عليه أن تكون جميع الإناث حراما والثالث يلزم عليه تحريم الصنفين معا

هو في مضماره أو في منزلته ومعرفته أجناس الكلام والوقوف على أسراره والوقوع على مقداره شيء وإن كان عزيزا وأمر وإن كان بعيدا فهو سهل على أهله مستجيب لأصحابه مطيع لأربابه ينقدون الحروف ويعرفون الصروف وإنما يتقى الشبهة في ترتيب الحال بين البحتري وأبي تمام وابن الرومي وغيره ونحن وإن كنا نفضل البحتري بديباجة شعره على ابن الرومي وغيره من أهل زمانه ونقدمه بحسن عبارته وسلاسة كلامه وعذوبة ألفاظه وقلة تعقد قوله والشعر قبيل ملتمس مستدرك وأمر ممكن منطبع ونظم القرآن عال عن أن يعلق به الوهم أو يسمو اليه الفكر أو يطمع فيه طامع أو يطلبه طالب لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد وكنت قد ذكرت لك قبل هذا أنك إن كنت بصنعة

فبطل مافعلوه من تحريم بعض فى حالة و بعض فى حالة لان العلة على ماذكر تقتضى اطلاق التحريم والاخذ عن الله بلا واسطة باطل ولم يدعوه وبواسطة رسول كذلك لانه لم يأت اليهم رسول قبل النبى صلى الله عليه وسلم واذا بطل جميع ذلك ثبت المدعى وهو ان ماقالوه افتراء على الله وضلال ومنها القول بالموجب قال ابن أبى الاصبع وحقيقته رد كلام الخصم من فحوى كلامه وقال غيره هو قسمان احدهما ان تقع صفة فى كلام الغير كناية عن شىء أثبت له حكم فتثبتها لغير ذلك الشىء كقوله تعالى (يقولون لئن رجعنا الى المدينة ليخرجن الأعز منها الاذل ولله العزة) الآية فالاعز وقعت فى كلام المنافقين كناية عن فريقهم والأذل عن فريق المؤمنين وأثبت المنافقون لفريقهم اخراج المؤمنين من المدينة فأثبت الله فى الرد عليهم صفة العز لغير فريقهم وهو الله ورسوله والمؤمنون فكأنه قيل صحيح ذلك ليخرجن الاعز منها الاذل لكن هم الاذل المخرج والله ورسوله الاعز المخرج والثانى حمل لفظ وقع من كلام الغير على خلاف مراده مما يحتمله بذكر متعلقه ولم أر من أورد له مثالا من القرآن وقد ظفرت بآية منه وهى قوله تعالى (ومنهم الذين يؤذون النبى ويقولون هو اذن قل اذن خير لكم) ومنها التسليم وهو أن يفرض المحال إما منفيا أو مشروطا بحرف الامتناع ليكون المذكور ممتنع الوقوع لامتناع وقوع شرطه ثم يسلم وقوع ذلك تسليما جدليا ويدل على عدم فائدة ذلك على تقدير وقوعه كقوله تعالى (ما اتخذ الله من ولد وما كان معه من اله اذن لذهب كل اله بما خلق ولعلا بعضهم على بعض) المعنى ليس مع الله من اله ولو سلم أن معه سبحانه وتعالى الها لزم من ذلك التسليم ذهاب كل اله من الاثنين بما خلق وعلو بعضهم على بعض فلا يتم فى العالم أمر ولا ينفذ حكم ولا تنتظم أحواله والواقع خلاف ذلك ففرض الهين فصاعدا محال لما يلزم منه المحال ومنها الاسجال وهو الاتيان بألفاظ تسجل على المخاطب وقوع ما خوطب به نحو (ربنا وآتنا ما وعدتنا على رسلك ربنا وأدخلهم جنات عدن التى وعدتهم) فان فى ذلك اسجال بالايتاء والادخال حيث وصفا بالوعد من الله الذى لا يخلف وعده ومنها الانتقال وهو أن ينتقل المستدل الى استدلال غير الذى كان آخذا فيه لكون الخصم لم يفهم وجه الدلالة من الاول كما جاء فى مناظرة الخليل الجبار لما قال له ربى الذى يحيي ويميت فقال الجبار أنا أحيي وأميت ثم دعا بمن وجب عليه القتل فأعتقه ومن لا يجب عليه فقتله فعلم الخليل انه لم يفهم معنى الاحياء والاماتة أو علم ذلك وغالط بهذا الفعل فانتقل عليه السلام الى استدلال لا يجد الجبار له وجها يتخلص به منه فقال (ان الله يأتى بالشمس من المشرق فأت بها من المغرب) فانقطع الجبار وبهت ولم يمكنه أن يقول أنا الآتى بها من المشرق لان من هو أسن منه يكذبه ومنها المناقضة وهى تعليق أمر على مستحيل اشارة الى استحالة وقوعه كقوله تعالى (ولا يدخلون الجنة حتى يلج الجمل فى سم الخياط) ومنها مجاراة الخصم ليعثر بان يسلم بعض مقدماته حيث يراد تبكيته والزامه كقوله تعالى (قالوا ان أنتم الا بشر مثلنا تريدون أن تصدونا عما كان يعبد آباؤنا فأتونا بسلطان مبين قالت لهم رسلهم ان نحن الا بشر مثلكم) الآية فقولهم ان نحن الا بشر مثلكم الآية فيه اعتراف الرسل بكونهم مقصورين على البشرية فكأنهم سلموا انتفاء الرسالة عنهم وليس مرادا بل هو من مجاراة الخصم ليعثر فكأنهم قالوا ما ادعيتم من كوننا بشرا حق لا ننكره ولكن هذا لا ينافى أن يمن الله تعالى علينا بالرسالة

* (النوع التاسع والستون) * فيما وقع فى القرآن من الاسماء والكنى والالقاب فى القرآن من أسماء الانبياء والمرسلين خمس وعشرون هم مشاهيرهم (آدم) أبو البشر ذكر قوم أنه أفعل وصف مشتق من الأدمة ولذا منع الصرف قال الجواليقى أسماء الانبياء كلها أعجمية الا أربعة آدم وصالح وشعيب ومحمد وأخرج ابن أبى حاتم من طريق أبى الضحى عن ابن عباس قال انما سمى آدم

علم اللسان متدربا وفيه متوجها متقدما أمكنك الوقوف على ما ذكرنا والنفوذ فيما وصفنا والا فاجلس فى مجالس المتبلدين واربض بموانف المتحيرين ونصحت لك حيث قلت انظر هل تعرف عروق الذهب ومحاسن الجوهر وبدائع الياقوت ودقائق السحر من غير معرفة بأسباب هذه الأمور ومقدماتها وهل يقطع سمت البلاد من غير اهتداء فيها ولكل شىء طريق يتوصل اليه به وباب يؤخذ نحوه فيه ووجه يؤتى منه ومعرفة الكلام أشد من المعرفة بجميع ما وصفت لك وأغمض وأدق وألطف وتصوير مافى النفس وتشكيل مافى القلب حتى تعلمه وكأنك مشاهده وان كان قد يقع بالاشارة ويحصل بالدلالة والامارة كما يحصل بالنطق الصريح والقول الفصيح فللاشارات أيضا مراتب وللسان منازل ورب وصف يصور لك الموصوف كما هو على جهته لا خلف

لأنه خلق من أديم الأرض وقال قوم هو اسم سرياني أصله آدام بوزن خاتام عرب بحذف الثانية وقال الثعلبي التراب بالعبرانية آدام فسمي آدم به قال ابن ابي خيثمة عاش تسعمائة سنة وستين سنة وقال النووي في تهذيبه اشتهر في كتب التواريخ أنه عاش ألف سنة (نوح) قال الجواليقي أعجمي معرب زاد الكرماني ومعناه بالسريانية الشاكر وقال الحاكم في المستدرك انما سمي نوحا لكثرة بكائه على نفسه واسمه عبدالغفار قال وأكثر الصحابة على انه قبل ادريس وقال غيره هو نوح بن لمك بفتح اللام وسكون الميم بعدها كاف ابن متوشلخ بفتح الميم وتشديد المثناة المضمومة بعدها وفتح الشين المعجمة واللام بعدها معجمة ابن اخنوخ بفتح المعجمة وضم النون الخفيفة بعدها واو ساكنة ثم معجمة وهو ادريس فيما يقال وروى الطبراني عن أبي ذر قال قلت يارسول الله من أول الانبياء قال آدم قلت ثم من قال نوح وبينهما عشرون قرنا وفي المستدرك عن ابن عباس قال كان بين آدم ونوح عشرة قرون وفيه عنه مرفوعا بعث الله نوحا لاربعين سنة فلبث في قومه ألف سنة الا خمسين عاما يدعوهم وعاش بعد الطوفان ستين سنة حتى كثر الناس وفشوا وذكر ابن جرير ان مولد نوح كان بعد وفاة آدم بمائة وستة وعشرين عاما وفي التهذيب للنووي انه أطول الانبياء عمرا (ادريس) قيل انه قبل نوح قال ابن اسحاق كان ادريس اول بني آدم أعطي النبوة وهو اخنوخ ابن يرد بن مهلاييل بن أنوش ابن قينان بن شيث بن آدم وقال وهب بن منبه ادريس جد نوح الذي يقال له خنون وهو اسم سرياني وقيل عربي مشتق من الدراسة لكثرة درسه الصحف وفي المستدرك بسند رواه عن الحسن عن سمرة قال كان نبي الله ادريس أبيض طويلا ضخم البطن عريض الصدر قليل شعر الجسد كثير شعر الرأس وكانت احدى عينيه أعظم من الأخرى وفي صدره نكتة بياض من غير برص فلما رأى الله من أهل الارض ما رأى من جورهم واعتدائهم في أمر الله رفعه إلى السماء السادسة فهو حيث يقول ورفعناه مكانا عليا وذكر ابن قتيبة أنه رفع وهو ابن ثلثمائة وخمسين سنة وفي صحيح ابن حبان انه كان نبيا رسولا وأنه أول من خط بالقلم وفي المستدرك عن ابن عباس قال كان فيما بين نوح وادريس ألف سنة (ابراهيم) قال الجواليقي هو اسم قديم ليس بعربي وقد تكلمت به العرب على وجوه أشهرها ابراهيم وقالوا ابراهام وقرئ به في السبع وابراهم بحذف الياء وابرهم وهو اسم سرياني معناه أب رحيم وقيل مشتق من البرهمة وهي شدة النظر حكاه الكرماني في عجائبه وهو ابن آزر واسمه تارح بمثناة وراء مفتوحة وآخره حاء مهملة ابن ناحور بنون ومهملة مضمومة ابن شاروخ بمعجمة وراء مضمومة وآخره خاء معجمة ابن راغو بغين معجمة ابن فالخ بفاء ولام مفتوحة ومعجمة ابن عابر بمهملة وموحدة ابن شالخ بمعجمتين ابن ارفخشذ بن سام بن نوح قال الواقدي ولد ابراهيم على رأس ألفي سنة من خلق آدم وفي المستدرك من طريق ابن المسيب عن أبي هريرة قال اختتن ابراهيم بعد عشرين ومائة سنة ومات ابن مائتي سنة وحكى النووي وغيره قولا إنه عاش مائة وخمسة وسبعين سنة (اسماعيل) قال الجواليقي ويقال بالنون آخره قال النووي وغيره هو أكبر ولد ابراهيم (اسحاق) ولد بعد اسماعيل بأربع عشرة سنة وعاش مائة وثمانين سنة وذكر أبو علي بن مسكوية في كتاب نديم الفريد ان معنى اسحاق بالعبرانية الضحاك (يعقوب) عاش مائة وسبعا وأربعين سنة (يوسف) في صحيح ابن حبان حديث أبي هريرة مرفوعا ان الكريم ابن الكريم ابن الكريم ابن الكريم يوسف بن يعقوب بن اسحاق ابن ابراهيم وفي المستدرك عن الحسن ان يوسف ألقي في الجب وهو ابن ثنتي عشرة سنة ولقي أباه بعد الثمانين وتوفي وله مائة وعشرون وفي الصحيح انه أعطي شطر الحسن قال بعضهم وهو مرسل لقوله تعالى (ولقد جاءكم يوسف من قبل بالبينات) وقيل ليس هو يوسف بن يعقوب بل يوسف بن افرائيم ابن

فيه وورب وصف يربو عليه ويتعداه وورب وصف يقصر عنه ثم اذا صدق الوصف انقسم إلى صحة واتقان وحسن واحسان وإلى اجمال وشرح وإلى استيفاء وتقريب وإلى غير ذلك من الوجوه وكل مذهب وطريق وله باب وسبيل فوصف الجملة الواقعة كقوله تعالى (لو اطلعت عليهم لوليت منهم فرارا ولملئت منهم رعبا) والتفسير كقوله (ويوم نسير الجبال وترى الأرض بارزة وحشرناهم فلم نغادر منهم أحدا) إلى آخر الآيات في هذا المعنى وكنحو قوله ياأيها الناس اتقوا ربكم ان زلزلة الساعة شيء عظيم يوم ترونها تذهل كل مرضعة عما أرضعت وتضع كل ذات حمل حملها وترى الناس سكارى وماهم بسكارى ولكن عذاب الله شديد هذا مما يصور الشيء على جهته ويمثل اهوال ذلك اليوم ومما يصور لك الكلام لو قع في الصفة كقوله حكاية

ابن يوسف ابن يعقوب ويشبه هذا ما في العجائب للكرماني في قوله ويرث من آل يعقوب ان الجمهور على أنه يعقوب بن ماثان وان امرأة زكريا كانت أخت مريم بنت عمران بن ماثان قال والقول بأنه يعقوب بن اسحاق بن ابراهيم غريب اه وماذكر انه غريب هو المشهور والغريب الأول ونظيره في الغرابة قول نوف البكالي ان موسى المذكور في سورة الكهف في قصة الخضر ليس هو موسى بني اسرائيل بل موسى ميشا بن يوسف وقيل بن افرائيم بن يوسف وقد كذبه ابن عباس في ذلك وأشد من ذلك غرابة ماحكاه النقاش والماوردي أن يوسف المذكور في سورة غافر من الجن بعثه الله رسولا اليهم وماحكاه ابن عسكر ان عمران المذكور في آل عمران هو والد موسى لا والد مريم وفي يوسف ست لغات بتثليث السين مع الواو والهمزة والصواب انه عجمي لا اشتقاق له (لوط) قال ابن اسحاق هو لوط بن هاران بن آزر وفي المستدرك عن ابن عباس قال لوط ابن أخي إبراهيم (هود) قال كعب كان أشبه الناس بآدم وقال ابن مسعود كان رجلا جلدا أخرجهما في المستدرك وقال ابن هشام اسمه عابر بن أرفخش بن سام ابن نوح وقال غيره الراجح في نسبه أنه هود بن عبدالله بن رباح حارذ بن عاد بن عوص بن أرم بن سام بن نوح (صالح) قال وهب هو ابن عبيد بن حابر بن ثمود بن حابر بن سام بن نوح بعث إلى قومه حين راهق الحلم وكان رجلا أحمر إلى البياض سبط الشعر فلبث فيهم أربعين عاما وقال نوف الشامي صالح بن العرب لما أهلك الله عادا عمرت ثمود بعدها فبعث الله اليهم صالحا غلاما شابا فدعاهم إلى الله حين شمط وكبر ولم يكن بين نوح إبراهيم نبي الا هود وصالح أخرجهما في المستدرك وقال ابن حجر وغيره القرآن يدل على أن ثمودا كان بعد عاد كما كان عاد بعد قوم نوح وقال الثعلبي ونقله عنه النووي في تهذيبه ومن خطه نقلت هو صالح بن عبيد بن أسيف بن ماشج بن عبيد بن حاذر بن ثمود بن عاد بن عوص بن أرم بن سام بن نوح بعثه الله إلى قومه وهو شاب وكانوا عربا منازلهم بين الحجاز والشام فأقام فيهم عشرين سنة ومات بمكة وهو ابن ثمان وخمسين سنة (شعيب) قال ابن اسحاق هو ابن ميكاييل بن يشجن بن لاوي بن يعقوب ورأيت بخط النووي في تهذيبه ابن ميكاييل بن يشجن ابن مدين بن ابراهيم الخليل كان يقال له خطيب الأنبياء وبعث رسولا إلى امتين مدين واصحاب الايكة وكان كثير الصلاة وعمي في آخر عمره واختار جماعة ان مدين وأصحاب الايكة أمة واحدة قال ابن كثير ويدل لذلك أن كلا منهما وعظ بوفاء المكيال والميزان فدل على انهما واحد واحتج الأول بما اخرجه عن السدي وعكرمة قالا ما بعث الله نبيا مرتين إلا شعيبا مرة إلى مدين فأخذهم الله بالصيحة ومرة إلى اصحاب الايكة فأخذهم الله بعذاب يوم الظلة (وأخرج) ابن عساكر في تاريخه من حديث عبد الله بن عمرو مرفوعا ان قوم مدين وأصحاب الايكة أمتان بعث الله اليهما شعيبا قال ابن كثير وهو غريب وفي رفعه نظر قال ومنهم من زعم انه بعث إلى ثلاث أمم والثالثة أصحاب الرس (موسى) هو ابن عمران بن يصهر ابن قاهث بن لاوي بن يعقوب عليهما السلام لا خلاف في نسبه وهو اسم سرياني (وأخرج) أبو الشيخ من طريق عكرمة عن ابن عباس قال انما سمي موسى لأنه ألقي بين شجر وماء فالماء بالقبطية مو والشجر سا وفي الصحيح وصفه بأنه آدم طوال جعد كانه من رجال شنوءة قال الثعالبي عاش مائة وعشرين سنة (هرون) أخوه شقيقه وقيل لامه فقط وقيل لابيه فقط حكاهما الكرماني في عجائبه كان أطول منه فصيحا جدا مات قبل موسى وكان ولد قبله بسنة وفي بعض أحاديث الاسراء وصعدت الى السماء الخامسة فاذا أنا بهرون ونصف لحيته بيضاء ونصفها أسود تكاد لحيته تضرب سرته من طولها فقلت ياجبريل من هذا قال المحبب في قومه هرون بن عمران وذكر ان مسكويه ان معنى هرون بالعبرانية المحبب (داود) هو ابن ايشا بكسر الهمزة وسكون التحتية وبالشين المعجمة بن عويد بوزن جعفر

عن السحرة لما توعدهم فرعون بما توعدهم به حين آمنوا قالوا (إنا إلى ربنا لمنقلبون إنا نطمع أن يغفر لنا ربنا خطايانا أن كنا اول المؤمنين) وقال في موضع آخر (إنا إلى ربنا منقلبون وما تنقم منا الا أن آمنا بآيات ربنا لما جاءتنا ربنا أفرغ علينا صبرا وتوفنا مسلمين (هذا ينبيء عن الكلام الحزين لما ناله الجازع لما مسه ومن باب التسخير والتكوين قوله تعالى انما أمره اذا أراد شيئا أن يقول له كن فيكون) وقوله (فلنا لهم كونوا قردة خاسئين) وكقوله (فأوحينا إلى موسى أن اضرب بعصاك البحر فانفلق فكان كل فرق كالطود العظيم) وتقصى أقسام ذلك مما يطول ولم أقصد استيفاء ذلك وانما ضربت لك المثل بما ذكرت لتستدل واشرت اليك بما أشرت لتتأمل وانما اقصرنا على ذكر قصيدة البحتري لان الكتاب يفضلونه على اهل دهره ويقدمونه

بمهملة وموحدة ابن باعر بموحدة ومهملة مفتوحة ابن سلمون بن نحشون بن عمى بن يارب بتحتية وآخره موحدة بن رام بن خضرون بمهملة ثم معجمة ابن فارض بفاء وآخره مهملة ابن يهودا بن يعقوب وفى الترمذى أنه كان أعبد البشر وقال كعب كان أحمر الوجه سبط الشعر أبيض الجسم طويل اللحية فيها جعودة حسن الصوت والخلق وجمع بين النبوة والملك وقال النووى قال أهل التاريخ عاش مائة سنة مدة ملكه منها أربعون سنة وكان له اثنا عشر ابنا (سليمان) ولده قال كعب كان أبيض جسيما وسيما وضيئا جميلا خاشعا متواضعا وكان أبوه يشاوره فى كثير من أموره مع صغر سنه لوفورة عقله وعلمه (وأخرج) ابن جبير عن ابن عباس قال ملك الأرض مؤمنان سليمان وذو القرنين وكافران نمروذ وبخت نصر قال أهل التاريخ ملك وهو ابن ثلاث عشرة سنة وابتدأ بناء بيت المقدس بعد ملكه بأربع سنين ومات وله ثلاث وخمسون سنة (أيوب) قال ابن اسحاق الصحيح أنه كان من بنى إسرائيل ولم يصح فى نسبه شىء إلا أن اسم أبيه أبيض وقال ابن جرير هو أيوب بن موص بن روح بن عيص بن اسحاق وحكى ابن عساكر أن أمه بنت لوط وأن أباه ممن آمن بابراهيم وعلى هذا فكان قبل موسى وقال ابن جرير كان بعد شعيب وقال ابن أبى خيثمة كان بعد سليمان ابتلى وهو ابن سبعين وكانت مدة بلائه سبع سنين وقيل ثلاث عشرة وقيل ثلاث سنين وروى الطبرانى أن مدة عمره كانت ثلاثا وتسعين سنة (ذو الكفل) قيل هو ابن أيوب فى المستدرك عن وهب أن الله بعث بعد أيوب ابنه بشر بن أيوب نبيا وسماه ذو الكفل وأمر بالدعاء إلى توحيده وكان مقيما بالشام عمره حتى مات وعمره خمس وسبعون سنة وفى العجائب للكرمانى قيل هو الياس وقيل هو يوشع بن نون وقيل هو نبى اسمه ذو الكفل وقيل كان رجلا صالحا تكفل بأمور فوفى بها وقيل هو زكريا فى قوله وكفلها زكريا انتهى وقال ابن عساكر قيل هو نبى تكفل الله له فى عمله بضعف عمل غيره من الأنبياء وقيل لم يكن نبيا وإن اليسع استخلفه فتكفل له أن يصوم النهار ويقوم الليل وقيل إنه يصلى كل يوم مائة ركعة وقيل هو اليسع وان له اسمين (يونس) هو ابن متى بفتح الميم وتشديد التاء الفوقية مقصور ووقع فى تفسير عبد الرزاق أنه اسم أمه قال ابن حجر وهو مردود بما فى حديث ابن عباس فى الصحيح ونسبه إلى أبيه قال فهذا أصح قال ولم أقف فى شىء من الأخبار على اتصال نسبه وقد قيل إنه كان فى زمن ملوك الطوائف من الفرس روى ابن أبى حاتم عن أبى مالك أنه لبث فى بطن الحوت أربعين يوما وعن جعفر الصادق سبعة أيام وعن قتادة ثلاثة وعن الشعبى التقمه ضحى ولفظه عشية وفى يونس ست لغات تثليث النون مع الواو والهمزة مع القراءة المشهورة بضم النون مع الواو وقال أبو حيان وقرأ طلحة بن مصرف بكسر يونس ويوسف أراد أن يجعلهما عربيين مشتقين من أنس وأسف وهو شاذ (الياس) قال ابن اسحق فى المبتدأ هو ابن ياسين ابن فنحاص بن العيزار بن هرون أخى موسى بن عمران وقال ابن عساكر حكى القتبى أنه من سبط يوشع وقال وهب أنه عمر كما عمر الخضر وأنه يبقى إلى آخر الزمان وعن ابن مسعود أن الياس هو إدريس وسيأتى قريبا والياس بهمزة قطع اسم عبرانى وقد زيد فى آخره ياء ونون فى قوله تعالى (سلام على إلياسين) كما قالوا فى إدريس إدراسين ومن قرأ آل ياسين فقيل المراد آل محمد (اليسع) قال ابن جبير هو ابن أخطوب بن العجوز قال العامة تقرأه بلام واحدة مخففة وقرأ بعضهم والليسع بلامين بالتشديد فعلى هذا هو عجمى وكذا على الأولى وقيل عربى منقول من الفعل من وسع يسع (زكريا) كان من ذرية سليمان بن داود وقتل بعد قتل ولده وكان له يوم بشر بولده اثنتان وتسعون سنة وقيل تسع وتسعون وقيل مائة وعشرون وزكريا اسم أعجمى وفيه خمس لغات أشهرها المد والثانية القصر وقرىء بهما فى السبع وزكرى بتشديد الياء وتخفيفها وزكر كقلم (يحيى) ولده أول من سمى يحيى

على من فى عصره ومنهم من يدعى له الاعجاز غلوا ويزعم أنه يناغى النجم فى قوله علوا والملحدة تستظهر بشعره وتستكثر بقوله وتدعى كلامه من شبهاتهم وعباراته مضافا إلى ما عندهم من ترهاتهم فبينا قدر درجته وموضع رتبته وحد كلامه وهيهات أن يكون المطموع فيه كالميئوس منه وأن يكون الليل كالنهار والباطل كالحق وكلام رب العالمين ككلام البشر فان قال قائل فقد قدح الملحد فى نظم القرآن وادعى عليه الخلل فى البيان وأضاف اليه الخطأ فى المعنى واللفظ وقال ما قال فهل من فصل قبل الكلام على مطاعن الملحدة فى القرآن مما قد سبقنا اليه وصنف أهل الأدب فى بعضه فكفوا وأتى المتكلمون على ما وقع عليهم فشفوا ولولا ذلك لاستقصينا القول فيه فى كتابنا وأما الغرض الذى صنفنا فيه فى التفصيل والكشف عن اعجاز القرآن فلم نجده

بنص القرآن ولد قبل عيسى بستة أشهر ونبيء صغيرا وقتل ظلما وسلط الله على قاتليه بخت نصر
وجيوشه ويحيى اسم عجمي وقيل عربي قال الواحدي وعلى القولين لا ينصرف قال الكرماني وعلى
الثاني انما سمي به لانه أحياه الله بالايمان وقيل لانه حي به رحم أمه وقيل لانه استشهد والشهداء أحياء
وقيل معناه يموت كالمفازة للمهلكة والسليم للديغ (عيسى) ابن مريم بنت عمران خلقه الله بلا أب
وكانت مدة حمله ساعة وقيل ثلاث ساعات وقيل ستة أشهر وقيل ثمانية أشهر وقيل تسعة وله عشر
سنين وقيل خمسة عشرة ورفع وله ثلاث وثلاثون سنة وفي أحاديث انه ينزل ويقتل الدجال ويتزوج
ويولد له ويحج ويمكث في الأرض سبع سنين ويدفن عند النبي ﷺ وفي الصحيح أنه ربعة أحمر
كأنما خرج من ديماس يعني حماما وعيسى اسم عبراني وسرياني . (فائدة) أخرج ابن أبي حاتم عن
ابن عباس قال لم يكن من الانبياء من له اسمان الا عيسى ومحمد ﷺ (محمد) صلى الله عليه وسلم سمي في
القرآن باسماء كثيرة منها محمد وأحمد . (فائدة) . اخرج ابن أبي حاتم عن عمرو بن مرة قال
خمسة سموا قبل أن يكونوا محمد ومبشرا برسول يأتي من بعدي اسمه أحمد ويحيى انا نبشرك بغلام
اسمه يحيى وعيسى مصدقا بكلمة من الله واسحق ويعقوب نبشرناها باسحق ومن وراء اسحق يعقوب
قال الراغب وخص لفظ أحمد فيما بشر به عيسى تنبيها على أنه أحمد منه ومن الذين قبله وفيه من
أسماء الملائكة جبريل وميكائيل وفيهما لغات جبريل بكسر الجيم والراء بلا همزة وجبريل بفتح
الجيم وكسر الراء بلا همزة وجبرائيل بهمزة بعد الالف وجبرائيل بياء بلا همزة وجبرئيل بهمزة وياء
بلا ألف وجبريل مشددة اللام وقرئ بها قال ابن جني واصله كوربال فغير بالتعريب وطول الاستعمال
الى ماترى وقرئ ميكاييل بلا همزة وميكئل وميكال أخرج ابن جرير من طريق عكرمة عن ابن عباس
قال جبريل عبدالله وميكائيل عبيدالله وكل اسم فيه ايل فهو معبد لله (وأخرج) عن عبدالله بن الحارث
قال ايل الله بالعبرانية (أخرج) ابن أبي حاتم عن عبدالعزيز بن عمير قال اسم جبريل في الملائكة
خادم الله (فائدة) قرأ أبو حيوة فارسلنا اليها روحنا بالتشديد وقدره ابن مهران بأنه اسم لجبريل
حكاه الكرماني في عجائبه (وهاروت وماروت) أخرج ابن أبي حاتم عن علي قال هاروت وماروت
ملكان من ملائكة السماء وقد أفردت في قصتهما جزأ (والرعد) ففي الترمذي من حديث ابن
عباس أن اليهود قالوا للنبي ﷺ أخبرنا عن الرعد فقال ملك من الملائكة موكل بالسحاب
(وأخرج) ابن أبي حاتم عن عكرمة قال الرعد ملك يسبح (وأخرج) عن مجاهد انه سئل عن الرعد
فقال هو ملك يسمى الرعد ألم تر أن الله يقول ويسبح الرعد بحمده (والبرق) فقط أخرج ابن أبي حاتم
عن محمد بن مسلم قال بلغنا أن البرق ملك له أربعة وجوه وجه انسان ووجه ثور ووجه نسر ووجه أسد
فاذا مصع بذنبه فذلك البرق (ومالك) خازن جهنم (والسجل) أخرج ابن أبي حاتم عن أبي جعفر الباقر
قال السجل ملك وكان هاروت وماروت من أعوانه (وأخرج) عن ابن عمر قال السجل ملك (وأخرج)
عن السدي قال ملك موكل بالصحف (وقعيد) فقد ذكر مجاهد أنه اسم كاتب السيئات أخرجه أبو
نعيم في الحلية فهؤلاء تسعة (وأخرج) ابن أبي حاتم من طرق مرفوعة وموقوفة ومقطوعة ان ذا القرنين
ملك من الملائكة فان صح اكمل العشرة (وأخرج) ابن أبي حاتم من طريق علي ابن أبي طلحة عن
ابن عباس في قوله تعالى (يوم يقوم الروح) قال ملك من أعظم الملائكة خلقا فصاروا أحد عشر ثم رأيت
الراغب في مفرداته في قوله تعالى هو الذي أنزل السكينة في قلوب المؤمنين قيل انه ملك يسكن قلب
المؤمن ويؤمنه كما روى أن السكينة تنطق على لسان عمر وفيه من أسماء الصحابة زيد بن حارثة والسجل
في قول من قال أنه كاتب النبي صلى الله عليه وسلم أخرجه أبو داود والنسائي من طريق أبي الجوزاء

على التقريب الذى
قصدنا وقد رجونا أن
يكون ذلك مغنيا وواقعا
وان سهل الله لنا ما نويناه
من املاء معانى القرآن
ذكرنا فى ذلك ما يشتبه
من الجنس الذى ذكروه
لان أكثر ما يقع من
الطعن عليه فانما يقع
على جهل القول بالمعانى
أو طريقة كلام العرب
وليس ذلك من مقصود
كتابنا هذا وقد قال النبي
ﷺ فضل كلام الله على
سائر الكلام كفضل الله
على خلقه وقد قصدنا
فيما أمليناه باختصار
ومهدنا الطريق فمن كمل
طبعه للوقوع على الفضل
أجناس الكلام استدرك
ما بينا ومن تعذر عليه
الحكم بين شعر جرير
والفرزدق والاخطل
والحكم بين فضل زهير
والنابغة أو الفضل بين
البحترى وأصحابه ولم
يعرف سخف مسيلمة فى
نظمه ولم يعلم أنه من
الباب الذى يهزأ به
ويسخر به كشعر أبى
العبس فى جملة الشعر
وشعر على بن صلاة

عن ابن عباس وفيه من أسماء المتقدمين غير الأنبياء والرسل (عمران) أبو مريم وقيل وأبو موسى أيضا وأخوها هارون وليس بأخي موسى كما في حديث أخرجه مسلم وسيأتي آخر الكتاب وعزيز وتبع وكان رجلا صالحا كما أخرجه الحاكم وقيل نبي حكاه الكرماني في عجائبه (ولقمان) وقد قيل إنه كان نبيا والاكثر على خلافه اخرج ابن أبي حاتم وغيره من طريق عكرمة عن ابن عباس قال كان لقمان عبدا حبشيا نجارا او يوسف الذي في سورة غافر ويعقوب في أول سورة مريم على ما تقدم وتقي في قوله فيها (اني أعوذ بالرحمن منك ان كنت تقيا) قيل انه اسم رجل كان من أمثل الناس أي إن كنت في الصلاح مثل تقي حكاه الثعلبي وقيل اسم رجل كان يتعرض للنساء وقيل إنه ابن عمها أتاها جبريل في صورته حكاهما الكرماني في عجائبه وفيه من أسماء النساء مريم لاغير لنكتة تقدمت في نوع الكناية ومعنى مريم بالعبرية الخادم وقيل المرأة التي تغازل الفتيان حكاهما الكرماني وقيل ان بعلا في قوله أتدعون بعلا اسم امرأة كانوا يعبدونها حكاه ابن عسكر وفيه من أسماء الكفار قارون وهو ابن يصهر ابن عم موسى كما أخرجه ابن أبي حاتم عن ابن عباس (وجالوت وهامان) وبشرى الذي ناداه الوارد المذكور في سورة يوسف يابشراي في قول السدي أخرجه ابن أبي حاتم وآزر أبو ابراهيم وقيل اسمه تارح وآزر لقب أخرج ابن أبي حاتم من طريق الضحاك عن ابن عباس قال ان أبا ابراهيم لم يكن اسمه آزر انما كان اسمه تارح وأخرج من طريق عكرمة عن ابن عباس قال معنى آزر الصنم وأخرج عن السدي قال اسم أبيه تارح واسم الصنم آزر وأخرج عن مجاهد قال ليس آزر أبا إبراهيم ومنها النسيء اخرج ابن أبي حاتم عن وائل قال كان رجل يسمى النسيء من بني كنانة كان يجعل المحرم صفرا يستحل به الغنائم وفيه من أسماء الجن ابوهم ابليس وكان اسمه أولا عزازيل (وأخرج) ابن أبي حاتم وغيره من طريق سعيد بن جبير عن ابن عباس قال كان ابليس اسمه عزازيل (وأخرج) ابن جرير عن السدي قال كان اسم ابليس الحارث قال بعضهم هو معنى عزازيل (وأخرج) ابن جرير وغيره من طريق الضحاك عن ابن عباس قال انما سمي ابليس لان الله أبلسه من الخير كله أيسه منه وقال ابن عسكر قيل في اسمه فترة حكاه الخطابي وكنيته أبو كردوس وقيل أبو فترة وقيل أبو مرة وقيل أبو لبينى حكاه السهيلي في الروض الانف وفيه من أسماء القبائل يأجوج ومأجوج وعاد وثمود ومدين وقريش والروم وفيه من الاقوام بالاضافة قوم نوح وقوم لوط وقوم تبع وقوم ابراهيم وأصحاب الأيكة (وقيل) هم مدين وأصحاب الرس وهم بقية من ثمود قاله ابن عباس وقال عكرمة هم أصحاب ياسين وقال قتادة هم قوم شعيب وقيل هم أصحاب الاخدود واختاره ابن جرير وفيه من أسماء الاصنام التي كانت اسماء لأناس ود وسواع ويغوث ويعوق ونسر وهي أصنام قوم نوح واللات والعزى ومناة وهي أصنام قريش وكذا الرجز فيمن قرأه بضم الراء ذكر الاخفش في كتاب الواحد والجمع انه اسم صنم والجبت والطاغوت قال ابن جرير ذهب بعضهم الى أنهما صنمان كان المشركون يعبدونهما ثم أخرج عن عكرمة قال الجبت والطاغوت صنما والرشاد في قوله في سورة غافر وما أهديكم الا سبيل الرشاد قيل هو اسم صنم من أصنام فرعون حكاه الكرماني في عجائبه (وبعل) وهو صنم قوم الياس وآزر على انه اسم صنم روى البخاري عن ابن عباس قال ود وسواع ويغوث ويعوق ونسر أسماء رجال صالحين من قوم نوح فلما هلكوا أوحى الشيطان الى قومهم أن انصبوا الى مجالسهم التي كانوا يجلسون انصابا وسموها باسمائهم ففعلوا فلم تعبد حتى إذا هلك أولئك ونسخ العلم عبدت وأخرج ابن أبي حاتم عن عروة أنهم أولاد آدم لصلبه وأخرج البخاري عن ابن عباس قال كان اللات رجلا يلت سويق الحاج وحكاه ابن جني عنه أنه قرأ اللات بتشديد التاء وفسره بذلك وكذا أخرجه ابن أبي حاتم عن مجاهد وفيه من

فكيف يمكنه النظر فيما وصفنا والحكم على ما بينا فان قال قائل فاذكر لنا من هؤلاء الشعراء الذين سميتم الاشعر والابلغ قيل له هذا ايضا خارج عن غرض هذا الكتاب وقد تكلم فيه الادباء ويحتاج أن يجدد لنحو هذا كتاب ويفرد له باب وليس من قبيل مانحن فيه بسبيل وليس لقائل أن يقول قد يسلم بعض الكلام من العوارض والعيوب ويبلغ أمده في الفصاحة والنظم العجيب ولا يبلغ عندكم حد المعجز فلم قضيتم بما قضيتم به في القرآن دون غيره من الكلام وانما لم يصح هذا السؤال وما ذكر فيه من أشعار في نهاية الحسن وخطب ورسائل في غاية الفضل لانا قد بينا أن هذه الاجناس قد وقع التنازع والمساماة عليها والتنافس في طرقها والتنافر في بابها وكان البون بين البعض والبعض في الطبقة الواحدة قريبا والتفاوت

اسماء البلاد والبقاع والامكنة والجبال بكة اسم لمكة فقيل الباء بدل من الميم ومأخذه من تمككت العظم أى اجتذبت مافيه من المخ وتمكك الفصيل مافى ضرع الناقة فكانها تجتذب الى نفسها مافى البلاد من الافوات وقيل لانها تمك الذنوب أى تذهبها وقيل لقلة مائها وقيل لانها فى بطن واد يمكك الماء من جبالها عند نزول المطر وتنجذب اليها السيول وقيل الباء اصل ومأخذه من البك لانها تبك اعناق الجبابرة أى تكسرهم فيذلون لها ويخضعون وقيل من التباك وهو الازدحام لازدحام الناس فيها فى الطواف وقيل مكة الحرم و بكة المسجد خاصة وقيل مكة البلد ومكة البيت وموضع الطواف وقيل البيت خاصة (والمدينة) سميت فى الاحزاب بيثرب حكاية عن المنافقين وكان اسمها فى الجاهلية فقيل لانه اسم أرض فى ناحيتها وقيل سميت بيثرب ابن وائل من بنى ارم بن سام بن نوح لانه اول من نزلها وقدصح النهى عن تسميتها به لانه ﷺ كان يكره الاسم الخبيث وهو يشعر بالثرب وهو الفساد أو التثريب وهو التوبيخ (وبدر) وهى قرب المدينة أخرج ابن جرير عن الشعبى قال كانت بدر لرجل من جهينة يسمى بدرا فسميت به قال الواقدى فذكرت ذلك لعبد الله بن جعفر ومحمد بن صالح فأنكراه وقالا فلاى شىء سميت الصفراء ورابغ هذا ليس بشىء انما هو اسم الموضع وأخرج عن الضحاك قال بدر ما بين مكة والمدينة (وأحد) قرىء شاذا اذ تصعدون ولا تلون على أحد (وحنين) وهى قرية قرب الطائف (وجمع) وهى مزدلفة (والمشعر الحرام) وهو جبل بها (ونقب) قيل هو اسم لما بين عرفات الى مزدلفة حكاه الكرمانى (ومصر وبابل) وهى بلد بسواد العراق والايكة وليكة بفتح اللام بلد قوم شعيب (والثانى) اسم البلد والاول اسم الكورة (والحجر) منازل ثمود ناحية الشام وعند وادى القرى (والاحقاف) وهى جبال الرمل بين عمان وحضرموت وأخرج ابن أبى حاتم عن ابن عباس أنها جبل بالشام (وطور سينا) وهو الجبل الذى نودى منه موسى (والجودى) وهو جبل بالجزيرة (وطوى) اسم الوادى كما أخرجه ابن أبى حاتم عن ابن عباس وأخرج من وجه آخر عنه سمى طوى لان موسى طواه ليلا وأخرج عن الحسن قال هو واد بفلسطين قيل له طوى لانه قد قدس مرتين وأخرج عن بشر بن عبيدة قال هو واد بايلة طوى بالبركة مرتين (والكهف) وهو البيت المنقور فى الجبل والرقيم أخرج ابن أبى حاتم عن ابن عباس قال زعم كعب أن الرقيم القرية التى خرجوا منها وعن عطية قال الرقيم واد وعن سعيد بن جبير مثله وأخرج من طريق العوفى عن ابن عباس قال الرقيم واد بين عقبان وايلة دون فلسطين وعن قتادة قال الرقيم اسم الوادى الذى فيه الكهف وعن أنس بن مالك قال الرقيم الكلب (والعرم) أخرج ابن أبى حاتم عن عطاء قال العرم اسم الوادى (وحرد) قال السدى بلغنا أن اسم القرية حرد أخرجه ابن حاتم (والصريم) أخرج ابن جرير عن سعيد بن جبير أنها أرض باليمن تسمى بذلك (وق) وهو جبل محيط بالارض (والجرز) وقيل اسم ارض (والطاغية) قيل اسم البقعة التى أهلكت بها ثمود حكاها الكرمانى وفيه من اسماء الاماكن الاخروية الفردوس وهو أعلى مكان فى الجنة وعليون قيل اعلى مكان فى الجنة وقيل اسم لما دون فيه اعمال صلحاء الثقلين والكوثر نهر فى الجنة كما فى احاديث المتواترة سلسبيل وتسنيم عينان فى الجنة وسجين اسم لمكان أرواح الكفار وصعود جبل فى جهنم كما أخرجه الترمذى من حديث أبى سعيد مرفوعا وغى وأثام وموبق والسعر وويل وسائل وسحق أودية فى جهنم كما أخرج ابن أبى حاتم عن أنس بن مالك فى قوله وجعلنا بينهم موبقا قال واد فى جهنم من قيح وأخرج عن عكرمة فى قوله موبقا قال هو نهر فى النار وأخرج الحاكم فى مستدركه عن ابن مسعود فى قوله فسوف يلقون غيا قال واد فى جهنم وأخرج الترمذى وغيره من حديث أبى سعيد الخدرى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ويل واد فى جهنم

خفيفا وذلك القدر من السبق أن ذهب عند الواحد لم ييأس منه الباقون ولم ينقطع الطمع فى مثله وليس كذلك سمت القرآن لانه قد عرفت ان الوهم ينقطع دون مجاراته والطمع يرتفع عن مباراته ومساماته وان الكل فى العجز عنه على حد واحد وكذلك قد يزعم زاعمون أن كلام الجاحظ من السمت الذى لا يؤخذ فيه والباب الذى لايذهب عنه وأنت تجد قوما مايرون كلامه قريبا ومنهاجه معيبا ونطاق قوله ضيقا حتى يستعين بكلام غيره ويفزع إلى مايوشح به كلامه من بيت سائر ومثل نادر وحكمة ممهدة منقولة وقصة عجيب مأثورة وأما كلامه فى أثناء ذلك فسطور قليلة وألفاظ يسيرة فاذا أحوج الى تطويل الكلام خاليا عن شىء يستعين به فيخلطه بقوله من قول غيره كان كلام ككلام غيره فان أردت أن تحقق هذا فانظر الى كتبه

يهوى فيه الكافر أربعين خريفا قبل أن يبلغ قعره وأخرج ابن المنذر عن ابن مسعود قال ويل واد في جهنم من قيح وأخرج ابن أبي حاتم عن كعب قال في النار أربعة أودية يعذب الله بها أهلها غليظ وموبق وآثام وغي وأخرج عن سعيد بن جبير قال السعير واد من قيح في جهنم وسحق واد في جهنم وأخرج عن أبي زيد في قوله سأل سائل هو واد من أودية جهنم يقال له سائل (والفلق) جب في جهنم في حديث مرفوع اخرجه ابن جرير ويحموم دخان أسود أخرجه الحاكم عن ابن عباس وفيه من المنسوب إلى الأماكن الامي قيل انه نسبة الى أم القرى وعبقري قيل انه منسوب الى عبقر موضع للجن ينسب اليه كل نادر والسامري قيل منسوب إلى أرض يقال لها سامرون وقيل سامرة والعربي قيل منسوب إلى عربة وهي ساحة دار اسماعيل عليه السلام أنشد فيها

وعربة أرض ما يحل حرامها ٭ من الناس إلا اللوذعي الحلاحل

يعني النبي ﷺ وفيه من اسماء الكواكب الشمس والقمر والطارق والشعرى

٭ (فائدة). قال بعضهم سمى الله في القرآن عشرة أجناس من الطير السلوى والبعوض والذباب والنحل والعنكبوت والجراد والهدهد والغراب وأبابيل والنمل فانه من الطير لقوله في سليمان علمنا منطق الطير وقد فهم كلامها وأخرج ابن أبي حاتم عن الشعبي قال النملة التي فقه سليمان كلامها كانت ذات جناحين

٭ (فصل). أما الكنى فليس في القرآن منها غير أبي لهب واسمه عبد العزى ولذلك لم يذكر باسمه لأنه حرام شرعا وقيل الاشارة إلى أنه جهنمي وأما الألقاب فمنها اسرائيل لقب يعقوب ومعناه عبد الله وقيل صفوة الله وقيل سري الله لأنه أسرى لما هاجر أخرج ابن جرير من طريق عمير عن ابن عباس ان اسرائيل كقوله عبد الله وأخرج عبد بن حميد في تفسيره عن أبي مجلز قال كان يعقوب رجلا بطيشا فلقي ملكا فعالجه فصرعه الملك فضرب على فخذه فلما رأى يعقوب ما صنع به بطش به فقال وما أنا بتاركك حتى يسميني اسما فسماه اسرائيل قال أبو مجلز ألا ترى أنه من أسماء الملائكة وفيه لغات أشهرها بياء بعد الهمزة ولام وقرىء اسرائل بلا همز قال بعضهم ولم تخاطب اليهود في القرآن الا بيا بني اسرائيل دون يا بني يعقوب لنكتة هو انهم خوطبوا بعبادة الله وذكروا بدين أسلافهم موعظة لهم وتنبيها غفلتهم فسموا بالاسم الذي فيه تذكرة بالله تعالى فان اسرائيل اسم مضاف الى الله في التأويل ولما ذكر موهبته لابراهيم وتبشيره به قال يعقوب وكان أولى من اسرائيل لانها موهبة بعقب آخر فناسب ذكره اسم يشعر بالتعقيب ومنها المسيح لقب لعيسى ومعناه قيل الصديق وقيل الذي ليس لرجله خمص وقيل الذي لا يمسح ذا عاهة الا برىء وقيل الجميل وقيل الذي يمسح الارض أي يقطعها وقيل غير ذلك (ومنها الياس) قيل إنه لقب ادريس (أخرج) ابن أبي حاتم بسند حسن عن ابن مسعود قال الياس هو ادريس واسرائيل هو يعقوب وفي قراءته وان ادراس لمن المرسلين سلام على ادراسين قراءة أبي وأن ايليس سلام على ايليس (ومنها ذو الكفل) قيل إنه لقب الياس وقيل لقب اليسع قيل لقب يوشع وقيل لقب زكريا ومنها نوح اسمه عبد الغفار ولقبه نوح لكثرة نوحه على نفسه في طاعة ربه كما أخرجه ابن أبي حاتم عن يزيد الرقاشي ومنها ذو القرنين واسمه اسكندر وقيل عبد الله بن الضحاك بن سعد وقيل المنذر بن ماء السماء وقيل الصعب بن قرين بن الهمال حكاهما ابن عسكر ولقب ذا القرنين لانه بلغ قرني الارض المشرق والمغرب وقيل لانه ملك فارس والروم وقيل كان على رأسه قرنان أي ذؤابتان وقيل كان له قرنان من ذهب وقيل كانت صفحتا رأسه من نحاس وقيل كان على رأسه قرنان صغيران تواريهما العمامة وقيل إنه ضرب على قرنه فمات ثم بعثه الله فضربوه على قرنه الآخر

في نظام القرآن وفي الرد على النصارى وفي خبر الواحد وغير ذلك مما يجري هذا المجرى هل تجد في ذلك كله ورقة تشتمل على نظم بديع أو كلام مليح على أن متأخري الكتاب قد نازعوه في طريقته وجاذبوه على منهجه فمنهم من ساواه حين ساماه ومنهم من أبر عليه اذ باراه هذا أبو الفضل بن العميد قد سلك مسلكه وأخذ طريقه فلم يقصر عنه ولعله قد بان تقدمه عليه لانه يأخذ في الرسالة الطويلة فيستوفيها على حدود مذهبه ويكملها على شروط صنعته ولا يقتصر على أن يأتي بالاسطر من نحو كلامه كما ترى الجاحظ يفعله في كتبه متى ذكر من كلامه سطرا أتبعه من كلام الناس أوراقا واذا ذكر منه صفحة بنى عليه من قول غيره كتابا وهذا يدلك على أن الشيء اذا استحسن اتبع واذا استملح قصد له تعمد وهذا الشيء

وقيل لأنه كان كريم الطرفين وقيل لأنه انقرض فى وقته قرنا من الناس وهو حى وقيل لأنه أعطى علم الظاهر وعلم الباطن وقيل لأنه دخل النور والظلمة (ومنها) فرعون واسمه الوليد بن مصعب وكنيته أبو العباس وقيل أبو الوليد وقيل ابو مرة فرعون لقب لكل من ملك مصر (أخرج) ابن أبى حاتم عن مجاهد قال كان فرعون فارسيا من أهل اصطخر (ومنها) تبع قيل كان اسمه أسعد بن ملكيكرب وسمى تبعا لكثرة من تبعه وقيل إنه لقب ملوك اليمن سمى كل واحد منهما تبعا أى يتبع صاحبه كالخليفة يخلف غيره

• (النوع السبعون) . فى المبهمات أفرده بالتأليف السهيلى ثم ابن عساكر ثم القاضى بدر الدين ابن جماعة ولى فيه تأليف لطيف جمع فوائد الكتب المذكورة مع زوائد أخرى على صغر حجمه جدا وكان من السلف من يعتنى به كثيرا قال عكرمة طلبت الذى خرج من بيته مهاجرا إلى الله ورسوله ثم أدركه الموت أربع عشرة سنة (وللابهام) فى القرآن أسباب أحدها الاستغناء ببيانه فى موضع آخر كقوله صراط الذين أنعمت عليهم فانه مبين فى قوله مع الذين أنعمت عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين (الثانى) أن يتعين لاشتهاره كقوله وقلنا يا آدم اسكن أنت وزوجك الجنة ولم قل حواء لأنه ليس له غيرها ألم تر الى الذى حاج ابراهيم فى ربه والمراد نمروذ لشهرة ذلك لأنه المرسل اليه وقد ذكر الله فرعون فى القرآن باسمه ولم يسم نمروذ لان فرعون كان أذكى منه كما يؤخذ من أجوبته لموسى ونمروذ كان بليدا ولهذا قال أنا أحيى وأميت وفعل ما فعل من قتل شخص والعفو عن آخر وذلك غاية البلادة (الثالث) قصد الستر عليه ليكون أبلغ فى استعطافه نحو ومن الناس من يعجبك قوله فى الحياة الدنيا الآية هو الأخنس بن شريق وقد أسلم بعد وحسن إسلامه (الرابع) أن يكون فى تعيينه كبير فائدة نحو أو كالذى مر على قرية واسألهم عن القرية (الخامس) التنبيه على العموم وأنه غير خاص بخلاف ما لو عين نحو ومن يخرج من بيته مهاجرا (السادس) تعظيمه بالوصف الكامل دون الاسم نحو ولا يأتل أولوا الفضل والذى جاء بالصدق وصدق به إذ يقول لصاحبه والمراد الصديق فى الكل (السابع) تحقيره بالوصف الناقص نحو إن شانئك هو الأبتر . (تنبيه) . قال الزركشى فى البرهان لا يبحث عن مبهم أخبر الله باستئثاره بعلمه كقوله وآخرين منهم لا تعلمونهم الله يعلمهم قال والعجب ممن تجرأ وقال إنهم قريظة أو من الجن قلت ليس فى الآية ما يدل على أن جنسهم لا يعلم وإنما المنفى علم أعيانهم ولا ينافيه العلم بكونهم من قريظة أو من الجن وهو نظير قوله فى المنافقين وممن حولكم من الأعراب منافقون ومن أهل المدينة مردوا على النفاق لا تعلمهم نحن نعلمهم فان المنفى علم أعيانهم ثم القول فى أولئك إنهم قريظة أخرجه ابن حاتم عن مجاهد والقول بأنهم من الجن أخرجه ابن أبى حاتم من حديث عبد الله بن عريب عن أبيه مرفوعا عن النبى ﷺ فلا جراءة

• (فصل) . اعلم أن علم المبهمات مرجعه النقل المحض لا مجال للرأى فيه ولما كانت الكتب المؤلفة فيه وسائر التفاسير تذكر فيها أسماء المبهمات والخلاف فيها دون بيان مستند يرجع إليه أو عزو يعتمد عليه ألفت الكتاب الذى ألفته مذكورا فيه عزو كل قول إلى قائله من الصحابة والتابعين وغيرهم معزوا إلى أصحاب الكتب الذين خرجوا ذلك بأسانيدهم مبينا فيه ما صح سنده وما ضعف فجاء لذلك كتابا حافلا لا نظير له فى نوعه وقد رتبته على ترتيب القرآن وأنا ألخص هنا مهماته بأوجز عبارة تاركا العزو والتخريج غالبا اختصارا واحالة على الكتاب المذكور وأرتبه على قسمين الأول فيما أبهم من رجل أو امرأة أو ملك أو جنى أو مثنى أو مجموع عرف أسماء كلهم أو من أو الذى إذا لم يرد به العموم قوله تعالى (انى جاعل فى الأرض خليفة) هو آدم وزوجه حواء بالمد لأنها خلقت من حى (وإذ قتلتم نفسا)

يرجع إلى الأخذ بالفضل والتنافس فى التقدم الو كان فى مقدار البشر معارضة القرآن لهذا الغرض وحده لكثرت المعارضات ودامت المنافسات فكيف وهناك دواع لا انتهاء لها وجوالب لا حد لكثرتها لأنهم لو كانوا عارضوه لتوصلوا إلى تكذيبه ثم الى قطع المحامين دونه عنه أو تنفيرهم عليه وإدخال الشبهات على قلوبهم وكان القوم يكتفون بذلك عن بذل النفوس ونصب الأرواح والأخطار بالأموال والذرارى فى وجه عداوته ويستغنون بكلام هو طبعهم وعادتهم وصناعتهم عن محاربته وطول منافسته ومجاذبته وهذا الذى عرضناه على قلبك يكفى ان هديت لرشدك ويفى ان ذلك على قصدك ونسأل الله حسن التوفيق والعصمة والتسديد إنه لا معرفة الا بهدايته ولا عصمة إلا بكفايته وهو على ما يشاء قدير وحسبنا الله ونعم

اسمه عاميل وابعث فيهم رسولا منهم هو النبي صلى الله عليه وسلم ووصى بها ابراهيم بنيه هم اسمعيل واسحق ومان وزمران وسرح ونشق ونفشان واميم وكيسان وسورح ولوطان ونافش (الاسباط) أولاد يعقوب اثنا عشر رجلا يوسف وروبيل وشمعون ولاوى ويهودا ودانى وتفتانى بفاء ومثناة وكاد وياشير وايشاجر ورايلون وبنيامين ومن الناس من يعجبك قوله هو الأخنس بن شريق ومن الناس من يشرى نفسه هو صهيب إذ قالوا النبي لهم هو شمويل وقيل شمعون وقيل يوشع منهم من كلم الله قال مجاهد موسى ورفع بعضهم درجات قال محمد الذى حاج ابراهيم فى ربه نمروذ بن كنعان أو كالذى مر على قرية عزير وقيل أرمياء وقيل حز قيل امرأة عمران حنة بنت فاقود (وامرأتى عاقر) هى أشياع أو أشيع بنت فاقود (منادياً ينادى للايمان) هو محمد صلى الله عليه وسلم (الطاغوت) قال ابن عباس هو كعب بن الأشرف أخرجه أحمد وان منكم لمن ليبطئن هو عبد الله بن أبى ولا تقولوا لمن ألقى إليكم السلام لست مؤمنا هو عامر بن الأضبط الأشجعى وقيل مرداس والقائل ذلك نفر من المسلمين منهم أبو قتادة ومحلم بن جثامة وقيل إن الذى باشر القول محلم وقيل إنه الذى باشر قتله أيضا وقيل ذلك المقداد بن الأسود وقيل اسامة بن زيد ومن يخرج من بيته مهاجرا إلى الله ورسوله ثم يدركه الموت هو ضمرة بن جندب وقيل ابن العيص ورجل من خزاعة وقيل أبو ضمرة بن العيص وقيل اسمه سبرة وقيل هو خالد بن حزام وهو غريب جدا وبعثنا منهم اثنى عشر نقيبا هم شموع بن زكور من سبط روبيل وشرانط بن حورى من سبط شمعون وكالب بيوقنا من سبط يهوذا ويورك بن يوسف من سبط أشاجره ويوشع بن نون من سبط افرائيم بن يوسف وبلطى بن روفو من سبط بنيامين وكرابيل بن سورى من سبط زبلون وكدبن سوساس من سبط منشا بن يوسف وعمايبل بن كسل من سبط دان وستور بن منحائيل من سبط اشير ويوحنا بن وقرسى من سبط تفتال وال بن موخا من سبط كاد لوقال رجلان هما يوشع وكالب (نبأ ابنى آدم) هما قابيل وهابيل وهو المقتول (الذى آتيناه آياتنا فانسلخ منها) بلعم ويقال بلعام بن آبر ويقال باعر ويقال باعور وقيل هو أمية بن أبى الصلت وقيل صيفى بن الراهب وقيل فرعون وهو أغربها (وإنى جار لكم) عنى سراقة بن جعشم (فقاتلوا أئمة الكفر) قال قتادة هم أبو سفيان وأبو جهل وأمية بن خلف وسهيل بن عمرو وعتبة بن ربيعة (إذ يقول لصاحبه) هو أبو بكر وفيكم سماعون لهم قال مجاهد هم عبد الله بن أبى بن سلول ورفاعة بن التابوت وأوس بن قيظى (ومنهم من يقول ائذن لى) هو الجد بن قيس ومنهم من يلمزك فى الصدقات هو ذو الخويصرة إن يعف عن طائفة منكم هو مخشى بن حمير (ومنهم من عاهد الله) هو ثعلبة بن حاطب (وآخرون اعترفوا بذنوبهم) قال ابن عباس هم سبعة أبو لبابة وأصحابه وقال قتادة سبعة من الأنصار أبو لبابة وجد بن قيس وحرام وأوس وكردم ومرادس (وآخرون مرجعون) هم هلال بن أمية ومرارة بن الربيع وكعب بن مالك هم الثلاثة الذين خلفوا (والذين اتخذوا مسجدا ضرارا) قال ابن اسحق اثنا عشر من الأنصار حرام بن خالد وثعلبة بن حاطب وهلال بن أمية ومعتب بن قشير وأبو حبيبة بن الأزعر وعباد بن حنيف وجارية بن عامر وابناه مجمع وزيد ونبتل بن الحارث وبحزج وبجاد بن عثمان ووديعة بن ثابت (لمن حارب الله ورسوله) هو أبو عامر الراهب (أفمن كان على بينة من ربه) هو محمد صلى الله عليه وسلم ويتلوه شاهد منه هو جبريل وقيل القرآن وقيل أبو بكر وقيل على (ونادى نوح ابنه) اسمه كنعان وقيل يام وامرأته واغلة وامرأة لوط والهة اسمها اسارة (بنات لوط) ريثا وغوثا (ليوسف وأخوه) بنيامين شقيقه (قال قائل منهم) هو روبيل وقيل يهودا وقيل شمعون (فأرسلوا واردهم) هو مالك ابن دعر (وقال الذى اشتراه) هو قطفير أو اطفير لامرأته هى راعيل وقيل زليخا (ودخل معه السجن

الوكيل

(فصل)

فان قال قائل قد يجوز أن يكون أهل عصر النبي صلى الله عليه وسلم قد عجزوا عن الاتيان بمثل القرآن وان كان من بعدهم من أهل الأعصار لم يعجزوا وقيل هذا سؤال معروف وقد أجيب عنه بوجوه منها ما هو صواب ومنه ما فيه خلل لأن من كان يجيب عنه بأنهم لا يقدرون على معارضته فى الأخبار عن الغيوب ان قدروا على مثل نظمه فقد سلم المسئلة لأنا ذكرنا أن نظمه معجز لا يقدر عليه فاذا أجاب بما قدمناه فقد وافق السائل عن مراده والوجه أن يقال فيه طرق منها أنا إذا علمنا أن أهل ذلك العصر كانوا عاجزين عن الإتيان بمثله فمن بعدهم أعجز لأن فصاحة أولئك فى وجوه ما كانوا يتفننون فيه من القول مما لا يزيد عليه فصاحة من بعدهم وأحسن أحوالهم ان

فتيان)

فتيان) هما مجاث وبنوه وهو الساقي وقيل راشان ومرطاش وقيل سرهم وسرهم (للذي ظن انه ناج)
هو الساقي (عند ربك) هو الملك ريان بن الوليد (بأخ لكم) وهو بنيامين وهو المتكرر في السورة
(فقد سرق أخ له) عنوا يوسف (قال كبيرهم) هو شمعون وقيل روبيل (آوى اليه أبويه) هما
أبوه وخالته ليا وقيل أمه واسمها راحيل (ومن عنده علم الكتاب) هو عبد الله بن سلام وقيل
جبريل (أسكنت من ذريتي) هو اسماعيل (ولوالدي) اسم أبيه تارح وقيل آزر وقيل يازر
واسم أمه ثاني وقيل نوفا وقيل ليوثا (انا كفيناك المستهزئين) قال سعيد بن جبير هم خمسة الوليد بن
المغيرة والعاصي بن وائل وأبو زمعة والحارث بن قيس والأسود بن عبد يغوث (رجلين) أحدهما
أبكم هو أسيد بن أبي العيص (ومن يأمر بالعدل) عثمان بن عفان (كالتي نقضت غزلها) ريطة
بنت سعيد بن زيد مناة بن تيم (إنما يعلمه بشر) عنوا عبد بن الحضرمي واسمه مقيس وقيل
عبدين له يسار وجبر وقيل عنوا قينا بمكة اسمه بالعام وقيل سلمان الفارسي (أصحاب الكهف)
تمليخا وهو رئيسهم والقائل (فأووا إلى الكهف) والقائل (ربكم أعلم بما لبثتم) وتكسلمينا وهو
القائل (كم لبثتم) ومرطوش وبرانش وأبونس وأريطانس وشلططيرس (فابعثوا أحدكم بورقكم)
هو تمليخا (من أغفلنا قلبه) هو عيينة بن حصن (واضرب لهم مثلا رجلين) هو تمليخا وهو الخير
وفطروس وهما المذكوران في سورة الصافات (قال موسى لفتاه) هو يوشع بن نون وقيل أخوه يثربي
(فوجدا عبدا) هو الخضر واسمه بليا (لقيه غلاما) اسمه جيسون بالجيم وقيل بالحاء (وراءهم ملك) هو
هدد بن بدد (وأما الغلام فكان أبواه) اسم الأب كازيرا والأم سهوا (لغلامين يتيمين) هما صرم وصريم
(فناداها من تحتها) قيل عيسى وقيل جبريل (ويقول الانسان) هو أبي بن خلف وقيل أمية بن خلف
وقيل الوليد بن المغيرة (أفرأيت الذي كفر) هو العاصي بن وائل (وقتلت منهم نفسا) هو القبطي واسمه
قانون (السامري) اسمه موسى بن ظفر (من أثر الرسول) هو جبريل (ومن الناس من يجادل) هو النضر
ابن الحارث (هذان خصمان) أخرج الشيخان عن أبي ذر قال نزلت هذه الآية في حمزة وعبيدة بن
الحارث وعلي بن أبي طالب وعتبة وشيبة والوليد بن عتبة (ومن يرد فيه بالحاد) قال ابن عباس
نزلت في عبد الله بن انيس (الذين جاءوا بالافك) هم حسان بن ثابت ومسطح بن اثاثة وحمنة بنت
جحش وعبد الله بن أبي وهو الذي تولى كبره (ويوم يعض الظالم) هو عقبة بن أبي معيط (لم اتخذ فلانا)
هو أمية بن خلف وقيل أبي بن خلف (وكان الكافر) قال الشعبي هو أبو جهل (امرأة تملكهم) هي
بلقيس بنت شراحيل فلما جاء سليمان اسم الجائي منذر (قال عفريت من الجن) اسمه كوزن
(الذي عنده علم) هو آصف بن برخيا كاتبه وقيل رجل يقال له ذو النور وقيل اسطوم وقيل تمليخا
وقيل بلخ وقيل هو ضبه أبو القبيلة وقيل جبريل وقيل ملك آخر وقيل الخضر (تسعة رهط) هم رعمى
ورعيم وهرمى وهريم وداب وصواب ورياب ومسطع وقدار بن سالف عاقر الناقة (فالتقطه آل
فرعون) اسم الملتقط طابوس (امرأة فرعون) آسية بنت مزاحم (أم موسى) يوحانذ بنت يصهر بن لاوى
وقيل يوخا وقيل أباذخت (وقالت لأخته) اسمها مريم وقيل كلثوم (هذا من شيعته) هو السامري
(وهذا من عدوه) اسمه فاتون (وجاء رجل من أقصى المدينة يسعى) هو مؤمن آل فرعون واسمه
سمعان وقيل شمعون وقيل جبر وقيل حبيب وقيل حزقيل (امرأتين تذودان) هما ليا وصفوريا وهي
التي نكحها وأبوهما شعيب وقيل يثرون ابن أخي شعيب (قال لقمان لابنه) اسمه باران بالموحدة
وقيل داران وقيل أنعم وقيل مشكم ملك الموت اشتهر على الألسنة ان اسمه عزرائيل ورواه أبو الشيخ
ابن حيان عن وهب (فمن كان مؤمنا كمن كان فاسقا) نزلت في علي بن أبي طالب والوليد بن

يقاربوهم أو يساووهم فاما أن يتقدموهم أو يسبقوهم فلا ومنها أنا قد علمنا عجز أهل سائر الأعصار كعلمنا بعجز أهل العصر الأول والطريق في العلم بكل واحد من الأمرين طريق واحد لأن التحدي في الكل على جهة واحدة والتنافر في الطباع على جد والتكلف على منهاج لا يختلف ولذلك قال الله تبارك وتعالى (قل لئن اجتمعت الانس والجن على أن يأتوا بمثل هذا القرآن لا يأتون بمثله ولو كان بعضهم لبعض ظهيرا)

(فصل في التحدي)

يجب ان تعلم أن من حكم المعجزات إذا ظهرت على الأنبياء أن يدعوا فيها انها من دلائلهم وآياتهم لأنه لا يصح بعثة النبي من غير أن يؤتى دلالة ويؤيد بآية لأن النبي لا يتميز من الكاذب بصورته ولا بقول نفسه ولا بشيء آخر سوى البرهان الذي يظهر عليه فيستدل به على صدقه

عقبة (ويستأذن فريق منهم النبي) قال السدي هما رجلان من بني حارثة أبو عرابة بن أوس أو أوس ابن قيظي (قل لأزواجك) قال عكرمة كانت تحته يومئذ تسع نسوة عائشة وحفصة وأم حبيبة وسودة وأم سلمة وصفية وميمونة وزينب بنت جحش وجويرية وبناته فاطمة وزينب ورقية وأم كلثوم (أهل البيت) قال ﷺ هم علي وفاطمة والحسن والحسين (للذي أنعم الله عليه وأنعمت عليه) هو زيد بن حارثة (امسك عليك زوجك) هي زينب بنت جحش (وحملها الانسان) قال ابن عباس هو آدم (ارسلنا اليهم اثنين) هما شمعون ويوحنا (والثالث) بولس وقيل هم صادق وصدوق وشلوم (وجاء رجل) هو حبيب النجار (أولم ير الإنسان) هو العاصي بن وائل وقيل أبي بن خلف وقيل أمية بن خلف (فبشرناه بغلام) هو اسماعيل أو اسحق قولان شهيران (نبأ الخصم) هما ملكان قيل أنهما جبريل وميكائيل (جسدا) هو شيطان يقال له أسيد وقيل صخر وقيل حبقبق (مسني الشيطان) قال نوف الشيطان الذي مسه يقال له مسعط (والذي جاء بالصدق) محمد وقيل جبريل وصدق به محمد ﷺ وقيل أبو بكر (اللذين اضلانا) ابليس وقابيل (رجل من القريتين) عنوا الوليد بن المغيرة من مكة ومسعود بن عمرو الثقفي وقيل عروة بن مسعود من الطائف (ولما ضرب ابن مريم مثلا) الضارب له عبدالله بن الزبعرى (طعام الاثيم) وقال ابن جبير هو أبو جهل (وشهد شاهد من بني إسرائيل) هو عبدالله ابن سلام (أولوا العزم من الرسل) أصح الاقوال أنهم نوح وإبراهيم وموسى وعيسى ومحمد ﷺ (ينادي المنادي) هو إسرافيل (ضيف ابراهيم المكرمين) قال عثمان بن محصن كانوا أربعة من الملائكة جبريل وميكائيل واسرافيل ورفائيل (وبشروه بغلام) قال الكرماني أجمع المفسرون على أنه اسحق إلا مجاهدا فانه قال هو اسمعيل (شديد القوى) جبريل (أفرأيت الذي تولى) هو العاصي ابن وائل وقيل الوليد بن المغيرة (يدع الداعي) هو اسرافيل (قول التي تجادلك) هي خولة بنت ثعلبة (في زوجها) هو أوس بن الصامت (لم تحرم ما أحل الله لك) هي سريته مارية (اسر النبي إلى بعض أزواجه) هي حفصة (نبأت به) أخبرت عائشة (ان تتوبا وان تظاهرا) هما عائشة وحفصة (وصالح المؤمنين) هما أبو بكر وعمر أخرجه الطبراني في الأوسط (امرأة نوح) والمة (وامرأة لوط) والهة وقيل واعلة (ولا تطع كل حلاف) نزلت في الأسود بن عبد يغوث وقيل الاخنس بن شريق وقيل الوليد بن المغيرة (سأل سائل) هو النضر بن الحارث (رب اغفر لي ولوالدي) اسم أبيه لملك بن متوشلخ واسم أمه سمحا بنت أنوش (سفيهنا) ابليس (ذرني ومن خلقت وحيدا) هو الوليد بن المغيرة (فلا صدق ولا صلى) الآيات نزلت في أبي جهل (هل أتى على الإنسان) هو آدم (ويقول الكافر ياليتني كنت ترابا) قيل هو ابليس (أن جاءه الأعمى) هو عبدالله بن مكتوم (اما من استغنى) هو أمية بن خلف وقيل هو عتبة بن ربيعة (لقول رسول كريم) قيل جبريل وقيل محمد ﷺ (فأما الإنسان إذا ما ابتلاه) الآيات نزلت في أمية بن خلف (ووالد) هو آدم (فقال لهم رسول الله) هو صالح (الاشقى) هو أمية بن خلف (الاتقى) هو أبو بكر الصديق (الذي ينهى عبدا) هو ابو جهل والعبد هو النبي ﷺ (ان شانئك) هو العاصي بن وائل وقيل أبو جهل وقيل عقبة بن أبي معيط وقيل أبو لهب وقيل كعب بن الأشرف امرأة أبي لهب أم جميل العوراء بنت حرب بن أمية

﴿القسم الثاني﴾ في مبهمات الجموع الذين عرف اسماء بعضهم (وقال الذين لا يعلمون لولا يكلمنا الله) سمي منهم رافع بن حرملة (سيقول السفهاء) سمي منهم رفاعة بن قيس وقردوم بن عمرو وكعب بن الاشرف ورافع بن حرملة والحجاج بن عمرو والربيع بن أبي الحقيق (وإذا قيل لهم اتبعوا) الآية سمي منهم رافع ومالك بن عوف (يسألونك عن الأهلة) سمي منهم معاذ بن جبل وثعلبة بن غنم

فاذا ذكر لهم ان هذه آيتي وكانوا عاجزين عنها صح له ما ادعاه ولو كانوا غير عاجزين عنها لم يصح أن يكون برهانا له وليس يكون ذلك معجزا الا بان يتحداهم إلى ان يأتوا فاذا تحداهم وبان عجزهم صار ذلك معجزا وانما احتج في باب القرآن إلى التحدي لأن من الناس من لا يعرف كونه معجزا فانما يعرف أولا اعجازه بطريقه لأن الكلام المعجز لا يتميز من غيره بحروفه وصورته وانما يحتاج إلى علم وطريق يتوصل به إلى معرفة كونه معجزا فان كان لا يعرف بعضهم اعجازه فيجب ان يعرف هذا حتى يمكنه ان يستدل به ومتى رأى أهل ذلك اللسان قد عجزوا عنه باجمعهم من التحدي اليه والتقريع به والتمكين منه صار حينئذ بمنزلة من رأى اليد البيضاء وانقلاب العصا ثعبانا تلقف ما يأفكون واما ما كان من أهل صنعة العربية والتقدم في

(ويسألونك ماذا ينفقون) سمى منهم عمرو بن الجموح (يسألونك عن الخمر) سمى منهم عمرو ومعاذ وحمزة (ويسألونك عن اليتامى) سمى منهم عبدالله بن رواحة (ويسألونك عن المحيض) سمى منهم ثابت بن الدحداح وعباد بن بشر وأسيد بن الحضير مصغر (ألم تر إلى الذين أوتوا نصيبا من الكتاب) سمى منهم النعمان بن عمرو والحارث بن زيد (الحواريون) سمى منهم فطرس ويعقوبس ونهمس واندراييس وفيلمس ودرنابوطاوسرجس وهو الذى ألقى عليه شبهه (وقالت طائفة من أهل الكتاب آمنوا) وهم اثنا عشر من اليهود سمى منهم عبدالله بن الصيف وعدى بن زيد والحارث بن عمرو (كيف يهدى الله قوما كفروا بعد إيمانهم) قال عكرمة نزلت فى اثنى عشر رجلا منهم أبو عامر الراهب والحارث بن سويد بن الصامت ووحوح بن الأسلت زاد ابن عسكر وطعيمة بن أبيرق (يقولون هل لنا من الأمر شىء) سمى من القائلين عبدالله بن أبى (يقولون لو كان لنا من الأمر شىء ما قتلنا ههنا) سمى من القائلين عبدالله بن أبى ومعتب بن قشير (وقيل لهم تعالوا قاتلوا) القائل ذلك عبدالله والد جابر بن عبدالله الأنصاري والمقول لهم عبدالله بن أبى وأصحابه (الذين استجابوا لله) هم سبعون منهم أبو بكر وعمر وعثمان وعلى والزبير وسعد وطلحة وابن عوف وابن مسعود وحذيفة بن اليمان وأبو عبيدة بن الجراح (الذين قال لهم الناس) سمى من القائلين نعيم بن مسعود الأشجعى (الذين قالوا إن الله فقير ونحن أغنياء) قال ذلك فنحاص وقيل حيى بن أخطب وقيل كعب بن الأشرف (وإن من أهل الكتاب لمن يؤمن بالله) نزلت فى النجاشى وقيل فى عبدالله بن سلام وأصحابه (وبث منهما رجالا كثيرا ونساء) قال ابن إسحق أولاد آدم لصلبه أربعون فى عشرين بطنا كل بطن ذكر وأنثى وسمى من بنيه قابيل وهابيل وإياد وشبوثا وهند وصرابيس ومخرر وسند وبارق وشيث وعبد المغيث وعبد الحارث وود وسواع ويغوث ويعوق ونسر ومن بناته أقليما وأشوف وجزوزة وعزورا وأمة المغيث (ألم تر إلى الذين أوتوا نصيبا من الكتاب يشترون الضلالة) قال عكرمة نزلت فى رفاعة بن زيد بن التابوت وكردم ابن زيد وأسامة بن حبيب ورافع ابن أبى رافع وبحرى ابن عمرو وحيى بن أخطب (ألم تر إلى الذين يزعمون أنهم آمنوا) نزلت فى الجلاس بن الصامت ومعتب بن قشير ورافع بن زيد وبشر (ألم تر إلى الذين قيل لهم كفوا أيديكم) سمى منهم عبدالرحمن بن عوف (إلا الذين يصلون إلى قوم) قال ابن عباس نزلت فى هلال بن عويمر الأسلمى وسراقة بن مالك المدلجى فى بنى خزيمة بن عامر بن عبد مناف (ستجدون آخرين) قال السدى نزلت فى جماعة منهم نعيم بن مسعود الأشجعى (إن الذين توفاهم الملائكة ظالمى أنفسهم) سمى عكرمة منهم على بن أمية بن خلف والحارث بن زمعة وأبا قيس بن الوليد ابن المغيرة وأبا العاصى بن منبه بن الحجاج وأبا قيس بن الفاكه (إلا المستضعفين) سمى منهم ابن عباس وأمه أم الفضل لبابة بنت الحارث وعياش بن أبى ربيعة وسلمة بن هشام (الذين يختانون أنفسهم) بنى أبيرق بشر وبشير ومبشر (لهمت طائفة منهم أن يضلوك) هم أسيد بن عروة وأصحابه (ويستفتونك فى النساء) سمى من المستفتين خولة بنت حكيم (يسألك أهل الكتاب) سمى منهم ابن عسكر كعب بن الأشراف وفنحاصا (لكن الراسخون فى العلم) قال ابن عباس هم عبدالله ابن سلام وأصحابه (يستفتونك قل الله يفتيكم فى الكلالة) سمى منهم جابر بن عبد الله (ولا آمين البيت الحرام) سمى منهم الحطم بن هند البكرى (يسألونك ماذا أحل لهم) سمى منهم عدى بن حاتم وزيد بن المهلهل الطائيان وعاصم بن عدى وسعيد بن خثمة وعويمر بن ساعدة (إذ هم قوم أن يبسطوا) سمى منهم كعب بن الأشرف وحيى بن أخطب (ولتجدن أقربهم مودة) الآيات نزلت فى الوفد الذين جاءوا من عند النجاشى وهم اثنا عشر وقيل ثلاثون وقيل سبعون وسمى منهم إدريس وإبراهيم

البلاغة ومعرفة فنون القول ووجوه المنطق فإنه يعرف حين يسمعه عجزه عن الإتيان بمثله ويعرف أيضا أهل عصره ممن هو فى طبقته أو يدانيه فى صناعته عجزهم عنه فلا يحتاج إلى التحدى حتى يعلم به كونه معجزا ولو كان أهل الصنعة الذين صفتهم ما بينا لا يعرفون كونه معجزا حتى يعرفوا عجز غيرهم عنه لم يجز أن يعرف النبى ﷺ أن القرآن معجز حتى يرى عجز قريش عنه بعد التحدى إليه وإذا عرف عجز قريش لم يعرف عجز سائر العرب عنه حتى ينتهى إلى التحدى إلى أقصاهم وحتى يعرف عجز مسيلمة الكذاب عنه ثم يعرف حينئذ كونه معجزا وهذا القول إن قيل أخش ما يكون من الخطأ فيجب أن تكون منزلة أهل الصنعة فى معرفة إعجاز القرآن بأنفسهم منزلة من رأى اليد البيضاء وفلق البحر

بان ذلك معجز وأما من لم يكن من أهل الصنعة فلا بدله من مرتبة قبل هذه المرتبة يعرف بها كونه معجزا فيساوى حينئذ أهل الصنعة فيكون استدلالهما فى تلك الحالة به على صدق من ظهر ذلك عليه على سواه اذا دعاه دلالة على نبوته وبرهانا على صدقه فاما ما من قدر ان القرآن لا يصير معجزا الا بالتحدى اليه فهو كتقدير من ظن أن جميع آيات موسى وعيسى عليهما السلام ليست بآيات حتى يقع التحدى اليها والحض عليها ثم يقع العجز عنها فيعلم حينئذ انها معجزات وقد سلف من كلامنا فى هذا المعنى ما يغنى عن الاعادة ويبين ماذكرناه فى غير البليغ أن الأعجمى الآن لا يعرف اعجاز القرآن الا بأمور زائدة على الاعجمى الذى كان فى ذلك الزمان مشاهدا له لان من هو من أهل العصر يحتاج أن يعرف أولا ان العرب عجزوا عنه وانما يعلم عجزهم

والاشرف وتميم وتمام ودريد (وقالوا لولا أنزل عليه ملك) يسمى منهم زمعة بن الأسود والنضر بن الحارث بن كلدة وأبى بن خلف والعاصى بن وائل (ولا تطرد الذين يدعون ربهم) سمى منهم صهيب وبلال وعمار وخباب وسعد بن وقاص وابن مسعود وسلمان الفارسى اذقالوا ما أنزل الله على بشر من شىء) سمى منهم فنحاص ومالك بن الصيف (قالوا لن نؤمن حتى نؤتى ماأوتى رسل الله) يسمى منهم أبو جهل والوليد بن المغيرة (يسألونك عن الساعة) سمى منهم حسل بن أبى قشير وشمويل بن زيد (يسألونك عن الانفال) سمى منهم سعد بن أبى وقاص (وان فريقا من المؤمنين لكارهون) سمى منهم أبو أيوب الانصارى ومن الذين كرهوا المقداد (ان تستفتحوا) سمى منهم أبو جهل (واذ يمكر بك الذين كفروا) هم أهل دار الندوة سمى منهم عتبة وشيبة ابنا ربيعة وأبو سفيان وأبو جهل وجبير بن مطعم وطعيمة بن عدى والحارث بن عامر والنضر بن الحارث وزمعة ابن الاسود وحكيم بن حزام وأمية بن خلف (واذ قالوا اللهم ان كان هذا) الآية سمى منهم أبو جهل والنضر بن الحارث (اذ يقول المنافقون والذين فى قلوبهم مرض غر هؤلاء دينهم) سمى منهم عتبة بن ربيعة وقيس بن الوليد وأبو قيس بن الفاكه الحارث بن زمعة والعاصى بن منبه (قل لمن فى أيديكم من الاسرى) كانوا سبعين منهم العباس وعقيل ونوفل بن الحارث وسهيل بن بيضاء وقالت اليهود عزير ابن الله) سمى منهم سلام بن مشكم ونعمان بن أوفى ومحمد بن دحية وشاس ابن قيس ومالك بن الصيف (الذين يلمزون المطوعين) سمى من المطوعين عبد الرحمن بن عوف وعاصم بن عدى (والذين لا يجدون إلا جهدهم) أبو عقيل ورفاعة بن سعد (ولا على الذين اذا ما أتوك) سمى منهم العرباض بن سارية وعبد الله بن مغفل المزنى وعمرو المزنى وعبد الله بن الازرق الانصارى وأبو ليلى الانصارى (فيه رجال يحبون أن يتطهروا سمى منهم عويم بن ساعدة (الامن أكره وقلبه الطمئن بالايمان) نزلت فى جماعة منهم عمار بن ياسر وعياش بن أبى ربيعة (بعثنا عليكم عبادا لنا) هم طالوت وأصحابه (وان كادوا ليفتنونك) قال ابن عباس نزلت فى رجال من قريش منهم أبو جهل وأمية بن خلف (وقالوا لن نؤمن لك حتى تفجر لنا) سمى ابن عباس من قائلى ذلك عبد الله ابن أبى أمية وذريته سمى من أولاد ابليس شبر والأعور وزلنبور ومسوط وداسم (وقالوا ان نتبع الهدى معك) سمى منهم الحارث بن عامر بن نوفل (أحسب الناس أن يتركوا) منهم المؤذون على الاسلام بمكة منهم عمار بن ياسر وقال الذين كفروا للذين آمنوا اتبعوا سبيلنا) سمى منهم الوليد بن المغيرة ومن الناس من يشترى لهو الحديث سمى منهم النضر بن الحارث فنهم من قضى نحبه سمى منهم أنس بن النضر . قالوا الحق . أول من يقول جبريل فيتبعونه . وانطلق الملأ . سمى منهم عقبة بن أبى معيط وأبو جهل والعاصى بن وائل والاسود بن المطلب والاسود ابن يغوث . وقالوا مالنا لا نرى رجالا . سمى من القائلين أبو جهل ومن الرجال عمار وبلال . نفرا من الجن . سمى عنهم زوبعة وحسى ومسى وشاصر وماصر ومنشى وناشى والأحقب وعمرو بن جابر وشرق ووردان . ان الذين ينادونك من وراء الحجرات . سمى منهم الاقرع بن حابس والزبرقان بن بدر وعيينة بن حصن وعمرو بن الاهتم ألم تر الى الذين تولوا قوما قال السدى نزلت فى عبد الله بن نفيل من المنافقين . لا ينهاكم الله عن الذين لم يقاتلوكم . نزلت فى قبيلة أم أسماء بنت أبى بكر . اذ جاءكم المؤمنات . سمى منهم أم كلثوم بنت عقبة بن أبى معيط وأميمة بنت بشر يقولون لا تنفقوا يقولون لئن رجعنا . سمى منهم عبد الله بن ابى . ويحمل عرش ربك . الآية سمى من حملة العرش اسرافيل ولبنان وروقيل . أصحاب الأخدود . ذو نواس وزرعة بن

أسد الحميرى وأصحابه (أصحاب الفيل) هم الحبشة قائدهم ابرهه الاشرم ودليلهم أبو رغال (قل يا أيها الكافرون) نزلت فى الوليد بن المغيرة والعاصى بن وائل والاسود بن المطلب وأمية بن خلف (النفاثات) بنات لبيد بن الاعصم وأما مبهمات الاقوام والحيوانات والامكنة والازمنة ونحو ذلك فقد استوفيت الكلام عليها فى تأليفنا المشار اليه

. (النوع الحادى والسبعون) . فى أسماء من نزل فيهم القرآن رأيت فيهم تأليفا مفردا لبعض القدماء لكنه غير محرر وكتاب أسباب النزول والمبهمات يغنيان عن ذلك وقال ابن أبى حاتم ذكر عن الحسين بن زيد الطحان أنبأنا اسحق بن منصور أنبأنا قيس عن الاعمش عن المنهال عن عباد ابن عبد الله قال قال على مافى قريش أحد إلا وقد نزلت فيه آية قيل فما نزل فيك قال (ويتلوه شاهد منه) ومن أمثلته ما أخرجه أحمد والبخارى فى الادب عن سعد بن أبى وقاص قال نزلت فى أربع آيات يسئلونك عن الانفال ووصينا الانسان بوالديه حسنا وآية تحريم الخمر وآية الميراث (وأخرج) ابن أبى حاتم عن رفاعة القرظى قال نزلت (ولقد وصلنا لهم القول) فى عشرة أنا أحدهم (وأخرج) الطبرانى عن أبى جمعة جنيد بن سبع وقيل حبيب بن سباع قال فينا نزلت (ولولا رجال مؤمنون ونساء مؤمنات) وكنا تسعة نفر سبعة رجال وامرأتين

. (النوع الثانى والسبعون) . فى فضائل القرآن أفرده بالتصنيف أبو بكر بن أبى شيبة والنسائى وأبو عبيد القاسم بن سلام وابن الضريس وآخرون وقد صح فيه احاديث باعتبار الجملة وفى بعض السور على التعيين ووضع فى فضائل القرآن أحاديث كثيرة ولذلك صنفت كتابا سميته خمائل الزهر فى فضائل السور حررت فيه ماليس بموضوع وأنا أورد فى هذا النوع فصلين

. (الفصل الاول) . فيما ورد فى فضله على الجملة أخرج الترمذى والدرامى وغيرهما من طريق الحارث الاعور على سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ستكون فتن قلت فما المخرج منها يارسول الله قال كتاب الله فيه نبأ ما قبلكم وخبر ما بعدكم وحكم ما بينهم وهو الفصل ليس بالهزل من تركه من جبار قصمه الله ومن ابتغى الهدى فى غيره أضله الله وهو حبل الله المتين وهو الذكر الحكيم وهو الصراط المستقيم وهو الذى لا تزيغ به الاهواء ولا تلتبس به الالسنة ولا تشبع منه العلماء ولا يخلق على كثرة الرد ولا تنقضى عجائبه من قال به صدق ومن عمل به أجر ومن حكم به عدل ومن دعا اليه هدى إلى صراط مستقيم (وأخرج) الدرامى من حديث عبد الله بن عمرو مرفوعا القرآن أحب إلى الله من السموات والارض ومن فيهن (وأخرج) أحمد والترمذى من حديث شداد ابن أوس ما من مسلم يأخذ مضجعه فيقرأ سورة من كتاب الله تعالى إلا وكل الله به ملكا يحفظه فلا يقربه شىء يؤذيه حتى يهب متى هب (وأخرج) الحاكم وغيره من حديث عبد الله بن عمرو من قرأ القرآن فقد استدرج النبوة بين جنبيه غير أنه لا يوحى اليه لا ينبغى لصاحب القرآن أن يجد مع من يجد ويجهل مع من يجهل وفى جوفه كلام الله (وأخرج) البزار من حديث أنس أن البيت الذى يقرأ فيه القرآن يكثر خيره والبيت الذى لا يقرأ فيه القرآن يقل خيره (وأخرج) الطبرانى من حديث ابن عمر ثلاثة لا يهولهم الفزع الاكبر ولا ينالهم الحساب هم على كثب من مسك حتى يفرغ من حساب الخلائق رجل قرأ القرآن ابتغاء وجه الله وأم به قوما وهم به راضون الحديث (وأخرج) أبو يعلى والطبرانى من حديث أبى هريرة القرآن غنى لا فقر بعده ولا غنى دونه (وأخرج) أحمد وغيره من حديث عقبة بن عامر لو كان القرآن فى إهاب ما أكلته النار وقال أبو عبيد أراد بالاهاب قلب المؤمن وجوفه الذى قد وعى القرآن وقال غيره معناه ان من جمع القرآن ثم دخل النار فهو شر من الخنزير وقال ابن الانبارى

عنه بنقل الناقة اليه أن النبى صلى الله عليه وسلم قد تحدى العرب اليه فعجزوا عنه ويحتاج فى النقل إلى شروط وليس يصير القرآن بهذا النقل معجزا كذلك لا يصير معجزا بأن يعلم العربى الذى ليس يبلغ انهم قد عجزوا عنه بأبلغهم بل هو معجز فى نفسه وإنما طريق معرفة هذا وقوعهم على العلم بعجزهم عنه

.(فصل فى قدر المعجز من القرآن)

الذى ذهب اليه عامة أصحابنا وهو قول أبى الحسن الاشعرى فى كتبه أن أقل ما يعجز عنه من القرآن السورة قصيرة كانت أو طويلة أو ما كان بقدرها قال فاذا كانت الآية بقدر حروف سورة وان كانت سورة الكوثر فذلك معجز قال ولم يقم دليل على عجزهم عن المعارضة فى أقل من هذا القدر وذهب المعتزلة إلى أن كل سورة برأسها فهى معجزة

معناه ان النار لا تبطله ولا تقله من الاسماع التي وعته والافهام التي حصلته كقوله في الحديث الآخر وأنزلت عليك كتابا لا يغسله الماء أي لا يبطله ولا يقله من أوعيته الطيبة ومواضعه لأنه وإن غسله الماء في الظاهر لا يغسله بالقلع من القلوب وعند الطبراني من حديث عصمة بن مالك لو جمع القرآن في إهاب ما أحرقته النار وعنده من حديث سهل بن سعد لو كان القرآن في إهاب ما مسته النار (وأخرج) الطبراني في الصغير من حديث أنس من قرأ القرآن يقوم به آناء الليل والنهار يحل حلاله ويحرم حرامه حرم الله لحمه ودمه على النار وجعله مع السفرة الكرام البررة حتى إذا كان يوم القيامة كان القرآن حجة له (وأخرج) أبو عبيدة عن أنس مرفوعا القرآن شافع مشفع وماجد مصدق من جعله إمامه قاده إلى الجنة ومن جعله خلفه ساقه إلى النار (وأخرج) الطبراني من حديث أنس حملة القرآن عرفاء أهل الجنة (وأخرج) النسائي وابن ماجه والحاكم من حديث أنس قال أهل القرآن هم أهل الله وخاصته (وأخرج) مسلم وغيره من حديث أبي هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال أيحب أحدكم إذا رجع إلى أهله أن يجد ثلاث خلفات عظام سمان قلنا نعم قال ثلاث آيات يقرأ بهن أحدكم اذا رجع إلى أهله أن يجد ثلاث خلفات سمان (وأخرج) مسلم من حديث جابر بن عبد الله خير الحديث كتاب الله (وأخرج أحمد من حديث معاذ بن أنس من قرأ القرآن في سبيل الله كتب مع الصديقين والشهداء والصالحين وحسن أولئك رفيقا (وأخرج) الطبراني في الأوسط من حديث أبي هريرة ما من رجل يعلم ولده القرآن الا توج يوم القيامة بتاج في الجنة (وأخرج) أبو داود أحمد والحاكم من حديث معاذ بن أنس من قرأ القرآن فأكمله وعمل به ألبس والده تاجا يوم القيامة ضوؤه أحسن من ضوء الشمس في بيوت الدنيا لو كانت فيكم فما ظنكم بالذي عمل بهذا (وأخرج) الترمذي وابن ماجه واحمد من حديث علي من قرأ القرآن فاستظهره فأحل حلاله وحرم حرامه أدخله الله الجنة وشفعه في عشرة من أهل بيته كلهم قد وجبت لهم النار (وأخرج) الطبراني من حديث أبي أمامة من تعلم آية من كتاب الله استقبلته يوم القيامة تضحك في وجهه (وأخرج) الشيخان وغيرهما من حديث عائشة الماهر بالقرآن مع السفرة الكرام البررة والذي يقرأ القرآن ويتتعتع فيه وهو عليه شاق له أجران (وأخرج) الطبراني في الاوسط من حديث جابر من جمع القرآن كانت له عند الله دعوة مستجابة إن شاء عجلها في الدنيا وان شاء أدخرها له في الآخرة (وأخرج) الشيخان وغيرهما عن أبي موسى مثل المؤمن الذي يقرأ القرآن مثل الاترجة طعمها طيب وريحها طيب ومثل المؤمن الذي لا يقرأ القرآن كمثل التمرة طعمها طيب ولا ريح لها ومثل الفاجر الذي يقرأ القرآن كمثل الريحانة ريحها طيب وطعمها مر ومثل الفاجر الذي لا يقرأ القرآن كمثل الحنظلة طعمها مر ولا ريح لها (وأخرج) الشيخان من حديث عثمان خيركم وفي لفظ إن أفضلكم من تعلم القرآن وعلمه زاد البيهقي في الاسماء وفضل القرآن على سائر الكلام كفضل الله على سائر خلقه (وأخرج) الترمذي والحاكم من حديث ابن عباس أن الذي ليس في جوفه شيء من القرآن كالبيت الخرب (وأخرج) ابن ماجه من حديث أبي ذر لان تغدو فتتعلم آية من كتاب الله خير لك أن تصلي مائة ركعة (وأخرج) الطبراني من حديث ابن عباس من تعلم كتاب الله ثم اتبع ما فيه هداه الله به من الضلالة ووقاه يوم القيامة سوء الحساب (واخرج) ابن ابي شيبة من حديث ابي شريح الخزاعي ان هذا القرآن سبب طرفه بيد الله وطرفه بايديكم فتمسكوا به فانكم ان تضلوا وان تهلكوا بعده ابدا (واخرج) الديلمي من حديث علي حملة القرآن في ظل الله يوم لا ظل الا ظله (واخرج) الحاكم من حديث ابي هريرة يجيء صاحب القرآن يوم القيامة فيقول القرآن يارب حله فيلبس تاج الكرامة

وقد حكى عنهم نحو قولنا الآن منهم من لم يشترط كون الآية بقدر السورة بل شرط الآيات الكثيرة وقد علمنا انه تحداهم تحديا إلى السور كلها ولم يخص ولم يأتوا لشيء منها بمثل فعلم ان جميع ذلك معجز واما قوله عز وجل فليأتوا بحديث مثله فليس بمخالف لهذا لان الحديث التام لا تتحصل حكايتـــه في اقل من كلمات سوره قصـــيرة وهذا يؤكد ما ذهب اليه اصحابنا ويؤيده وان كان قد يتأول قوله فليأتوا بحديث مثله على ان يكون راجعا إلى القبيل دون التفصيل وكذلك يحمل قوله تعالى وقل لئن اجتمعت الانس والجن على ان يأتوا بمثل هذا القران لا يأتوا بمثله على القبيل لانه لم يجعل الحجة عليهم عجزهم عن الاتيان بجميعه من أوله إلى آخره فان قيل هل تعرفون اعجاز السور القصار بما تعرفون به اعجاز السور الطوال

ثم يقول يارب زده يارب ارض عنه ويقال له اقرأ وارق ويزاد له بكل آية حسنة (وأخرج) من حديث عبدالله ابن عمر الصيام والقرآن يشفعان للعبد (وأخرج) من حديث ابى ذر انكم لاترجعون إلى الله بشيء أفضل مما خرج منه يعنى القرآن

. (الفصل الثانى) . فيما ورد فى فضل سور بعينها ماورد فى الفاتحة (أخرج) الترمذى والنسائى والحاكم من حديث أبى بن كعب مرفوعا ماأنزل الله فى التوراة وفى الإنجيل مثل ام القرآن وهى السبع المثانى (وأخرج) أحمد وغيره من حديث عبد الله بن جابر أخير سورة فى القرآن الحمد لله رب العالمين (وللبيهقى) فى الشعب والحاكم من حديث أنس أفضل القرآن الحمدلله رب العالمين وللبخارى من حديث أبى سعيد بن المعلى أعظم سورة فى القرآن الحمدلله رب العالمين «وأخرج» عبدالله فى مسنده من حديث بن عباس فاتحة الكتاب تعدل بثلثى القرآن . ماورد فى البقرة وآل عمران «أخرج» أبو عبيد من حديث أنس أن الشيطان يخرج من البيت إذا سمع سورة البقرة تقرأ فيه وفى الباب عن ابن مسعود وأبى هريرة وعبدالله بن مغفل «وأخرج» مسلم والترمذى من حديث النواس بن سمعان يؤتى بالقرآن يوم القيامة وأهله الذين كانوا يعملون به تقدمهم سورة البقرة وآل عمران وضرب لهما رسول الله ﷺ ثلاثة أمثال ما نسيتهن بعد قال كأنهما غمامتان لو غيايتان أوظلتان سوداوان بينهما شرف أوكأنهما فرقان من طير صواف يحاجان عن صاحبهما «وأخرج» أحمد من حديث بريدة تعلموا سورة البقرة فان أخذها بركة وتركها حسرة ولا يستطيعها البطلة تعلموا سورة البقرة وآل عمران فانهما الزهراوان تظلان صاحبهما يوم القيامة كأنهما غمامتان أوغيايتان أوفرقان من طير صواف «وأخرج» ابن حبان وغيره من حديث سهل بن سعدان لكل شيء سناما وسنام القرآن سورة البقرة من قرأ فى بيته نهارا لم يدخله الشيطان ثلاثة أيام ومن قرأها فى بيته ليلا لم يدخله الشيطان ثلاث ليال «وأخرج» البيهقى فى الشعب من طريق الصلصال من قرأ سورة البقرة توج بتاج فى الجنة «وأخرج» أبو عبيد عن عمر بن الخطاب موقوفا من قرأ البقرة وآل عمران فى ليلة كتب من القانتين «وأخرج» البيهقى من مرسل مكحول من قرأ سورة آل عمران يوم الجمعة صلت عليه الملائكة إلى الليل

. «فصل» . ماورد فى آية الكرسى أخرج مسلم من حديث أبى بن كعب أعظم آية فى كتاب الله آية الكرسى «وأخرج» الترمذى والحاكم من حديث أبى هريرة إن لكل شيء سناما وإن سنام القرآن البقرة فيها آية هى سيدة آى القرآن آية الكرسى «وأخرج» الحارث بن أبى حبان والنسائى من حديث أفضل القرآن سورة البقرة وأعظم آية فيها آية الكرسى «وأخرج» ابن حبان والنسائى من حديث أبى أمامة من قرأ آية الكرسى دبر كل صلاة مكتوبة لم يمنعه من دخول الجنة إلا أن يموت «وأخرج» أحمد من حديث أنس آية الكرسى ربع القرآن «ماورد» فى خواتيم البقرة «أخرج» الأئمة الستة من حديث أبى مسعود من قرأ الآيتين من آخر سورة البقرة فى ليلة كفتاه «أخرج» الحاكم من حديث النعمان ابن بشير أن الله كتب كتابا قبل أن يخلق السموات والأرض بألفى عام وأنزل منه آيتين ختم بهما سورة البقرة ولا يقرآن فى دار فيقربها الشيطان ثلاث ليال «ماورد» فى آخر آل عمران «أخرج» البيهقى من حديث عثمان بن عفان من قرأ آخر آل عمران فى ليلة كتب له قيام «ماورد» فى الأنعام «وأخرج» الدارمى وغيره عن عمر بن الخطاب موقوفا الانعام من نواجب القران «ماورد» فى السبع الطوال «أخرج» أحمد والحاكم من حديث عائشة من أخذ السبع الطوال فهو حبر «ماورد» فى هود «أخرج» الطبرانى فى الأوسط بسند رواه من حديث على لا يحفظ منافق سور براءة وهود ويس والدخان وعم يتساءلون

وهل تعرفون إعجاز كل قدر من القرآن بلغ الحد الذى قدر تموه بمثل ما تعرفون به إعجاز سورة البقرة ونحوها فالجواب أن أبا الحسن الأشعرى رحمة الله أجاب عن ذلك بأن كل سورة قد علم كونها معجزة يعجز العرب عنها وسمعت بعض الكبراء من أهل هذا الشأن يقول إن ذلك يصح أن يكون علم ذلك توقيفا والطريقة الأولى أسد وليس هذا الذى ذكرناه أخيرا بمناف له لأنه لا يمتنع أن يعلم إعجازه بطرق مختلفة تتوافق عليه وتجتمع فيه واعلم أن تحت اختلاف هذه الأجوبة ضربا من الفائدة لأن الطريقة الأولى تبين أن ما علم به كون جميع القرآن معجزا موجود فى كل سورة صغرت أوكبرت فيجب أن يكون الحكم فى الكل واحدا والطريقة الأخيرة تتضمن تعذر معرفة إعجاز القرآن بالطريقة التى سلكناها

(ما ورد) في آخر الإسراء (أخرج) أحمد من حديث معاذ بن أنس آية العز الحمد لله الذي لم يتخذ ولدا ولم يكن له شريك في الملك) إلى آخر السورة (ما ورد) في الكهف (أخرج الحاكم من حديث أبي سعيد من قرأ سورة الكهف في يوم الجمعة أضاء له من النور ما بينه وبين الجمعتين (وأخرج) مسلم من حديث أبي الدرداء من حفظ عشر آيات من أول سورة الكهف عصم من فتنة الدجال (وأخرج) وأحمد من حديث معاذ بن أنس من قرأ سورة الكهف وآخرها كانت له نورا من قدمه إلى رأسه ومن قرأها كلها كانت له نورا ما بين الأرض والسماء (وأخرج) البزار من حديث عمر من قرأ في ليلة فمن كان يرجو لقاء ربه الآية كان له من نور عدن إلى مكة حشوه الملائكة (ما ورد) في الم السجدة (أخرج) أبو عبيد من مرسل المسيب بن رافع تجيء الم السجدة يوم القيامة لها جناحان تظلل صاحبها تقول لا سبيل عليك لا سبيل عليك (وأخرج) عن ابن عمر موقوفا في تنزيل السجدة وتبارك الملك فضل ستين درجة على غيرهما من سور القرآن (ما ورد) في يس (أخرج) أبو داود والنسائي وابن حبان وغيرهم من حديث معقل بن يسار يس قلب القرآن لا يقرؤها رجل يريد الله والدار الآخرة إلا غفر له اقرءوها على موتاكم (وأخرج) الترمذي والدارمي من حديث أنس إن لكل شيء قلبا وقلب القرآن يس ومن قرأ يس كتب الله له بقراءتها قراءة القرآن عشر مرات (وأخرج الدارمي والطبراني من حديث أبي هريرة من قرأ يس في ليلة ابتغاء وجه الله تعالى غفر له (وأخرج) الطبراني من حديث أنس من دام على قراءة يس كل ليلة ثم مات مات شهيدا (ما ورد) في الحواميم (أخرج) أبو عبيد عن ابن عباس موقوفا إن لكل شيء لبابا ولباب القرآن الحواميم (وأخرج) الحاكم عن ابن مسعود موقوفا الحواميم ديباج القرآن (ما ورد في الدخان) (أخرج) الترمذي وغيره من حديث أبي هريرة من قرأ حم الدخان في ليلة أصبح يستغفر له سبعون ألف ملك (ما ورد في المفصل) أخرج الدارمي عن ابن مسعود موقوفا إن لكل شيء لبابا وإن لباب القرآن المفصل (الرحمن) أخرج البيهقي من حديث علي مرفوعا لكل شيء عروس وعروس القرآن الرحمن (المسبحات) أخرج أحمد وأبو داود والترمذي والنسائي عن عرباض بن سارية أن النبي صلى الله عليه وسلم كان يقرأ المسبحات كل ليلة قبل أن يرقد ويقول فيهن آية خير من ألف آية قال ابن كثير في تفسيره الآية المشار إليها قوله (هو الأول والآخر والظاهر والباطن وهو بكل شيء عليم) (وأخرج) ابن السني عن أنس أن النبي صلى الله عليه وسلم أوصى رجلا إذا أتى مضجعه أن يقرأ سورة الحشر وقال إن مت مت شهيدا (أخرج) الترمذي من حديث معقل بن يسار من قرأ حين يصبح ثلاث آيات من آخر سورة الحشر وكل الله به سبعين ألف ملك يصلون عليه حتى يمسي وإن مات في ذلك اليوم مات شهيدا ومن قالها حين يمسي كان بتلك المنزلة (وأخرج) البيهقي من حديث أبي أمامة من قرأ خواتيم الحشر في ليل أو نهار فمات في يومه أو ليلته فقد أوجب الله له الجنة (تبارك) أخرج الأربعة وابن حبان والحاكم من حديث أبي هريرة من القرآن سورة ثلاثون آية شفعت لرجل حتى غفر له تبارك الذي بيده الملك (وأخرج) الترمذي من حديث ابن عباس هي المانعة هي المنجية تنجي من عذاب القبر (وأخرج) الحاكم من حديثه وددت أنها في قلب كل مؤمن تبارك الذي بيده الملك (وأخرج) النسائي من حديث ابن مسعود من قرأ تبارك الذي بيده الملك كل ليلة منعه الله بها من عذاب القبر. الأعلى (أخرج) أبو عبيدة عن أبي تميم قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم إني نسيت أفضل المسبحات فقال أبي بن كعب فلعلها سبح اسم ربك الأعلى قال نعم (القيامة) أخرج أبو نعيم في الصحابة من حديث إسمعيل بن أبي حكيم المزني الصحابي مرفوعا إن الله ليسمع قراءة لم يكن الذين كفروا فيقول أبشر عبدي فوعزتي لأمكنن لك في الجنة حتى ترضى (الزلزلة)

أخرج

في بناء من التفصيل الذي بيناه فيما يعرف به في الكلام الفصاحة وتتباين فيه البلاغة حتى يعلم ذلك بوجه آخر فيستوي في هذا القدر البليغ وغيره في أن لا يعلمه معجزا حتى يستدل به من وجه آخر سوى ما يعلمه البلغاء من التقدم في الصنعة وهذا غير ممتنع ألا ترى أن الاعجاز في بعض السور والآيات أظهر وفي بعضها أغمض وأدق فلا يفتقر البليغ في النظر في حال بعضها إلى تأمل كثير ولا بحث شديد حتى يتبين له الاعجاز ويفتقر في بعضها إلى نظر دقيق وبحث لطيف حتى يقع على الجلية ويصل إلى المطلب ولا يمتنع أن يذهب عليه الوجه في بعض السور فيحتاج أن يفزع فيه إلى إجماع أو توقيف أو ما علمه من عجز العرب قاطبة عنه فان ادعى ملحد أو زعم زنديق أنه لا يقع العجز عن الاتيان بمثل السور القصار أو الآيات بهذا

أخرج الترمذي من حديث أنس من قرأ إذا زلزلت عدلت له بنصف القرآن (العاديات) أخرج أبو عبيدة من مرسل الحسن إذا زلزلت تعدل بنصف القرآن والعاديات تعدل بنصف القرآن (الهاكم) أخرج الحاكم من حديث ابن عمر مرفوعا لا يستطيع أحدكم أن يقرأ ألف آية كل يوم قالوا ومن يستطيع أن يقرأ ألف آية قال أما يستطيع أحدكم أن يقرأ الهاكم التكاثر (الكافرون) أخرج الترمذي من حديث أنس قل يا أيها الكافرون تعدل بربع القرآن (وأخرج) أبو عبيد من حديث ابن عباس قل يا أيها الكافرون تعدل بربع القرآن (وأخرج) أحمد والحاكم من حديث نوفل ابن معاوية اقرأ قل يا أيها الكافرون ثم نم على خاتمتها فانها براءة من الشرك (وأخرج) أبو يعلى من حديث ابن عباس ألا أدلكم على كلمة تنجيكم من الإشراك بالله تقرءون قل يا أيها الكافرون عند منامكم (النصر) أخرج الترمذي من حديث أنس إذا جاء نصر الله والفتح ربع القرآن (الاخلاص) أخرج مسلم وغيره من حديث أبي هريرة قل هو الله أحد تعدل ثلث القرآن (وفي الباب) عن جماعة من الصحابة (وأخرج) الطبراني في الأوسط من حديث عبد الله بن الشخير من قرأ قل هو الله أحد في مرضه الذي يموت فيه لم يفتن في قبره وأمن من ضغطة القبر وحملته الملائكة يوم القيامة بأكفها حتى تجيزه الصراط إلى الجنة (وأخرج) الترمذي من حديث أنس من قرأ قل هو الله أحد كل يوم مائتي مرة محي عنه ذنوب خمسين إلا أن يكون عليه دين ومن أراد أن ينام على فراشه فنام على يمينه ثم قرأ قل هو الله أحد مائة مرة فاذا كان يوم القيامة يقول له الرب يا عبدي ادخل عن يمينك الجنة (وأخرج) الطبراني من حديث ابن الديلمي من قرأ قل هو الله أحد مائة مرة في الصلاة أو غيرها كتب الله له براءة من النار (وأخرج) في الأوسط من حديث أبي هريرة من قرأ قل هو الله أحد عشر مرات بني له قصر في الجنة ومن قرأها عشرين مرة بني له قصران ومن قرأها ثلاثين بني له ثلاث (وأخرج) في الصغير من حديثه من قرأ قل هو الله أحد بعد صلاة الصبح اثنى عشرة مرة فكأنما قرأ القران اربع مرات وكان أفضل أهل الأرض يومئذ إذا اتقى (المعوذتان) أخرج أحمد من حديث عقبة أن النبي صلى الله عليه وسلم قال له لأعلمنك سورا ما أنزل في التوراة ولا في الزبور ولا في الانجيل ولا في الفرقان مثلهن قلت بلى قال قل هو الله أحد وقل أعوذ برب الفلق وقل أعوذ برب الناس (وأخرج) ايضا من حديث ابن عامر أن النبي ﷺ قال ألا أخبرك بأفضل ما تعوذ به المتعوذون قال بلى قال قل أعوذ برب الفلق وقل أعوذ برب الناس (وأخرج) أبو داود والترمذي عن عبد الله بن حبيب قال قال رسول الله ﷺ اقرأ قل هو الله أحد والمعوذتين حين تمسي وحين تصبح ثلاث مرات تكفيك من كل شيء (وأخرج) ابن السني من حديث عائشة من قرأ بعد صلاة الجمعة قل هو الله أحد وقل أعوذ برب الفلق وقل أعوذ برب الناس سبع مرات أعاذه الله من السوء إلى الجمعة الأخرى وبقيت أحاديث من هذا الفصل اخرتها إلى نوع الخواص.

(فصل) أما الحديث الطويل في فضائل القران سورة سورة فانه موضوع كما أخرج الحاكم في المدخل بسنده إلى أبي عمار المروزي أنه قيل لأبي عصمة الجامع من أين لك عن عكرمة عن ابن عباس في فضائل القران سورة سورة وليس عند أصحاب عكرمة هذا فقال إني رأيت الناس قد أعرضوا عن القران واشتغلوا بفقه أبي حنيفة ومغازي بن اسحق فوضعت هذا الحديث حسبة (وروى) ابن حبان في مقدمة تاريخ الضعفاء عن ابن مهدي قال قلت لميسرة بن عبد ربه من أين جئت بهذه الأحاديث من قرأ كذا فله كذا قال وضعتها أرغب الناس فيها وروينا عن المؤمل بن اسمعيل قال حدثني شيخ بحديث أبي بن كعب في فضائل سور القران سورة سورة فقال حدثني رجل بالمدائن وهو حي فصرت اليه فقلت له

المقدار قلنا له أن الإعجاز قد حصل بما بيناه وعرف بما وقفنا عليه من عجز العرب عنه ثم فيه شيء آخر وهو أن هذا سؤال لا يستقيم للملحد لأنه يزعم أنه ليس في القرآن كلام معجز فكيف يجوز أن يناظره على تفصيله وإذا ثبت لنا معه إعجازه في السور الطوال قامت الحجة عليه وثبتت المعجزة ولا معنى لطلبه لكثرة الأدلة والمعجزات ونحن نعلم أن إعجاز البعض بما بيناه والبعض الآخر بأنه إذا ثبت الأصل لم يبق بعد ذلك إلا قولنا لأنا عرفنا في البعض الاعجاز بما بينا ثم عرفنا في الباقي بالتوقيف ونحو ذلك وليس بممتنع اختلاف حال الكلام حتى يكون الإعجاز على بعضه أظهر وفي بعضه أغمض ومن آمن ببعض دون بعض كان مذموما على ما قال الله تعالى (أفتؤمنون ببعض الكتاب وتكفرون ببعض) وقال (وننزل من القرآن ما هو شفاء ورحمة

من حدثك قال حدثنى شيخ بواسط وهو حى فصرت اليه فقلت له من حدثك قال حدثنى شيخ بالبصرة فصرت اليه فقلت له من حدثك فقال حدثنى شيخ بعبادان فصرت اليه فأخذ بيدى فأدخلنى بيتا فاذا فيه من المتصوفة وبينهم شيخ فقال هذا الشيخ حدثنى فقلت ياشيخ من حدثك فقال لم يحدثنى أحد ولكننا رأينا الناس قد رغبوا عن القرآن فوضعنا لهم هذا الحديث ليصرفوا قلوبهم إلى القرآن قال ابن الصلاح ولقد اخطأ الواحدى المفسر ومن ذكره من المفسرين فى ايداعه تفاسيرهم .

• (النوع الثالث والسبعون) • فى أفضل القرآن وفاضله اختلف الناس هل فى القرآن شىء أفضل من شىء فذهب الامام ابو الحسن الاشعرى والقاضى ابو بكر الباقلانى وابن حبان إلى المنع لان الجميع كلام الله ولئلا يوهم التفهم نقص المفضل عليه وروى هذا القول عن مالك قال يحيى بن يحيى تفضيل بعض القرآن على بعض خطأ ولذلك كره مالك أن تعاد سورة أو تردد دون غيرها وقال ابن حبان فى حديث أبى ابن كعب ما أنزل الله فى التوراة ولا فى الانجيل مثل أم القرآن إن الله لايعطى لقارىء التوراة والانجيل من الثواب ما يعطى لقارىء أم القرآن اذ الله سبحانه وتعالى بفضله فضل هذه الأمة على غيرها من الأمم أعطاها من الفضل على قراءة كلامه أكثر مما أعطى غيرها من الفضل على قراءة كلامه قال وقوله أعظم سورة أراد به فى الاجر لاان بعض القرآن أفضل من بعض وذهب آخرون إلى التفضيل لظواهر الأحاديث منهم اسحق بن راهويه وأبو بكر بن العربى والغزالى وقال القرطبى انه الحق ونقله عن جماعة من العلماء والمتكلمين وقال الغزالى فى جواهر القرآن لعلك أن تقول قد اشرت الى تفضيل بعض آيات القرآن على بعض والكلام كلام الله فكيف يتفاوت بعضه بعضا وكيف يكون بعضه اشرف من بعض (فاعلم) أن نور البصيرة ان كان لايرشدك إلى الفرق بين آية الكرسى وآية المداينات وبين سورة الاخلاص وسورة تبت وترتاع على اعتقاد نفسك الخوارة المستغرقة بالتقليد فقلد صاحب الرسالة صلى الله عليه وسلم فهو الذى انزل عليه القرآن وقال يس قلب القرآن وفاتحة الكتاب افضل سور القرآن وآية الكرسى سيدة آى القرآن وقل هو الله أحد تعدل ثلث القرآن والاخبار الواردة فى فضائل القرآن وتخصيص بعض السور والآيات بالفضل وكثرة الثواب فى تلاوتها لاتحصى اه وقال ابن الحصار والعجب ممن يذكر الاختلاف فى ذلك مع النصوص الوارة بالتفضيل وقال الشيخ عز الدين بن عبد السلام كلام الله فى الله افضل من كلامه فى غيره فقل هو الله أحد افضل من تبت يدا أبى لهب وقال الخوبى كلام الله أبلغ من كلام المخلوقين وهو يجوز أن يقال بعض كلامه ابلغ من بعض الكلام جوزه قوم لقصور نظرهم وينبغى أن تعلم ان معنى قول القائل هذا الكلام أبلغ من هذا ان هذا فى موضعه له حسن ولطف وذاك فى موضعه له حسن ولطف وهذا الحسن فى موضعه اكمل من ذاك فى موضعه فان من قال ان قل هو الله احد أبلغ من تبت يدا أبى لهب يجعل المقابلة بين ذكر الله وذكر أبى لهب وبين التوحيد والدعاء على الكافر وذلك غير صحيح بل ينبغى ان يقال تبت يدا أبى لهب دعاء عليه بالخسران فهل توليد عبارة للدعاء بالخسران احسن من هذه وكذلك فى قل هو الله أحد لا توجد عبارة تدل على الوحدانية أبلغ منها فالعالم إذا نظر إلى تبت يدا أبى لهب فى باب الدعاء بالخسران ونظر إلى قل هو الله أحد فى باب التوحيد لا يمكنه أن يقول أحدهما أبلغ من الآخر اه وقال غيره اختلف القائلون فقال بعضهم الفضل راجع الى عظم الاجر ومضاعفة الثواب بحسب انتقالات النفس وخشيتها وتدبرها وتفكرها عند ورود أوصاف العلى وقيل بل يرجع لذات اللفظ ان ما تضمنه قوله تعالى والهكم اله واحد الآية وآية الكرسى وآخر سورة الحشر وسورة الاخلاص من الدلالات على واحدانيته وصفاته ليس موجودا مثلا فى تبت يدا أبى لهب وما كان مثلها فالتفصيل

للمؤمنين فظاهره عند بعض أهل التأويل كالدليل على أن الشفاء ببعضه أوقع وان كنا نقول انه يدل على أن الشفاء فى جميعه واعلم ان الكلام يقع فيه الا بلغ والبلغ ولذلك كانوا يسمون الكلمة يتيمة ويسمون البيت الواحد يتيما سمعت اسماعيل ابن عباد يقول سمعت أبا بكر بن مقسم يقول سمعت ثعلبا يقول سمعت الفراء يقول العرب تسمى البيت الواحد يتيما وكذلك يقال الدرة اليتيمه لانفرادها فاذا بلغ البيتين والثلاثة فهى نتفة وإلى العشرة تسمى قطعة وإذا بلغ العشرين استحق أن يسمى قصيدا وذلك مأخوذ من المنخ القصيد وهو المتراكم بعضه على بعض وهو ضد الرار ومثله الرثيد انتهت الحكاية ثم استشهد بقول لبيد فتذكرا ثقلا رثيدا بعدما ألقت ذكاء يمينها فى كافر يريد بيض النعام لانه ينضد بعضه على بعض

انما هو بالمعانى العجيبة وكسرتها وقال الحليمى ونقله عنه البيهقى معنى التفضيل يرجع الى اشياء
أحدها أن يكون العمل باية أولى من العمل باخرى وأعود على الناس وعلى هذا يقال آية الامر
والنهى والوعد والوعيد خير من آيات القصص لانها انما أريد بها تأكيد الامر والنهى والانذار
والتبشير ولاغنى بالناس عن هذه الامور وقد يستغنون عن القصص فكان ماهو أعود عليهم
وانفع لهم مما يجرى مجرى الاصول خيرا لهم مما يجعل تبعا لما لابد منه (الثانى) أن يقال الآيات التى
تشتمل على تعديد أسماء الله تعالى وبيان صفاته والدلالة على عظمته أفضل بمعنى ان مخبراتها أسنى
وأجل قدرا (الثالث) أن يقال سورة خير من سورة وآية خير من آية بمعنى أن القارىء يتعجل
له بقراءتها فائدة سوى الثواب الآجل ويتأدى منه بتلاوتها عبادة كقراءة آية الكرسى والاخلاص
والمعوذتين فان قارئها يتعجل بقراءتها الاحتراز مما يخشى والاعتصام بالله ويتأدى بتلاوتها عبادة
الله لما فيها من ذكره سبحانه وتعالى بالصفات العلى على سبيل الاعتقاد لها وسكون النفس الى
فضل ذلك الذكر وبركته (فأما آيات الحكم) فلا يقع بنفس تلاوتها اقامة حكم وانما يقع بها
علم ثم لو قيل فى الجملة ان القرآن خير من التوراة والانجيل والزبور بمعنى أن التعبد بالتلاوة والعمل
واقع به دونها والثواب بحسب قراءته لا بقراءتها أو أنه من حيث الاعجاز حجة النبى المبعوث وتلك
الكتب لم تكن حجة ولا كانت حجج أولئك الانبياء بل كانت دعوتهم والحجج غيرها وكان ذلك
أيضا نظير مامضى وقد يقال إن سورة أفضل من سورة لان الله جعل قراءتها اضعافها مما سواها
وأوجب بها من الثواب مالم يوجب بغيرها وان كان المعنى الذى لأجله بلغ بها هذا المقدار لا يظهر لنا كما
يقال أن يوما أفضل من يوم وشهر أفضل من شهر بمعنى العبادة فيه تفضل على العبادة فى غيره والذنب
فيه أعظم من غيره وكما قال إن الحرم أفضل من الحل لانه يتأدى فيه من المناسك مالا يتأدى فى غيره
والصلاة فيه تكون كصلاة مضاعفة مما تقام فى غيره اه كلام الحليمى وقال ابن التين فى حديث
البخارى لأعلمنك سورة هى أعظم السور معناه أن ثوابها أعظم من غيرها وقال غيره انما كانت أعظم
السور لانها جمعت جميع مقاصد القرآن ولذلك سميت أم القرآن وقال الحسن البصرى ان الله أودع
علوم الكتب السابقة فى القرآن ثم أودع علوم القرآن الفاتحة فمن علم تفسيرها كان كمن علم تفسير
جميع الكتب المنزلة أخرجه البيهقى وبيان اشتمالها على علوم القرآن قرره الزمخشرى باشتمالها على
الثناء على الله تعالى بما هو أهله وعلى التعبد والنهى وعلى الوعد والوعيد وآيات القرآن لا تخلو عن
احد هذه الامور وقال الامام فخر الدين المقصود من القرآن كله تقرير أمور أربعة الالهيات والمعاد
والنبوات واثبات القضاء والقدر لله تعالى فقوله الحمد لله رب العالمين يدل على الالهيات وقوله مالك
يوم الدين يدل على المعاد وقوله اياك نعبد واياك يدل على نفى الجبر وعلى اثبات ان الكل بقضاء الله
وقدره وقوله اهدنا الصراط المستقيم الى آخر السورة يدل على اثبات قضاء الله وعلى النبوات فلما كان
المقصد الاعظم من القرآن هذه المطالب الاربعة وهذه السورة مشتملة عليها أم القرآن وقال
البيضاوى هى مشتملة على الحكم النظرية والاحكام العملية التى هى سلوك الطريق المستقيم
والاطلاع على مراتب السعداء ومنازل الاشقياء وقال الطيبى هى مشتملة على أربعة أنواع من
العلوم التى هى مناط الدين احدها علم الأصول ومعاقده معرفة الله تعالى وصفاته واليها الاشارة بقوله
الحمد لله رب العالمين الرحمن الرحيم ومعرفة النبوة وهى المراد بقوله أنعمت عليهم ومعرفة المعاد وهو
المومى اليه بقوله مالك يوم الدين وثانيها علم الفروع وأسه العبادات وهو المراد بقوله اياك نعبد
وثالثها علم مايحصل به الكمال وهو علم الاخلاق واجله الوصول الى الحضرة الصمدانية والالتجاء

وكذلك يقع فى الكلام البيت الوحشى النادر والمثل السائر والمعنى الغريب والشىء الذى لو اجتهد له لم يقع عليه فيتفق له ويصادفه قال لى بعض علماء هذه الصنعة وجاريته فى ذلك ان هذا مما لا سبب له يخصه وانما سببه القرارة فى أصل الصنعة والتقدم فى عيون المعرفة فاذا وجد ذلك وقع له من الباب مايطرد عن حساب ومايشذ عن تفصيل الحساب فأما ماقلنا من ان مابلغ قدر السورة معجز فان ذلك صحيح

(فصل فى أنه هل يعلم اعجاز القرآن ضرورة).

ذهب أبو الحسن الاشعرى الى أن ظهور ذلك على النبى ﷺ يعلم ضرورة وكونه معجزا يعلم باستدلال وهذا المذهب محكى عن المخالفين والذى نقوله فى هذا أن الاعجمى لا يمكنه ان يعلم اعجازه الا استدلالا وكذلك من لم

لى جناب الفردانية والسلوك طريقه والاستقامة فيها واليه الاشارة بقوله واياك نستعين اهدنا الصراط المستقيم ورابعها علم القصص والأخبار عن الامم السالفة والقرون الخالية السعداء منهم والاشقياء ومايتصل بها من وعد محسنهم ووعيد مسيئهم وهو المراد بقوله أنعمت عليهم غير المغضوب عليهم ولا الضالين وقال الغزالى مقاصد القرآن ستة ثلاثة مهمة وثلاثة متمة الأولى تعريف المدعو اليه كما أشير اليه بصدرها وتعريف الصراط المستقيم وقد صرح به فيها وتعريف الحال عند الرجوع اليه تعالى وهو الآخرة كما أشير اليه بملك يوم الدين والأخرى تعريف أحوال المطيعين كما أشير اليه بقوله الذى انعمت عليهم وحكاية أقوال الجاحدين وقد أشير اليها بالمغضوب عليهم ولا الضالين وتعريف منازل الطريق كما أشير اليه بقوله اياك نعبد واياك نستعين اه ولا ينافى هذا وصفها فى الحديث الآخر بكونها ثلثى القرآن لان بعضهم وجهه بان دلالات القرآن العظيم اما أن تكون بالمطابقة أو بالتضمن او بالالتزام دون المطابقة وهذه السورة تدل على جميع مقاصد القرآن بالتضمن والالتزام دون المطابقة والاثنان من الثلاثة ثلثان ذكره الزركشى فى شرح التنبيه وناصر الدين بن المياق قال وأيضا الحقوق ثلاثة حق الله على عباده وحق العباد على الله وحق بعض العباد على بعض وقد اشتملت الفاتحة صريحا عن الحقين الأولين فناسب كونها بصريحها ثلثين وحديث قسمت الصلاة بينى وبين عبدى نصفين شاهد لذلك ثلث ولا تنافى أيضا بين كون الفاتحة اعظم السور وبين الحديث الآخر ان البقرة أعظم السور لان المراد بها ما عدا الفاتحة من السور التى فصلت فيها الأحكام وضربت الأمثال وأقيمت الحجج اذ لم تشتمل سورة على ما اشتملت عليه ولذلك سميت فسطاط القرآن قال ابن العربى فى أحكامه سمعت بعض أشياخى يقول فيها ألف أمر وألف نهى وألف حكم وألف خبر ولعظيم فقهها أقام ابن عمر ثمانى سنين على تعلمها أخرجه مالك فى الموطأ قال ابن العربى أيضا وانما صارت آية الكرسى أعظم الآيات لعظم مقتضاها فان الشيء انما يشرف بشرف ذاته مقتضاه ومتعلقاته وهى فى آى القرآن كسورة الاخلاص فى سورة الا ان سورة الاخلاص تفضلها بوجهين أحدهما أنها سورة وهذه آية السورة أعظم لأنه وقع التحدى بها فهى أفضل من الآية التى لم يتحد بها والثانى أن سورة الاخلاص اقتضت التوحيد فى خمسة عشر حرفا وآية الكرسى اقتضت التوحيد فى خمسين حرفا فظهرت القدرة فى الاعجاز بوضع معنى معبر عنه بخمسين حرفا ثم يعبر عنه بخمسة عشرة وذلك بيان لعظيم القدرة والانفراد بالوحدانية وقال ابن المنير اشتملت آية الكرسى على مالم تشتمل عليه آية من أسماء الله تعالى وذلك أنها مشتملة على سبعة عشر موضعا فيها اسم الله تعالى ظاهرا فى بعضها ومستكنا فى بعض وهى الله هو الحى القيوم ضمير لا تأخذه وله وعنده وباذنه ويعلم وعلمه وشاء وكرسيه ويؤده ضمير حفظهما المستتر الذى هو فاعل المصدر وهو العلى العظيم (وان عددت الضمائر) المتحملة فى الحى القيوم العلى العظيم والضمير المقدر قبل الحى على أحد الاعاريب صارت ثنين وعشرين وقال الغزالى انما كانت آية الكرسى سيدة الآيات لانها اشتملت على ذات الله وصفاته وأفعاله فقط ليس فيها غير ذلك ومعرفة ذلك هى المقصود الاقصى فى العلوم وماعداه تابع له والسيد اسم المتبوع المقدم فقوله الله اشارة الى الذات لا اله الا هو اشارة الى توحيد الذات الحى القيوم اشارة الى صفة الذات وجلاله فان معنى القيوم الذى يقوم بنفسه ويقوم غيره وذلك غاية الجلال والعظمة (لا تأخذه سنة ولا نوم) تنزيه وتقديس له عما يستحيل عليه من أوصاف الحوادث والتقديس عما يستحيل أحد أقسام المعرفة (له مافى السموات ومافى الارض) اشارة الى الافعال كلها وان جميعها منه واليه (من ذا الذى يشفع عنده الا باذنه) اشارة الى انفراده بالملك والحكم والامر وان من يملك

يمكن بليغ فأما البليغ الذى قد أحاط بمذاهب العربية وغرائب الصنعة فانه يعلم من نفسه ضرورة عجزه عن الاتيان بمثله ويعلم عجز غيره بمثل مايعرف عجز نفسه كما انه اذا علم الواحد منا أنه لا يقدر على ذلك وهو يعلم عجز غيره استدلالا . (فصل فيما يتعلق به الاعجاز) .

ان قال قائل بينوا لنا ما الذى وقع التحدى اليه أهو الحروف المنظومة أو الكلام القائم بالذات أو غير ذلك قيل الذى تحداهم به أن يأتوا بمثل الحروف التى هى نظم القرآن منظومة كنظمها متتابعة كتتابعها مطردة كاطرادها ولم يتحدهم الى أن يأتوا بمثل الكلام القديم الذى لا مثل له وان كان كذلك فالتحدى واقع الى أن يأتوا بمثل الحروف المنظومة التى هى عبارة عن كلام الله تعالى فى نظمها وتأليفها وهى حكاية لكلامه ودلالات عليه وامارات له على أن

الشفعاء انما يملكها تشريفهما اياه والاذن فيها وهذا نفى الشركة عنه فى الحكم والامر (يعلم ما بين أيديهم وما خلفهم) الى قوله شاء اشارة إلى صفة العلم وتفضيل بعض المعلومات والانفراد بالعلم حتى لا علم لغيره الا ما أعطاه ووهبه على قدر مشيئته وارادته (وسع كرسيه السموات والأرض) اشارة الى عظمة ملكه وكمال قدرته (ولا يؤوده حفظهما) اشارة الى صفة القدرة وكمالها وتنزيهها عن الضعف والنقصان (وهو العلى العظيم) اشارة إلى اصلين عظيمين فى الصفات فاذا تأملت هذه المعانى ثم تأملت هذه المعانى ثم تلوت جميع آى القرآن لم تجد جملتها مجموعة فى آية واحدة فان شهد الله ليس فيها إلا التوحيد وسورة الإخلاص ليس فيها الا التوحيد والتقديس وقل اللهم مالك الملك ليس فيها إلا الافعال والفاتحة فيها الثلاثة لكن غير مشروحة بل مرموزة والثلاثة مجموعة مشروحة فى آية الكرسى والذى يقرب منها فى جمعها آخر الحشر وأول الحديد لكنها آيات لا آية واحدة فاذا قابلت آية الكرسى باحد تلك الآيات وجدتها أجمع للمقاصد فلذلك استحقت السيادة على الآى كيف وفيها الحى القيوم وهو الاسم الاعظم كما ورد به الخبر اه كلام الغزالى ثم قال انما قال صلى الله عليه وسلم فى الفاتحة أفضل وفى آية الكرسى سيدة لسر وهو أن الجامع بين فنون الفضل وأنواعها الكثيرة يسمى أفضل فان الفضل هو الزيادة والافضل هو الازيد وأما السود فهو رسوخ معنى الشرف الذى يقتضى الاستتباع ويأبى التبعية والفاتحة تتضمن التنبيه على معان كثيرة ومعارف مختلفة فكانت أفضل وآية الكرسى تشتمل على المعرفة العظمى التى هى المقصودة المتبوعة التى تتبعها سائر المعارف فكان اسم السيد بها أليق (ثم) قال فى حديث قلب القرآن يس ان ذلك لان الايمان صحته بالاعتراف بالحشر والنشر وهو مقرر فى هذه السور بأبلغ وجه فجعلت قلب القرآن لذلك واستحسنه الامام فخر الدين وقال النسفى يمكن أن يقال أن هذه السورة ليس فيها إلا تقرير الاصول الثلاثة الوحدانية الرسالة والحشر وهو القدر الذى يتعلق بالقلب والجنان وأما الذى باللسان والاركان ففى غير هذه السورة فلما كان فيها أعمال القلب لا غير سماها قلبا ولهذا أمر بقراءتها عند المحتضر لان فى ذلك الوقت يكون اللسان ضعيف القوة والاعضاء ساقطة لكن القلب قد أقبل على الله تعالى ورجع عما سواه فيقرأ عنده ما يزداد به قوة فى قلبه ويشتد تصديقه بالأصول الثلاثة اه (واختلف الناس) فى معنى كون سورة الإخلاص تعدل ثلث القرآن فقيل كانه ﷺ سمع شخصا يكررها تكرار من يقرأ ثلث القرآن فخرج الجواب على هذا وفيه بعد عن ظاهر الحديث وسائر طرق الحديث ترده وقيل لان القرآن يشتمل على قصص وشرائع وصفات وسورة الإخلاص كلها صفات فكانت ثلثا بهذا الاعتبار وقال الغزالى فى الجواهر معارف القرآن المهمة ثلاثة معرفة التوحيد والصراط المستقيم والآخرة وهى مشتملة على الأول فكانت ثلثا وقال أيضا فيما نقله عنه الرازى يشتمل القرآن على البراهين القاطعة على وجود الله تعالى ووحدانيته وصفاته أما صفات الحقيقة وأما صفات العمل وأما صفات الحكم فهذه ثلاثة أمور وهذه السورة تشتمل على صفات الحقيقة فهى ثلث (وقال) الخوبى المطالب التى فى القرآن معظمها الاصول الثلاثة التى بها يصح الاسلام ويحصل الايمان وهى معرفة الله والاعتراف بصدق رسوله واعتقاد القيام بين يدى الله تعالى فان من عرف أن الله واحد وأن النبى صادق وأن الدين واقع صار مؤمنا حقا ومن أنكر شيئا منها كفر قطعا وهذه السورة تفيد الاصل الاول فهى ثلث القرآن من هذا وقال غيره القرآن قسمان خبر وإنشاء الخبر قسمان خبر عن الخالق وخبر عن المخلوق فهذه ثلاثة أثلاث وسورة الإخلاص أخلصت الخبر عن الخالق فهى بهذا الاعتبار ثلث وقيل تعدل فى الثواب وهو الذى يشهد له ظاهر الحديث والأحاديث الواردة فى سورة الزلزلة والنصر

يكون مستأنفين لذلك لا حاكين بما أتى به النبى صلى الله عليه وسلم ولا يجب أن يقدر مقدر أو يظن ظان أنا حين قلنا إن القرآن معجز فانه تحداهم إلى أن يأتوا بمثله أردنا غيره افسرناه من العبارات عن الكلام القديم القائم بالذات وقد بينا قبل هذا أنه لم يكن ذلك معجزا لكونه عبارة عن الكلام القديم لان التوراة والانجيل عبارة عن الكلام القديم وليس ذلك بمعجز فى النظم والتأليف كذلك مادون الآية كاللفظة عبارة عن كلامه وليست بمفردها بمعجزة وقد جوز بعض اصحابنا أن يتحداهم إلى مثل كلامه القديم القائم بنفسه والذى عول عليه مشايخنا ما قدمنا ذكره وعلى ذلك أكثر مذاهب الناس ولم يجب أن نفسر ونذكر موجب هذا المذهب الذى حكيناه وما يتصل به لانه خارج عن غرض كتابنا الان

والكافرون لكن ضعف ابن عقيل ذلك وقال لا يجوز أن يكون المعنى فله أجر ثلث القرآن لقوله من قرا القرآن فله بكل حرف عشر حسنات وقال ابن عبد البر السكوت فى هذه المسئلة أفضل من الكلام فيها وأسلم ثم أسند إلى اسحق بن منصور (قلت) لأحمد بن حنبل قوله ﷺ قل هو الله أحد تعدل ثلث القرآن ما وجهه فلم يقم لى فيها على أمر وقال لى اسحق بن راهويه معناه أن الله لما فضل كلامه على سائر الكلام جعل لبعضه أيضا فضلا فى الثواب لمن قرأه تحريضا على تعليمه لا أن من قرأ قل هو الله أحد ثلاث مرات كان كمن قرأ القرآن جميعه هذا لا يستقيم ولو قرأها مائتى مرة وقال ابن عبد البر فهذا أن إما مان بالسنة ماقاما ولا قعدا فى هذه المسئلة وقال ابن المياق فى حديث أن الزلزلة نصف القرآن لأن أحكام القرآن تنقسم إلى أحكام الدنيا وأحكام الآخرة وهذه السورة تشتمل على أحكام الآخرة كلها اجمالا وزادت على القارعة باخراج الاثقال وتحديث الاخبار (وأما) تسميتها فى الحديث الآخر ربعا فلان الايمان بالبعث ربع الايمان فى الحديث الذى رواه الترمذى لا يؤمن عبد حتى يؤمن بأربع يشهد أن لا إله إلا الله وأنى رسول الله بعثنى بالحق ويؤمن بالموت ويؤمن بالبعث بعد الموت ويؤمن بالقدر فاقتضى هذا الحديث أن الايمان بالبعث الذى قررته هذه السورة ربع الايمان الكامل الذى دعا اليه القرآن (وقال أيضا) فى سر كون ألهاكم تعدل ألف آية إن القرآن ستة الاف آية ومائتا آية وكسر فاذا تركنا الكسر كان الالف سدس القرآن وهذه السورة تشتمل على سدس مقاصد القرآن فانها فيما ذكره الغزالى ستة ثلاث مهمة وثلاث متممة وتقدمت واحدها معرفة الآخرة المشتمل عليه السورة والتعبير عن هذا المعنى بألف آية أفخم وأجل وأضخم من التعبير بالسدس (وقال أيضا) فى سر كون سورة الكافرون ربعا وسورة الاخلاص ثلثا مع أن كلا منهما يسمى الاخلاص أن سورة الاخلاص اشتملت من صفات الله على مالم تشتمل عليه الكافرون وأيضا فالتوحيد اثبات الهية المعبود وتقديسه ونفى الهية ما سواه وقد صرحت الاخلاص بالاثبات والتقديس ولوحت إلى نفى عبادة غيره والكافرون صرحت بالنفى ولوحت بالاثبات والتقديس فكان بين الرتبتين من التصريحين والتلويحين ما بين الثلث والربع اه (تذنيب) ذكر كثيرون فى أثر أن الله جمع علوم الأولين والآخرين فى الكتب الأربعة وعلومها فى القرآن وعلومه فى الفاتحة فزادوا وعلوم الفاتحة فى البسملة وعلوم البسملة فى بائها ووجه بأن المقصود من كل العلوم وصول العبد إلى الرب وهذه الباء باء الالصاق فهى تلصق العبد بجناب الرب وذلك كمال المقصود ذكره الامام الرازى وابن النقيب فى تفسيرهما

﴿النوع الرابع والسبعون﴾ فى مفردات القرآن (أخرج) السلفى فى المختار من الطيوريات عن الشعبى قال لقى عمر بن الخطاب ركبا فى سفر فيهم ابن مسعود أمر رجلا يناديهم من أين القوم قالوا أقبلنا من الفج العميق نريد البيت العتيق فقال عمران فيهم لعالما وأمر رجلا أن يناديهم أى القرآن أعظم فأجابهم عبد الله (الله لا إله إلا هو الحى القيوم) قال نادهم أى القرآن أحكم فقال ابن مسعود (إن الله يأمر بالعدل والاحسان وايتاء ذى القربى) قال نادهم أى القران اجمع فقال فمن يعمل مثقال ذرة خيرا يره ومن يعمل مثقال ذرة شرا يره فقال نادهم أى القران أحزن فقال من يعمل سوأ يجز به فقال نادهم أى القران أرجى فقال قل يا عبادى الذين أسرفوا على أنفسهم الآية فقال أفيكم ابن مسعود قالوا نعم أخرجه عبد الرزاق فى تفسيره بنحوه وأخرج (عبد الرزاق أيضا مسعود قال أعدل آية فى القران إن الله يأمر بالعدل والاحسان وأحكم آية فمن يعمل مثقال ذرة إلى آخرها وأخرج الحاكم عنه قال إن أجمع آية فى القران للخير والشر (إن الله يأمر بالعدل والاحسان)

الاعجاز وقع فى نظم الحروف التى هى دلالات وعبارات عن كلامه وإلى مثل هذا النظم وقع التحدى فبينا وجه ذلك وكيفية ما يتصور القول فيه وأزلنا توهم من يتوهم أن الكلام القديم حروف منظومة أو حروف غير منظومة أو شىء مؤتلف أو غير ذلك مما يصح أن يتوهم على ما سبق من اطلاق القول فيما مضى

﴿فصل فى وصف وجوه من البلاغة﴾

ذكر بعض أهل الأدب والكلام أن البلاغة على عشرة أقسام الايجاز والتشبيه والاستعارة والتلاؤم والفواصل والتجانس والتصريف والتضمين والمبالغة وحسن البيان فاما الايجاز فانما يحسن مع ترك الاخلال باللفظ والمعنى فيأتى باللفظ القليل الشامل لامور كثيرة وذلك ينقسم إلى حذف وقصر فالحذف الاسقاط للتخفيف كقوله واسأل القرية

واخرج الطبرانى عنه قال مافى القرآن آية أعظم فرحا من آية سورة الغرف (قل ياعبادى الذين أسرفوا على أنفسهم) الآية ومافى القرآن آية أكثر تفويضاً من آية فى سورة النساء القصرى (ومن يتوكل على الله فهو حسبه) الآية وأخرج أبو ذر الهروى فى فضائل القرآن من طريق ابن عمر عن ابن عمر عن ابن مسعود قال سمعت رسول الله ﷺ يقول ان أعظم آية فى القرآن (الله لااله إلا هو الحى القيوم واعدل آية فى القرآن إن الله يأمر بالعدل والاحسان إلى آخرها واخوف آية فى القرآن فمن يعمل مثقال ذرة خيرا يره ومن يعمل مثقال ذرة شرا يره وارجى آية فى القرآن قل ياعبادى الذين أسرفوا على أنفسهم لاتقنطوا من رحمة الله) إلى آخرها (وقد اختلف) فى ارجى آية فى القرآن على بضعة عشر قولا أحدها آية لزمر والثانى أولم تؤمن قال بلى أخرجه الحاكم فى المستدرك وأبو عبيد عن صفوان بن سليم قال التقى ابن عباس وابن عمرو قال ابن عباس أى آية فى كتاب الله ارجى فقال عبدالله بن عمر قل ياعبادى الذين أسرفوا على أنفسهم الاية فقال ابن عباس لكن قول الله (وإذ قال ابراهيم رب أرنى كيف تحيى الموتى قال أولم تؤمن قال بلى ولكن ليطمئن قلبى) قال فرضى منه بقوله بلى قال فهذا لما يعترض فى الصدر مما يوسوس به الشيطان * الثالث ماأخرجه ابو نعيم فى الحلية عن على ابن أبى طالب انه قال انكم يامعشر أهل العراق تقولون أرجى آية فى القرآن ياعبادى الذين أسرفوا الآية لكنا أهل البيت نقول ان أرجى آية فى كتاب الله ولسوف يعطيك ربك فترضى وهى الشفاعة * الرابع ماأخرجه الواحدى عن على بن الحسين قال أشد آية على أهل النار فذوقوا فلن نزيدكم إلا عذابا وأرجى اية فى القران لاهل التوحيد ان الله لا يغفر أن يشرك به الآية واخرج الترمذى وحسنه عن على قال أحب اية إلى فى القران ان الله لا يغفر أن يشرك به الآية * الخامس ما أخرجه مسلم فى صحيحه عن ابن المبارك ان أرجى اية فى القران قوله تعالى ولا يأتل أولوا الفضل منكم والسعة إلى قوله ألا تحبون أن يغفر الله لكم * السادس ما أخرجه ابن أبى الدنيا فى كتاب التوبة عن أبى عثمان الهندى قال مافى القران اية أرجى عندى لهذه الامة من قوله وآخرون اعترفوا بذنوبهم خلطوا عملا صالحا وآخر سيئا السابع والثامن قال أبو جعفر النحاس فى قوله فهل يهلك إلا القوم الفاسقون ان هذه لاية عندى أرجى اية فى القران إلا أن ابن عباس قال أرجى اية فى القران وان ربك لذو مغفرة للناس على ظلمهم وكذا حكاه عنه مكى ولم يقل على احسانهم * التاسع روى الهروى فى مناقب الشافعى عن ابن عبد الحكم قال سألت الشافعى أى اية أرجى قال قوله يتيما ذا مقربة أو مسكينا ذا متربة قال وسألته عن ارجى حديث للمؤمن قال إذا كان يوم القيامة تدفع إلى كل مسلم رجل من الكفار فداؤه . العاشر كل يعمل على شاكلته . الحادى عشر هل يجازى إلا الكفور . الثانى عشر انا قد أوحى إلينا ان العذاب على من كذب وتولى حكاه الكرمانى فى العجائب . الثالث عشر وما أصابكم من مصيبة فبما كسبت أيديكم ويعفو عن كثير حكى هذه الأقوال الأربعة النووى فى رءوس المسائل والاخير ثابت عن على ففى مسند أحمد عنه قال ألا أخبركم بأفضل اية فى كتاب الله تعالى حدثنا بها رسول الله ﷺ وما أصابكم من مصيبة فبما كسبت أيديكم ويعفو عن كثير وسأفسرها لك ياعلى ما أصابكم من مرض أو عقوبة أو بلاء فى الدنيا فبما كسبت أيديكم والله أكرم من أن يثنى العقوبة وماعفا الله عنه فى الدنيا فالله أحكم من أن يعود بعد عفوه . الرابع عشر قل للذين كفروا ان ينتهوا يغفر لهم ماقد سلف قال الشبلى إذا كان الله أذن للكافر بدخول الباب إذا اتى بالتوحيد والشهادة أفتراه يخرج الداخل فيها والمقيم عليها . الخامس عشر اية الدين ووجهه ان الله أرشد عباده إلى مصالحهم الدنيوية حتى انتهت العناية بمصالحهم إلى أمرهم بكتابة الدين الكثير والحقير فمقتضى ذلك يرجى عفوه عنهم لظهور العناية العظيمة

وقوله طاعة وقول معروف) وحذف الجواب كقوله (ولوان قرآنا سيرت به الجبال أو قطعت به الأرض أوكلم به الموتى) كأنه قيل لكان هذا القرآن والحذف ابلغ من الذكر لأن النفس تذهب كل مذهب فى القصد من الجواب والايجاز بالقصد كقوله (ولكم فى القصاص حياة) وقوله (يحسبون كل صيحة عليهم هم العدو) وقوله (انما بغيكم على انفسكم ولايحيق المكر السيء إلا بأهله) والاطناب فيه بلاغة فأما التطويل ففيه عى واما التشبيه بالعقد على ان احد الشيئين يسد مسد الآخر فى حس أو عقل كقوله (والذين كفروا اعمالهم كسراب بقيعة يحسبه الظمآن ماء حتى إذا جاءه لم يجده شيئاً) وقوله (مثل الذين كفروا بربهم اعمالهم كرماد اشتدت به الريح فى يوم عاصف) وقوله (وإذ نتقنا الجبل فوقهم كأنه ظلة) وقوله (انما مثل الحياة

بهم (قلت) ويلحق بهذا ما أخرجه ابن المنذر عن ابن مسعود أنه ذكر عنده بنو اسرائيل وما فضلهم الله به فقال كان بنو اسرائيل إذا أذنب أحدهم ذنبا اصبح وقد كتبت كفارته على أسكفة بابه وجعلت كفارة ذنوبكم قولا تقولونه تستغفرون الله فيغفر لكم والذى نفسى بيده لقد أعطانا الله آية لهى أحب إلى من الدنيا وما فيها (والذين إذا فعلوا فاحشة أو ظلموا أنفسهم ذكروا الله) الآية وما أخرجه ابن أبى الدنيا فى كتاب التوبة عن ابن عباس قال ثمانى آيات نزلت فى سورة النساء هى خير لهذه الأمة مما طلعت عليه الشمس وغربت أولهن (يريد الله ليبين لكم ويهديكم سنن الذين من قبلكم ويتوب عليكم والثانية والله يريد أن يتوب عليكم ويريد الذين يتبعون الشهوات والثالثة يريد الله أن يخفف عنكم الآية والرابعة ان تجتنبوا كبائر ما تنهون عنه الآية والخامسة ان الله لا يظلم مثقال ذرة الآية والسادسة ومن يعمل سوأ أو يظلم نفسه ثم يستغفر الله الآية والسابعة ان الله لا يغفر أن يشرك به الآية والثامنة والذين آمنوا بالله ورسله ولم يفرقوا بين أحد منهم) الآية وما أخرجه ابن أبى حاتم عن عكرمة قال سئل ابن عباس أى آية أرجى فى كتاب الله قال قوله (ان الذين قالوا ربنا الله ثم استقاموا) على شهادة أن لا إله إلى الله (أشد آية) أخرج ابن راهويه فى مسنده أنبأنا أبو عمرو العقدى أنبأنا عبد الجليل بن عطية عن محمد بن المنتشر قال رجل لعمر بن الخطاب انى لاعرف أشد آية فى كتاب الله تعالى فأهوى عمر فضربه بالدرة وقال مالك نقبت عنها حتى علمتها ما هى قال من يعمل سوأ يجز به فما منا أحد يعمل سوأ الا جزى به فقال عمر لبثنا حين نزلت ما ينفعنا طعام ولا شراب حتى أنزل الله بعد ذلك ورخص (ومن يعمل سوأ أو يظلم نفسه ثم يستغفر الله يجد الله غفورا رحيما) (وأخرج) ابن أبى حاتم عن الحسن قال سألت أبا برزة الاسلمى عن أشد آية فى كتاب الله تعالى على أهل النار فقال فذوقوا فلن نزيدكم إلا عذابا وفى صحيح البخارى عن سفيان قال ما فى القرآن آية أشد على من لستم على شىء حتى تقيموا التوراة والانجيل وما أنزل اليكم من ربكم وأخرج ابن جرير عن ابن عباس قال ما فى القرآن أشد توبيخا من هذه الآية لولا ينهاهم الربانيون والاحبار عن قولهم الاثم واكلهم السحت الآية (وأخرج) ابن المبارك فى كتاب الزهد عن الضحاك بن مزاحم قرأ قول الله لولا ينهاهم الربانيون والاحبار عن قولهم الاثم واكلهم السحت قال والله ما فى القرآن آية أخوف عندى منها (واخرج) ابن أبى حاتم عن الحسن قال ما أنزلت على النبى ﷺ آية كانت أشد عليه من قوله وتخفى فى نفسك ما الله مبديه الآية «واخرج» ابن المنذر عن ابن سيرين لم يكن شىء عندهم أخوف من هذه الآية ومن الناس من يقول أمنا بالله وباليوم الآخر وما هم بمؤمنين وعن أبى حنيفة أخوف آية فى القرآن واتقوا النار التى أعدت للكافرين وقال غيره سنفرغ لكم أيها الثقلان ولهذا قال بعضهم لو سمعت هذه الكلمة من خفير الحارة لم أنم وفى النوادر لابن أبى زيد قال مالك أشد آية على أهل الاهواء قوله يوم تبيض وجوه وتسود وجوه الآية فتأولها على أهل الأهواء انتهى «وأخرج» ابن أبى حاتم عن أبى العالية قال آيتان فى كتاب الله ما أشدهما على من يجادل فيه ما يجادل فى آيات الله إلا الذين كفروا وان الذين اختلفوا فى الكتاب لفى شقاق بعيد وقال السعيدى سورة الحج من أعاجيب القرآن فيها مكى ومدنى وحضرى وسفرى وليلى ونهارى وحربى وسلمى وناسخ ومنسوخ فالمكى من رأس الثلاثين إلى آخرها والمدنى من رأس خمس عشرة إلى رأس الثلاثين والليلى خمس آيات من أولها والنهارى من رأس تسع آيات إلى رأس اثنتى عشرة والحضرى إلى رأس العشرين «قلت» والسفرى أولها والناسخ اذن للذين يقاتلون الآية والمنسوخ الله يحكم بينكم الآية نسختها اية السيف وقوله وما أرسلنا من قبلك الآية نسختها سنقرئك فلا تنسى وقال الكرمانى ذكر المفسرون ان قوله تعالى يا أيها الذين امنوا شهادة بينكم الآية

الدنيا كماء أنزلناه من السماء فاختلط به نبات الأرض مما يأكل الناس والانعام حتى إذا أخذت الأرض زخرفها وازينت وظن أهلها انهن قادرون عليها أتاها امرنا ليلا أو نهارا فجعلناها حصيدا كأن لم تغن بالأمس) وقوله إنا ارسلنا عليهم ريحا صرصرا فى يوم نحس مستمر تنزع الناس كأنهم أعجاز نخل منقعر «وقوله (فاذا انشقت السماء فكانت وردة كالدهان) وقوله «انما الحياة الدنيا لعب ولهو وزينة وتفاخر بينكم وتكاثر فى الأموال والأولاد كمثل غيث اعجب الكفار نباته ثم يهيج فتراه مصفرا ثم يكون حطاما» وقوله «وجنة عرضها كعرض السماء والأرض «وقوله مثل الذين حملوا التوراة ثم لم يحملوها كمثل الحمار يحمل اسفارا» وقوله تعالى «فمثله كمثل الكلب أن تحمل عليه يلهث» وقوله «كأنهم اعجاز نخل خاوية» وقوله «مثل الذين

من اشكل آية فى القرآن حكما ومعنى واعرابا وقال غيره قوله تعالى (يا بنى آدم خذوا زينتكم) الآية جمعت أصول أحكام الشريعة كلها الأمر والنهى والإباحة والخبر وقال الكرمانى فى العجائب فى قوله تعالى نحن نقص عليك أحسن القصص قيل هو قصة يوسف وسماها أحسن القصص لاشتمالها على ذكر حاسد ومحسود ومالك ومملوك وشاهد ومشهود وعاشق ومعشوق وحبس وإطلاق وسجن وخلاص وخصب وجدب وغيرها مما يعجز عن بيانها طوق الخلق وقال ذكر أبو عبيدة عن رؤوبة مافى القرآن أغرب من قوله (فاصدع بما تؤمر) (وقال) ابن خالويه فى كتاب ليس فى كلام العرب لفظ جمع لغات ما النافية الاحرف واحد فى القرآن جمع اللغات الثلاث وهو قوله ماهن أمهاتهم قرأ الجمهور بالنصب وقرأ بعضهم بالرفع وقرأ ابن مسعود ماهن بأمهاتهم بالباء قال وليس فى القرآن لفظ على افعوعل إلا فى قراءة ابن عباس ألا أنهم يثنونى صدورهم وقال بعضهم أطول سورة فى القرآن البقرة وأقصرها الكوثر وأطول آية فيه آية الدين وأقصر آية فيه والضحى والفجر وأطول كلمة فيه رسما فأسقيناكموه وفى القرآن آيتان جمعت كل منهما حروف المعجم ثم أنزل عليكم من بعد الغم امنة الآية محمد رسول الله الآية وليس فيه حاء بعد حاء بلا حاجز إلا فى موضعين عقدة النكاح حتى لا ابرح حتى ولا كافان كذلك الا مناسككم ولا غينان كذلك الا ومن يبتغ غير الإسلام ولا آية فيها ثلاثة وعشرون كافا الا الدين ولا آيتان فيهما ثلاثة عشر وقفا الا ايتا المواريث ولا سورة ثلاث ايات فيها عشر واوات إلا والعصر إلى اخرها ولا سور إحدى وخمسون اية فيها اثنان وخمسون وقفا الا سورة الرحمن ذكرا كثر ذلك ابن خالويه وقال أبو عبد الله الخبازى المقرى أول ماوردت على السلطان محمود بن ملكشاه سألنى عن اية أولها غين فقلت ثلاثة غافر الذنب وايتان بخلاف غلبت الروم غير المغضوب عليهم ونقلت من خط شيخ الإسلام ابن حجر فى القرآن أربع شدات متوالية قوله نسيارب السموات فى بحر لجى يغشاه موج قولا من رب رحيم ولقد زينا السماء .

*(النوع الخامس والسبعون) فى خواص القرآن أفرده بالتأليف جماعة منهم التميمى وحجة الاسلام الغزالى ومن المتأخرين اليافعى وغالب مايذكر فى ذلك كان مستنده تجارب الصالحين وها أنا أبدأ بما ورد من ذلك فى الحديث ثم التقطعيونا مما ذكر السلف والصالحون (أخرج) ابن ماجه وغيره من حديث ابن مسعود عليكم بالشفاءين العسل والقران وأخرج أيضا من حديث على خير الدواء القران وأخرج أبو عبيد عن طلحة بن مصرف قال كان يقال إذا قرىء القرآن عند المريض وجد لذلك خفة (وأخرج) البيهقى فى الشعب عن واثلة بن الأسقع ان رجلا شكى إلى النبى ﷺ وجع حلقه قال عليك بقراءة القران (وأخرج) ابن مردويه عن أبى سعيد الخدرى قال جاء رجل إلى النبى ﷺ فقال انى اشتكى صدرى قال اقرأ القران يقول الله تعالى وشفاء لما فى الصدور (وأخرج) البيهقى وغيره من حديث عبد الله بن جابر فى فاتحة الكتاب شفاء من كل داء (وأخرج) الخلعى فى فوائده من حديث جابر بن عبد الله فاتحة الكتاب شفاء من كل شىء إلا السام والسام الموت (وأخرج) سعيد بن منصور والبيهقى وغيرهما من حديث أبى سعيد الخدرى فاتحة الكتاب شفاء من السم (وأخرج) البخارى من حديثه أيضا قال كنا فى مسير لنا فنزلنا فجاءت جارية فقالت ان سيد الحى سليم فهل معكم راق فقام معها رجل فرقاه بأم القران فبرىء فذكر للنبى ﷺ فقال وما كان يدريه أنها رقية (وأخرج) الطبرانى فى الأوسط عن السائب بن يزيد قال عوذنى رسول الله ﷺ فاتحة الكتاب تفلا (وأخرج) البزاز من حديث أنس إذا وضعت جنبك على الفراش وقرأت فاتحة الكتاب وقل هو الله أحد امنت من كل شى الا الموت (وأخرج) مسلم

تخذوا من دون الله أولياء كمثل العنكبوت اتخذت بيتا وإن أوهن البيوت لبيت العنكبوت) وقوله (وله الجوار المنشآت فى البحر كالأعلام) وقوله (خلق الانسان من صلصال كالفخار) ونحو ذلك ومن ذلك باب الاستعارة وهو بيان التشبيه كقوله تعالى (وقدمنا إلى ماعملوا من عمل فجعلناه هباء منثورا) وكقوله (فاصدع بما تؤمر وأعرض عن المشركين) وكقوله (انا لما طغى الماء حملناكم فى الجارية وقوله ولما سكت عن موسى الغضب وكقوله فمحونا آية الليل وجعلنا آية النهار مبصرة وقوله بل نقذف بالحق على الباطل فيدمغه فاذا هو زاهق (فالدمغ والقذف مستعار وقوله (وآية لهم الليل نسلخ منه النهار) وقوله وتودون أن غير ذات الشوكة تكون لكم وقوله فذو دعاء عريض وقوله تضع الحرب أوزارها وقوله والصبح إذا تنفس وقوله

من حديث ابى هريرة أن البيت الذى تقرأ فيه البقرة لايدخله الشيطان (واخرج) عبدالله بن أحمد فى زوائد المسند بسند حسن عن أبى بن كعب قال كنت عند النبى ﷺ فجاء اعرابى فقال يا نبى الله إن لى أخا وبه وجع قال وما وجعه قال فأتنى به لمم قال به فوضعه بين يديه فعوذه النبى صلى الله عليه وسلم بفاتحة الكتاب وأربع آيات من أول سورة البقرة وهاتين الآيتين (والهكم اله واحد) وآية الكرسى وثلاث آيات من آخر سورة البقرة وآية من ال عمران (شهد الله انه لا إله إلا هو) وآية من الاعراف ان ربكم الله واخر سورة المؤمنين فتعالى الله الملك الحق وآية من سورة الجن وانه تعالى جدر بنا وعشر آيات من أول الصافات وثلاث ايات من اخر سورة الحشر وقل هو الله أحد والمعوذتين فقام الرجل كأنه لم يشك قط (وأخرج) الدارمى عن ابن مسعود موقوفا من قرأ أربع ايات من أول سورة البقرة وآية الكرسى وآيتين بعد اية الكرسى وثلاثا من اخر سورة البقرة لم يقربه ولا أهله يومئذ شيطان ولا شىء يكرهه ولا يقرآن على مجنون الا أفاق (وأخرج) البخارى عن أبى هريرة فى قصة الصدقة ان الجنى قال له إذا أويت إلى فراشك فاقرأ آية الكرسى فانك لن يزال عليك من الله حافظ ولا يقربك شيطان حتى تصبح فقال النبى ﷺ أما انه صدقك وهو كذوب (وأخرج) المحاملى فى فوائده عن ابن مسعود قال قال يارسول الله علمنى شيئا ينفعنى الله به قال اقرأ آية الكرسى فانه يحفظك وذريتك ويحفظ دارك حتى الدويرات حول دارك (وأخرج) الدينورى فى المجالسة عن الحسن أن النبى ﷺ قال ان جبريل أتانى فقال إن عفريتا من الجن يكيدك فاذا أويت إلى فراشك فاقرأ آية الكرسى وفى الفردوس من حديث أبى قتادة من قرأ آية الكرسى عند الكرب أغاثه الله (وأخرج) الدارمى عن المغيرة بن سبيع وكان من أصحاب عبدالله قال من قرأ عشر آيات من البقرة عند منامه لم ينس القرآن أربع من أولها وآية الكرسى وآيتان بعدها وثلاث من آخرها (وأخرج) الديلمى من حديث أبى هريرة مرفوعا ايتان هما قرآن وهما يشفيان وهما مما يحبهما الله تعالى الآيتان من آخر سورة البقرة (وأخرج) الطبرانى عن معاذ أن النبى ﷺ قال له ألا أعلمك دعاء تدعو به لو كان عليك من الدين مثل ثبير أداه الله عنك (قل اللهم مالك الملك تؤتى الملك من تشاء إلى قوله بغير حساب) رحمن الدنيا والآخرة ورحيمهما تعطى من تشاء منهما وتمنع من تشاء ارحمنى رحمة يغننى بها عن رحمة من سواك (وأخرج) البيهقى فى الدعوات عن ابن عباس إذا استصعبت دابة أحدكم أو كانت شموسا فليقرأ هذه الآية فى أذنيها (أفغير دين الله يبغون وله أسلم من فى السموات والأرض طوعا وكرها وإليه ترجعون) (وأخرج) البيهقى فى الشعب بسند فيه من لا يعرف عن على موقوفا سورة الانعام ما قرئت على عليل الا شفاه الله تعالى (وأخرج) ابن السنى عن فاطمة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لما دنا ولادتها أمر ام سلمة وزينب بنت جحش أن يأتيا فيقرآ عندها آية الكرسى وان ربكم الله الاية ويعوذاها بالمعوذتين (وأخرج) ابن السنى أيضا من حديث الحسين بن على امان لأمتى من الغرق إذا ركبوا أن يقرؤا بسم الله مجراها ومرساها إن ربى لغفور رحيم وما قدروا الله حق قدره الاية (وأخرج) ابن أبى حاتم عن ليث قال بلغنى أن هؤلاء الايات شفاء من السحر تقرأ على إناء فيه ماء ثم يصب على رأس المسحور الاية التى فى سورة يونس فلما ألقوا قال موسى ما جئتم به السحر إلى قوله المجرمون وقوله فوقع الحق وبطل ما كانوا يعملون الخ أربع آيات وقوله إنما صنعوا كيد ساحر الاية (وأخرج) الحاكم وغيره من حديث أبى هريرة ما كربنى امر الا تمثل لى جبريل فقال يا محمد قل توكلت على الحى الذى لا يموت والحمد لله الذى لم يتخذ ولدا ولم يكن له شريك فى الملك ولم يكن له ولى من الذل وكبره تكبيرا (وأخرج) الصابونى فى المائتين من حديث ابن عباس مرفوعا هذه الاية أمان

وقوله (فنبذوه وراء ظهورهم) وقوله (أتاها أمرنا ليلا أو نهارا فجعلناها حصيدا) وقوله حصيدا خامدين وقوله (ألم تر أنهم فى كل واد يهيمون) وقوله (وداعيا إلى الله باذنه وسراجا منيرا) وقوله (ولا تجعل يدك مغلولة إلى عنقك) وقوله ولنذيقنهم من العذاب الأدنى دون العذاب الأكبر) وقوله فضربنا على آذانهم) يريد أن لا احساس بآذانهم من غير صمم وقوله) ولما سقط فى أيديهم) وهذا أوقع من اللفظ الظاهر وأبلغ من الكلام الموضوع وأما التلاؤم فهو تعديل الحروف فى التأليف وهو نقيض التنافر كقول الشاعر

وقبر حرب بمكان قفر
وليس قرب قبر حرب قبر

قالوا هو من شعر الجن حروفه متنافرة لا يمكن انشاده إلا بتتعتع فيه والتلاؤم على ضربين أحدهما فى الطبقة الوسطى كقوله

رمتنى وستر الله بينى وبينها

من السرق قل ادعو الله أو ادعوا الرحمن إلى آخر السورة (وأخرج) البيهقى فى الدعوات من حديث أنس ما أنعم الله على عبد نعمة أهل ولا مال أو ولد فيقول ما شاء الله لاقوة إلا بالله فيرى فيه آفة دون الموت (وأخرج) الدارمى وغيره من طريق عبدة بن أبى لبابة عن زر بن حبيش قال من قرأ آخر سورة الكهف لساعة يريد أن يقومها من الليل قامها قال عبدة فجربناه فوجدناه كذلك (وأخرج الترمذى والحاكم من حديث سعد بن أبى وقاص دعوة ذى النون اذ دعا بها وهو فى بطن الحوت ان لا إله إلا أنت سبحانك انى كنت من الظالمين لم يدع بها رجل مسلم فى شىء قط الا استجاب الله له وعند ابن السنى انى لأعلم كلمة لا يقولها مكروب إلا فرج عنه كلمة أخى يونس فنادى فى الظلمات ان لا اله الا أنت سبحانك انى كنت من الظالمين (وأخرج) البيهقى وابن السنى وأبو عبيدة عن ابن مسعود أنه قرأ فى أذن مبتلى فأفاق فقال رسول الله ﷺ ما قرأت فى أذنيه قال أفحسبتم انما خلقناكم عبثا إلى آخر السورة فقال لو أن رجلا موقنا قرأها على جبل لزال (وأخرج) الديلمى وأبو الشيخ ابن حبان فى فضائله من حديث أبى ذر ما من ميت يموت فيقرأ عنده يس الاهون الله عليه (وأخرج) المحاملى فى أماليه من حديث عبد الله بن الزبير من جعل يس أمام حاجة قضيت له وله شاهد مرسل عند الدارمى وفى المستدرك عن أبى جعفر محمد بن على قال من وجد فى قلبه قسوة فليكتب يس فى جام بماء ورد وزعفران ثم يشربه (وأخرج) ابن الضريس عن سعيد بن جبير أنه قرأ على رجل مجنون سورة يس فبرىء وأخرج أيضا عن يحيى بن أبى كثير قال من قرأ يس اذا أصبح لم يزل فى فرح حتى يمسى ومن قرأها اذا أمسى لم يزل فى فرح حتى يصبح أخبرنا من جرب ذلك (وأخرج) الترمذى من حديث أبى هريرة ومن قرأ الدخان كلها وأول غافر إلى اليه المصير وآية الكرسى حين يمسى حفظ بها حتى يصبح ومن قرأهما حين يصبح حفظ بهما حتى يمسى ورواه الدارمى بلفظ لم ير شيئا يكرهه (وأخرج) البيهقى والحارث بن أبى أسامة وأبو عبيدة عن ابن مسعود مرفوعا من قرأ كل ليلة سورة الواقعة لم تصبه فاقة أبدا (وأخرج) البيهقى فى الدعوات عن ابن عباس موقوفا فى المرأة تعسر عليها ولادتها قال يكتب فى قرطاس ثم تسق بسم الله الذى لا إله إلا هو الحليم الكريم سبحان الله وتعالى رب العرش العظيم الحمد لله رب العالمين كأنهم يوم يرونها لم يلبثوا إلا عشية أو ضحاها كأنهم يوم يرون ما يوعدون لم يلبثوا إلا ساعة من نهار بلاغ فهل يهلك إلا القوم الفاسقون (وأخرج) أبو داود عن ابن عباس قال اذا وجدت فى نفسك شيئا يعنى الوسوسة فقل (هو الأول والآخر والظاهر والباطن وهو بكل شىء عليم) (وأخرج) الطبرانى عن على قال لدغت النبى ﷺ عقرب فدعا بماء وملح وجعل يمسح عليها ويقرأ قل يا أيها الكافرون وقل أعوذ برب الفلق وقل أعوذ برب الناس (وأخرج) أبو داود والنسائى وابن حبان والحاكم عن ابن مسعود ان النبى ﷺ كان يكره الرقى الا بالمعوذات (وأخرج) الترمذى والنسائى عن أبى سعيد قال كان رسول الله ﷺ يتعوذ من الجان وعين الانسان حتى نزلت المعوذات فأخذ بها وترك ما سواها فهذا ما وقفت عليه فى الخواص من الأحاديث التى لم تصل إلى حد الوضع ومن الموقوفات على الصحابة والتابعين وأما ما لم يرد به أثر فقد ذكر الناس من ذلك كثيرا جدا الله أعلم بصحته ومن لطيف ما حكاه ابن الجوزى عن ابن ناصر عن شيوخه عن ميمونة بنت شاقول البغدادية قالت آذانا جار لنا فصليت ركعتين وقرأت من فاتحة كل سورة آية حتى ختمت القران وقلت اللهم اكفنا أمره ثم نمت وفتحت عينى واذا به قد نزل وقت السحر فزلت قدمه فسقط ومات (تنبيه) قال ابن التين الرقى بالمعوذات وغيرها من أسماء الله تعالى هو الطب الروحانى اذا كان على لسان الابرار من الخلق حصل الشفاء باذن الله تعالى فلما عز هذا النوع فزع الناس

عشية أن أم الكناس رميم رميم التى قالت لجارات بيتها ضمنت لكم أن لا يزال يهيم ألا رب يوم لو رمتنى رميتها ولكن عهدى بالنضال قديم قالوا والمتلائم فى الطبقة العليا القرآن كله وان كان بعض الناس أحسن احساسا من بعض كما أن بعضهم يفطن للموزون بخلاف بعض والتلاؤم حسن الكلام فى السمع وسهولته فى اللفظ ووقع المعنى فى القلب وذلك كالخط الحسن والبيان الشافى والمتنافر كالخط القبيح فاذا انضاف إلى التلاؤم حسن البيان وصحة البرهان فى أعلى الطبقات ظهر الاعجاز لمن كان جيد الطبع وبصيرا بجودة الكلام كما يظهر له أعلى طبقة الشعر والمتنافر ذهب الخليل إلى أنه من بعد شديد أو قرب شديد فاذا بعد فهو كالطفر واذا قرب جدا

الى الطب الجثمانى (قلت) ويشير الى هذا قوله ﷺ لو أن رجلا مؤقنا قرأ بها على جبل لزال وقال القرطبي تجوز الرقية بكلام الله تعالى واسمائه فان كان مأثورا استحب وقال الربيع سألت الشافعى عن الرقية فقال لا بأس بها أن يرقى بكتاب الله و بما يعرف من ذكر الله تعالى وقال ابن بطال فى المعوذات سر ليس فى غيرها من القرآن لما اشتملت عليه من جوامع الدعاء التى تعم أكثر المكروهات من السحر والحسد وشر الشيطان ووسوسته وغير ذلك ولهذا كان صلى الله عليه وسلم يكتفى بها وقال ابن القيم فى حديث الرقية بالفاتحة اذا ثبت أن لبعض الكلام خواص ومنافع فما الظن بكلام رب العالمين ثم بالفاتحة التى لم ينزل فى القرآن ولا غيره من الكتب مثلها لتضمنها جميع معانى الكتاب فقد اشتملت على ذكر أصول أسماء الله تعالى ومجامعها واثبات المعاد وذكر التوحيد والافتقار الى الرب فى طلب الاعانة به والهداية منه وذكر أفضل الدعاء وهو طلب الهداية الى الصراط المستقيم المتضمن كمال معرفته وتوحيده وعبادته بفعل ما أمر به واجتناب ما نهى عنه والاستقامة عليه ولتضمنها ذكر أصناف الخلائق وقسمتهم الى منعم عليه لمعرفته بالحق والعمل به ومغضوب عليه لعدوله عن الحق بعد معرفته وضال بعدم معرفته له مع ما تضمنته من اثبات القدر والشرع والاسماء والمعاد والتوبة وتزكية النفس واصلاح القلب والرد على جميع أهل البدع وحقيق لسورة هذا بعض شأنها أن يستشفى بها من كان ذا داء اه (مسئلة) قال النووى فى شرح المهذب لو كتب القرآن فى اناء ثم غسله وسقاه لمريض فقال الحسن البصرى ومجاهد وابو قلابة والأوزاعى لا بأس به وكرهه الخزاعى قال ومقتضى مذهبنا انه لا بأس به فقد قال القاضى حسين والبغوى وغيرهما لو كتب قرآنا على حلوى وطعام فلا بأس بأكله اه قال الزركشى وممن صرح بالجواز فى مسئلة الاناء العماد النيهى مع تصريحه بأنه لا يجوز ابتلاع ورقة فيها آية لكن افتى ابن عبد السلام بالمنع من الشرب ايضا لانه يلاقيه نجاسة الباطن وفيه نظر

(النوع السادس والسبعون) . فى مرسوم الخط وآداب كتابته أفرده بالتصنيف خلائق من المتقدمين والمتأخرين منهم أبو عمرو الدانى والف فى توجيه ما خالف قواعد الخط منه أبو العباس المراكشى كتابا سماه عنوان الدليل فى مرسوم خط التنزيل بين فيه ان هذه الاحرف انما اختلف حالها فى الخط بحسب اختلاف أحوال معانى كلماتها وسأشير هنا الى مقاصد ذلك ان شاء الله تعالى (أخرج) ابن أشتة فى كتاب المصاحف بسنده عن كعب الاحبار قال اول من وضع الكتاب العربى والسريانى والكتب كلها آدم عليه السلام قبل موته بثلثمائة سنة كتبها فى الطين ثم طبخه فلما أصاب الارض الغرق أصاب كل قوم كتابهم فكتبوه فكان اسمعيل بن ابراهيم أصاب كتاب العرب ثم (اخرج) من طريق عكرمة عن ابن عباس قال أول من وضع الكتاب العربى اسمعيل وضع الكتاب على لفظه ومنطقه ثم جعله كتابا واحدا مثل الموصول حتى فرق بينه ولده يعنى أنه وصل فيه جميع الكلمات ليس بين الحروف فرق هكذا بسم الله الرحمن الرحيم ثم فرقه من بنيه هميسع وقيذر ثم أخرج من طريق سعيد ابن جبير عن ابن عباس قال أول كتاب أنزله الله من السماء أبو جاد وقال ابن فارس الذى نقوله ان الخط توقيفى لقوله تعالى (علم الانسان ما لم يعلم وقال ن والقلم وما يسطرون) وان هذه الحروف داخلة فى الاسماء التى علم الله آدم وقد ورد فى أمر أبى جاد ومبتدأ الكتابة أخبار كثيرة ليس هذا محلها وقد بسطتها فى تأليف مفرد

(فصل) * القاعدة العربية ان اللفظ يكتب بحروف هجائية مع مراعاة الابتداء به والوقف عليه وقد مهد النحاة له أصولا وقواعد وقد خالفها فى بعض الحروف خط المصحف الامام وقال

كان بمنزلة نفى المقيد وبيين ذلك بقرب مخارج الحروف وتباعدها وأما الفواصل فهى حروف متشاكلة فى المقاطع يقع بها افهام المعانى وفيها بلاغة والاسجاع عيب لان السجع يتبع المعنى والفواصل تابعة للمعانى والسجع كقول مسيلمة ثم الفواصل قد تقع على حروف متجانسة كما قد تقع على حروف متقاربة ولا تحتمل القوافى ما تحتمل الفواصل لانها ليست فى الطبقة العليا فى البلاغة لان الكلام يحسن فيها بمجانسة القوافى واقامة الوزن وأما التجانس فيه بيان بأنواع الكلام الذى يجمعه أصل واحد وهو على وجهين مزاوجة ومناسبة فالمزاوجة كقوله تعالى (فمن اعتدى عليكم فاعتدوا عليه بمثل ما اعتدى عليكم) وقوله (ومكروا ومكر الله وكقول عمر بن كلثوم الا لا يجهلن أحد علينا

أشهب سئل مالك هل يكتب المصحف على ما أحدثه الناس من الهجاء فقال لا إلا على الكتبة الاولى (رواه) الداني في المقنع ثم قال ولا مخالف له من علماء الامة وقال في موضع آخر سئل مالك عن الحروف في القرآن مثل الواو والالف أترى أن يغير من المصحف إذا وجد فيه كذلك قال لا قال أبو عمرو يعني الواو والالف المزيدتين في الرسم المعدومتين في اللفظ نحو أولوا وقال الامام أحمد يحرم مخالفة خط مصحف عثمان في واو أو ياء أو ألف أو غير ذلك (وقال) البيهقي في شعب الايمان من يكتب مصحفا فينبغي أن يحافظ على الهجاء الذي كتبوا به تلك المصاحف ولا يخالفهم فيه ولا يغير مما كتبوا شيئا فانهم كانوا أكثر علما وأصدق قلبا ولسانا وأعظم أمانة فلا ينبغي أن تظن بأنفسنا استدراكا عليهم (قلت) وينحصر أمر الرسم في ستة قواعد الحذف والزيادة والهمز والبدل والوصل والفصل وما فيه قراءتان فكتب على أحدهما (القاعدة الاولى) في الحذف تحذف الالف من ياء النداء نحو يا أيها الناس ويا آدم يارب عبادي وهاء التنبيه نحو هؤلاء ها أنتم ونا مع ضمير نحن أنجينا كم آتيناه (ومن ذلك) وأولئك ولكن وتبارك وفروع الاربعة والله واله كيف وقع والرحمن وسبحان كيف وقع الاقل سبحان ربي وبعده لام نحو خلائف خلاف رسول الله سلام غلام إيلاف يلاف إلاقرار وبين لامين نحو الكلالة الضلالة خلال الديار للذي ببكة ومن كل علم زائد على ثلاثة كابراهيم وصالح وميكال الاجالوت وهامان ويأجوج ومأجوج وداود لحذف واوه واسرائيل لحذف يائه (واختلف) في هاروت وماروت وقارون ومن كل مثنى اسم أو فعل إن لم يتطرف نحو رجلان يعلمان اضلانا ان هذان إلا بما قدمت يداك ومن كل جمع تصحيح لمذكر أو مؤنث نحو اللاعنون ملاقوا ربهم إلا طاغون في الذاريات والطور وكراما كاتبين والاروضات في شورى وآيات للسائلين ومكر في آياتنا وآياتنا بينات في يونس والا ان تلاها همزة نحو الصائمين والصائمات أو تشديد نحو الضالين والصافات فان كان في الكلمة الف ثانية حذفت أيضا إلا سبع سموات في فصلت ومن كل جمع على مفاعل أو شبهه نحو المساجد ومساكن واليتامى والنصارى والمساكين والخبائث والملائكة والثانية من خطايا كيف وقع ومن كل عدد كثلاث وثلاث وساحر الا في آخر الذاريات فانثى فألفاه والقيامة وشيطان وسلطان وتعالى واللاتي واللائي وخلاق وعالم بقادر والاصحاب والانهار والكتاب ومنكر الثلاثة إلى أربعة مواضع لكل اجل كتاب كتاب معلوم كتاب ربك في الكهف وكتاب مبين في النمل ومن البسملة بسم الله مجراها ومن أول الامر من سأل ومن كل ما اجتمع فيه الفان أو ثلاثة نحو آدم آخر اشفقتم أأنذرتهم غثاء ومن وراء كيف وقع إلا مارأى ولقد رأى في النجم والا نأى والآن فمن يستمع الآن والا الفان من الايكة إلا في الحجر وق وتحذف الياء من كل منقوص منون رفعا وجرا نحو باغ ولا عاد والمضاف لها إذا نودى الا ياعبادي الذين أسرفوا ياعبادي الذين آمنوا في العنكبوت أولم ينادى إلا قل لعبادي أسر بعبادي في طه وحم فادخلي في عبادي وادخلي جنتي ومع مثلها نحو وليي والحواريين ومتكئين الاعلين وبهيء وهيء ومكر السيء وسيئه والسيئة افعيينا ويحي مع ضمير لا مفردا وحيث وقع أطيعون اتقون خافون ارهبون فارسلون واعبدون إلا في يس واخشون إلا في البقرة وكيدون إلا فكيدوني جميعا واتبعون إلا في آل عمران وطه ولا تنظرون ولا تستعجلون ولا تكفرون ولا تقربون ولا تخزون ولا تفضحون ويهدين وسيهدين ويكذبون يقتلون أو يكذبون ووعيد والجوار وبالوادي والمهتدى إلا في الاعراف وتحذف لواو مع أخرى نحو لا يستوون فأووا وإذا الموؤدة يؤوساو وتحذف اللام مدغمة في مثلها نحو الليل والذي الا الله واللهم واللعنة وفروعه واللهو واللغو واللؤلؤ واللات واللهم واللهب واللطيف واللوامة (فرع) في الحذف الذي لم يدخل تحت القاعدة حذف الالف من مالك الملك

فنجهل فوق جهل الجاهلينا

وأما المناسبة فهي كقوله تعالى (ثم انصرفوا صرف الله قلوبهم) وقوله (يخافون يوما تتقلب فيه القلوب والابصار (وأما التصريف فهو تصريف الكلام في المعاني كتصريفه في الدلالات المختلفة كتصريف الملك في معاني الصفات فصرف في معنى مالك وملك وذي الملكوت والمليك وفي معنى التمليك والتملك والاملاك وتصريف المعنى في الدلالات المختلفة كما كرر من قصة موسى في مواضع وأما التضمين فهو حصول معنى فيه من غير ذكره له باسم أو صفة هي عبارة عنه وذلك على وجهين تضمين توجبه البنية كقولنا معلوم يوجب أنه لابد من عالم وتضمين يوجبه معنى العبارة من حيث لا يصح إلا به كالصفة بضارب يدل على مضروب والتضمين كله ايجاز والتضمين الذي تدل

ذرية ضعافا مراغما خادعهم كالون للسحت بالغ ليجادلوكم وباطل ما كانوا فى الاعراف وهو الميعاد فى الانفال ترابا فى الرعد والنمل وعم جذاذا يسارعون آية المؤمنون آية الساحر آية الثقلان أم موسى فارغا وهل يجازى من هو كاذب القاسية فى الزمر أثارة عاهد عليه الله ولا كذابا وحذف الياء من إبراهيم فى البقرة والداع اذا دعان ومن اتبعن وسوف يؤت الله وقد هدان تتج المؤمنون فلا تسئلن ما يوم يأت لا تكلم حتى تؤتون موثقا تفندون المتعال متاب مآب عقاب فى الرعد وغافر فيها عذاب أشر كتمون من قبل وتقبل دعاء اتن أخرتن أن يهدين أن ترن إن يؤتين أن تعلمن نبغ الخمسة فى الكهف أن لا تتبعن فى طه والبادوان الله لها دان يحضرون رب ارجعون ولا تكلمون يسقين يشفين يحيين واد النمل اتمدونن فما آتان تشهدون بها العمى كالجواب أن يردن الرحمن لا ينقذون واسمعون اتردين صال الجحيم التلاق التناد ترجمون فاعتزلون يناد المنادى ليعيدون يطمعون تغن الداع مرتين فى القمر يسرا أكرمن ولى دين وحذفت الواو من يدع الانسان ويمح الله فى شورى يوم يدع الداع سندع الزبانية (قال) المراكشى والسرفى حذفها من هذه الاربعة التنبيه على سرعة وقوع الفعل وسهولته على الفاعل وشدة قبول المنفعل المتأثر به فى الوجود وأما ويدع الانسان فيدل على أنه سهل عليه ويسارع فيه كما يسارع فى الخير بل اثبات الشر اليه من جهة ذاته أقرب اليه من الخير وأما ويمح الله الباطل فللاشارة إلى سرعة ذهابه واضمحلاله وأما يدع الداع فللاشارة إلى سرعة الدعاء وسرعة اجابة الداعين وأما الأخيرة فللاشارة إلى سرعة الفعل واجابة الزبانية وقوة البطش (القاعدة الثانية) فى الزيادة زيدت ألف بعد الواو وآخر اسم مجموع نحو بنو إسرائيل ملاقوا ربهم أولوا الألباب بخلاف المفرد لذو علم الا الربا وأن امرؤ هلك وآخر فعل مفرد او جمع مرفوع أو منصوب الا جاءو وباءو واحيث وقع وعتوا عتوا فان فاءو والذين تبوءو والدار عسى الله أن يعفو عنهم فى النساء سعوا فى آياتنا فى سبأ وبعد الهمزة المرسومة واو نحو تفتؤا وفى مائة ومائتين والظنونا والرسولا والسبيلا ولا تقولن لشىء ولا اذبحنه ولأوضعوا ولا الى الله ولا إلى الجحيم ولا تيأسوا إنه لا ييأس أفلم ييأس وبين الياء والجيم فى جاى فى الزمر والفجر وكتبا بالهمزة مطلقا وزيدت ياء فى نبأ المرسلين وملائه وملائهم ومن اناى الليل فى طه من تلقاى نفسى من وراء حجاب فى شورى (وايتاء ذى القربى) فى النحل ولقاى الآخرة فى الروم (بأيكم المفتون) بنيناها بأييد أفائن مات أفائن مت وزيدت واو فى اولوا وأولى واولات سأوريكم قال المراكشى وانما زيدت هذه الاحرف فى هذه الكلمات نحو جاى وبناى ونحوهما للتهويل والفخيم والتهديد والوعيد كما زيدت فى بأييد تعظيما لقوة الله تعالى التى بها السماء التى لا تشابهها قوة وقال الكرمانى فى العجائب كانت سورة الفتحة فى الخطوط قبل الخط العربى الفا وصورة الضمة واو وصورة الكسرة ياء فكتب لااوضعوا ونحوه بالألف مكان الفتحة وايتاى ذى القربى بالياء مكان الكسرة وأولئك ونحوه بالواو مكان الضمة لقرب عهدهم بالخط الأول (القاعدة الثالثة) فى الهمز يكتب الساكن بحرف حركة ما قبله أولا أو وسطا أو اخرا نحو ايذن واوتمن والبأساء واقرا وجئناك وهيىء والمؤتون وتسوءهم الافادار أتم ورءيا والرياء وشطئه فحذف فيها وكذا أول الامر بعد فاء نحو فأتوا أو واو نحو واتمروا والمتحرك ان كان أولا أو اتصل به حرف زائد بألف مطلقا أى سواء كان فتحا أو ضما أو كسرا نحو أيوب اذا أولوا ساصرف فبأى سأنزل الا مواضع أئنكم لتكفرون ائنا لمخرجون فى النمل أئنا لتاركوا الهتنا أئن لنا فى الشعراء ائذا متنا ائن ذكرتم ائنا ائمة لئلا ائن يومئذ حينئذ فيكتب فيها بالياء قل أؤنبئكم وهؤلاء فكتب بالواو وان كان وسطا فبحرف حركته نحو سأل سئل نقرؤه الاجزاؤه الثلاثة فى يوسف ولاملأن وامتلأت واشمأزت وطمأنوا الحذف فيها والا ان فتح وكسر أو ضم ما قبله أو ضم وكسر ما قبله

عليه دلالات القياس أيضا ايجاز وذكر أن (بسم الله الرحمن الرحيم) من باب التضمين لأنه تتضمن تعليم الاستفتاح فى الأمور باسمه على جهة التعظيم لله تبارك وتعالى أو التبرك باسمه وأما المبالغة فهى الدلالة على كثرة المعنى وذلك على وجوه منها مبالغة فى الصفة المبينة لذلك كقولك رحمن عدل عن ذلك للمبالغة وكقوله غفار وكذلك فعال وفعول كقولهم شكور وغفور وفعيل كقوله رحيم وقدير ومن ذلك أن يبالغ باللفظة التى هى صفة عامة كقوله (خالق كل شىء) وكقوله (فأتى الله بنيانهم من القواعد) وكقوله (ولا يدخلون الجنة حتى يلج الجمل فى سم الخياط) وكقوله (وإنا أو إياكم لعلى هدى أو فى ضلال مبين) وقد يدخل فيه الحذف الذى تقدم ذكر المبالغة وأما حسن البيان فالبيان على أربعة أقسام كلام وحال واشارة وعلامة

فبحرفه نحو الخاطئة فؤادك (سنقرئك) وان كان ماقبله ساكنا حذف هو نحو يسئل لاتجأروا إلا النشأة وموئلا فى الكهف فان كان ألفا وهو مفتوح فقدسبق انها تحذف لاجتماعهامع ألف مثلها إذا لم مزح لصورتها نحو أبناءنا (وحذف معها) أيضا فى قرأنا فى يوسف والزخرف وان ضم أو كسر فلانحو أباؤكم أبائهم إلا وقال أولياؤهم إلى أولياءهم فى الانعام إن أولياؤه فى الانفال نحن أولياؤكم فى فصلت وان كان بعده حرف مد حذف فقد سبق أيضا أنه يحذف نحو شنآن خاسئين يستهزءون وان كان آخرا فبحرف حركة ماقبله نحو سبأ شاطئ لؤلؤ الامواضع تفيؤ تفتؤ أتوكؤ الانظؤ اما يعبؤ يبدؤ ينشؤ انبؤ ا قال الملؤا الأول فى قد أفلح والثلاثة فى النمل إلا فى خمسة مواضع الثان فى المائدة وفى الزمر والشورى والحشر شركاؤا فى الانعام وشورى بأنهم أنبؤا فى الانعام والشعراء علمؤا فيه من عباده العلمؤا الضعفؤا فى ابراهيم وغافر فى أموالنا مانشؤا وما دعاؤا فى غافر شفعؤا فى الروم ان هذا لهو البلاؤا المبين فى الدخان برءؤا منكم تكتب فى الكل الواو فان سكن ماقبله حذف هو نحو ملء الأرض دفء شىء الخبء ماء الانشؤا واو تبوؤ السوء كذا استثناه القراء (قلت) وعندى ان هذه الثلاثة لاتستثنى لأن الألف التى بعد الواو ليست صورة الهمزة بل هى المزيدة بعد واو الفعل (القاعدة الرابعة) فى البدل تكتب بالواو للتفخيم ألف الصلاة والزكاة والحياة والربا غير مضافات والغداة ومشكاة والنجاة ومناة (وبالياء) كل ألف منقلبة عنها نحو يتوفيكم فى اسم أو فعل اتصل به ضمير أم لا لاقى سامكنا أم لا ومنه ياحسرتا ياأسفا الاتتر وكلاهما وهدانى من عصانى والاتقى وأقصا المدينة وطغا الماء وسيماهم والاماتبلها ياء كالدنيا والحوايا الايحيى سماهم فملا ويكتب بها إلى وعلى وانى بمعنى كيف ومتى وبلى وحتى ولدى إلا لدا الباب (ويكتب) بالألف الثلاثى الواوى اسم أو فعلا نحو الصفا وشفا وعفا الاضحى كيف وقع وماز كى منكم ودحاها وتلاها وطحاها وسجا (وتكتب) بالالف نون التوكيد الخفيفة وإذا بالنون كأن وبالهاء هاء التأنيث الا رحمت فى البقرة والاعراف وهود ومريم والروم والزخرف (ونعمت) فى البقرة وآل عمران والمائدة وابراهيم والنحل ولقمان وفاطر والطور (وسنت) فى الانفال وفاطر وثانى غافر (وامرأت) مع زوجها وتمت كلمت ربك الحسنى فنجعل لعنت الله والخامسة ان لعنة الله (ومعصيت) فى قد سمع ان شجرت الزقوم قرت عين وجنت نعيم بقيت الله ويا أبت واللات ومرضات وهيهات وذات وابنت وفطرت (القاعدة) الخامسة فى الوصل والفصل توصل إلا بالفتح إلا عشرة ان لاأقول ان تقولوا فى الاعراف ان لاملجأ وفى هود ان لااله ان تعبدوا إلا الله انى اخاف ان لاتشرك فى الحج ان لاتعبدوا فى يس أن لاتعلوا فى الدخان ان لايشركن فى الممتحنة أن لايدخلنها فى ن (وعما) الامن ما ملكت فى النساء والروم ومن ما رزقناكم فى المنافقين (وعن) مطلقا وعما الاعن ما نهوا عنه واما بالكسر إلا وما نرينك فى الرعد واما بالفتح مطلقا وعمن إلا ويصرفه عن من يشاء فى النور وعن من تولى فى النجم (وأمن) إلا أم من يكون فى النساء أم من أسس أم من خلقنا فى الصافات أم من يأتى آمنا (والم) بالكسر إلا فان لم يستجيبوا لك فى القصص وفيما إلا أحدعشر فى ما فعلن الثانى فى البقرة ليبلوكم فى ما فى المائدة والانعام قل لاأجد فى ما اشتهت فى الأنبياء فى ما أفضتم فى هنا فى الشعراء فى ما رزقناكم فى الروم فى ماهم فيه فى ما كانوا فيه كلاهما فى الزمر وننشئكم فى مالا تعلمون (وانما) إلا ان ما توعدون لآت فى الانعام وانما بالفتح إلا أن ما يدعون فى الحج ولقمان (وكلما) الاكل ماردوا إلى الفتنة من كل ماسألتموه وبئسما لا مع اللام ونعما ومهما وربما وكأنما ويكان وتقطع حيثما وان لم بالفتح وان لن إلا فى الكهف والقيامة واين ما الا فأينما تولوا أينما يوجهه واختلف فى اينما تكونوا يدرككم أينما كنتم تعبدون فى الشعراء أينما ثقفوا فى الاحزاب ولكى لا الا فى آل عمران والحج والحديد

ويقع التفاضل فى البيان ولذلك قال عز من قائل (الرحمن علم القرآن خلق الانسان علمه البيان)وقيل أعيا من باقل سئل عن ظبية فى يده بكم اشتراها فأراد ان يقول بأحد عشر فأشار بيديه ماذا اصابعه العشر ثم أدلع لسانه وافلت الظبى من يده ثم البيان على مراتب قلنا قد كنا حكينا ان من الناس من يريد أن يأخذ اعجاز القرآن من وجوه البلاغة التى ذكرنا أنها تسمى البديع فى أول الكتاب مما مضت أمثلته فى الشعر ومن الناس من زعم انه يأخذ ذلك من هذه الوجوه التى عددناها فى هذا الفصل واعلم ان الذى بيناه قبل هذا وذهبنا اليه هو سديد وهو ان هذه الأمور تنقسم فمنها ما يمكن الوقوع عليه والتعمل له ويدرك بالتعمل فما كان كذلك فلاسبيل إلى معرفة اعجاز القرآن به وأما مالا سبيل اليه بالتعلم والتعمل من البلاغات فذلك هو الذى يدل على اعجازه ونحن نضرب لذلك أمثلة لتقف على ماذهبنا اليه

والثاني في الاحزاب ويوم هم ونحو فمال ولات حين وابن أم لا في طه. وكتبت الهمزة حينئذ واوا وحذفت همزة ابن فصارت هكذا يبنؤم (القاعدة السادسة) فيما فيه قراءتان فكتبت على احداهما ومرادنا غير الشاذ من ذلك مالك يوم الدين يخادعون وواعدنا والصاعقة والرياح وتفادوهم وتظاهرون ولا تقاتلوهم ونحوها ولولا دفاع فرهان طائرا في آل عمران والمائدة مضاعفة ونحوه عاقدت أيمانكم الاوليان لامستم قاسية قياما للناس خطيئاتكم في الأعراف طائف حاش لله وسيعلم الكافر تزاور زاكية فلا تصاحبني لاتخذت مهادا وحرام على قرية ان الله يدافع سكارى وما هم بسكارى المضغة عظاما فكسونا العظام سراجا بل ادارك ولا تصاعر ربنا باعد اساورة بلا ألف في الكل وقد قرئت بها وبحذفها وغيابات الجب وانزل عليه آية في العنكبوت وثمرت من اكمامها في فصلت وجمالات فهم على بينت وهم في الغرفات آمنون بالتاء وقد قرئت بالجمع والافراد ونقيه بالياء. ولاهب بالألف ويقض الحق بلا ياء وآتوني زبر الحديد بألف فقط ننجي من نشاء نجي المؤمنين بنون واحدة والصراط كيف وقع وبصطة في الاعراف والمصيطرون ومصيطر بالصاد لاغير وانما تكتب الكلمة صالحة للقراءتين نحو فكهون بلا ألف وهي قراءة وعلى قراءتها هي محذوفة رسما لأنه جمع تصحيح (فرع) فيما كتب موافقا لقراءة شاذة من ذلك ان البقر تشابه علينا أو كلما عاهدوا ما بقي من الربو قرئ بضم الباء وسكون الواو فقلنا لهم انما طائركم طائره في عنقه تساقط سامر وفصاله في عامين عاليهم ثياب سندس ختامه مسك فادخلي في عبادي (فرع) واما القراءات المخالفة للمشهورة بزيادة لا يحتملها الرسم ونحوها نحو أوصى ووصى وتجري تحتها ومن تحتها وسيقولون الله ولله وما عملت أيديهم وما عملته فكتابته على نحو قراءته وكل ذلك وجد في مصاحف الامام (فائدة) كتبت فواتح السور على صورة الحروف أنفسها لا على صورة النطق بها اكتفاء بشهرتها وقطعت حم عسق دون المص وكهيعص وطرد الاولى باخواتها الستة

(فصل) في آداب كتابته يستحب كتابة المصحف وتحسين كتابته وتبيينها وإيضاحها وتحقيق الخط دون مشقه وتعليقه فيكره وكذا كتابته في الشيء الصغير (اخرج) أبو عبيد في فضائله عن عمر انه وجد مع رجل مصحفا قد كتبه بقلم دقيق فكره ذلك وضربه وقال عظموا كتاب الله تعالى وكان عمر اذا رأى مصحفا عظيما سر به (واخرج) عبد الرزاق عن علي انه كان يكره أن تتخذ المصاحف صغارا (واخرج) أبو عبيد عنه انه كره ان يكتب القرآن في الشيء الصغير (واخرج) هو والبيهقي في الشعب عن أبي حكيم العبدي قال مر بي علي وانا اكتب مصحفا فقال اجل قلمك فقضمت من قلمي قضمة ثم جعلت أكتب فقال نعم هكذا نوره كما نوره الله (واخرج) البيهقي عن علي موقوفا قال تنوق رجل في بسم الله الرحمن الرحيم فغفر له (واخرج) أبو نعيم في تاريخ اصبهان وابن اشتة في المصاحف من طريق ابان عن أنس مرفوعا من كتب بسم الله الرحمن الرحيم مجودة غفر الله له (واخرج) ابن اشتة عن عمر بن عبد العزيز انه كتب إلى عماله إذا كتب احدكم بسم الله الرحمن الرحيم فليمد الرحمن (واخرج) عن زيد بن ثابت انه كان يكره ان تكتب بسم الله الرحمن الرحيم ليس لها سين (واخرج) عن يزيد بن أبي حبيب ان كاتب عمرو بن العاصي كتب إلى عمر فكتب بسم الله ولم يكتب لها سينا فضربه عمر فقيل له فيم ضربك أمير المؤمنين قال ضربني في سين (واخرج) عن ابن سيرين انه كان يكره ان تمد الباء إلى الميم حتى تكتب السين (واخرج) ابن أبي داود في المصاحف عن ابن سيرين انه كره ان يكتب المصحف مشقا قيل لم قال لأن فيه نقصا وتحرم كتابته بشيء نجس واما بالذهب فهو حسن كما قاله الغزالي (واخرج) أبو عبيد عن ابن عباس وأبي ذر وأبي الدرداء انهم كرهوا ذلك (واخرج) عن ابن مسعود انه مر عليه بمصحف زين بالذهب فقال ان احسن ما زين به المصحف تلاوته بالحق قال اصحابنا وتكره كتابته على الحيطان والجدران

وذكرنا في هذا الفصل عن هذا القائل ان التشبيه تعرف به البلاغة وذلك مسلم ولكن أن قلنا ما وقع من التشبيه في القرآن معجز عرض علينا من التشبيهات الجارية في الاشعار ما لا يخفى عليك وأنت تجد في شعر ابن المعتز من التشبيه البديع الذي يشبه السحر وقد تتبع في هذا ما لم يتتبع غيره واتفق له ما لم يتفق لغيره من الشعراء وكذلك كثير من وجوه البلاغة قد بينا أن تعلمها ممكن وليس تقع البلاغة بوجه واحد منها دون غيره فان كان انما يعني هذا القائل انه إذا أتى في كل معنى يتفق في كلامه بالطبقة العالية ثم كان ما يصل به كلامه بعضه ببعض وينتهي منه إلى متصرفاته على أتم البلاغة وابدع البراعة فهذا مما لا يأباه بل نقول به وانما ننكر ان يقول قائل ان بعض هذه الوجوه بانفرادها قد حصل فيه الاعجاز من غير أن يقارنه ما يتصل

وعلى

وعلى السقوف أشد كراهة لانه يوطأ (وأخرج) أبو عبيدة عن عمر بن عبد العزيز قال لا تكتبوا القرآن حيث يوطأ وهل تجوز كتابته بقلم غير العربي قال الزركشي لم أر فيه كلاما لاحد من العلماء قال ويحتمل الجواز لانه قد يحسنه من يقرؤه بالعربية والاقرب المنع كما تحرم قراءته بغير لسان العرب ولقولهم القلم أحد اللسانين والعرب لا تعرف قلما غير العربي وقد قال تعالى بلسان عربي مبين اهـ (فائدة) أخرج ابن أبي داود عن ابراهيم التيمي قال قال عبد الله لا يكتب المصاحف الا مضري قال ابن أبي داود هذا من أجل اللغات (مسئلة) اختلف في نقط المصحف وشكله ويقال أول من فعل ذلك أبو الاسود الدؤلي بامر عبد الملك بن مروان وقيل الحسن البصري ويحيى بن يعمر وقيل نصر بن عاصم الليثي وأول من وضع الهمز والتشديد والروم والاشمام الخليل وقال قتادة بدؤا فنقطوا ثم خمسوا ثم عشروا وقال غيره أول ما أحدثوا النقط عند آخر الآي ثم الفواتح والخواتم وقال يحيى بن أبي كثير ما كانوا يعرفون شيئا مما أحدث في المصاحف الا النقط الثلاث على رؤس الآي أخرجه ابن أبي داود وقد أخرج أبو عبيد وغيره عن ابن مسعود قال جردوا القرآن ولا تخلطوه بشيء (وأخرج) عن النخعي أنه كره نقط المصاحف وعن ابن سيرين انه كره النقط والفواتح والخواتم وعن ابن مسعود ومجاهد أنهما كرها التعشير (وأخرج) ابن أبي داود عن النخعي انه كان يكره العواشر والفواتح وتصغير المصحف وأن يكتب فيه سورة كذا وكذا (وأخرج) عنه أنه أتي بمصحف مكتوب فيه سورة كذا وكذا آية فقال امحه فان ابن مسعود كان يكرهه (وأخرج) عن أبي العالية انه كان يكره الجمل في المصحف وفاتحة سورة كذا وخاتمة سورة كذا وقال مالك لا بأس بالنقط في المصاحف التي تتعلم فيها الغلمان أما الامهات فلا وقال الحليمي تكره كتابة الاعشار والاخماس وأسماء السور وعدد الآيات فيه لقوله جردوا القرآن وأما النقط فيجوز لانه ليس له صورة فيتوهم لاجلها ما ليس بقرآن قرآنا وانما هي دلالات على هيئة المقروء فلا يضر اثباتها لمن يحتاج اليها وقال البيهقي من آداب القرآن ان يفخم فيكتب مفرجا بأحسن خط فلا يصغر ولا يقرمط حروفه ولا يخلط به ما ليس منه كعدد الآيات والسجدات والعشرات والوقوف واختلاف القراآت ومعاني الآيات وقد أخرج ابن أبي داود عن الحسن وابن سيرين انهما قالا لا بأس بنقط المصاحف (وأخرج) عن ربيعة بن أبي عبد الرحمن انه قال لا بأس بشكله (وقال النووي) نقط المصحف وشكله مستحب لانه صيانة له من اللحن والتحريف وقال ابن مجاهد ينبغي ان لا يشكل الا ما يشكل وقال الداني لا أستجيز النقط بالسواد لما فيه من التغيير لصورة الرسم ولا أستجيز جمع قراآت شتى في مصحف واحد بألوان مختلفة لانه من أعظم التخليط والتغيير للمرسوم وأرى ان يكون الحركات والتنوين والتشديد والسكون والمد بالحمرة والهمزات بالصفرة وقال الجرجاني من أصحابنا في الشافي من المذموم كتابة تفسير كلمات القرآن بين أسطره (فائدة) كان الشكل في الصدر الاول نقطا فالفتحة نقطة على أول الحرف والضمة على آخره والكسرة تحت أوله وعليه مشى الداني والذي اشتهر الآن الضبط بالحركات المأخوذة من الحروف وهو الذي أخرجه الخليل وهو أكثر وأوضح وعليه العمل فالفتح شكلة مستطيلة فوق الحرف والكسر كذلك تحته والضم واو صغرى فوقه والتنوين زيادة مثلها فان كان مظهرا وذلك قبل حرف حلق ركبت فوقها والا جعلت بينهما وتكتب الالف المحذوفة والمبدل منها في محلها حمراء والهمزة المحذوفة تكتب همزة بلا حرف حمراء أيضا وعلى النون والتنوين قبل الباء علامة الاقلاب حمراء وقبل الحلق سكون وتعرى عند الادغام والاخفاء ويسكن كل مسكن ويعرى المدغم ويشدد ما بعده الا الطاء قبل التاء فيكتب عليها السكون نحو فرطت ومطة الممدود لا تجاوزه (فائدة) قال الحربي في غريب الحديث قول ابن مسعود جردوا القرآن يحتمل وجهين أحدهما جردوه في التلاوة

به الكلام ويفضي اليه مثل ما يقول انما أقسم به وحده بنفسه معجز وان التشبيه معجز وان التجنيس معجز والمطابقة بنفسها معجزة فأما الآية التي فيها ذكر التشبيه فان ادعى اعجازها لالفاظها ونظمها وتأليفها فاني لا أدفع ذلك وأصححه ولكن لا أدعي اعجازها لموضع التشبيه وصاحب المقالة التي حكيناها أضاف ذلك الى موضع التشبيه وما قرن به من الوجوه ومن تلك الوجوه ما قد بينا ان الاعجاز يتعلق به كالبيان وذلك لا يختص بجنس من المبين دون جنس ولذلك قال (هذا بيان للناس) وقال (تبيانا لكل شيء) وقال (بلسان عربي مبين) فكرر في مواضع ذكره أنه مبين فالقرآن أعلى منازل البيان وأعلى مراتبه ما جمع وجوه الحسن وأسبابه وطرقه وأبوابه من تعديل النظم وسلامته وحسنه وبهجته وحسن موقعه في السمع وسهولته

ولا يخلطوا به غيره (والثاني) جردوه في الخط من النقط والتعشير وقال البيهقي الابين انه أراد لا تخلطوا به غيره من الكتب لان ما خلا القرآن من كتب الله انما يؤخذ عن اليهود والنصارى وليسوا بمأمونين عليها. (فرع). أخرج ابن أبي داود في كتاب المصاحف عن ابن عباس أنه كره أخذ الاجرة على كتابة المصحف (وأخرج) مثله عن أيوب السختياني (وأخرج) عن ابن عمر وابن مسعود أنهما كرها بيع المصاحف وشراءها (وأخرج) عن محمد بن سيرين أنه كره بيع المصاحف وشراءها وأن يستأجر على كتابتها (وأخرج) عن مجاهد وابن المسيب والحسن أنهم قالوا لا بأس بالثلاثة (وأخرج) عن سعيد بن جبير أنه سئل عن بيع المصاحف فقال لا بأس انما يأخذون أجور أيديهم (وأخرج) عن ابن الحنفية أنه سئل عن بيع المصاحف فقال لا بأس انما تبيع الورق (وأخرج) عن عبد الله بن شقيق قال كان أصحاب رسول الله ﷺ يشددون في بيع المصاحف (وأخرج) عن النخعي قال المصحف لا يباع ولا يورث (وأخرج) عن ابن المسيب أنه كره بيع المصاحف وقال أعن أخاك بالكتاب أوهب له (وأخرج) عن عطاء عن ابن عباس قال اشتر المصاحف ولا تبعها (وأخرج) عن مجاهد انه نهى عن بيع المصاحف ورخص في شرائها وقد حصل من ذلك ثلاثة أقوال للسلف ثالثها كراهة البيع دون الشراء وهو أصح الاوجه عندنا كما صححه في شرح المهذب ونقله في زوائد الروضة عن نص الشافعي قال الرافعي وقد قيل ان الثمن متوجه إلى الدفتين لان كلام الله لا يباع وقيل أنه بدل من اجرة النسخ اهـ وقد تقدم اسناد القولين الى ابن الحنفية وابن جبير وفيه قول ثالث انه بدل منهما معا (أخرج) ابن أبي داود عن الشعبي قال لا بأس ببيع المصاحف انما يبيع الورق وعمل يديه. (فرع). قال الشيخ عز الدين ابن عبد السلام في القواعد القيام للمصحف بدعة لم تعهد في الصدر الاول والصواب ما قاله النووي في التبيان من استحباب ذلك لما فيه من التعظيم وعدم التهاون به. (فرع). يستحب تقبيل المصحف لان عكرمة بن أبي جهل رضي الله عنه كان يفعله وبالقياس على تقبيل الحجر ذكره بعضهم ولانه هدية من الله تعالى فشرع تقبيله كما يستحب تقبيل الولد الصغير وعن أحمد ثلاث روايات الجواز والاستحباب والتوقيف وان كان فيه رفعة واكرام لانه لا يدخله قياس ولهذا قال عمر في الحجر لولا اني رأيت رسول الله ﷺ يقبلك ما قبلتك. (فرع). يستحب تطييب المصحف وجعله على كرسي ويحرم توسده لان فيه اذلالا وامتهانا قال الزركشي وكذا مد الرجلين اليه (وأخرج) ابن أبي داود في المصاحف عن سفيان أنه كره أن يعلق المصاحف (وأخرج) عن الضحاك قال لا تتخذوا للحديث كراسي ككراسي المصاحف. (فرع). يجوز تحليته بالفضة اكراما له على الصحيح (أخرج) البيهقي عن الوليد بن مسلم قال سألت مالكا عن تفضيض المصاحف فأخرج الينا مصحفا فقال حدثني أبي عن جدي انهم جمعوا القرآن في عهد عثمان وانهم فضضوا المصاحف على هذا ونحوه وأما بالذهب فالاصح جوازه للمرأة دون الرجل وخص بعضهم الجواز بنفس المصاحف دون غلافه المنفصل عنه والاظهر التسوية. (فرع). اذا احتيج الى تعطيل بعض أوراق المصحف لبلاء ونحوه لا يجوز وضعها في شق أو غيره لانه قد يسقط ويوطأ ولا يجوز تمزيقها لما فيه من تقطيع الحروف وتفرقة الكلم وفي ذلك ازدراء بالمكتوب كذا قال الحليمي قال وله غسلها بالماء وان أحرقها بالنار فلا بأس أحرق عثمان مصاحف كان فيها آيات وقراآت منسوخة ولم ينكر عليه وذكر غيره أن الاحراق أولى من الغسل لان الغسالة قد تقع على الارض وجزم القاضي حسين في تعليقه بامتناع الاحراق لانه خلاف الاحترام والنووي بالكراهة وفي بعض كتب الحنفية أن المصحف اذا بلي لا يحرق بل يحفر له في الارض ويدفن وفيه وقفة لتعرضه للوطء بالاقدام. (فرع). روى ابن أبي داود عن ابن المسيب قال

على اللسان ووقوعه في النفس موقع القبول وتصوره تصور المشاهد وتشكله على جهته حتى يحل محل البرهان ودلالة التأليف مما لا ينحصر حسنا وبهجة وسناء ورفعة واذا علا الكلام في نفسه كان له من الواقع في القلوب والتمكن في النفوس ما يذهل ويبهج ويقلق ويؤنس ويطمع ويؤيس ويضحك ويبكي ويحزن ويفرح ويسكن ويزعج ويشجي ويطرب ويهز الاعطاف ويستميل نحوه الاسماع ويورث الاريحية والعزة وقد يبعث على بذل المهج والاموال شجاعة وجودا ويرمي السامع من وراء رأيه مرمى بعيد وله مسالك في النفوس لطيفة ومداخل الى القلوب دقيقة ويحسب ما يترتب في نظامه ويتنزل في موقعه ويجري على سمت مطلعه ومقطعه يكون عجيب تأثيراته وبديع مقتضياته وكذلك على حسب مصادرة يتصور وجوه

لا يقول أحدكم مصيحف ولا مسيجد ما كان لله تعالى فهو عظيم . (فرع) . مذهبنا ومذهب جمهور العلماء تحريم مس المصحف للمحدث سواء كان أصغر أم أكبر لقوله تعالى (لا يمسه إلا المطهرون) وحديث الترمذي وغيره لا يمس القرآن إلا طاهر (خاتمة) روى ماجه وغيره عن أنس مرفوعا سبع يجرى للعبد أجرهن بعد موته وهو فى قبره من علم علما أو أجرى نهرا أو حفر بئرا أو غرس نخلا أو بنى مسجدا أو ترك ولدا يستغفر له بعد موته أو ورث مصحفا

. (النوع السابع والسبعون) . فى معرفة تفسيره وتأويله وبيان شرفه والحاجة اليه التفسير تفعيل من الفسر وهو البيان والكشف ويقال هو مقلوب السفر تقول أسفر الصبح إذا اضاء وقيل مأخوذ من التفسرة وهو إسم لما يعرف به الطبيب المرض والتأويل أصله من الاول وهو الرجوع فكأنه صرف الآية إلى ما تحتمله من المعانى وقيل من الايالة وهى السياسة كأن المؤول الكلام ساس الكلام ووضع المعنى فيه موضعه واختلف فى التفسير والتأويل فقال أبو عبيد وطائفة هما بمعنى وقد أنكر ذلك قوم حتى بالغ ابن حبيب النيسابورى فقال قد نبغ فى زماننا مفسرون لو سئلوا عن الفرق بين التفسير والتأويل ما اهتدوا اليه وقال الراغب التفسير أعم من التأويل وأكثر استعماله فى الالفاظ ومفرداتها وأكثر استعمال التأويل فى المعانى والجمل وأكثر ما يستعمل فى الكتب الالهية والتفسير يستعمل فيها وفى غيرها وقال غيره التفسير بيان لفظ لا يحتمل إلا وجها واحدا والتأويل توجيه لفظ متوجه إلى معان مختلفة إلى واحد منها بما ظهر من الادلة وقال الماتريدى التفسير القطع على أن المراد من اللفظ هذا والشهادة على الله أنه عنى باللفظ هذا فان قام دليل مقطوع به فصحيح والا فتفسير بالرأى وهو المنهى عنه والتأويل ترجيح أحد المحتملات بدون القطع والشهادة على الله وقال أبو طالب الثعلبى التفسير بيان وضع اللفظ إما حقيقة أو مجازا كتفسير الصراط بالطريق والصيب بالمطر والتأويل تفسير باطن اللفظ مأخوذ من الأول وهو الرجوع لعاقبة الأمر فالتأويل اخبار عن حقيقة المراد والتفسير إخبار عن دليل المراد لان اللفظ يكشف عن المراد والكاشف دليل مثاله قوله تعالى (إن ربك لبالمرصاد) تفسيره أنه من الرصد يقال رصدته رقبته والمرصاد مفعال منه وتأويله التحذير من التهاون بامر الله والغفلة عن الاهبة والاستعداد للعرض عليه وقواطع الادلة تقتضى بيان المراد منه على خلاف وضع اللفظ فى اللغة وقال الاصبهانى فى تفسيره علم أن التفسير فى عرف العلماء كشف معانى القرآن وبيان المراد أعم من أن يكون بحسب اللفظ المشكل وغيره وبحسب المعنى الظاهر وغيره والتأويل أكثره فى الجمل والتفسير إما أن يستعمل فى غريب الالفاظ نحو البحيرة والسائبة والوصيلة أو فى وجيز تبيين لشرح نحو اقيموا الصلاة وآتوا الزكاة وأما فى كلام متضمن لقصة لا يمكن تصويره إلا بمعرفتها كقوله انما النسىء زيادة فى الكفر وقوله وليس البر بأن تأتوا البيوت من ظهورها وأما التأويل فانه يستعمل مرة عاما ومرة خاصا نحو الكفر المستعمل تارة فى الجحود المطلق وتارة فى جحود البارى عز وجل خاصة والايمان المستعمل له التصديق المطلق تارة وفى تصديق الحق أخرى وإما فى لفظ مشترك بين معان مختلفة نحو لفظ وجد المستعمل فى الجدة والوجد والوجود وقال غيره التفسير يتعلق بالرواية والتأويل يتعلق بالدراية وقال أبو نصر القشيرى التفسير مقصور على الاتباع والسماع والاستنباط مما يتعلق بالتأويل وقال قوم ماوقع مبينا فى كتاب الله ومعينا فى صحيح السنة سمى تفسيرا لان معناه قد ظهر ووضح وليس لاحد أن يتعرض اليه باجتهاد ولا غيره بل يحمله على المعنى الذى ورد لا يتعداه والتأويل ما استنبطه العلماء العاملون لمعانى الخطاب الماهرون فى آلات العلوم وقال قوم منهم البغوى والكواشى التأويل صرف الآية إلى معنى موافق لما قبلها وما بعدها تحتمله الآية غير مخالف للكتاب والسنة من طريق الاستنباط

موارده وقد ينبي الكلام عن محل صاحبه ويدل على مكان متكلمه وينبه على عظيم شأن أهله وعلى علو محله ألا ترى أن الشعر فى الغزل إذا صدر عن محب كان أرق وأحسن وإذا صدر عن متغزل وحصل من متصنع بادى على نفسه بالمداجاة وأخبر عن خيبة فى مزياه وكذلك قد يصدر الشعر فى وصف الحرب عن الشجاع فيعلم وجه صدوره ويدل على كنهه وحقيقته وقد صدر عن المتشبه ويخرج عن المتصنع فيعرف من حاله ما ظن أنه يخفيه ويظهر من أمره خلاف ما يبديه وأنت تعرف قول المتنبي

فالخيل والليل والبيداء تعرفنى
والحرب والطعن والقرطاس والقلم

من الواقع فى القلب لما يعلم أنه من أهل الشجاعة مالا تجده للبحترى فى قوله

رأيا الشجاع وقد بدا لك موقفى

وقال بعضهم التفسير في الاصطلاح علم نزول الآيات وشؤونها وأقاصيصها والاسباب النازلة فيها ثم ترتيب مكيها ومدنيها ومحكمها ومتشابهها وناسخها ومنسوخها وخاصها وعامها ومطلقها ومقيدها ومجملها ومفصلها وحلالها وحرامها ووعدها ووعيدها وأمرها ونهيها وعبرها وأمثالها وقال أبو حيان التفسير علم يبحث عن كيفية النطق بألفاظ القرآن ومدلولاتها وأحكامها الافرادية والتركيبية ومعانيها التي تحمل عليها حالة التركيب وتتمات لذلك قال فقولنا علم جنس وقولنا يبحث فيه عن كيفية النطق بألفاظ القرآن وهو علم القراءة وقولنا ومدلولاتها أي مدلولات تلك الالفاظ وهذا متن علم اللغة الذي يحتاج اليه في هذا العلم وقولنا وأحكامها الافرادية والتركيبية هذا يشمل التصريف والبيان والبديع وقولنا ومعانيها التي تحمل عليها حالة التركيب يشمل ما دلالته بالحقيقة وما دلالته بالمجاز فان التركيب قد يقتضي بظاهره شيئا ويصد عن الحمل عليه صاد فيحمل على غيره وهو المجاز وقولنا وتتمات لذلك هو مثل معرفة النسخ وسبب النزول وقصة توضح بعض ما أبهم في القرآن ونحو ذلك وقال الزركشي التفسير علم يفهم به كتاب الله المنزل على نبيه محمد ﷺ وبيان معانيه واستخراج أحكامه وحكمه واستمداد ذلك من علم اللغة والنحو والتصريف وعلم البيان وأصول الفقه والقراآت ويحتاج لمعرفة أسباب النزول والناسخ والمنسوخ

. (فصل) . وأما وجه الحاجة اليه فقال بعضهم اعلم أن من المعلوم أن الله انما خاطب خلقه بما يفهمونه ولذلك أرسل كل رسول بلسان قومه وأنزل كتابهم على لغتهم وانما احتيج الى التفسير لما سيذكر بعد تقرير قاعدة وهي أن كل من وضع من البشر كتابا فانما وضعه ليفهم بذاته من غير شرح وانما احتياج الى الشروح لامور ثلاثة أحدها كمال فضيلة المصنف فانه لقوته العلمية يجمع المعاني الدقيقة في اللفظ الوجيز فربما عسر فهم مراده فقصد بالشرح ظهور تلك المعاني الخفية ومن هنا كان شرح بعض الأئمة تصنيفه أدل على المراد من شرح غيره له وثانيها إغفاله بعض تتمات المسئلة أو شروط لها اعتمادا على وضوحها أو لانها من علم آخر فيحتاج الشارح لبيان المحذوف ومراتبه وثالثها احتمال اللفظ لمعان كما في المجاز والاشتراك ودلالة الالتزام فيحتاج الشارح الى بيان غرض المصنف وترجيحه وقد يقع في التصانيف ما لا يخلو عنه بشر من السهو والغلط أو تكرار الشيء أو حذف المبهم وغير ذلك فيحتاج الشارح للتنبيه على ذلك اذا تقرر هذا فنقول إن القرآن انما نزل بلسان عربي في زمن أفصح العرب وكانوا يعلمون ظواهره وأحكامه أما دقائق باطنه فانما كان يظهر لهم بعد البحث والنظر مع سؤالهم النبي ﷺ في الاكثر كقولهم لما نزل قوله ولم يلبسوا ايمانهم بظلم فقالوا وأينا لم يظلم نفسه ففسره النبي ﷺ بالشرك واستدل عليه بقوله إن الشرك لظلم عظيم وكسؤال عائشة عن الحساب اليسير فقال ذلك العرض وكقصة عدي بن حاتم في الخيط الابيض والاسود وغير ذلك مما سألوا عن آحاد منه ونحن محتاجون الى ما كانوا يحتاجون اليه وزيادة على ذلك مما لم يحتاجوا اليه من أحكام الظواهر لقصورنا عن مدارك أحكام اللغة بغير تعلم فنحن أشد الناس احتياجا الى التفسير ومعلوم أن تفسيره بعضه يكون من قبل الالفاظ الوجيزة وكشف معانيها وبعضه من قبل ترجيح بعض الاحتمالات على بعض اه وقال الخويي علم التفسير عسر يسير اما عسره فظاهر من وجوه أظهرها انه كلام متكلم لم تصل الناس الى مراده بالسماع منه ولا امكان للوصول اليه بخلاف الامثال والاشعار ونحوها فان الانسان يمكن علمه منه اذا تكلم بأن يسمع منه أو ممن سمع منه واما القرآن فتفسيره على وجه القطع ولا يعلم الا بأن يسمع من الرسول ﷺ وذلك متعذر الا في آيات قلائل فالعلم بالمراد يستنبط بامارات ودلائل والحكمة فيه أن الله تعالى أراد أن يتفكر عباده في كتابه فلم يأمر

بفرقس والمشرفية مشهدي
ويجد لابن المعتز في موقع شعره من الادب في الفخر وغيره ما لا تجده لغيره لانه اذا قال
اذا شئت اوقرت البلاد حوافرا
وسارت ورائي ونزار
وعم سماء النقع حتى كأنه دخان واطراف الرماح شرار
وقال
قد ترديت بالمكارم حولي
وكمتني نفسي من الافتخار
أنا جيش اذا غزوت وحيد
ووحيد في الجحفل الجرار
وقال ايها السائلي عن الحسب الاطيب ما فوقه لخلق مزيد
نحن آل الرسول والعترة الحق . واهل القربى فما اذ تريد
ولنا ماضاء صبح عليه
وانته رايات ليل سود
وكما أنشدنا الحسن بن عبد الله قال انشدنا محمد ابن يحيى لابن المعتز قصيدته التي يقول فيها
انا ابن الذي سادهم في الحيا
ة وسادهم بي تحت الثرى

بالتنصيص

بالتنصيص على المراد وجمع آياته

• (فصل) وأما شرفه فلا يخفى قال تعالى (يؤتى الحكمة من يشاء ومن يؤت الحكمة فقد أوتى خيرا كثيرا) (أخرج) ابن أبي حاتم من طريق ابن أبي طلحة عن ابن عباس في قوله يؤتى الحكمة قال المعرفة بالقرآن ناسخه ومنسوخه ومحكمه ومتشابهه ومقدمه ومؤخره وحلاله وحرامه وأمثاله (وأخرج) ابن مردويه من طريق جويبر عن الضحاك عن ابن عباس مرفوعا يؤتى الحكمة قال القرآن قال ابن عباس يعني تفسيره فانه قد قرأه البر والفاجر (وأخرج) ابن أبي حاتم عن أبي الدرداء يؤتى الحكمة قال قراءة القرآن والفكرة فيه (وأخرج) ابن جرير مثله عن مجاهد وأبي العالية وقتادة وقال تعالى وتلك الأمثال نضربها للناس وما يعقلها إلا العالمون (وأخرج) ابن أبي حاتم عن عمرو بن مرة قال ما مررت بآية في كتاب الله لا أعرفها إلا أحزنتني لأني سمعت الله يقول وتلك الأمثال نضربها للناس وما يعقلها إلا العالمون (وأخرج) أبو عبيد عن الحسن قال ما أنزل الله آية إلا وهو يحب أن تعلم فيما أنزلت وما أراد بها (وأخرج) أبو ذر الهروي في فضائل القرآن من طريق سعيد بن جبير عن ابن عباس قال الذي يقرأ القرآن ولا يحسن تفسيره كالأعرابي يهذا الشعر هذا (وأخرج) البيهقي وغيره من حديث أبي هريرة مرفوعا أعربوا القرآن والتمسوا غرائبه (وأخرج) ابن الانباري عن أبي بكر الصديق قال لأن أعرب آية من القرآن أحب إلى من أن أحفظ آية (وأخرج) أيضا عن عبد الله بن بريدة عن رجل من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم قال لو أني أعلم إذا سافرت أربعين ليلة أعربت آية من كتاب الله لفعلت (وأخرج) أيضا من طريق الشعبي قال قال عمر من قرأ القرآن فأعربه كان له عند الله أجر شهيد قلت معنى هذه الآثار عندي إرادة البيان والتفسير لأن إطلاق الاعراب على الحكم النحوي اصطلاح حادث ولأنه كان في سليقتهم لا يحتاجون إلى تعلمه ثم رأيت ابن النقيب جنح إلى ما ذكرته وقال ويجوز أن يكون المراد الاعراب الصناعي وفيه بعد وقد يستدل له بما أخرجه السلفي في الطيوريات من حديث ابن عمر مرفوعا أعربوا القرآن يدلكم على تأويله وقد أجمع العلماء أن التفسير من فروض الكفايات وأجل العلوم الثلاثة الشرعية وقال الاصبهاني أشرف صناعة يتعاطاها الانسان تفسير القرآن بيان ذلك أن شرف الصناعة إما بشرف موضوعها مثل الصياغة فانها أشرف من الدباغة لأن موضوع الصياغة الذهب والفضة وهما أشرف من موضوع الدباغة الذي هو جلد الميتة وإما بشرف غرضها مثل صناعة الطب فانها أشرف من صناعة الكناسة لأن غرض الطبيب إفادة الصحة وغرض الكناسة تنظيف المستراح وإما بشدة الحاجة اليها كالفقه فان الحاجة اليه أشد من الحاجة إلى الطب إذ ما من واقعة في الكون في أحد من الخلق إلا وهي مفتقرة إلى الفقه لأن به انتظام صلاح أحوال الدنيا والدين بخلاف الطب فانه يحتاج اليه الناس في بعض الأوقات إذا عرف ذلك فصناعة التفسير قد حازت الشرف من الجهات الثلاث أما من جهة الموضوع فلأن موضوعه كلام الله تعالى الذي هو ينبوع كل حكمة ومعدن كل فضيلة فيه نبأ ما قبلكم وخبر ما بعدكم وحكم ما بينكم لا يخلق على كثرة الرد ولا تنقضي عجائبه وأما من جهة الغرض فلأن الغرض منه هو الاعتصام بالعروة الوثقى والوصول إلى السعادة الحقيقية التي لا تفنى وأما من جهة شدة الحاجة فلأن كل كمال ديني أو دنيوي عاجلي أو آجلي مفتقر إلى العلوم الشرعية والمعارف الدينية وهي متوقفة على العلم بكتاب الله تعالى

• (النوع الثامن والسبعون) في معرفة شروط المفسر وآدابه قال العلماء من أراد تفسير الكتاب العزيز طلبه أولا من القرآن فما أجمل منه في مكان فقد فسر في موضع آخر وما اختصر في مكان فقد بسط في موضع آخر منه وقد ألف ابن الجوزي كتابا فيما أجمل في القرآن في موضع وفسر في موضع آخر

وما لي في أحد مرغب
بلى في يرغب كل الورى
وأسهر للمجد والمكرما
ت إذا اكتحلت أعين بالكرى

فانظر في القصيدة كلها ثم في جميع شعره تعلم أنه ملك الشعر وأنه يلحق به من مفخر خاصه ثم مما تدعه مما يتعاطاه مما لا يليق بغيره بل ينفر عن سواه ولم أحب أن أكثر عليك فأطول الكتاب بما يخرج عن غرضه وكما ترى من قول أبي فراس الحمداني في نفسك إذا قال

ولا أصبح الحي الخلوف بغارة
ولا الجيش ما لم يأته قبلي النذر
ويارب دار لم تخفني منيعة
طلعت عليها بالردى أنا والفجر
وساحبة الأذيال نحوي لقيتها
فلم يلقها جافي اللقاء ولا وعر
وهبت لها ما حازه الجيش كله
ورحت ولم يكشف لأبياتها ستر
وما راح يطغيني بأثوابه الغنى

منه و شرت إلى أمثله منه فى نوع المجمل فان أعياه ذلك طلبه من السنة فانها شارحة للقرآن وهو موضحة له وقد قال الشافعى رضى الله عنه كل ما حكم به رسول الله ﷺ فهو مما فهمه من القرآن قال تعالى (إنا أنزلنا اليك الكتاب بالحق لتحكم بين الناس بما أراك الله) فى آيات أخر وقال ﷺ ألا إنى أوتيت القرآن ومثله معه يعنى السنة فان لم يجده من السنة رجع إلى أقوال الصحابة فانهم أدرى بذلك لما شاهدوه من القرائن والأحوال عند نزوله ولما اختصوا به من الفهم التام والعلم الصحيح والعمل الصالح وقد روى الحاكم فى المستدرك أن تفسير الصحابى الذى شهد الوحى والتنزيل له حكم المرفوع وقال الامام أبو طالب الطبرى فى أوائل تفسيره القول فى آداب المفسر اعلم أن من شرطه صحة الاعتقاد أولا ولزوم سنة الدين فان من كان مغموصا عليه فى دينه لا يؤتمن على الدنيا فكيف على الدين ثم لا يؤتمن فى الدين على الاخبار عن عالم فكيف يؤتمن فى الاخبار عن أسرار الله تعالى ولأنه لا يؤمن أن كان متهما بالالحاد أن يبغى الفتنة و يغر الناس بليه وخداعه كدأب الباطنية وغلاة الرافضة وان كان متهما بهوى لم يؤمن أن يحمله هواه على ما يوافق بدعته كدأب القدرية فان أحدهم يصنف الكتاب فى التفسير ومقصوده منه الايضاح الساكن ليصدهم عن إتباع السلف ولزوم طريق الهدى ويجب أن يكون اعتماده على النقل عن النبى ﷺ وعن أصحابه ومن عاصرهم ويتجنب المحدثات وإذا تعارضت أقوالهم وأمكن الجمع بينهما فعل نحو أن يتكلم على الصراط المستقيم وأقوالهم فيه ترجع إلى شىء واحد فيدخل منها ما يدخل فى الجمع فلا تنافى بين القرآن وطريق الأنبياء فطريق السنة وطريق النبى ﷺ وطريق أبى بكر وعمر فأى هذه الأقوال أفرده كان محسنا وإن تعارضت رد الأمر الى ما ثبت فيه السمع فان لم يجد سمعا وكان للاستدلال طريق إلى تقوية أحدهما رجح ما قوى الاستدلال فيه كاختلافهم فى معنى حروف الهجاء يرجح قول من قال انها قسم وإن تعارضت الأدلة فى المراد علم أنه قد اشتبه عليه فيؤمن بمراد الله منها ولا يتهجم على تعيينه وينزله منزلة المجمل قبل تفصيله والمتشابه قبل تعيينه ومن شروط صحة المقصد فيما يقول ليلقى التسديد فقد قال تعالى (والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا) وإنما يخلص له القصد إذا زهد فى الدنيا لأنه إذا رغب فيها لم يؤمن أن يتوسل به إلى غرض يصده عن صواب قصده ويفسد عليه صحة عمله وتمام هذه الشرائط أن يكون ممتلئا من عدة الاعراب لا يلتبس عليه اختلاف وجوه الكلام فانه إذا خرج بالبيان عن وضع اللسان إما حقيقة أو مجازا فتأويله تعطيله وقد رأيت بعضهم يفسر قوله تعالى قل الله ثم ذرهم أنه ملازمة قول الله ولم يدر الغبى أن هذه جملة حذف منها الخبر والتقدير الله أنزله اه كلام أبو طالب وقال ابن تيمية فى كتاب المه فى هذا النوع يجب أن يعلم أن النبى ﷺ بين لأصحابه معانى القرآن كما بين لهم الفاظه فقوله تعالى (لتبين للناس ما نزل اليهم) يتناول هذا وهذا وقد قال أبو عبد الرحمن السلمى حدثنا الذين كانوا يقرءون القرآن كعثمان بن عفان وعبد الله بن مسعود وغيرهما أنهم كانوا إذا تعلموا من النبى ﷺ عشر آيات لم يتجاوزها حتى يعلموا ما فيها من العلم والعمل قالوا فتعلمنا القرآن والعلم والعمل جميعا ولهذا كانوا يبقون مدة فى حفظ السورة وقال أنس كان الرجل إذا قرأ البقرة وال عمران جد فى أعيننا (رواه) أحمد فى مسنده ـ أقام ابن عمر على حفظ البقرة ثمان سنين (أخرجه) فى الموطأ وذلك أن الله قال (كتاب أنزلناه اليك مبارك ليدبروا آياته) وقال (أفلا يتدبرون القرآن) وتدبر الكلام بدون فهم معانيه لا يمكن وأيضا فالعادة تمنع أن يقرأ قوم كتابا فى فن من العلم كالطب والحساب ولا يستشرحونه فكيف بكلام الله الذى هو عصمتهم وبه نجاتهم وسعاداتهم وقيام دينهم ودنياهم ولهذا كان النزاع بين الصحابة فى تفسير القرآن قليلا جدا وهو

ولا بات يثنينى عن الكرم الفقر
وما حاجتى فى المال ابغى وفوره
إذا لم أفر وفرى فلا وفر الوفر
والشىء إذا صدر من أهله وبدأ من أصله وانتسب إلى ذويه سلم فى نفسه وبانت فخامته وشواهد أثر الاستحقاق فيه وإذا صدر من متكلف وبدا من متصنع بان أثر الغرابة عليه وظهرت مخايل الاستيحاش فيه وعرف شمائل التخير منه أنا تعرف فى شعر أبى نواس اثر الشطارة وتمكن البطالة وموقع كلامه فى وصف ماهو بسبيله من امر العبارة ووصف الخمر والخمار كما نعرف موقع كلام ذى الرمة فى وصف المهامة والبوادى والجمل والانساع والأزمة وعيب ابى نواس التصرف فى وصف الطلول والرياح والوحش ففكر فى قوله
دع الاطلال تسقيها الجنوب
وتبلى عهد جدتها الخطوب

وإن

وان كان بين التابعين أكثر منه بين الصحابة فهو قليل بالنسبة إلى ما بعدهم ومن التابعين من تلقى جميع التفسير عن الصحابة وربما تكلموا فى بعض ذلك بالاستنباط والاستدلال والخلاف بين السلف فى التفسير قليل وغالب ما يصح عنهم من الخلاف يرجع إلى اختلاف تنوع لا اختلاف تضاد وذلك صنفان أحدهما ان يعبر واحد منهم عن المراد بعبارة غير عبارة صاحبه تدل على معنى فى المسمى غير المعنى الآخر مع اتحاد المسمى كتفسيرهم الصراط المستقيم بعض بالقرآن أى اتباعه وبعض الاسلام فالقولان متفقان لان دين الاسلام هو اتباع القرآن ولكن كل منهما نبه على وصف غير الوصف الآخر كما ان لفظ صراط يشعر وصف ثالث وكذلك قول من قال هو السنة والجماعة وقول من قال هو طريق العبودية وقول من قال هو طاعة الله ورسوله وامثال ذلك فهؤلاء كلهم اشاروا إلى ذات واحدة لكن وصفها كل منهم بصفة من صفاتها (الثانى) ان يذكر كل منهم من الاسم العام بعض أنواعه على سبيل التمثيل وتنبيه المستمع على النوع لا على سبيل الحد المطابق للمحدود فى عمومه وخصوصه مثاله ما نقل فى قوله تعالى (ثم أورثنا الكتاب الذين اصطفينا) الآية فمعلوم أن الظالم لنفسه يتناول المضيع للواجبات والمنتهك للحرمات والمقتصد يتناول فاعل الواجبات وتارك المحرمات والسابق يدخل فيه من سبق فتقرب بالحسنات مع الواجبات فالمقتصدون أصحاب اليمين والسابقون السابقون أولئك المقربون ثم ان كلا منهم يذكر هذا فى نوع من أنواع الطاعات كقول القائل السابق الذى يصلى فى أول الوقت والمقتصد الذى يصلى فى اثنائه والظالم لنفسه الذى يؤخر العصر إلى الاصفرار او يقول السابق المحسن بالصدقة مع الزكاة والمقتصد الذى يؤدى الزكاة المفروضة فقط والظالم مانع الزكاة قال وهذان الصنفان اللذان ذكرناهما فى تنوع التفسير تارة لتنوع الاسماء والصفات وتارة لذكر بعض أنواع المسمى هو الغالب فى تفسير سلف الأمة الذى يظن أنه مختلف ومن التنازع الموجود منهم ما يكون اللفظ فيه محتملا للامرين إما لكونه مشتركا فى اللغة كلفظ القسورة الذى يراد به الرامى ويراد به الاسد ولفظ عسعس الذى يراد به اقبال الليل وادباره واما لكونه متواطئا فى الأصل لكن المراد به أحد النوعين أو أحد الشخصين كالضمائر فى قوله ثم دنى فتدلى الآية وكلفظ الفجر والشفع والوتر وليال عشر وأشباه ذلك فمثل ذلك قد يجوز أن يراد به كل المعانى التى قالها السلف وقد لا يجوز ذلك فالأول اما لكون الآية نزلت مرتين فأريد بها هذا تارة وهذا تارة واما لكون اللفظ المشترك يجوز أن يراد به معنياه واما لكون اللفظ متواطئا فيكون عاما إذا لم يكن لمخصصه موجب فهذا النوع إذا صح فيه القولان كان من الصنف الثانى ومن الأقوال الموجود عنهم ويجعلها بعض الناس اختلافا أن يعبروا عن المعانى بألفاظ متقاربة كما إذا فسر بعضهم تبسل بتحبس وبعضهم بترتهن لأن كلا منهما قريب من الآخر ثم قال فصل والاختلاف فى التفسير على نوعين منه ما مستنده النقل فقط ومنه ما يعلم بغير ذلك والمنقول اما عن المعصوم أو غيره ومنه ما يمكن معرفة الصحيح منه من غيره ومنه ما لا ذلك وهذا القسم الذى لا يمكن معرفة صحيحه من ضعيفه عامته مما لا فائدة فيه ولا حاجة بنا إلى معرفته وذلك كاختلافهم فى لون كلب أصحاب الكهف واسمه وفى البعض الذى ضرب به القتيل من البقرة وفى قدر سفينة نوح وخشبها وفى اسم الغلام الذى قتله الخضر ونحو ذلك فهذه الأمور طريق العلم بها النقل فما كان منه منقولا نقلا صحيحا عن النبى ﷺ قبل ومالا بأن نقل عن أهل الكتاب ككعب ووهب وقف عن تصديقه وتكذيبه لقوله ﷺ إذا حدثكم أهل الكتاب فلا تصدقوهم ولا تكذبوهم وكذا ما نقل عن بعض التابعين وان لم يذكر انه اخذه عن أهل الكتاب فمتى اختلف التابعون لم يكن أقوالهم حجة على بعض وما نقل فى ذلك عن الصحابة نقلا صحيحا فالنفس

وحل الراكب الوجناة أرضاً
تخب به النجيبة والنجيب
بلاد نبتها عشر وطلح
وأكثر صيدها ضبع وذيب
ولا تأخذ عن الاعراب لهوا
ولا عيشا فعيشهم جديب
دع الالبان يشربها رجال
رقيق العيش عندهم غريب
إذا رب الحليب قبل دلميه
ولا تحرج فما فى ذاك حوب
فأطيب منه صافية شمول
يطوف بكأسها ساق أديب
كأن هديرها فى الدن يحكى
قرأة القس قابلة الصليب
أعاذل أقصرى عن طول لومى
فراجى توبتى عندى يخيب
تعيبين الذنوب وأى حر
من الفتيان ليس له ذنوب
وقوله صفة الطلول
بلاغة العدم
فاجعل صفاتك لابنه الكرم

اليه أسكن مما ينقل عن التابعين لأن احتمال ان يكون سمعه من النبي ﷺ أو من بعض من سمعه منه أقوى ولأن نقل الصحابة عن أهل الكتاب أقل من نقل التابعين ومع جزم الصحابي بما يقوله كيف يقال انه أخذه عن أهل الكتاب وقد نهوا عن تصديقهم وأما القسم الذي يمكن معرفة الصحيح منه فهذا موجود كثير ولله الحمد وان قال الامام أحمد ثلاثة ليس لها أصل التفسير والملاحم والمغازي وذلك لأن الغالب عليها المراسيل واما مايعلم بالاستدلال لا بالنقل فهذا أكثر مافيه الخطأ من جهتين حدثتا بعد تفسير الصحابة والتابعين وتابعيهم باحسان فان التفاسير التي يذكر فيها كلام هؤلاء صرفا لايكاد يوجد فيها شيء من هاتين الجهتين مثل تفسير عبد الرزاق والفريابي ووكيع وعبد واسحق وأمثالهم (أحدها) قوم اعتقدوا معاني ثم أرادوا حمل الفاظ القرآن عليها (والثاني) قوم فسروا القرآن بمجرد مايسوغ أن يريده من كان من الناطقين بلغة العرب من غير نظر إلى المتكلم بالقرآن والمنزل عليه والمخاطب به فالأولون راعوا المعنى الذي رأوه من غير نظر إلى ما يستحقه ألفاظ القرآن من الدلالة والبيان والآخرون راعوا مجرد اللفظ ومايجوز أن يراد به العربي من غير نظر إلى مايصلح المتكلم وسياق الكلام ثم هؤلاء كثيرا مايغلطون في احتمال اللفظ لذلك المعنى في اللغة كما يغلط في ذلك الذين قبلهم كما ان الأولين كثيرا مايغلطون في صحة المعنى الذي فسروا به القرآن كما يغلط في ذلك الآخرون وان كان نظر الأولين إلى المعنى أسبق ونظر الآخرين إلى اللفظ أسبق والأولون صنفان تارة يسلبون لفظ القرآن مادل عليه وأريد به وتارة يحملونه على مالم يدل عليه ولم يرد به وفي كلا الأمرين قد يكون ماقصدوا نفيه أو اثباته من المعنى باطلا فيكون خطؤهم في الدليل والمدلول وقد يكون حقا فيكون خطؤهم في الدليل لا في المدلول فالذين أخطئوا فيهما مثل طوائف من أهل البدع اعتقدوا مذاهب باطلة وعمدوا إلى القرآن فتأولوه على رأيهم وليس لهم سلف من الصحابة والتابعين لا في رأيهم ولا في تفسيرهم وقد صنفوا تفاسير على أصول مذهبهم مثل تفسير عبد الرحمن بن كيسان الاصم والجبائي وعبد الجبار والرماني والزمخشري وأمثالهم ومن هؤلاء من يكون حسن العبارة يدس البدع في كلامه وأكثر الناس لايعلمون كصاحب الكشاف ونحوه حتى انه يروج على خلق كثير من أهل السنة كثير من تفاسيرهم الباطلة وتفسير ابن عطية وأمثاله أتبع للسنة واسلم من البدعة ولو ذكر كلام السلف المأثور عنهم على وجهه لكان أحسن فانه كثيرا ماينقل من تفسير ابن جرير الطبري وهو من أجل التفسير وأعظمها قدرا ثم انه يدع ماينقله ابن جرير عن السلف ويذكر مايزعم أنه قول المحققين وانما يعني بهم طائفة من أهل الكلام الذين قرروا أصولهم بطرق من جنس ماقررت به المعتزلة اصولهم وان كانوا أقرب إلى السنة من المعتزلة لكن ينبغي أن يعطى كل ذي حق حقه فان الصحابة والتابعين والأئمة إذا كان لهم في الآية تفسير وجاء قوم فسروا الآية بقول آخر لاجل مذهب اعتقدوه وذلك المذهب ليس من مذاهب الصحابة والتابعين صار مشاركا للمعتزلة وغيرهم من أهل البدع في مثل هذا وفي الجملة من عدل عن مذاهب الصحابة والتابعين وتفسيرهم إلى ما يخالف ذلك كان مخطئا في ذلك بل مبتدعا لانهم كانوا أعلم بتفسيره ومعانيه كما انهم اعلم بالحق الذي بعث الله به رسوله واما الذين اخطئوا في الدليل لا في المدلول كمثل كثير من الصوفية والوعاظ والفقهاء يفسرون القرآن بمعان صحيحة في نفسها لكن القرآن لايدل عليها مثل كثير مما ذكره السلمي في الحقائق فان كان فيما ذكروه معان باطلة دخل في القسم الأول اه كلام ابن تيمية ملخصا وهو نفيس جدا وقال الزركشي في البرهان للناظر في القرآن لطالب التفسير مآخذ كثيرة امهاتها أربعة الأول النقل عن النبي صلى الله عليه وسلم وهذا هو الطراز المعلم لكن يجب الحذر من الضعيف

منه

وسمعت الصاحب اسماعيل ابن عباد يقول سمعت برلكويه الزنجاني يقول أنشد بعض الشعراء هلال بن يزيد قصيدة على وزن قصيدة الاعشى

ودع هريرة ان الركب مرتحل
وهل تطيق وداعا أيها الرجل

وكان وصف فيها الطلل قال برلكويه فقال لي هلال فقلت بديها

إذا سمعت فتى يبكي على طلل
من أهل زنجان فاعلم أنه طلل

وانما ذكرت لك هذه الأمور لتعلم أن الشيء في معدنه أعز وفي مظانه احسن وإلى أصله أنزع وبأسبه أبين وهو يدل على ماصدر منه وبنبه ما أنتج عنـــه ويكون قراره على موجب صورته وأنواره على حسب محله ولكل شيء حد ومذهب ولكل كلام سبيل ومنهج وقد ذكر أبو بكر الصديق رضى الله عنه في كلام مسيلمة ماأخبرتك به فقال ان هـذا كلام

منه والموضوع فانه كثير ولهذا قال أحمد ثلاث كتب لا أصل لها المغازى والملاحم والتفسير قال المحققون من أصحابه مراده أن الغالب انه ليس لها أسانيد صحاح متصلة وإلا فقد صح من ذلك كثير كتفسير الظلم بالشرك فى آية الانعام والحساب اليسير بالعرض والقوة بالرمى فى قوله (وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة) قلت الذى صح من ذلك قليل جدا بل أصل المرفوع منه فى غاية القلة وسأسردها كلها آخر الكتاب ان شاء الله تعالى (الثانى) الاخذ بقول الصحابى فان تفسيره عندهم بمنزلة المرفوع إلى النبى ﷺ كما قاله الحاكم فى مستدركه وقال أبو الخطاب من الحنابلة يحتمل أن لا يرجع اليه إذا قلنا ان قوله ليس بحجة والصواب الاول لانه من باب الرواية لا الرأى (قلت) ما قاله الحاكم نازعه فيه ابن الصلاح وغيره من المتأخرين بأن ذلك مخصوص بما فيه سبب النزول أو نحوه مما لا دخل للرأى فيه ثم رأيت الحاكم نفسه صرح به فى علوم الحديث فقال ومن الموقوفات تفسير الصحابة وأما من يقول ان تفسير الصحابة مسند فانما يقوله فيما فيه سبب النزول فقد خصص هنا وعمم فى المستدرك فاعتمد الاول والله أعلم ثم قال الزركشى وفى الرجوع إلى قول التابعى روايتان عن أحمد واختار ابن عقيل المنع وحكوه عن شعبة لكن عمل المفسرين على خلافه فقد حكوا فى كتبهم أقوالهم لان غالبها تلقوها من الصحابة وربما يحكى عنهم عبارات مختلفة الالفاظ فيظن من لا فهم عنده ان ذلك اختلاف محقق فيحكيه أقوالا وليس كذلك بل يكون كل واحد منهم ذكر معنى من الآية لكونه أظهر عنده أو أليق بحال السائل وقد يكون بعضهم يخبر عن الشىء بلازمه و نظيره والآخر بمقصوده و ثمرته والكل يؤول إلى معنى واحد غالبا فان لم يمكن الجمع فالمتأخر من القولين عن الشخص الواحد مقدم ان استويا فى الصحة عنه وإلا فالصحيح المقدم (الثالث) الاخذ بمطلق اللغة فان القرآن نزل بلسان عربى وهذا قد ذكره جماعة و نص عليه أحمد فى مواضع لكن نقل الفضل بن زياد عنه أنه سئل عن القرآن يمثل له الرجل ببيت من الشعر فقال ما يعجبنى فقيل ظاهره المنع ولهذا قال بعضهم فى جواز تفسير القرآن بمقتضى اللغة روايتان عن أحمد وقيل الكراهة تحمل على من صرف الآية عن ظاهرها إلى معان خارجة محتملة يدل عليها القليل من كلام العرب ولا يوجد غالبا إلا فى الشعر ونحوه ويكون المتبادر خلافها (وروى) البيهقى فى الشعب عن مالك قال لا أوتى برجل غير عالم بلغة العرب يفسر كتاب الله إلا جعلته نكالا (الرابع) التفسير بالمقتضى من معنى الكلام والمقتضب من قوة الشرع وهذا هو الذى دعا به النبى ﷺ لابن عباس حيث قال اللهم فقهه فى الدين وعلمه التأويل والذى عناه على بقوله الا فهما يؤتاه الرجل فى القرآن ومن هنا اختلف الصحابة فى معنى الآية فاخذ كل برأيه على منتهى نظره ولا يجوز تفسير القرآن بمجرد الرأى والاجتهاد من غير أصل قال تعالى (ولا تقف ما ليس لك به علم وقال وأن تقولوا على الله ما لا تعلمون) (وقال) (لتبين للناس ما نزل اليهم) أضاف البيان اليه وقال ﷺ من تكلم فى القرآن برأيه فأصاب فقد أخطأ أخرجه أبو داود والترمذى والنسائى وقال من قال فى القرآن بغير علم فليتبوأ مقعده فى النار (أخرجه) أبو داود قال البيهقى فى الحديث الأول ان صح أراد والله أعلم الرأى الذى يغلب من غير دليل قام عليه وأما الذى يشده برهان فالقول به جائز وقال فى المدخل فى هذا الحديث نظر وان صح فانما أراد به والله أعلم فقد أخطأ الطريق فسبيله أن يرجع فى تفسير ألفاظه إلى أهل اللغة وفى معرفة ناسخه ومنسوخه وسبب نزوله وما يحتاج فيه إلى بيانه إلى أخبار الصحابة الذين شاهدوا تنزيله وأدوا الينا من السنن ما يكون بيانا لكتاب الله تعالى قال تعالى (وأنزلنا اليك الذكر لتبين للناس ما نزل اليهم ولعلهم يتفكرون) فما ورد بيانه من صاحب الشرع ففيه كفاية عن فكرة من

كذلك ثم رجع الكلام بنا إلى ما ابتدأنا به من عظيم شأن البيان ولو لم يكن فيه الا ما امتن به الله على خلقه بقوله (خلق الانسان علمه البيان(١) فأما بيان القرآن فهو أشرف بيان وأهداه وأكمله وأعلاه وأبلغه وأسناه تأمل قوله تعالى (أفنضرب عنكم الذكر صفحا أن كنتم قوما مسرفين) فى شدة التنبيه على تركهم الحق والاعراض عنه وموضع امتنانه بالذكر والتحذير وقوله (ولن ينفعكم اليوم إذ ظلمتم أنكم فى العذاب مشتركون) وهذا بليغ فى التحسين وقوله (ولو ردوا لعادوا لما نهوا عنه)وهذا يدل على كونهم مجبولين على الشر معودين لمخالفة النهى والامر وقوله (الأخلاء يومئذ بعضهم لبعض عدو إلا المتقين) هو فى نهاية اوضع من الخلة إلا على التقوى

(١) هكذا بالاصل وأنت تراه ناقصا جواب لو يظهر لى أن تمامه كذا لكفى فى شأن تفخيم البيان اه مصححه عبد الوصيف محمد

بعده ومالم يرد عنه و بيانه فميه حينئذ فكره اهل العلم بعده ليستدلوا بما ورد بيانه على مالم يرد وقد يكون المراد به من قال فيه برأيه من غير معرفة منه باصول العلم وفروعه فيكون موافقته للصواب ان وافقه من حيث لا يعرفه غير محمودة وقال الماوردي قد حمل بعض المتورعة هذا الحديث على ظاهره وامتنع من أن يستنبط معانى القرآن باجتهاده ولو صحبها الشواهد ولم يعارض شواهدها نص صريح وهذا عدول عما تعبدنا بمعرفته من النظر فى القرآن واستنباط الأحكام كما قال تعالى لعلمه الذين يستنبطونه منهم ولو صح ماذهب اليه لم يعلم شىء بالاستنباط ولما فهم الاكثر من كتاب الله شيئا وان صح الحديث فتأويله أن من تكلم فى القرآن بمجرد رأيه ولم يعرج على سوى لفظه وأصاب الحق فقد أخطأ الطريق واصابته اتفاق إذا لغرض انه بمجرد رأى لا شاهد له وفى الحديث القرآن ذلول ذو وجوه فاحملوه على أحسن وجوهه (أخرجه) أبو نعيم وغيره من حديث ابن عباس فقوله ذلول يحتمل معنيين احدهما أنه مطيع لحامليه تنطق به السنتهم والثانى أنه موضح لمعانيه حتى لا يقصر عنه افهام المجتهدين وقوله ذو وجوه يحتمل معنيين أحدهما أن من الفاظه مايحتمل وجوها من التأويل والثانى قد جمع وجوها من الاوامر والنواهى والترغيب والترهيب والتحريم وقوله فاحملوه على أحسن وجوهه يحتمل معنيين أحدهما الحمل على أحسن معانيه والثانى أحسن ما فيه من العزائم دون الرخص والعفو دون الانتقام وفيه دلالة ظاهرة على جواز الاستنباط والاجتهاد فى كتاب الله تعالى اه وقال أبو الليث النهى إنما انصرف إلى المتشابه منه لا إلى جميعه كما قال تعالى فاما الذين فى قلوبهم زيغ فيتبعون ماتشابه منه لان القرآن إنما نزل حجة على الخلق فلو لم يجب التفسير لم تكن الحجة بالغة فاذا كان كذلك لجاز لمن عرف لغات العرب وأسباب النزول أن يفسره وأما من لم يعرف وجوه اللغة فلايجوز أن يفسره الا بمقدار ماسمع فيكون ذلك على وجه الحكاية لا على وجه التفسير ولو أنه يعلم التفسير وأراد أن يستخرج من الآية حكما أو دليل الحكم فلا بأس به ولو قال المراد كذا من غير أن يسمع فيه شيئا فلايحل وهو الذى نهى عنه وقال ابن الأنبارى فى الحديث الأول حمله بعض أهل العلم على أن الرأى معنى به الهوى فمن قال فى القرآن قولا يوافق هواه فلم يأخذه عن أئمة السلف وأصحاب فقد أخطأ الحكمه على القرآن بما لا يعرف أصله ولا يقف على مذاهب أهل الأثر والنقل فيه قال فى الحديث الثانى له معنيان أحدهما من قال فى مشكل القرآن بما لا يعرف من مذاهب الأوائل من الصحابة والتابعين فهو متعرض لسخط الله تعالى والآخر وهو الاصح من قال فى القرآن قولا يعلم أن الحق غيره فليتبوأ مقعده من النار وقال البغوى والكواشى وغيرهما التأويل صرف الآية إلى معنى موافق لما قبلها وبعدها تحتمله الآية غير مخالف للكتاب والسنة من طريق الاستنباط غير محظور على العلماء بالتفسير كقوله تعالى انفروا خفافا وثقالا فيل شبابا وشيوخا وقيل أغنياء وفقراء وقيل عزابا ومتأهلين وقيل نشاطا وغير نشاط وقيل أصحاء ومرضى وكل ذلك سائغ والآية تحتمله وأما التأويل المخالف للاية والشرع فمحظور لانه تأويل الجاهلين مثل تأويل الروافض قوله تعالى مرج البحرين يلتقيان انهما على وفاطمة يخرج منهما اللؤلؤ والمرجان يعنى الحسن والحسين وقال بعضهم اختلف الناس فى تفسير القرآن هل يجوز لكل أحد الخوض فيه فقال قوم لا يجوز لاحد أن يتعاطى تفسير شىء من القرآن وان كان عالما أديبا متسعا فى معرفة الأدلة والفقه والنحو والأخبار والآثار وليس له الا أن ينتهى مارُوى عن النبى ﷺ فى ذلك ومنهم من قال يجوز تفسيره لمن كان جامعا للعلوم التى يحتاج المفسر اليها وهى خمسة عشر علما (أحدها) اللغة لان بها يعرف شرح مفردات الألفاظ ومدلولاتها

وقوله (أن تقول نفس ياحسرتا على ما فرطت فى جنب الله) وهذا نهاية فى التحذير من التفريط وقوله (أفمن يلقى فى النار خير أم من يأتى آمنا يوم القيامة اعملوا ماشئتم انه بما تعملون بصير) هو النهاية فى الوعيد والتهديد وقوله (وترى الظالمين لما رأوا العذاب يقولون هل إلى مرد من سبيل وتراهم يعرضون عليها خاشعين من الذل ينظرون من طرف خفى) نهاية فى الوعيد وقوله (وفيها ماتشتهيه الانفس وتلذ الاعين وأنتم فيها خالدون) نهاية فى الترغيب وقوله (ما اتخذ الله من ولد وما كان معه من إله إذا لذهب كل إله بما خلق ولعلا بعضهم على بعض) وكذلك قوله (لو كان فيهما آلهة الا الله لفسدتا) نهاية فى الحجاج وقوله (وأسروا قولكم أو اجهروا به إنه عليم بذات الصدور ألا يعلم من خلق وهو اللطيف الخبير) نهاية فى الدلالة فى علمه بالخفيات ولا وجه للتطويل فان

بحسب الوضع قال مجاهد لا يحل لأحد يؤمن بالله واليوم الآخر أن يتكلم فى كتاب الله إذا لم يكن عالما بلغات العرب وتقدم قول الإمام مالك فى ذلك ولا يكفى فى حقه معرفة اليسير منها فقد يكون اللفظ مشتركا وهو يعلم أحد المعنيين والمراد الآخر (الثانى) النحو لأن المعنى يتغير ويختلف باختلاف الإعراب فلابد من اعتباره (أخرج) أبو عبيد عن الحسن أنه سئل عن الرجل يتعلم العربية يلتمس بها حسن المنطق ويقيم بها قراءته فقال حسن فتعلمها فان الرجل يقرأ الآية فيعيى بوجهها فيهلك فيها (الثالث) التصريف لأن به تعرف الأبنية والصيغ قال ابن فارس ومن فاته علمه فاته المعظم لأن وجد مثلا كلمة مبهمة فاذا صرفناها اتضحت بمصادرها وقال الزمخشرى من بدع التفاسير قول من قول أن الإمام فى قوله تعالى (يوم ندعو كل أناس بإمامهم) جمع أم وأن الناس يدعون يوم القيامه بأمهاتهم دون آبائهم قال وهذا غلط أوجبه جهله بالتصريف فان أما لا تجمع على إمام (الرابع) الاشتقاق لأن الاسم إذا كان اشتقاقه من مادتين مختلفتين اختلف باختلافهما كالمسيح هل هو من السياحة أو المسح (الخامس والسادس والسابع) المعانى والبيان والبديع لأنه يعرف بالأول خواص تراكيب الكلام من جهة افادتها المعنى وبالثانى خواصها من حيث اختلافها بحسب وضوح الدلالة وخفائها وبالثالث وجوه تحسين الكلام وهذه العلوم الثلاثة هى علوم البلاغة وهى من أعظم أركان المفسر لأنه لابد له من مراعاة ما يقتضيه الإعجاز وإنما يدرك بهذه العلوم وقال السكاكى علم أن شأن الإعجاز عجيب يدرك لا يمكن وصفه كاستقامة الوزن تدرك ولا يمكن وصفها وكالملاحة ولا طريق إلى تحصيله لغير ذوى الفطرة السليمة الا التمرن على علمى المعانى والبيان وقال ابن الحديد اعلم أن معرفة الفصيح والأفصح والرشيق والأرشق من الكلام أمر لا يدرك إلا بالذوق ولا يمكن اقامة الدلالة عليه وهو بمنزلة جاريتين احداهما بيضاء مشربة بحمرة دقيقة الشفتين نقية الثغر كحلاء العين أسيلة الخد دقيقة الأنف معتدلة القامة والأخرى دونها فى هذه الصفات والمحاسن لكنها أحلى فى العيون والقلوب منها ولا يدرى سبب ذلك ولكنه يعرف بالذوق والمشاهدة ولا يمكن تعليله وهكذا الكلام نعم يبقى الفرق بين الوصفين أن حسن الوجوه وملاحتها وتفضيل بعضها على بعض يدركه كل من له عين صحيحة وأما الكلام فلا يدرك إلا بالذوق وليس كل من اشتغل بالنحو واللغة والفقه يكون من أهل الذوق وممن يصلح لانتقاد الكلام وإنما أهل الذوق هم الذين اشتغلوا بعلم البيان وراضوا أنفسهم بالرسائل والخطب والكتابة والشعر وصارت لهم بذلك دراية وملكة تامة فالى أولئك ينبغى أن يرجع فى معرفة الكلام وفضل بعضه على بعض وقال الزمخشرى من حق مفسر كتاب الله الباهر وكلامه المعجز ان يتعاهد بقاء النظم على حسنه والبلاغة على كمالها وما وقع به التحدى سليما من القادح وقال غيره معرفة هذه الصناعة أرضاعها هى عمدة التفسير المطلع على عجائب كلام الله تعالى وهى قاعدة الفصاحة وواسطة عقد البلاغة (الثامن) علم القراآت لأن يعرف كيفية النطق بالقرآن وبالقراآت يترجح بعض الوجوه المحتملة على بعض (التاسع) أصول الدين بما فى القرآن من الآيات الدالة بظاهرها على ما يجوز على الله تعالى فالأصولى يؤول ذلك ويستدل على ما يستحيل وما يجب وما يجوز (العاشر) أصول الفقه اذبه يعرف وجه الاستدلال على الأحكام والاستنباط (الحادى عشر) أسباب النزول والقصص إذ بسبب النزول يعرف معنى الآية المنزلة فيه بحسب ما أنزلت فيه (الثانى عشر) الناسخ والمنسوخ ليعلم المحكم من غيره (الثالث عشر) الفقه (الرابع عشر) الأحاديث المبينة لتفسير المجمل والمبهم (الخامس عشر) علم الموهبة وهو علم يورثه الله تعالى لمن عمل بما علم واليه الاشارة بحديث من عمل بما علم ورثه الله علم ما لم يعلم قال ابن ابى الدنيا وعلوم القرآن وما يستنبط منه بحر لا ساحل له قال فهذه العلوم

بيان الجمع فى الرفعة وكبر المنزلة على سواء وقد ذكرنا من قبل أن البيان يصح أن يتعلق به الإعجاز وهو معجز من القرآن وما حكينا عن صاحب الكلام من المبالغة فى اللفظ فليس ذلك بطريق الإعجاز لأن الوجوه التى ذكرها قد تتفق فى كلام غيره وليس ذلك بمعجز بل قد يصح أن يقع فى المبالغة فى المعنى والصفة وجوه من اللفظ يثمر الإعجاز وتضمين المعانى أيضا قد يتعلق به الإعجاز إذا حصلت للعبارة طريق البلاغة فى أعلى درجتها وأما الفواصل فقد بينا أنه يصح أن يتعلق بها الإعجاز وكذلك قد بينا فى المقاطع والمطالع نحو هذا وبينا فى تلاؤم الكلام ما سبق من صحة تعلق الإعجاز به والتصرف فى الاستعارة البديعة يصح أن يتعلق به الإعجاز كما صح مثل ذلك فى حقائق الكلام لأن البلاغة فى كل واحد من البابين تجرى مجرى واحدا ونأخذ مأخذا

التي هي كالآلة للمفسر لا يكون المفسر مفسرا إلا بتحصيلها فمن فسر بدونها كان مفسرا بالرأي المنهي عنه وإذا فسر مع حصولها لم يكن مفسرا بالرأي المنهي عنه قال والصحابة والتابعون كان عندهم علوم العربية بالطبع لا بالاكتساب واستفادوا العلوم الأخرى من النبي ﷺ (قلت) ولعلك تستشكل علم الموهبة وتقول هذا شيء ليس في قدرة الانسان وليس كما ظننت من الأشكال والطريق في تحصيله ارتكاب الأسباب الموجبة له من العمل والزهد قال في البرهان اعلم أنه لا يحصل للناظر فهم معاني الوحي ولا يظهر له أسراره وفي قلبه بدعة أو كبر أو هوى أو حب الدنيا أو وهو مصر على ذنب أو غير متحقق بالايمان أو ضعيف التحقيق أو يعتمد على قول مفسر ليس عنده علم أو راجح إلى معقوله وهذه كلها حجب وموانع بعضها آكد من بعض (قلت) وفي هذا المعنى قوله تعالى (سأصرف عن آياتي الذين يتكبرون في الأرض بغير الحق) قال سفيان بن عيينة يقول أنزع عنهم فهم القرآن أخرجه ابن أبي حاتم وقد أخرج ابن جرير وغيره من طرق عن ابن عباس قال التفسير أربعة أوجه وجه تعرفه العرب من كلامها وتفسير لا يعذر أحد بجهالته وتفسير تعلمه العلماء وتفسير لا يعلمه إلا الله تعالى ثم رواه مرفوعا بسند ضعيف بلفظ أنزل القرآن على أربعة أحرف حلال وحرام لا يعذر أحد بجهالته وتفسير تفسره العرب وتفسير تفسره العلماء ومتشابه لا يعلمه إلا الله تعالى ومن ادعى علمه سوى الله تعالى فهو كاذب قال الزركشي في البرهان في قول ابن عباس هذا تقسيم صحيح فأما الذي تعرفه العرب فهو الذي يرجع فيه إلى لسانهم وذلك اللغة والاعراب فأما اللغة فعلى المفسر معرفة معانيها ومسميات أسمائها ولا يلزم ذلك القارىء ثم إن كان ما يتضمنه ألفاظها يوجب العمل دون العلم كفى فيه خبر الواحد والاثنين والاستشهاد بالبيت والبيتين وإن كان يوجب العلم لم يكف ذلك بل لا بد أن يستفيض ذلك اللفظ وتكثر شواهده من الشعر وأما الاعراب فما كان اختلافه محيلا المعنى وجب على المفسر والقارىء تعلمه ليوصل المفسر إلى معرفة الحكم ويسلم القارىء من اللحن وإن لم يكن محيلا للمعنى وجب تعلمه على القارىء ليسلم من اللحن ولا يجب على المفسر لوصوله الى المقصود بدونه وأما ما لا يعذر أحد بجهله فهو ما تتبادر الافهام إلى معرفة معناه من النصوص المتضمنة شرائع الأحكام ودلائل التوحيد وكل لفظ أفاد معنى واحدا جليا يعلم أنه مراد الله تعالى فهذا القسم لا يلتبس تأويله إذ كل أحد يدرك معنى التوحيد من قوله تعالى فاعلم أنه لا إله إلا الله وأنه لا شريك له في الالهية وإن لم يعلم أن لا موضوعة في اللغة للنفي ولا للإثبات وأن مقتضى هذه الكلمة الحصر ويعلم كل أحد بالضرورة أن مقتضى أقيموا الصلاة وآتوا الزكاة ونحوه طلب إيجاب المأمور به وإن لم يعلم أن صيغة افعل للوجوب فما كان من هذا القسم لا يعذر أحد يدعي الجهل بمعاني ألفاظه لأنها معلومة لكل أحد بالضرورة وأما ما لا يعلمه إلا الله تعالى فهو ما يجري مجرى الغيوب نحو الآي المتضمنة لقيامة الساعة وتفسير الروح والحروف المقطعة وكل متشابه في القرآن عند أهل الحق فلا مساغ للاجتهاد في تفسيره ولا طريق إلى ذلك إلا بالتوقيف بنص من القرآن أو الحديث أو اجماع الأمة على تأويله وأما ما يعلمه العلماء ويرجع إلى اجتهادهم فهو الذي يغلب عليه إطلاق التأويل وذلك استنباط الأحكام وبيان المجمل وتخصيص العموم وكل لفظ احتمل معنيين فصاعدا فهو الذي لا يجوز لغير العلماء الاجتهاد فيه وعليهم اعتماد الشواهد والدلائل دون مجرد الرأي فان كان أحد المعنيين أظهر وجب الحمل عليه إلا أن يقوم دليل على أن المراد هو الخفي وان استويا والاستعمال فيهما حقيقة لكن أحدهما حقيقة لغوية أو عرفية وفي الآخر شرعية فالحمل على الشرعية أولى إلا أن يدل دليل على ارادة اللغوية كما في وصل عليهم إن صلاتك سكن لهم ولو كان في أحدهما عرفية والاخرة لغوية فالحمل على العرفية أولى وان اتفقا في ذلك أيضا فان تنافى اجتماعهما ولم يمكن ارادتهما

باللفظ

مفردا وأما الايجاز والبسط فيصح أن يتعلق بهما الاعجاز كما يتعلق بالحقائق والاستعارة والبيان في كل واحد منهما مالا يضبط حده ولا يقدر قدره ولا يمكن التوصل إلى ساحل بحره بالتعلم ولا يتطرق إلى غوره بالتسبب وكل ما يمكن تعلمه ويتهيأ تلقنه وما يمكن تخليصه ويستدرك أخذه فلا يجب أن يطلب وقوع الاعجاز به ولذلك قلنا إن السجع مما ليس يلتمس فيه الاعجاز لأن ذلك أمر محدود وسبيل مورود ومتى تدرب الانسان به واعتاده لم يستصعب عليه أن يجعل جميع كلامه منه وكذلك التجنيس والتطبيق متى أخذ أحدهما وطلب وجههما استوفى ما شاء ولم يتعذر عليه أن يملأ خطابه منه كما أولع بذلك أبو تمام والبحتري وان كان البحتري أشغف بالمطابق وأقل طلبا للمجانس فان قال قائل هلا قلت إن هذين

باللفظ الواحد كالقرء للحيض والطهر اجتهد فى المراد منهما بالامارات الدالة عليه فما ظنه فهو مراد الله تعالى فى حقه وان لم يظهر له شىء فهل يتخير فى الحمل على أيهما شاء أو يأخذ بالاغلظ حكما أو بالاخف أقوال وان لم يتنافيا وجب الحمل عليهما عند المحققين ويكون ذلك أبلغ فى الاعجاز والفصاحة الا أن دل دليل على ارادة أحدهما إذا عرف ذلك فينزل حديث من تكلم فى القرآن برأيه على قسمين من هذه الأربعة أحدهما تفسير اللغة لاحتياج المفسر له إلى التبحر فى معرفة لسان العرب والثانى حمل اللفظ المحتمل على أحد معنييه لاحتياج ذلك إلى معرفة أنواع من العلوم التبحر فى العربية واللغة من الاصول ما يدرك به حدود الاشياء وصيغ الأمر والنهى والخبر والمجمل والمبين والعموم والخصوص والمطلق والمقيد والمحكم والمتشابه والظاهر والمؤول والحقيقة والمجاز والصريح والكناية ومن الفروع ما يدرك به الاستنباط هذا أقل ما يحتاج اليه ومع ذلك فهو على خطر فعليه أن يقول يحتمل كذا ولا يجزم الا فى حكم اضطر إلى الفتوى به فأدى اجتهاده اليه فيجزم مع تجويز خلافه اه وقال ابن النقيب جملة ما تحصل فى معنى حديث التفسير بالرأى خمسة أقوال (احدها) التفسير من غير حصول العلوم التى يجوز معها التفسير (الثانى) تفسير المتشابه الذى لا يعلمه الا الله (الثالث) التفسير المقرر للمذهب الفاسد بأن يجعل المذهب أصلا والتفسير تابعا فيرد اليه بأى طريق أمكن وان كان ضعيفا (الرابع) التفسير أن مراد الله كذا على القطع من غير دليل (الخامس) التفسير بالاستحسان والهوى ثم قال واعلم أن علوم القرآن ثلاثة أقسام الأول علم لم يطلع الله عليه أحدا من خلقه وهو ما استأثر به من علوم أسرار كتابه من معرفة كنه ذاته وغيوبه التى لا يعلمها إلا هو وهذا لا يجوز لأحد الكلام فيه بوجه من الوجوه اجماعا الثانى ما أطلع الله عليه نبيه من أسرار الكتاب واختصه به وهذا ويجوز الكلام فيه إلا له صلى الله عليه وسلم أو لمن أذن له قال وأوائل السور من هذا القسم وقيل من القسم الأول (الثالث) علوم علمها الله نبيه مما أودع كتابه من المعانى الجلية والخفية وأمره بتعليمها وهذا ينقسم إلى قسمين منه ما لا يجوز الكلام فيه الا بطريق السمع وهو أسباب النزول والناسخ والمنسوخ والقراآت واللغات وقصص الأمم الماضية وأخبار ما هو كائن من الحوادث وأمور الحشر والمعاد ومنه ما يؤخذ بطريق النظر والاستدلال والاستنباط والاستخراج من الالفاظ وهو قسمان قسم اختلفوا فى جوازه وهو تأويل الآيات المتشابهات فى الصفات وقسم اتفقوا عليه وهو استنباط الاحكام الأصلية والفرعية والاعرابية لان مبناها على الاقيسة وكذلك فنون البلاغة وضروب المواعظ والحكم والاشارات لا يمتنع استنباطها منه واستخراجها لمن له أهلية انتهى ملخصا * (وقال أبو حيان) * ذهب بعض من عاصرناه الى ان علم التفسير مضطرا إلى النقل فى فهم معانى تركيبه بالاسناد الى مجاهد وطاوس وعكرمة واضرابهم وان فهم الآيات يتوقف على ذلك قال وليس كذلك وقال الزركشى بعد حكاية ذلك الحق ان علم التفسير منه ما يتوقف على النقل كسبب النزول والنسخ وتعيين المبهم وتبيين المجمل ومنه ما لا يتوقف ويكفى فى تحصيله الثقة على الوجه المعتبر وقال كان السبب فى اصطلاح كثير على التفرقة بين التفسير والتأويل التمييز بين المنقول والمستنبط ليحيل على الاعتماد فى المنقول وعلى النظر فى المستنبط قال واعلم أن القرآن قسمان قسم ورد تفسيره بالنقل وقسم لم يرد والاول اما ان يرد عن النبى صلى الله عليه وسلم أو الصحابة أو رءوس التابعين فالاول يبحث فيه عن صحة السند والثانى ينظر فى تفسير الصحابى فان فسره من حيث اللغة فهم أهل اللسان فلا شك فى اعتماده أو بما شاهده من الاسباب والقرائن فلا شك فيه وحينئذ ان تعارضت أقوال جماعة من الصحابة فان أمكن الجمع فذاك وان تعذر قدم ابن عباس لان النبى صلى الله عليه وسلم بشره بذلك حيث قال اللهم علمه التأويل وقد رجح الشافعى

الباقين يقع فيهما مرتبة عالية لا يوصل اليها بالتعلم ولا تملك بالتعمل كما ذكرتم فى البيان وغير ذلك قلنا لو عمد إلى كتاب الاجناس ونظر فى كتاب العين لم يتعذر عليه التجنيس الكثير فأما الاطباق فهو أقرب منه وليس كذلك البيان والوجوه التى رأينا الاعجاز فيها لانها لا تستوفى بالتعلم فان قيل فالبيان قد يتعلم قيل ان الذى يمكن أن يتوصل اليه بالتعلم يتفاوت فيه الناس وتتناهى فيه العادات وهو كما يعلم من مقادير القوى فى حمل الثقيل وان الناس يتقاربون فى ذلك فيرمون فيه إلى حد فاذا تجاوزوه وقفوا بعده ولم يمكنهم التخطى ولم يقدروا على التعدى الا أن يحصل ما يخرق العادة وينقض العرف ولن يكون ذلك الا للدلالة على النبوات على شروط فى ذلك والقدر الذى يفوت الحد فى البيان ويتجاوز الوهم ويشذ عن الصنعة ويقذفه الطبع فى النادر

قول زيد فى الفرائض لحديث أفرضكم زيد (وأما ما ورد عن التابعين) فحيث جاز الاعتماد فيما سبق فكذلك وإلا وجب الاجتهاد (وأما ما لم يرد فيه نقل) فهو قليل وطريق التوصل إلى فهمه النظر إلى مفردات الالفاظ من لغة العرب ومدلولاتها واستعمالها بحسب السياق وهذا يعتنى به الراغب كثيرا فى كتاب المفردات فيذكر قيدا زائدا على أهل اللغة فى تفسير مدلول اللفظ لأنه اقتضاه السياق اهـ (قلت) وقد جمعت كتابا مسندا فيه تفسير النبي صلى الله عليه وسلم والصحابة فيه بضعة عشر ألف حديث ما بين مرفوع وموقوف وقد تم ولله الحمد فى أربع مجلدات وسميته ترجمان القرآن ورأيت وأنا فى أثناء تصنيفه النبي صلى الله عليه وسلم فى المنام فى قصة طويلة تحتوى على بشارة حسنة. (تنبيه) ومن المهم معرفة التفاسير الواردة عن الصحابة بحسب قراءة مخصوصة وذلك يرد عنهم تفسيران فى الآية الواحدة مختلفان فيظن اختلافا وليس باختلاف وإنما كل تفسير على قراءة وقد تعرض السلف لذلك (فأخرج) ابن جرير فى قوله تعالى لقالوا إنما سكرت أبصارنا من طرق عن ابن عباس وغيره ان سكرت بمعنى سدت ومن طرق أنها بمعنى أخذت ثم أخرج عن قتادة قال من قرأ سكرت مشددة فإنما يعنى سدت ومن قرأ سكرت مخففة فإنه يعنى سحرت وهذا الجمع من قتادة نفيس بديع ومثله قوله تعالى سرابيلهم من قطران (أخرج) ابن جرير عن الحسن أنه الذى تهنأ به الابل (وأخرج) من طرق عنه وعن غيره أنه النحاس المذاب وليسا بقولين وإنما الثانى تفسير لقراءة من قطر آن بتنوين قطر وهو النحاس وآن شديد الحر كما أخرجه ابن أبى حاتم هكذا عن سعيد بن جبير وأمثلة هذا النوع كثيرة والكافل ببيانها كتابنا أسرار التنزيل وقد خرجت على هذا قديما الاختلاف الوارد عن ابن عباس وغيره فى تفسير آية أو لامستم هل هو الجماع أو الجس باليد (فالأول) تفسير لقراءة لامستم (والثانى) لقراءة لمستم ولا اختلاف (فائدة) قال الشافعى رضى الله عنه فى مختصر البويطى لا يحل تفسير المتشابه إلا بسنة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أو خبر عن أحد من أصحابه أو اجماع العلماء هذا نصه

(فصل). وأما كلام الصوفية فى القرآن فليس بتفسير قال ابن الصلاح فى فتاويه وجدت عن الامام أبى الحسن الواحدى المفسر أنه قال صنف أبو عبد الرحمن السلمى حقائق التفسير فان كان قد اعتقد أن ذلك تفسير فقد كفر قال ابن الصلاح وأنا أقول الظن بمن يوثق به منهم اذا قال شيئا من ذلك انه لم يذكره تفسيرا ولا ذهب به مذهب الشرح للكلمة فانه لو كان كذلك كانوا قد سلكوا مسلك الباطنية وإنما ذلك منهم لنظير ما ورد به القرآن فان النظير يذكر بالنظير ومع ذلك فياليتهم لم يتساهلوا بمثل ذلك لما فيه من الابهام والالباس (وقال) النسفى فى عقائده النصوص على ظاهرها والعدول عنها إلى معان يدعيها أهل الباطن الحاد قال التفتازانى فى شرحه سميت الملاحدة باطنية لادعائهم أن النصوص ليست على ظاهرها بل لها معان باطنية لا يعرفها إلا المعلم وقصدهم بذلك نفى الشريعة بالكلية قال وأما ما يذهب اليه بعض المحققين من أن النصوص على ظواهرها ومع ذلك فيها اشارات خفية إلى دقائق تنكشف على أرباب السلوك يمكن التطبيق بينها وبين الظواهر المرادة فهو من كمال الايمان ومحض العرفان وسئل شيخ الاسلام سراج الدين البلقينى عن رجل قال فى قوله تعالى من ذا الذى يشفع عنده إلا باذنه ان معناه من ذل أى من الذل ذى اشارة إلى النفس يشف من الشفا جواب من ع أمر من الوعى فافتى بانه ملحد وقد قال تعالى (ان الذين يلحدون فى آياتنا لا يخفون علينا) قال ابن عباس هو أن يوضع الكلام على غير موضعه (أخرجه) ابن أبى حاتم (فان قلت) فقد قال الفريابى حدثنا سفيان عن يونس عن عبيد عن الحسن قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لكل آية ظهر وبطن ولكل حرف حد ولكل حد مطلع (وأخرج) الديلمى من حديث

القليل كأبيات البديع والقطعة الشريفة التى تتفق فى ديوان شاعر المفرة تتفق فى لسان كاتب حتى يكون الشاعر ابن بيت وبيتين أو قطعة أو قطعتين والاديب شهيد كلمة أو كلمتين وذلك أمر قليل ولو كان كلامه كله يطرد على ذلك المسلك ويستمر على ذلك المنهج امكن ان يدعى فيه الاعجاز ولكنك ان كنت من أهل الصنعة تعلم قلة الأبيات الشوارد والكلمات الفرائد وأمهات القلائد فان أردت أن تجد قصيدة كلها وحشية وأردت أن تراها مثل بيت من ابياتها مرضية لم تجد ذلك فى الدواوين ولم نظفر بذلك إلى يوم الدين ونحن لم ننكر أن يستدرك البشر كلمة شريفة ولفظة بديعة وإنما انكرنا أن يقدروا على مثل نظم سورة أو نحوها وأحلنا أن يتمكنوا من حد فى البلاغة ومقدار فى الخطابة وهذا كما قلناه من ان صورة الشعر قد تتفق

عبدالرحمن بن عوف مرفوعا القرآن تحت العرش له ظهر وبطن يحاج العباد (وأخرج) الطبرانى وأبو يعلى والبزار وغيرهم عن ابن مسعود موقوفا إن هذا القرآن ليس منه حرف الا له حد ولكل حد مطلع (قلت) أما الظهر والبطن ففى معناه أوجه أحدها أنك إذا بحثت عن باطنها وقسته على ظاهرها وقفت على معناها (والثانى) أن مامن آية إلا عمل بها قوم ولها قوم سيعملون بها كما قاله ابن مسعود فيما أخرجه ابن أبى حاتم (الثالث) أن ظاهرها لفظها وباطنها تأويلها (الرابع) قال أبو عبيد وهو أشبهها بالصواب أن القصص التى قصها الله تعالى عن الأمم الماضية وماعاقبهم به ظاهرها الأخبار بهلاك الأولين إنما هو حديث حدث به عن قوم وباطنها وعظ الآخرين وتحذيرهم أن يفعلوا كفعلهم فيحل بهم مثل ماحل بهم وحكى ابن النقيب قولا خامسا أن ظهرها ماظهر من معانيها لأهل العلم بالظاهر وبطنها ما تضمنته من الأسرار التى أطلع الله عليها أرباب الحقائق ومعنى قوله ولكل حرف حد أى منتهى فيما أراد الله من معناه وقيل لكل حكم مقدار من الثواب والعقاب ومعنى قوله ولكل حد مطلع لكل غامض من المعانى والأحكام مطلع يتوصل به إلى معرفته ويوقف على المراد به وقيل كل مايستحقه من الثواب والعقاب يطلع عليه فى الآخرة عند المجازاة وقال بعضهم الظاهر التلاوة والباطن الفهم والحد أحكام الحلال والحرام والمطلع الاشراف على الوعد والوعيد (قلت) يؤيد هذا ماأخرجه ابن أبى حاتم من طريق الضحاك عن ابن عباس قال إن القرآن ذو شجون وفنون وظهور وبطون لاتنقضى عجائبه ولا تبلغ غايته فمن أوغل فيه برفق نجا ومن أوغل فيه بعنف هوى أخبار وأمثال وحلال وحرام وناسخ ومنسوخ ومحكم ومتشابه وظهر وبطن فظهره التلاوة وبطنه التأويل فجالسوا به العلماء وجانبوا به السفهاء (وقال ابن سبع) فى شفاء الصدور ورد عن أبى الدرداء أنه قال لايفقه الرجل كل الفقه حتى يجعل للقرآن وجوها وقال ابن مسعود من أراد علم الأولين والآخرين فليثور القرآن قال وهذا الذى قاله لايحصل بمجرد تفسير الظاهر وقال بعض العلماء لكل آية ستون ألف فهم فهذا يدل على أن فى فهم معانى القرآن مجالا رحبا ومتسعا بالغا وان المنقول من ظاهر التفسير ليس ينتهى الادراك فيه بالنقل والسماع لابد منه فى ظاهر التفسير ليتقى به مواضع الغلط ثم بعد ذلك يتسع الفهم والاستنباط ولا يجوز التهاون فى حفظ التفسير الظاهر بل لابد منه أولا إذ لايطمع فى الوصول إلى الباطن قبل أحكام الظاهر ومن ادعى فهم أسرار القران ولم يحكم التفسير الظاهر فهو كمن ادعى البلوغ إلى صدر البيت قبل أن يجاوز الباب اه (وقال الشيخ) تاج الدين ابن عطاء الله فى كتابه لطائف المنن (أعلم) أن تفسير هذه الطائفة لكلام الله وكلام رسوله بالمعانى الغريبة ليس إحالة للظاهر عن ظاهره ولكن ظاهر الآية مفهوم منه ماجلبت الآية له ودلت عليه فى عرف اللسان وثم أفهام باطنة تفهم عند الآية والحديث لمن فتح الله قلبه وقد جاء فى الحديث لكل اية ظهر وبطن فلايصدنك عن تلقى هذه المعانى منهم أن يقول لك ذو جدل ومعارضة هذا إحالة لكلام الله وكلام رسوله فليس ذلك باحالة وإنما يكون إحالة لو قالوا لامعنى للآية إلا هذا وهم لم يقولوا ذلك بل يقرءون الظواهر على ظواهرها مراد بها موضوعاتها ويفهمون عن الله تعالى ماأفهم

(فصل) قال العلماء يجب على المفسر أن يتحرى فى التفسير مطابقة المفسر وأن يتحرز فى ذلك من نقص لما يحتاج اليه فى ايضاح المعنى أو زيادة لاتليق بالغرض ومن كون المفسر فيه زيغ عن المعنى وعدول عن طريقة وعليه بمراعاة المعنى الحقيقى والمجازى ومراعاة التأليف والغرض الذى سيق له الكلام وأن يؤاخى بين المفردات ويجب عليه البداءة بالعلوم اللفظية وأول مايجب البداءة به منها تحقيق الألفاظ المفردة فيتكلم عليها من جهة اللغة ثم التصريف ثم الاشتقاق ثم يتكلم عليها بحسب

فى القرآن وإن لم يكن له حكم الشعر فأما قدر المعجز فقد بينا أنها السورة طالت أو قصرت وبعد ذلك خلاف من الناس من قال مقدار كل سورة أو أطول آية فهو معجز وعندنا كل واحد من الأمرين معجز والدلالة عليه لما تقدم والبلاغة لا تتبين بأقل من ذلك فلذلك لم نحكم باعجازه وما صح أن تتبين فيه البلاغة ومحصولها إلا بأنه فى الابلاغ عن ذات النفس على أحسن معنى وأجزل لفظ وبلوغ الغاية فى المقصود بالكلام فاذا بلغ الكلام غايته فى هذا المعنى كان بالغا وبليغا فاذا تجاوز حد البلاغة إلى حيث لا يقدر عليه أهل الصناعة وانتهى إلى أمر يعجز عنه الكامل فى البراعة صح أن يكون له حكم المعجزات وجاز أن يقع موقع الدلالات وقد ذكرنا أنه بجنسه وأسلوبه مباين لسائر كلامهم ثم بما يتضمن من تجاوزه فى البلاغة الحد الذى يقدر عليه البشر فان قيل فاذا كان يجوز عندكم أن يتفق فى شعر الشاعر قطعة عجيبة

التركيب فيبدأ بالاعراب ثم بما يتعلق بالمعانى ثم البيان ثم البديع ثم بين المعنى المراد ثم الاستنباط ثم الاشارة وقال الزركشى فى أوائل البرهان قد جرت عادة المفسرين أن يبدءوا بذكر سبب النزول ووقع البحث فى أنه أيما أولى البداءة به لتقدم السبب على المسبب أو بالمناسبة لأنها المصححة لنظم الكلام وهى سابقة على النزول قال والتحقيق التفصيل بين أن يكون وجه المناسبة متوقفا على سبب النزول كآية ان الله يأمركم ان تؤدوا الامانات إلى أهلها فهذا ينبغى فيه تقديم ذكر السبب لانه حينئذ من باب تقديم الوسائل على المقاصد وان لم يتوقف على ذلك فالاولى تقديم وجه المناسبة وقال فى موضع آخر جرت عادة المفسرين ممن ذكر فضائل القرآن أن يذكرها فى أول كل سورة لما فيها من الترغيب والحث على حفظها إلا الزمخشرى فانه يذكرها فى أواخرها (قال) مجد الأئمة عبد الرحيم بن عمر الكرمانى سألت الزمخشرى عن العلة فى ذلك فقال لانها صفات لها والصفة تستدعى تقديم الموصوف وكثيرا ما يقع فى كتب التفسير حكى الله كذا فينبغى تجنبه (قال الامام أبو نصر القشيرى) فى المرشد قال معظم أئمتنا لا يقال كلام الله محكى ولا يقال حكى الله لان الحكاية الاتيان بمثل الشىء وليس لكلامه مثل وتساهل قوم فأطلقوا لفظ الحكاية بمعنى الاخبار وكثيرا ما يقع فى كلامهم اطلاق الزائد على بعض الحروف وقدمر فى نوع الاعراب وعلى المفسر أن يتجنب ادعاء التكرار ما أمكنه قال بعضهم مما يدفع توهم التكرار فى عطف المترادفين نحو لا تبقى ولا تذر صلوات من ربهم ورحمة وأشباه ذلك أن يعتقد أن مجموع المترادفين يحصل معنى لا يوجد عند انفراد أحدهما فان التركيب يحدث معنى زائدا وإذا كانت كثرة الحروف تفيد زيادة المعنى فكذلك كثرة الالفاظ اهـ وقال الزركشى فى البرهان ليكن محط نظر المفسر مراعاة نظم الكلام الذى سيق له وان خالف أصل الوضع اللغوى لثبوت التجوز وقال فى موضع آخر على المفسر مراعاة مجازى الاستعمالات فى الالفاظ التى يظن بها الترادف والقطع بعدم الترادف ما أمكن فان للتركيب معنى غير معنى الافراد ولهذا منع كثير من الاصوليين وقوع أحد المترادفين موقع الآخر فى التركيب وان اتفقوا على جوازه فى الافراد اهـ وقال أبو حيان كثيرا ما يشحن المفسرون تفاسيرهم عند ذكر الاعراب بعلل النحو ودلائل مسائل أصول الفقه ودلائل مسائل الفقه ودلائل أصول الدين وكل ذلك مقرر فى تأليف هذه العلوم وانما يؤخذ ذلك مسلما فى علم التفسير دون استدلال عليه وكذلك أيضا ذكروا ما لا يصح من أسباب النزول وأحاديث فى الفضائل وحكايات لا تناسب وتواريخ اسرائيلية ولا ينبغى ذكر هذا فى علم التفسير (فائدة) قال ابن أبى جمرة عن على رضى الله عنه انه قال لو شئت أن أوقر سبعين بعيرا من تفسير أم القرآن لفعلت وبيان ذلك أنه إذا قال الحمد لله رب العالمين يحتاج تبيين معنى الحمد وما يتعلق به الاسم الجليل الذى هو الله وما يليق به من التنزيه ثم يحتاج إلى بيان العالم وكيفيته على جميع أنواعه وأعداده وهى ألف عالم أربعمائة فى البر وستمائة فى البحر فيحتاج إلى بيان ذلك كله فاذا قال الرحمن الرحيم يحتاج إلى بيان الاسمين الجليلين وما يليق بهما من الجلال وما معناهما ثم يحتاج إلى بيان جميع الاسماء والصفات ثم يحتاج إلى بيان الحكمة فى اختصاص هذا الموضع بهذين الاسمين دون غيرهما فاذا قال ملك يوم الدين يحتاج إلى بيان ذلك اليوم وما فيه من المواطن والاهوال وكيفية مستقرة فاذا قال اياك نعبد واياك نستعين يحتاج إلى بيان المعبود من جلالته والعبادة وكيفيتها وصفتها وأدائها على جميع أنواعها والعابد فى صفته والاستعانة وأدائها وكيفيتها فاذا قال اهدنا الصراط المستقيم إلى آخر السورة يحتاج إلى بيان الهداية ما هى والصراط المستقيم واضداده وتبيين المغضوب عليهم والضالين وصفاتهم وما يتعلق بهذا النوع وتبيين المرضى عنهم وصفاتهم وطريقتهم فعلى هذه الوجوه يكون ما قاله على من هذا القبيل

شاردة تباين جميع ديوانه فى البلاغة ويقع فى ديوانه بيت واحد مخالف مألوف طبعه ولا يعرف سبب ذلك البيت ولا تلك القطعة فى التفصيل لو أراد ان يأتى بمثل ذلك ويجعل جميع كلامه من ذلك النمط لم يجد إلى ذلك سبيلا وله سبب فى الجملة وهو التقدم فى الصنعة لأنه يتفق من المتأخر فيها نهلا قلتم انه إذا بلغ فى العلم بالصناعة مبالغه قصوى كان جميع كلامه من نمط ذلك البيت وسمت تلك القطعة وهلا قلتم ان القرآن من هذا الباب فالجواب انا لم نجد أحدا بلغ الحد الذى وصفتم فى العادة وهذا الناس وأهل البلاغة اشعارهم عندنا محفوظة وخطبهم منقولة ورسائلهم مأثورة وبلاغاتهم مروية وحكمهم مشهورة وكذلك أهل الكهانة والبلاغة مثل قس بن ساعدة وسحبان وائل ومثل شق وسطيح وغيرهم كلامهم معروف عندنا وموضوع بين أيدينا لا يخفى علينا فى الجملة بلاغة بليغ ولا خطابة خطيب ولا براعة شاعر

﴿النوع التاسع والسبعون﴾ فى غرائب التفسير الف فيه محمود بن حمزة الكرمانى كتابا فى مجلدين سماه العجائب والغرائب ضمنه أقوالا ذكرت فى معانى آيات بفكرة لا يحل الاعتماد عليها ولا ذكرها الا للتحذير منها من ذلك قول من قال فى حمعسق ان الحاء حرب على ومعاوية والميم والاية المروانية والعين ولاية العباسية والسين ولاية السفيانية والقاف قدوة مهدى حكاه أبو مسلم ثم قال أردت بذلك ان يعلم ان فيمن يدعى العلم حمقى ومن ذلك قول من قال فى الم معنى الف الف الله محمد فبعثه نبيا ومعنى لام لامه الجاحدين وأنكروه ومعنى ميم الجاحدون المنكرون من الموم وهو البرسام ومن ذلك قول من قال فى (ولكم فى القصاص حياة يا أولى الالباب) انه قصص القرآن واستدل لقراءة أبى الجوزاء ولكم فى القصص وهو بعيد بل هذه القراءة أفادت معنى غير معنى القراءة المشهورة وذلك من وجوه اعجاز القرآن كما بينته فى أسرار التنزيل ومن ذلك ما ذكره ابن فورك فى تفسيره فى قوله ولكن ليطمئن قلبى ان ابراهيم كان له صديق وصفه بأنه قلبه أى ليسكن هذا الصديق الى هذه المشاهدة اذا رآها عيانا قال الكرمانى وهذا بعيد جدا ومن ذلك قول من قال فى ربنا ولا تحملنا ما لا طاقة لنا به انه الحب والعشق وقد حكاه الكواشى فى تفسيره (ومن ذلك) قول من قال فى ومن شر غاسق اذا وقب أنه الذكر اذا انتصب (ومن ذلك) قول أبى معاذ النحوى فى قوله تعالى الذى جعل لكم من الشجر الاخضر يعنى ابراهيم نارا أى نورا وهو محمد ﷺ فاذا أنتم منه توقدون تقتبسون الدين

﴿النوع الثمانون﴾ فى طبقات المفسرين اشتهر بالتفسير من الصحابة عشرة الخلفاء الاربعة وابن مسعود وابن عباس وأبى بن كعب وزيد بن ثابت وأبو موسى الأشعرى وعبد الله بن الزبير أما الخلفاء فأكثر من روى عنه منهم على ابن أبى طالب والرواية عن الثلاثة نذرة جدا وكأن السبب فى ذلك تقدم وفاتهم كما أن ذلك هو السبب فى قلة رواية أبى بكر رضى الله عنه للحديث ولا أحفظ على أبى بكر رضى الله عنه فى التفسير الا آثارا قليلة جدا لا تكاد تجاوز العشرة (وأما) على فروى عنه الكثير وقد روى معمر عن وهب بن عبد الله عن أبى الطفيل قال شهدت عليا يخطب وهو يقول سلونى فوالله لا تسألونى عن شىء الا أخبرتكم وسلونى عن كتاب الله فوالله ما من آية الا وأنا أعلم أبليل نزلت أم بنهار أم فى سهل أم فى جبل (وأخرج) أبو نعيم فى الحلية عن ابن مسعود قال ان القرآن انزل على سبعة أحرف ما منها حرف الا وله ظهر وبطن وان على ابن أبى طالب عنده من الظاهر والباطن (وأخرج) أيضا من طريق أبى بكر بن عياش عن نصير بن سليمان الاحمسى عن أبيه عن على قال والله ما نزلت آية الا وقد علمت فيم أنزلت وأين أنزلت ان ربى وهب لى قلبا عقولا ولسانا سؤلا (وأما ابن مسعود) فروى عنه أكثر مما روى عن على وقد أخرج ابن جرير وغيره عنه انه قال والذى لا اله غيره ما نزلت آية من كتاب الله الا وأنا أعلم فيمن نزلت واين نزلت ولو أعلم مكان أحد أعلم بكتاب الله منى تناله المطايا لأتيته (وأخرج) أبو نعيم عن أبى البخترى قال قالوا لعلى أخبرنا عن ابن مسعود قال علم القرآن والسنة ثم انتهى وكفى بذلك علما (وأما ابن عباس) فهو ترجمان القرآن الذى دعا له النبى ﷺ اللهم فقهه فى الدين وعلمه التأويل وقال له أيضا اللهم آته الحكمة وفى رواية اللهم علمه الحكمة (وأخرج) أبو نعيم فى الحلية عن ابن عمر قال دعا رسول الله صلى الله عليه وسلم لعبد الله بن عباس فقال اللهم بارك فيه وانشر منه (وأخرج) من طريق عبد المؤمن بن خالد عن عبد الله بن بريدة عن ابن عباس قال انتهيت الى النبى صلى الله عليه وسلم وعنده جبريل فقال له جبريل انه كائن حبر هذه الأمة فاستوص به خيرا (وأخرج) من طريق عبد الله بن حراش عن العوام بن حوشب عن مجاهد قال قال ابن عباس قال لى رسول الله ﷺ نعم ترجمان القرآن أنت

مغلق ولا كتابة كاتب مدقق قال لم نجد فى شىء من ذلك ما يدانى القرآن فى البلاغة أو يشاكله فى الاعجاز مع ماوقع من التحدى اليه المدة الطويلة وتقدم من التقريع والمجازاة الامد المديد وثبت له وحده خاصة قصب السبق والاستيلاء على الأمر وعجز الكل عنه ووقفوا دونه حيارى يعرفون عجزهم وان جهل قوم سببه ويعلمون نقصهم وان أغفل قوم وجهه رأينا انه ناقض للمادى ورأينا أنه خارق للمعروف فى الحيلة وخرق العادة انما تقع بالمعجزات على وجه أقامة البرهان على النبوات وعلى أن من ظهرت عليه ووقعت موقع الهداية اليه صادق فيما يدعيه من نبوته ومحق فى قوله ومصيب فى هديه قد سادت له له الحجة البالغة والكلمة التامة والبرهان النير والدليل البين

﴿فصل فى حقية المعجز﴾ معنى قولنا ان القرآن معجز وعلى أصولنا أنه لا يقدر العباد عليه وقد ثبت أن المعجز الدال على صدق النبى صلى الله

(وأخرج) البيهقى فى الدلائل عن ابن مسعود قال نعم ترجمان القرآن عبدالله بن عباس (وأخرج) أبو نعيم عن مجاهد قال كان ابن عباس يسمى البحر لكثرة علمه (وأخرج) عن ابن الحنفية قال كان ابن عباس حبر هذه الأمة (وأخرج) عن الحسن قال إن ابن عباس كان من القرآن بمنزل كان عمر يقول ذا كم فتى الكهول أن له لسانا سئولا وقلبا عقولا (وأخرج) من طريق عبدالله بن دينار عن ابن عمر ان رجلا أتاه يسأله عن السموات والأرض كانتا رتقا ففتقناهما فقال اذهب إلى ابن عباس فاسأله ثم تعالى فأخبرنى فذهب فسأله فقال كانت السموات رتقا لا تمطر والأرض رتقا لا تنبت ففتق هذه بالمطر وهذه بالنبات فرجع إلى ابن عمر فأخبره فقال قد كنت أقول ما يعجبنى جراءة ابن عباس على تفسير القرآن فالآن قد علمت أنه أوتى علما (وأخرج) البخارى من طريق سعيد بن جبير عن ابن عباس قال كان عمر يدخلنى مع أشياخ بدر فكأن بعضهم وجد فى نفسه فقال لم يدخل هذا معنا وإن لنا أبناء مثله فقال عمر أنه ممن علمتم فدعاهم ذات يوم فادخله معهم فما رأيت أنه دعانى فيهم يومئذ إلا ليريهم فقال ما تقولون فى قول الله تعالى (إذا جاء نصر الله والفتح) فقال بعضهم أمرنا أن نحمد الله ونستغفره إذا نصرنا وفتح علينا وسكت بعضهم فلم يقل شيئا فقال لى أكذلك تقول يا ابن عباس فقلت لا فقال ما تقول فقلت هو أجل رسول الله ﷺ أعلمه له قال إذا جاء نصر الله والفتح فذلك علامة أجلك فسبح بحمد ربك واستغفره إنه كان توابا فقال عمر لا أعلم منها إلا ما تقول (وأخرج) أيضا من طريق ابن أبى مليكة عن ابن عباس قال قال عمر بن الخطاب يوما لأصحاب النبى ﷺ فيمن ترون هذه الآية نزلت (أيود أحدكم أن تكون له جنة من نخيل وأعناب) قالوا الله أعلم فغضب عمر فقال قولوا نعلم أو لا نعلم فقال ابن عباس فى نفسى منها شىء. فقال يا ابن أخى قل ولا تحقر نفسك قال ابن عباس ضربت مثلا لعمل قال عمر أى عمل قال ابن عباس لرجل غنى يعمل بطاعة الله ثم بعث له الشيطان فعمل بالمعاصى حتى أغرق أعماله (وأخرج) أبو نعيم عن محمد بن كعب القرظى عن ابن عباس أن عمر بن الخطاب جلس فى رهط من المهاجرين من الصحابة فذكروا ليلة القدر فتكلم كل بما عنده فقال عمر مالك يا ابن عباس صامت لا تتكلم تكلم ولا تمنعك الحداثة قال ابن عباس فقلت يا أمير المؤمنين إن الله وتر يحب الوتر فجعل أيام الدنيا تدور على سبع وخلق الانسان من سبع وخلق أرزاقنا من سبع وخلق فوقنا سموات سبعا وخلق تحتنا أرضين سبعا وأعطى من المثانى سبعا ونهى فى كتابه عن نكاح الأقربين عن سبع وقسم الميراث فى كتابه على سبع ونقع فى السجود من أجسدنا على سبع فطاف رسول الله ﷺ بالكعبة سبعا وبين الصفا والمروة سبعا ورمى الجمار بسبع فاراها فى السبع الأواخر من شهر رمضان فتعجب عمر فقال ما وافقنى فيها أحد إلا هذا الغلام الذى لم تستو شئون رأسه ثم قال يا هؤلاء من يؤدينى فى هذا كاداء ابن عباس (وقد) ورد عن ابن عباس فى التفسير ما لا يحصى كثرة وفيه روايات وطرق مختلفة فمن جيدها طريق على بن أبى طلحة الهاشمى عنه قال أحمد بن حنبل بمصر صحيفة التفسير رواها على بن أبى طلحة لو رحل رجل فيها إلى مصر قاصدا ما كان كثيرا أسنده أبو جعفر النحاس فى ناسخه قال ابن حجر وهذه النسخة كانت عند أبى صالح كاتب الليث رواها عن معاوية بن صالح عن ابن أبى طلحة عن ابن عباس وهى عند البخارى عن أبى صالح وقد اعتمد عليها فى صحيحه كثيرا فيما يعلقه عن ابن عباس (وأخرج) منها ابن جرير وابن أبى حاتم وابن المنذر كثيرا وسائط بينهم وبين أبى صالح وقال قوم لم يسمع ابن أبى طلحة من ابن عباس التفسير وإنما أخذه عن مجاهد وسعيد بن جبير قال ابن حجر بعد أن عرفت الواسطة وهو ثقة فلا ضير فى ذلك وقال الخليلى فى الإرشاد تفسير معاوية بن صالح قاضى الأندلس عن على بن أبى طلحة عن ابن عباس رواه الكبار عن أبى صالح كاتب الليث عن معاوية واجمع الحفاظ على أن ابن

أبى

عليه وسلم لا يصح دخوله تحت قدرة العباد وإنما ينفرد الله تعالى بالقدرة عليه ولا يجوز أن يعجز العباد عما تستحيل قدرتهم عليه كما يستحيل قدرتهم عليه كما يستحيل عجزهم عن فعل الأجسام فنحن لا نقدر على ذلك وإن لم يصح وصفنا بأنا عاجزون عن ذلك حقيقة وكذلك معجزات سائر الأنبياء على هذا فلما لم يقدر على أحد شبه بما يعجز عنه العاجزوا وانما يقدروا على العباد الاتيان بمثله لأنه لو صح أن يقدروا عليه بطلت دلالة المعجز وقد أجرى العادة أن يتعذر فعل ذلك منه وأن لا يقدروا عليه ولو كان غير خارج عن العادة لأتوا بمثله وعرضوا عليه من كلام فصحائهم وبلغائهم ما يعارضه فلما لم يشتغلوا بذلك علم أنهم فطنوا خروج ذلك عن أوزان كلامهم وأساليب نظامهم وزالت أطماعهم عنه وقد كنا بينا أن التواضع ليس يجب أن يقع على قول الشعر ووجوه النظم المستحسنة فى الأوزان المطربة للسمع ولا يحتاج فى مثله إلى توقيف وأنه يتبين أن مثل ذلك يجرى فى الخطاب فلما جرى

ابى طلحة لم يسمعه من ابن عباس قال وهذه التفاسير الطوال التى أسندوها إلى ابن عباس غير مرضية
ورواتها مجاهيل كتفسير جويبر عن الضحاك عن ابن عباس وعن ابن جريج فى التفسير جماعة
رووا عنه وأطولها ما يرويه بكر بن سهل الدمياطى عن عبد الغنى بن سعيد عن موسى بن محمد عن ابن
جريج وفيه نظر (وروى) محمد بن ثور عن ابن جريج نحو ثلاثة أجزاء كبار وذلك صحيح وروى الحجاج
ابن محمد عن ابن جريج نحو جزء وذلك صحيح متفق عليه وتفسير شبل بن عباد المكى عن ابن أبى نجيح
عن مجاهد عن ابن عباس قريب إلى الصحة وتفسير عطاء بن دينار يكتب ويحتج به وتفسير أبى روق
نحو جزء صححوه وتفسير اسماعيل السدى يورده بأسانيد إلى ابن مسعود وابن عباس (وروى) عن
السدى الأئمة مثل الثورى وشعبة لكن التفسير الذى جمعه رواه اسباط بن نصر وأسباط لم يتفقوا
عليه غير أن أمثل التفاسير تفسير السدى (فأما) ابن جريج فإنه لم يقصد الصحة وإنما روى ما ذكر فى كل
آية من الصحيح والسقيم وتفسير مقاتل بن سليمان فمقاتل فى نفسه ضعفوه وقد أدرك الكبار من التابعين
والشافعى أشار إلى أن تفسيره صالح انتهى كلام الارشاد وتفسير السدى أشار اليه يورد منه ابن جرير كثيرا
من طريق السدى عن أبى مالك وعن أبى صالح عن ابن عباس وعن مرة عن ابن مسعود وناس من
الصحابة هكذا ولم يورد منه ابن أبى حاتم شيئا لأنه التزم أن يخرج أصح ما ورد والحاكم يخرج منه فى مستدركه
أشياء ويصححه لكن من طريق مرة عن ابن مسعود وناس فقط دون الطريق الأول وقد قال ابن كثير
أن هذا الاسناد يروى به السدى أشياء فيها غرابة ومن جيد الطرق عن ابن عباس طريق قيس عن عطاء
ابن السائب عن سعيد بن جبير عنه وهذه الطريق صحيحة على شرط الشيخين وكثيرا ما يخرج منها
الفريابى والحاكم فى مستدركه (ومن ذلك) طريق ابن إسحق عن محمد بن أبى محمد مولى آل زيد بن
ثابت عن عكرمة أو سعيد بن جبير عنه هكذا بالترديد وهى طريق جيدة وإسنادها حسن وقد أخرج منها
ابن جرير وابن أبى حاتم كثيرا وفى معجم الطبرانى الكبير منها أشياء وأوهى طرقه طريق الكلبى عن أبى
صالح عن ابن عباس فان انضم إلى ذلك رواية محمد بن مروان السدى الصغير فهى سلسلة الكذب
وكثيرا ما يخرج منها الثعلبى والواحدى لكن قال ابن عدى فى الكامل للكلبى أحاديث صالحة
وخاصة عن أبى صالح وهو معروف بالتفسير وليس لأحد تفسير أطول منه ولا أشبع وبعده
مقاتل بن سليمان إلا أن الكلبى يفضل عليه لما فى مقاتل من المذاهب الردية وطريق الضحاك بن
مزاحم عن ابن عباس منقطعة فان الضحاك لم يلقه فان انضم إلى ذلك رواية بشر بن عمارة عن أبى
روق عنه فضعيفة لضعف بشر وقد أخرج من هذه النسخة كثيرا ابن جرير وابن أبى حاتم وإن كان
من رواية جويبر عن الضحاك فأشد ضعفا لأن جويبرا شديد الضعف متروك ولم يخرج ابن جرير
ولا ابن أبى حاتم من هذا الطريق شيئا إنما أخرجها ابن مردويه وأبو الشيخ ابن حبان وطريق العوفى
عن ابن عباس أخرج منها ابن جرير وابن أبى حاتم كثيرا والعوفى ضعيف ليس بواه وربما حسن له
الترمذى ورأيت عن فضائل الامام الشافعى لأبى عبد الله محمد بن أحمد بن شاكر القطان أنه أخرج
بسنده من طريق ابن عبد الحكم قال سمعت الشافعى يقول لم يثبت عن ابن عباس فى التفسير إلا
شبيه بمائة حديث (وأما) أبى بن كعب فعنه نسخة كبيرة يرويها أبو جعفر الرازى عن الربيع
ابن أنس عن أبى العالية عنه وهذا اسناد صحيح وقد أخرج ابن جرير وابن أبى حاتم منها كثيرا
وكذا الحاكم فى مستدركه وأحمد فى مسنده وقد ورد عن جماعة من الصحابة غير هؤلاء اليسير
من التفسير كأنس وأبى هريرة وابن عمر وجابر وأبو موسى الأشعرى وورد عن عبد الله بن عمرو بن
العاصى أشياء تتعلق بالقصص وأخبار الفتن والآخرة وما شبهها بأن يكون ما تحمله عن أهل

فيه فطنوا له واختاروه
وطلبوا أنواع الأوزان
والقوافى ثم وقعوا على
حسن ذلك وقدروا عليه
بتوفيق الله عز وجل
وهو الذى جمع خواطرهم
عليه وهداهم وبدأ
دواعيهم اليه ولكنه
أقدرهم على حد محدود
وغاية فى العرف مضروبة
لعلمه بأنه سيجعل القرآن
معجزا ودل على عظم
شأنه بأنهم قدروا على ما
بينا من التأليف وعلى
ما وصفنا من النظم من
غير توقيف ولا اقتضاء
أثر ولا تحدى اليه ولا
تقريع فلو كان هذا من
ذلك القبيل أو من
الجنس الذى عرفوه
والفوه لم تزل أطماعهم
عنه ولم يدهشوا عند
وروده عليهم فكيف
وقد أمهلهم وفسح لهم
فى الوقت وكان يدعو
اليه سنين كثيرة وقال عز
من قائل (أو لم نعمركم
ما يتذكر فيه من تذكر
وجاءكم النذير) وبظهور
العجز عنه بعد طول
التقريع والتحدى بان
أنه خارج عن عاداتهم
وأنهم لا يقدرون عليه
وقد ذكرنا أن العرب
كانت تعرف ما يباين
عاداتهم من الكلام
البليغ لأن ذلك طبعهم
ولغتهم فلم يحتاجوا إلى

الكتاب كالذى ورد عنه فى قوله تعالى فى ظل من الغمام وكتابنا الذى اشرنا اليه جامع لجميع ماورد عن الصحابة من ذلك (طبقة التابعين) قال ابن تيمية أعلم الناس بالتفسير أهل مكة لأنهم أصحاب ابن عباس كمجاهد وعطاء بن أبى رباح وعكرمة مولى ابن عباس وسعيد بن جبير وطاوس وغيرهم وكذلك فى الكوفة أصحاب ابن مسعود وعلماء أهل المدينة فى التفسير مثل زيد بن أسلم الذى أخذ عنه ابنه عبد الرحمن بن زيد ومالك بن أنس اه فمن المبرزين منهم مجاهد قال الفضل ابن ميمون سمعت مجاهدا يقول عرضت القرآن على ابن عباس ثلاثين مرة وعنه أيضا قال عرضت المصحف على ابن عباس ثلاث عرضات أقف عند كل آية منه وأسأله عنها فيما نزلت وكيف كانت وقال خصيف كان أعلمهم بالتفسير مجاهد (وقال) النووى إذا جاءك التفسير عن مجاهد فحسبك به قال ابن تيمية ولهذا يعتمد على تفسيره الشافعى والبخارى وغيرهما من أهل العلم. قلت وغالب ماأورده الفريابى فى تفسيره عنه وماأورده فيه عن ابن عباس أو غيره قليل جدا ومنهم سعيد بن جبير قال سفيان الثورى خذوا التفسير عن أربعة عن سعيد بن جبير ومجاهد وعكرمة والضحاك وقال قتادة كان أعلم التابعين أربعة كان عطاء بن أبى رباح أعلمهم بالمناسك وكان سعيد بن جبير أعلمهم بالتفسير وكان عكرمة أعلمهم بالسير وكان الحسن أعلمهم بالحلال والحرام ومنهم عكرمة مولى ابن عباس قال الشعبى ما بقى أحد أعلم بكتاب الله من عكرمة وقال سماك بن حرب سمعت عكرمة يقول لقد فسرت ما بين اللوحين وقال عكرمة كان ابن عباس يجعل فى رجلى الكبل ويعلمنى القرآن والسنن (وأخرج) ابن أبى حاتم عن سماك قال قال عكرمة كل شىء أحدثكم فى القرآن فهو عن ابن عباس ومنهم الحسن البصرى وعطاء بن أبى رباح وعطاء بن أبى سلمة الخرسانى ومحمد بن كعب القرظى وأبو العالية والضحاك بن مزاحم وعطية العوفى وقتادة وزيد بن أسلم ومرة الهمدانى وأبو مالك ويليهم الربيع بن أنس وعبد الرحمن بن زيد بن أسلم فى آخرين فهؤلاء قدماء المفسرين وغالب أقوالهم تلقوها عن الصحابة ثم بعد هذه الطبقة ألفت تفاسير تجمع أقوال الصحابة والتابعين كتفسير سفيان بن عيينة ووكيع بن الجراح وشعبة بن الحجاج ويزيد بن هرون وعبد الرزاق وآدم بن أبى إياس وإسحق بن راهويه وروح بن عبادة وعبد بن حميد وسعيد وأبى بكر بن أبى شيبة وآخرين (وبعدهم) ابن جرير الطبرى وكتابه أجل التفاسير وأعظمها ثم ابن أبى حاتم وابن ماجه والحاكم وابن مردويه وأبو الشيخ ابن حبان وابن المنذر فى آخرين وكلها مسندة إلى الصحابة والتابعين وأتباعهم وليس فيها غير ذلك إلا ابن جرير فانه يتعرض لتوجيه الأقوال وترجيح بعضها على بعض والاعراب والاستنباط فهو يفوقها بذلك ثم ألف فى التفسير خلائق فاختصروا الأسانيد ونقلوا الأقوال تترى فدخل من هنا الدخيل والتبس الصحيح بالعليل ثم صار كل من ينسح له قول يورده ومن يخطر بباله شىء يعتمده ثم ينقل ذلك عنه من يجىء بعده ظانا أن له أصلا ملتفت غير إلى تحرير ماورد عن السلف الصالح ومن يرجع اليهم فى التفسير حتى رأيت من حكى فى تفسير قوله تعالى غير المغضوب عليهم ولا الضالين نحو عشرة أقوال وتفسيرها باليهود والنصارى هو الوارد عن النبى ﷺ وجميع الصحابة والتابعين واتباعهم حتى قال ابن أبى حاتم لا أعلم فى ذلك اختلافا بين المفسرين ثم صنف بعد ذلك قوم برعوا فى علوم فكان كل منهم يقتصر فى تفسيره على الفن الذى يغلب عليه فالنحوى تراه ليس له هم إلا الاعراب وتكثير الأوجه المحتملة فيه ونقل قواعد النحو ومسائله وفروعه وخلافياته كالزجاج والواحدى فى البسيط وأبى حيان فى البحر والنهر والاخبارى ليس له شغل إلا القصص واستيفاؤها

تجربة عند سماع القرآن وهذا فى البلغاء منهم دون المتأخرين فى الصنعة والذى ذكرناه بذلك على أنه لا كلام ازيد فى قدر البلاغة من القرآن وكل من جوز يكون للبشر قدرة على أن يأتوا بمثله فى البلاغة لم يمكنه أن يعرف أن القرآن معجز بحال ولو لم يكن جرى فى المعلوم أنه سيجعل القرآن معجزا لكان يجوز أن تجرى عادات الأولين وأخبار المرسلين وكذلك لا يوجد خلف فيما يتضمنه من الأخبار عن الغيوب وعن الحوادث التى أنبأ أنها تقع فى الثانى فلا يخرج من أن يكون متأولا على ما يقتضيه نظام الخطاب من أنه لا يأتيه ما يبطله من شبهة سابقة تقدح فى معجزته أو تعارضه فى طريقه وكذلك لا يأتيه من بعده قط أمر يشكك فى وجه دلالته وإعجازه وهذا أشبه بسياق الكلام ونظامه ثم قال (ولو جعلناه قرآنا أعجميا لقالوا لولا فصلت آياته أأعجمى وعربى) فأخبر أنه لو كان اعجميا لكانوا محتاجون رده إما بأن ذلك خارج عن عرف خطابهم وكانوا يعتذرون بذهابهم عن

والاخبار عمن سلف سواء كانت صحيحة أو باطلة كالثعلبي والفقيه يكاد يسرد فيه الفقه من باب الطهارة إلى أمهات الاولاد وربما استطرد الى اقامة ادلة الفروع الفقهية التي لا تعلق لها بالآية والجواب عن أدلة المخالفين كالقرطبي وصاحب العلوم العقلية خصوصا الامام فخر الدين قد ملأ تفسيره بأقوال الحكماء والفلاسفة وشبهها وخرج من شيء الى شيء حتى يقضي الناظر العجب من عدم مطابقة المورد للاية قال أبو حيان في البحر جمع الامام الرازي في تفسيره أشياء كثيرة طويلة لا حاجة بها في علم التفسير ولذلك قال بعض العلماء فيه كل شيء الا التفسير والمبتدع ليس له قصد الا تحريف الآيات وتسويتها على مذهبه الفاسد بحيث أنه متى لاح له شاردة من بعيد اقتنصها أو وجد موضعا له فيه أدنى مجال سارع اليه قال البلقيني استخرجت من الكشاف اعتزالا بالمناقيش من قوله تعالى في تفسير (فمن زحزح عن النار وأدخل الجنة فقد فاز) وأي فوز أعظم من دخول الجنة أشار به الى عدم الرؤية (والملحد) فلا تسأل عن كفره والحاده في آيات الله وافترائه على الله ما لم يقله كقول بعضهم في أن هي الا فتنتك ما على العباد أضر من ربهم وكقوله في سحرة موسى ما قال وقول الرافضة يأمركم أن تذبحوا بقرة ما قالوا وعلى هذا وأمثاله يحمل ما أخرجه أبو يعلى وغيره عن حذيفة أن النبي ﷺ قال إن في امتي قوما يقرءون القرآن ينثرونه نثر الدقل يتأولونه على غير تأويله (فان قلت) فأي التفاسير ترشد اليه وتأمر الناظر ان يعول عليه (قلت) تفسير الامام أبي جعفر بن جرير الطبري الذي أجمع العلماء المعتبرون على أنه لم يؤلف في التفسير مثله قال النووي في تهذيبه كتاب ابن جرير في التفسير لم يصنف أحد مثله وقد شرعت في تفسير جامع لجميع ما يحتاج اليه من التفاسير المنقولة والاقوال المقوله والاستنباطات والاشارات والاعاريب واللغات ونكت البلاغة ومحاسن البدائع وغير ذلك بحيث لا يحتاج معه الى غيره أصلا وسميته بمجمع البحرين ومطالع البدرين وهو الذي جعلت هذا الكتاب مقدمة له والله أسأل ان يعين على اكماله بمحمد وآله واذ قد انتهى بنا القول فيما أردناه من هذا الكتاب فلنختمه بما ورد عن النبي ﷺ من التفاسير المصرح برفعها اليه غير ما ورد من أسباب النزول لتستفاد فانها من المهمات (الفاتحة) اخرج أحمد والترمذي وحسنه وابن حبان في صحيحه عن عدي بن حبان قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم إن المغضوب عليهم هم اليهود وان الضالين النصارى (واخرج) ابن مردويه عن أبي ذر سألت النبي صلى الله عليه وسلم عن المغضوب عليهم قال اليهود قلت الضالين قال النصارى (البقرة) اخرج ابن مردويه في مستدركه وصححه من طريق أبي نضرة عن أبي سعيد الخدري عن النبي صلى الله عليه وسلم في قوله ولهم فيها ازواج مطهرة قال من الحيض والغائط والنخامة والبزاق قال ابن كثير في تفسيره في اسناده الربعي قال فيه ابن حبان لا يجوز الاحتجاج به قلت في تصحيح الحاكم له نظر ثم رأيته في تاريخه قال انه حديث حسن (واخرج) ابن جرير بسند رجاله ثقات عن عمرو بن قيس الملائي عن رجل من بني امية من اهل الشام احسن عليه الثناء قال قيل يارسول الله ما العدل قال العدل الفدية مرسل جيد عضده اسناد متصل عن ابن عباس موقوفا (واخرج) الشيخان عن ابي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال قيل لبني اسرائيل ادخلوا الباب سجدا وقولوا حطة فدخلوا يزحفون على استاههم وقالوا حبة في شعرة فيه تفسير قوله قولا غير الذي قيل لهم (واخرج) الترمذي وغيره بسند حسن عن أبي سعيد الخدري عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ويل واد في جهنم يهوى فيه الكافر أربعين خريفا قبل أن يبلغ قعره (واخرج) أحمد بهذا السند عن أبي سعيد عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال كل حرف من القرآن يذكر فيه القنوت فهو الطاعة (وأخرج) الخطيب في الرواية بسند فيه مجاهيل عن مالك عن نافع عن ابن

معرفة معناه وبانهم لا يتبين لهم وجه الاعجاز فيه لانه ليس من شأنهم ولا من لسانهم أو بغير ذلك من الامور وأنه اذا تحداهم الى ما هو من لسانهم وشأنهم فعجزوا عنه وجبت الحجة عليهم به على ما نبينه في وجه هذا الفصل إلى أن قال (قل أرأيتم إن كان من عند الله ثم كفرتم به من أضل ممن هو في شقاق بعيد) والذي ذكرنا من نظم هاتين السورتين ينبه على غيرهما من السور فكرهنا سرد القول فيها فليتأمل المتأمل ما دللناه عليه يجده كذلك ثم مما يدل على هذا قوله عز وجل (وقالوا لولا أنزل عليه آية من ربه قل انما الآيات عند الله وانما أنا نذير مبين أو لم يكفهم أنا أنزلنا عليك الكتاب يتلى عليهم) فأخبر أن الكتاب آية من آياته وعلم من اعلامه وان ذلك يكفي في الدلالة ويقوم مقام معجزات غيره وآيات سواه من الانبياء صلوات الله عليهم ويدل عليه قوله عز وجل (تبارك الذي نزل الفرقان على عبده ليكون للعالمين نذيرا) وقوله (أم يقولون افترى على الله كذبا فان يشأ الله يختم على قلبك ويمحو الله الباطل

عمر عن النبي ﷺ في قوله (يتلونه حق تلاوته) قال يتبعونه حق اتباعه (وأخرج) ابن
مردويه بسند ضعيف عن علي بن أبي طالب عن النبي صلى الله عليه وسلم في قوله (لاينال عهدي الظالمين)
قال لاطاعة الا في المعروف له شاهد أخرجه ابن أبي حاتم عن ابن عباس موقوفا بلفظ ليس لظالم عليك
عهد أن تطيعه في معصية الله (وأخرج) احمد والترمذي والحاكم وصححاه عن أبي سعيد الخدري عن
النبي صلى الله عليه وسلم في قوله وكذلك جعلناكم أمة وسطا قال عدلا (وأخرج) الشيخان وغيرهما
عن أبي سعيد الخدري عن النبي صلى الله عليه وسلم قال يدعى نوح يوم القيامة فيقال له هل بلغت
فيقول نعم فيدعى قومه فيقال لهم هل بلغكم فيقولون ما أتانا من نذير وما اتانا من أحد فيقال لنوح
من يشهد لك فيقول محمد وأمته قال فذلك قوله تعالى وكذلك جعلناكم أمة وسطا قال والوسط العدل
فتدعون فتشهدون له بالبلاغة ويشهد عليكم وقوله والوسط العدل مرفوع غير مدرج نبه عليه ابن حجر
في شرح البخاري (وأخرج) أبو الشيخ والديلمي في مسند الفردوس من طريق جويبر عن الضحاك
عن ابن عباس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم في قوله فاذكروني أذكركم يقول اذكروني
يامعشر العباد بطاعتي أذكركم بمغفرتي (وأخرج) الطبراني عن أبي امامة قال انقطع قبال النبي صلى
الله عليه وسلم فاسترجع فقالوا مصيبة يا رسول الله فقال ما أصاب المؤمن مما يكره فهو مصيبة له
شواهد كثيرة (وأخرج) ابن ماجه وابن أبي حاتم عن البراء بن عازب قال كنا في جنازة مع النبي صلى
الله عليه وسلم فقال ان الكافر يضرب ضربة بين عينيه فيسمعها كل دابة غير الثقلين فتلعنه كل دابة
سمعت صوته فذلك قول الله ويلعنهم اللاعنون يعني دواب الأرض (وأخرج) الطبراني عن أبي
امامة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم في الحج أشهر معلومات قال شوال وذو القعدة وذو الحجة
(وأخرج) الطبراني بسند لا بأس به عن ابن عباس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم في قوله فلا
رفث ولا فسوق ولا جدال في الحج قال الرفث التعرض للنساء بالجماع والفسوق المعاصي والجدال
جدال الرجل صاحبه (أخرج) أبو داود عن عطاء أنه سئل عن اللغو في اليمين فقال قالت عائشة إن رسول
الله صلى الله عليه وسلم قال هو كلام الرجل في بيته كلا والله وبلى والله أخرجه البخاري موقوفا عليها
(وأخرج) احمد وغيره عن أبي رزين الاسدي قال قال رجل يارسول الله أرأيت قول الله الطلاق مرتان
فأين الثالثة قال التسريح باحسان الثالثة وأخرج ابن مردويه عن أنس قال جاء رجل إلى النبي صلى
الله عليه وسلم فقال يارسول الله ذكر الله الطلاق مرتين فأين الثالثة قال امساك بمعروف أو تسريح باحسان
(وأخرج) الطبراني بسند لا بأس به من طريق أبي لهيعة عن عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده عن النبي
صلى الله عليه وسلم قال الذي بيده عقدة النكاح الزوج (وأخرج) الترمذي وابن حبان في صحيحه عن
ابن مسعود قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم صلاة الوسطى صلاة العصر «وأخرج» احمد والترمذي
وصححه عن سمرة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال الصلاة الوسطى صلاة العصر «وأخرج» ابن جرير
عن أبي هريرة قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الصلاة الوسطى صلاة العصر «وأخرج» أيضا عن
أبي مالك الأشعري قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الصلاة الوسطى صلاة العصر وله طرق أخرى
وشواهد «وأخرج» الطبراني عن علي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال السكينة ريح خجوج
«وأخرج» ابن مردويه من طريق جويبر عن الضحاك عن ابن عباس مرفوعا في قوله يؤتي الحكمة من
يشاء «قال القرآن قال ابن عباس يعني تفسيره فانه قد قرأه البر والفاجر «وآل عمران» اخرج احمد وغيره عن
أبي امامة عن النبي صلى الله عليه وسلم في قوله تعالى «فأما الذين في قلوبهم زيغ فيتبعون ما تشابه منه»
قال هم الخوارج وفي قوله تعالى يوم تبيض وجوه وتسود وجوه قال هم الخوارج «وأخرج» الطبراني

ويحق الحق بكلماته) فدل
على أنه جعل قلبه مستودعا
لوحيه ومستنزلا لكتابه
انه لو شاء صرف ذلك إلى
غيره وكان له حكم دلالته
على تحقيق الحق وابطال
الباطل مع صرفه عنه
ولذلك اشياء كثيرة تدل
نحو الدلالة التي وصفناها
فبان بهذا وبنظائره ما قلنا
من ان نبأ نبوته صلى الله
عليه وسلم على دلالة القرآن
ومعجزته وصار له من الحكم
في دلالته على نفسه
وصدقه انه يمكن ان يعلم
انه كلام الله تعالى وفارق
حكمه حكم غيره من الكتب
المنزلة على الانبياء لانها
لا تدل على انفسها الا بامر
زائد ووصف منضاف
اليها لان نظمها ليس معجز
وان كان ما يتضمنه من
الاخبار عن الغائبات
والغيوب معجز وليس
كذلك القرآن لانه
يشاركها في هذه الدلالة
ويزيد عليها في ان نظمه
معجز فيمكن ان يستدل به
عليه وحل في هذا من وجه
محل سماع الكلام من
القديم سبحانه لان موسى
عليه السلام لما سمع
كلامه علم أنه في الحقيقة
كلامه وكذلك من يسمع
القرآن يعلم انه كلام

وغيره عن أبي الدرداء ان رسول الله ﷺ سئل عن الراسخين في العلم فقال من برت يمينه وصدق لسانه واستقام قلبه وعف بطنه وفرجه فذلك من الراسخين في العلم (واخرج) الحاكم وصححه عن أنس قال سئل رسول الله ﷺ عن قول الله والقناطير المقنطرة قال القنطار الف أوقية (واخرج) أحمد وابن ماجه عن أبي هريرة قال قال رسول الله ﷺ القنطار اثناعشر الف أوقيه (وأخرج) الطبراني بسند ضعيف عن ابن عباس عن النبي ﷺ في قوله وله أسلم من في السموات والأرض طوعا وكرها قال أما من في السموات فالملائكة واما من في الأرض فمن ولد على الاسلام واما كرها فمن أتى به من سبايا الامم في السلاسل والاغلال يقادون إلى الجنة وهم كارهون (وأخرج) الحاكم وصححه عن انس ان رسول الله ﷺ سئل عن قول الله تعالى من استطاع اليه سبيلا ما السبيل قال الزاد والراحلة (واخرج) الترمذي مثله من حديث ابن عمر وحسنه (وأخرج) عبد ابن حميد في تفسيره عن نفيع قال قال رسول الله ﷺ ولله على الناس حج البيت من استطاع اليه سبيلا ومن كفر فان الله غني عن العالمين فقام رجل من هذيل فقال يارسول الله من تركه فقد كفر قال من تركه لايخاف عقوبته ولا يرجو ثوابه نفيع تابعي والاسناد مرسل وله شاهد موقوف على ابن عباس (وأخرج) الحاكم وصححه عن ابن مسعود قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم في قوله اتقوا الله حق تقاته أن يطاع فلا يعصى ويذكر فلا ينسى (وأخرج) ابن مردوية عن أبي جعفر الباقر قال قرأ رسول الله صلى الله عليه وسلم ولتكن منكم أمة يدعون إلى الخير ثم قال الخير اتباع القرآن وسنتي معضل (وأخرج) الديلمي في مسند الفردوس بسند ضعيف عن ابن عمر عن النبي صلى الله عليه وسلم في قوله (يوم تبيض وجوه وتسود وجوه) قال تبيض وجوه أهل السنة وتسود وجوه أهل البدع (وأخرج) الطبراني وابن مردويه بسند ضعيف عن ابن عباس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم في قوله مسومين قال معلمين وكانت سيما الملائكة يوم بدر عمائم سواد او يوم أحد عمائم حمرا (وأخرج) البخاري عن أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من آتاه الله مالا فلم يؤدي زكاته مثل له شجاع أقرع له زبيبتان يطوقه يوم القيامة فيأخذ بلهزمتيه يعني شدقيه يقول أنا مالك انا كنزك ثم تلا هذه الآية ولا يحسبن الذين يبخلون بما آتاهم الله من فضله الآية (النساء) (أخرج) ابن أبي حاتم وابن حبان في صحيحه عن عائشة عن النبي صلى الله عليه وسلم في قوله ذلك ادنى أن لا تعولوا قال ان لا تجوروا قال بن أبي حاتم قال أبي هذا حديث خطأ والصحيح عن عائشة موقوف (وأخرج) الطبراني بسند ضعيف عن ابن عمر قال قرئ عند عمر (كلما نضجت جلودهم بدلناهم جلودا غيرها) فقال معاذ عندي تفسيرها تبدل في ساعة مائة مرة فقال عمر هكذا سمعت من رسول الله صلى الله عليه وسلم (وأخرج) الطبراني بسند ضعيف عن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم في قوله (ومن يقتل مؤمنا متعمدا فجزاؤه جهنم) قال ان جازاه (وأخرج) الطبراني وغيره بسند ضعيف عن ابن مسعود قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم في قوله (فيوفيهم أجورهم ويزيدهم من فضله) الشفاعة فيمن وجبت له النار ممن صنع اليهم المعروف في الدنيا (وأخرج) أبوداود في المراسيل عن أبي سلمة بن عبد الرحمن قال جاء رجل إلى النبي صلى الله عليه وسلم يسأله فسأله عن الكلالة فقال أما سمعت الآية التي أنزلت في الصيف (يستفتونك قل الله يفتيكم في الكلالة) فمن لايترك ولدا ولا والدا فورثته كلالة مرسل (وأخرج) أبو الشيخ في كتاب الفرائض عن البراء سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الكلالة فقال ما خلا الولد والوالد (المائدة) أخرج ابن أبي حاتم عن أبي سعيد الخدري عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال كانت بنو اسرائيل إذا كان لاحدهم خادم ودابة وامرأة كتب ملكا وشاهد من مرسل

الله وان اختلف الحال في ذلك البشر بقدر زائد على ما ألفوه من البلاغة وأمر يفوق ما عرفوه من الفصاحة وأما نظم القرآن فقد قال أصحابنا فيه ان الله تعالى يقدر على نظم القرآن الرتبة التي لامزيد عليها فقد قال مخالفونا ان هذا غير ممتنع لان فيه من الكلمات الشريفة الجامعة للمعاني البديعة وانضاف إلى ذلك حسن الموقع فيجب أن يكون قد بلغ النهاية لانه عندهم وان زاد على ما في العادة فان الزائد عليها وان تفاوت فلابد من ان ينتهي إلى حد لامزيد عليه والذي نقول انه لايمتنع ان يقال انه يقدر الله تعالى على ان يأتي بنظم ابلغ وابدع من القرآن كله وأما قدرة العباد فهي متناهية في كل ما يقدرون عليه مما تصح قدرتهم عليه

* فصل في كلام النبي صلى الله عليه وسلم وأمور تتصل بالاعجاز) ان قال قائل إذا كان النبي صلى الله عليه وسلم افصح العرب وقد قال هذا في حديث مشهور وهو صادق في قوله فهلا قلتم ان القرآن من نظمه لقدرته في الفصاحة على

زيد بن أسلم عند ابن جرير (وأخرج) الحاكم وصححه عن عياض الاشعري قال لما نزلت فسوف يأتي الله بقوم يحبونهم ويحبونه قال رسول الله ﷺ لأبي موسى هم قوم هذا (وأخرج) الطبراني عن عائشة عن رسول الله ﷺ في قوله أو كسوتهم قال عباءة لكل مسكين (وأخرج) الترمذي وصححه عن أبي أمية السفياني قال أتيت أبا ثعلبة الخشني فقلت له كيف تصنع في هذه الآية قال أية آية قلت قوله تعالى (يا أيها الذين آمنوا عليكم أنفسكم لا يضركم من ضل إذا اهتديتم) قال أما والله لقد سألت عنها خبيرا سألت عنها رسول الله ﷺ قال بل ائتمروا بالمعروف وتناهوا عن المنكر حتى إذا رأيت شحا مطاعا وهوى متبعا ودنيا مؤثرة واعجاب كل ذي رأي برأيه فعليك بخاصة نفسك ودع العوام (وأخرج) أحمد والطبراني وغيرهما عن أبي عامر الاشعري قال سألت رسول الله ﷺ عن هذه الآية فقال لا يضركم من ضل من الكفار إذا اهتديتم (الانعام) أخرج ابن مردويه وأبو الشيخ من طريق نهشل عن الضحاك عن ابن عباس قال قال رسول الله ﷺ مع كل انسان ملك إذا نام يأخذ نفسه فان أذن الله في قبض روحه قبضه والا رده اليه فذلك قوله يتوفاكم بالليل نهشل كذاب (وأخرج) أحمد والشيخان وغيرهم عن ابن مسعود قال لما نزلت هذه الآية (الذين آمنوا ولم يلبسوا ايمانهم بظلم) شق ذلك على الناس فقالوا يا رسول الله وأينا لا يظلم نفسه قال انه ليس الذي تعنون ألم تسمعوا ما قال العبد الصالح ان الشرك لظلم عظيم انما هو الشرك (وأخرج) ابن أبي حاتم وغيره بسند ضعيف عن أبي سعيد الخدري عن رسول الله ﷺ في قوله تعالى (لا تدركه الأبصار) قال لو أن الجن والإنس والشياطين والملائكة منذ خلقوا إلى ان فنوا صفا واحدا ما أحاطوا بالله أبدا (وأخرج) الفريابي وغيره من طريق عمرو بن مرة عن أبي جعفر قال سئل النبي ﷺ عن هذه الآية (فمن يرد الله أن يهديه يشرح صدره للاسلام) قالوا كيف يشرح صدره قال نور يقذف به فينشرح له وينفسح قالوا فهل لذلك من أمارة يعرف بها قال الانابة إلى دار الخلود والتجافي عن دار الغرور والاستعداد للموت قبل لقاء الموت مرسل له شواهد كثيرة متصلة ومرسلة يرتقي بها إلى درجة الصحة أو الحسن (وأخرج) ابن مردويه والنحاس في ناسخه عن أبي سعيد الخدري عن النبي صلى الله عليه وسلم في قوله (وآتوا حقه يوم حصاده) قال ما سقط من السنبل (وأخرج) ابن مردويه بسند ضعيف من مرسل سعيد بن المسيب قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم (أوفوا الكيل والميزان بالقسط لا نكلف نفسا إلا وسعها) فقال من أوفى على يده في الكيل والميزان والله يعلم صحة نيته بالوفاء فيهما لم يؤاخذ وذلك تأويل وسعها (وأخرج) أحمد والترمذي عن أبي سعيد عن النبي صلى الله عليه وسلم (يوم يأتي بعض آيات ربك لا ينفع نفسا ايمانها) قال يوم طلوع الشمس من مغربها له طرق كثيرة في الصحيحين وغيرهما من حديث أبي هريرة وغيره (وأخرج) الطبراني وغيره بسند جيد عن عمر بن الخطاب أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لعائشة (ان الذين فرقوا دينهم وكانوا شيعا) هم أصحاب البدع وأصحاب الاهواء (وأخرج) الطبراني بسند صحيح عن أبي هريرة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ان الذين فرقوا دينهم وكانوا شيعا هم أهل البدع والاهواء في هذه الأمة (الاعراف) اخرج ابن مردويه وغيره بسند ضعيف عن أنس عن النبي صلى الله عليه وسلم في قوله (خذوا زينتكم عند كل مسجد) قال صلوا في نعالكم له شاهد من حديث أبي هريرة عند أبي الشيخ (وأخرج) أحمد وأبو داود والحاكم وغيرهم عن البراء بن عازب أن رسول الله صلى الله عليه وسلم ذكر العبد الكافر إذا قبضت روحه قال فيصعدون بها فلا يمرون على ملأ من الملائكة إلا قالوا ما هذا الروح الخبيث حتى ينتهى بها إلى السماء الدنيا فيستفتح فلا يفتح له ثم قرأ رسول الله صلى الله عليه وسلم لا تفتح لهم أبواب السماء) فيقول الله اكتبوا كتابه في سجين في

الأرض

مقدار لا يبلغه غيره قيل قد علمنا أنه لم يتحدهم إلى مثل قوله وفصاحته والقدر الذي بينه وبين كلام غيره من الفصحاء كقدر ما بين شعر الشاعرين وكلام الخطيبين في الفصاحة وذلك مما لا يقع به الاعجاز وقد بينا قبل هذا أنا إذا وازنا بين خطبه ورسائله وكلامه المنثور وبين نظم القرآن تبين من بينهما مثل ما بين كلام الله عز وجل وكلام الناس. ولا معنى لقوله من ادعى ان كلام النبي صلى الله عليه وسلم معجز وان كان دون القرآن في الاعجاز فان قيل لولا ان كلامه معجز لم يشتبه على ابن مسعود الفصل بين المعوذتين وبين غيرهما من القرآن وكذلك لم يشتبه دعاء القنوت في أنه هل هو من القرآن أم لا ولا يجوز ان يخفى عليهم القرآن من غيره وعدد السور عندهم محفوظ مضبوط وقد يجوز ان يكون شذ عن مصحفه لا لانه نفاه من القرآن بل عول على حفظ الكل اياه على ان الذي يروونه خبر واحد لا يسكن اليه في مثل هذا ولا يعمل عليه ويجوز أن يكتب على ظهر مصحفه دعاء

الارض السفلى فتطرح روحه طرحا ثم قرأ رسول الله ﷺ (ومن يشرك بالله فكأنما خر من السماء فتخطفه الطير أو تهوى به الريح فى مكان سحيق) (وأخرج) ابن مردويه عن جابر بن عبد الله قال سئل رسول الله ﷺ عمن استوت حسناته وسيئاته فقال أولئك أصحاب الاعراف له شواهد (وأخرج) الطبرانى والبيهقى وسعيد بن منصور وغيرهم عن عبد الرحمن المزنى قال سئل رسول الله ﷺ عن أصحاب الاعراف فقال هم أناس قتلوا فى سبيل الله بمعصية آبائهم فمنعهم من دخول الجنة معصية آبائهم ومنعهم من النار قتلهم فى سبيل الله له شاهد من حديث ابى هريرة عند البيهقى ومن حديث أبى سعيد عند الطبرانى (وأخرج) البيهقى بسند ضعيف عن أنس مرفوعا انهم مؤمنو الجن (وأخرج) ابن جرير عن عائشة قالت قال رسول الله ﷺ الطوفان الموت (وأخرج) أحمد والترمذى والحاكم وصححاه عن أنس أن النبى ﷺ قرأ (فلما تجلى ربه للجبل جعله دكا) قال هكذا وأشار بطرف ابهامه على أنملة أصبعه اليمنى فساخ الجبل وخر موسى صعقا وأخرجه أبو الشيخ بلفظ وأشار بالخنصر فمن نوره جعله دكا (وأخرج) أبو الشيخ من طريق جعفر بن محمد عن أبيه عن جده عن النبى ﷺ قال الألواح التى أنزلت على موسى كانت من سدر الجنة كان طول اللوح اثنا عشر ذراعا (وأخرج) أحمد والنسائى والحاكم وصححه عن ابن عباس عن النبى صلى الله عليه وسلم قال ان الله أخذ الميثاق من ظهر آدم بنعمان يوم عرفة فاخرج من صلبه كل ذرية ذرأها فنثرها بين يديه ثم كلمهم فقال ألست بربكم قالوا بلى (وأخرج) ابن جرير بسند ضعيف عن ابن عمر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم فى هذه الآية أخذ من ظهره كما يؤخذ بالمشط من الرأس فقال لهم ألست بربكم قالوا بلى قالت الملائكة شهدنا (وأخرج) أحمد والترمذى وحسنه والحاكم وصححه عن سمرة عن النبى ﷺ قال لما ولدت حواء طاف بها ابليس وكان لا يعيش لها ولد فقال سميه عبد الحارث فانه يعيش فسمته عبد الحارث فعاش فكان ذلك وحى الشيطان وأمره (وأخرج) ابن أبى حاتم وأبو الشيخ عن الشعبى قال لما انزل الله خذ العفو الآية قال رسول الله صلى عليه وسلم ماهذا ياجبريل قال لاأدرى حتى أسأل العالم فذهب ثم رجع قال ان الله يأمرك أن تعفو عمن ظلمك وتعطى من حرمك وتصل من قطعك مرسل (الانفال) أخرج أبو الشيخ عن ابن عباس عن رسول الله صلى الله عليه وسلم فى قوله (واذكروا إذ أنتم قليل مستضعفون فى الأرض تخافون ان يتخطفكم الناس) قيل يارسول الله ومن الناس قال أهل فارس (وأخرج) الترمذى وضعفه عن أبى موسى قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم انزل الله على أمانين لامتى (وما كان الله ليعذبهم وأنت فيهم وما كان الله معذبهم وهم يستغفرون) فاذا مضيت تركت فيهم الاستغفار إلى يوم القيامة (وأخرج) مسلم وغيره عن عقبة بن عامر قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول وهو على المنبر (واعدوا لهم ما استطعتم من قوة) الا وان القوة الرمى فمعناه والله أعلم ان معظم القوة وانكاها للعدو الرمى (وأخرج) أبو الشيخ من طريق أبى المهدى عن أبيه عمن حدثه عن النبى صلى الله علية وسلم فى قوله وآخرين من دونهم لا تعلمونهم قال هم الجن (وأخرج) الطبرانى مثله من حديث يزيد بن عبد الله بن غريب عن أبيه عن جده مرفوعا (براءة) أخرج الترمذى عن على قال سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم عن يوم الحج الاكبر فقال يوم النحر وله شاهد عن ابن عمر عند ابن جرير أخرج ابن أبى حاتم عن المسور بن مخرمة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال يوم عرفة هذا يوم الحج الاكبر (وأخرج) أحمد والترمذى وابن حبان والحاكم عن أبى سعيد قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا رأيتم الرجل يعتاد المسجد فاشهدوا له بالايمان قال الله (إنما يعمر مساجد الله من آمن بالله واليوم الآخر) (وأخرج) ابن المبارك فى الزهد والطبرانى والبيهقى

القنوت لئلا ينساه كما يكتب الواحد منا بعض الادعية على ظهر مصحفه وهذا نحو ما يذكره الجهال من اختلاف كثير بين مصحف ابن مسعود وبين مصحف عثمان رحمة الله عليهما ونحن لا ننكر أن يغلط فى حروف معدودة كما يغلط الحافظ فى حروف وينسى وما لا نجيزه على الحفاظ مما لم نجزه عليه ولو كان أنكر السورتين على ما ادعوا لكانت الصحابة تناظره على ذلك وكان يظهر وينتشر فقد تناظروا فى أقل من هذا وهذا أمر يوجب التكفير والتضليل فكيف يجوز أن يقع التخفيف فيه وقد علمنا اجماعهم على ماجمعوه فى المصحف فكيف يقدح بمثل هذه الحكايات الشاذة المولدة بالاجماع المتقرر والاتفاق المعروف ويجوز أن يكون الناقل اشتبه عليه لأنه خالف فى النظم والترتيب فلم يثبتهما فى آخر القرآن والاختلاف بينهم فى موضع الاثبات غير الكلام فى الاصل الاترى أنهم قد اختلفوا فى أول ما نزل القرآن فمنهم من قال قوله اقرأ باسم ربك ومنهم من قال ياأيها المدثر ومنهم من قال فاتحة الكتاب

فى البعث عن عمران بن الحصين وابى هريرة قالا سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن هذه الآية ومساكن طيبة فى جنات عدن قال قصر من لؤلؤة فى ذلك القصر سبعون دارا من ياقوتة حمراء فى كل دار سبعون بيتا من زمردة خضراء فى كل بيت سرير على كل سرير سبعون فراشا من كل لون على كل فراش زوجة من الحور العين فى كل بيت سبعون مائدة على كل مائدة سبعون لونا من الطعام فى كل بيت سبعون وصيفا ووصيفة ويعطى المؤمن فى كل غداة من القوة ما يأتى على ذلك كله أجمع (وأخرج) مسلم وغيره عن أبى سعيد قال اختلف رجلان فى المسجد الذى أسس على التقوى فقال أحدهما هو مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال آخر وهو مسجد قباء فأتيا رسول الله صلى الله عليه وسلم فسألاه عن ذلك فقال هو مسجدى (وأخرج) أحمد مثله من حديث سهل بن سعد وأبى بن كعب (وأخرج) أحمد وابن ماجه وابن خزيمة عن عويم بن ساعدة الانصارى أن النبى ﷺ أتاهم فى مسجد قباء فقال ان الله قد أحسن عليكم الثناء فى الطهور فى قصة مسجدكم فما هذا الطهور قالوا ما نعلم شيئا إلا انا نستنجى بالماء قال هو ذاك فعليكموه (وأخرج) ابن جرير عن أبى هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم السائحون هم الصائمون (يونس) أخرج مسلم عن صهيب أن النبى ﷺ قال فى قوله تعالى (للذين أحسنوا الحسنى وزيادة) الحسنى الجنة والزيادة النظر إلى ربهم وفى الباب عن أبى بن كعب وأبى موسى الأشعرى وكعب بن عجرة وأنس وأبى هريرة (وأخرج) ابن مردويه عن ابن عمر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم للذين أحسنوا قال شهادة أن لا إله إلا الله الحسنى الجنة وزيادة النظر إلى الله تعالى (وأخرج) أبو الشيخ وغيره عن أنس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم فى قوله قل بفضل الله قال القرآن وبرحمته أن جعلكم من أهله (وأخرج) ابن مردويه عن أبى سعيد الخدرى قال جاء رجل إلى النبى صلى الله عليه وسلم انى أشتكى قال اقرأ القرآن يقول الله تعالى (وشفاء لما فى الصدور) له شاهد من حديث واثلة بن الأسقع أخرجه البيهقى فى شعب الايمان (وأخرج) أبو داود وغيره عن عمر بن الخطاب قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان من عباد الله ناسا يغبطهم الأنبياء والشهداء قال من هم يارسول الله قال قوم تحابوا فى الله من غير أموال ولا أنساب لا يفزعون إذا فزع الناس ولا يحزنون إذا حزنوا ثم تلا رسول الله ﷺ (ألا ان أولياء الله لا خوف عليهم ولا هم يحزنون) (وأخرج) ابن مردويه عن أبى هريرة قال سئل النبى ﷺ عن قول الله ألا أن أولياء الله لا خوف عليهم ولا هم يحزنون قال الذين يتحابون فى الله تعالى (وورد) مثله من حديث جابر بن عبد الله أخرجه ابن مردويه (وأخرج) أحمد وسعيد بن منصور والترمذى وغيرهم عن أبى الدرداء أنه سئل عن هذه الآية لهم البشرى فى الحياة الدنيا قال ما سألنى عنها أحد منذ سألت النبى صلى الله عليه وسلم فقال ما سألنى عنها أحد غيرك منذ أنزلت هى الرؤيا الصالحة يراها المسلم أو ترى له فهى بشراه فى الحياة الدنيا وبشراه فى الآخرة والجنة له طرق كثيرة (وأخرج) ابن مردويه عن عائشة عن النبى ﷺ فى قوله (إلا قوم يونس لما آمنوا) قال دعوا (هود) أخرج ابن مردويه بسند ضعيف عن ابن عمر قال تلا رسول الله صلى الله عليه وسلم هذه الآية (ليبلوكم أحسن عملا) فقلت ما معنى ذلك يارسول الله قال أيكم أحسن عقلا وأحسنكم عقلا وأورعكم عن محارم الله تعالى وأعملكم بطاعة الله تعالى (وأخرج) الطبرانى بسند ضعيف عن ابن عباس عن النبى صلى الله عليه وسلم لم أر شيئا أحسن طلبا ولا أسرع إدراكا من حسنة حديثة لسيئة قديمة (إن الحسنات يذهبن السيئات) (وأخرج) أحمد عن أبى ذر قال قلت يارسول الله أوصنى قال إذا عملت سيئة فاتبعها حسنة تمحها قلت يارسول الله أمن الحسنات لا إله إلا الله قال هى أفضل الحسنات وأخرج الطبرانى وأبو الشيخ عن

واختلفوا أيضا فى آخر ما أنزل فقال ابن عباس (إذا جاء نصر الله) وقالت عائشة سورة المائدة وقال البراء ابن عازب آخر ما نزل سورة براءة قال سعيد بن جبير آخر ما أنزل قوله تعالى (واتقوا يوما ترجعون فيه إلى الله) وقال السدى آخر ما أنزل (فان تولوا فقل حسبى الله لا إله إلا هو عليه توكلت) ويجوز أن يكون فى مثل هذا خلاف وان يكون كل واحد ذكر آخر ما سمع ولو كان القرآن من كلامه لكان البون بين كلامه وبينه مثل ما بين خطبة وخطبة ينشئها رجل واحد وكانوا يعارضونه لانا قد علمنا ان القدر الذى بين كلامهم وبين كلام النبى ﷺ لا يخرج إلى حد الاعجاز ولا يتفاوت التفاوت الكثير ولا يخفى كلام من جنس أوزان كلامهم وليس كذلك نظم القرآن لأنه خارج من جميع ذلك فان قيل لو كان غير ما ادعيتم لعرفنا بالضرورة أنه معجز دون غيره قبل معرفة الفصل من وزن الشعر ووزنه والفرق بينه وبين غيره من الأوزان إلى نظر وتأمل وفكر وروية واكتساب

جرير بن عبد الله قال لما نزلت (وما كان ربك ليهلك القرى بظلم وأهلها مصلحون) قال رسول الله صلى الله عليه وسلم وأهلها ينصف بعضهم بعضا (يوسف) اخرج سعيد بن منصور وأبو يعلى والحاكم وصححه والبيهقي في الدلائل عن جابر بن عبد الله قال جاء يهودي إلى النبي ﷺ فقال يا محمد أخبرني عن النجوم التي رآها يوسف ساجدة له ما أسماؤها فلم يجبه بشيء حتى اتاه جبريل فأخبره فأرسل اليه اليهودي فقال هل أنت مؤمن إن أخبرتك بها قال نعم فقال خرثان وطارق والذيال وذو الكتفان وذو الفرع ووثاب وعمودان وقابس والصروح والمصبح والفليق والضياء والنور فقال اليهودي أي والله انها لاسماؤها والشمس والقمر يعني أباه وأمه رآها في أفق السماء ساجدة له فلما قص رؤياه على ابيه قال أرى أمرا متشتتا يجمعه الله (وأخرج ابن مردويه عن أنس عن النبي صلى الله عليه وسلم قال لما قال يوسف ذلك ليعلم أني لم أخنه بالغيب قال له جبريل يا يوسف اذكر همك قال وما ابرئ نفسي (الرعد) أخرج الترمذي وحسنه والحاكم وصححه عن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم في قوله (ونفضل بعضها على بعض في الأكل قال الدقل والفارسي والحلو والحامض (وأخرج) أحمد والترمذي وصححه والنسائي عن ابن عباس قال أقبلت اليهود إلى النبي صلى الله عليه وسلم فقالوا أخبرنا عن الرعد ما هو قال ملك من ملائكة الله موكل بالسحاب بيده مخراق من نار يزجر به السحاب يسوقه حيث أمره الله قالوا فما هذا الصوت الذي نسمع قال صوته (وأخرج) ابن مردويه عن عمرو بن نجاد الأشعري قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الرعد ملك يزجر السحاب والبرق طرف ملك يقال له روفيل (وأخرج) ابن مردويه عن جابر بن عبد الله أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ان ملكا موكل بالسحاب يلم القاصية ويلحم الرابية في يده مخراق فاذا رفع برقت وإذا زجر رعدت وإذا ضرب صعقت (وأخرج) أحمد وابن حبان عن أبي سعيد الخدري عن رسول الله صلى الله عليه وسلم طوبى شجرة في الجنة مسيرة مائة عام (وأخرج) الطبراني بسند ضعيف عن ابن عمر سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول (يمحو الله ما يشاء ويثبت) الا الشقاوة والسعادة والحياة والموت (وأخرج) ابن مردوية عن جابر ابن عبد الله بن وثاب عن النبي صلى الله عليه وسلم في قوله يمحو الله ما يشاء ويثبت قال يمحو من الرزق ويزيد فيه ويمحو من الأجل ويزيد فيه (وأخرج) ابن مردويه عن ابن عباس أن النبي صلى الله عليه وسلم سئل عن قوله يمحو الله ما يشاء ويثبت قال ذلك كل ليلة القدر يرفع ويجبر ويرزق غير الحياة والموت والشقاء والسعادة فان ذلك لا يبدل (وأخرج) ابن مردوية عن علي أنه سأل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن هذه الآية فقال لأقرن عينك بتفسيرها ولأقرن عين أمتي من بعدي بتفسيرها الصدقة على وجهها وبر الوالدين واصطناع المعروف تحول الشقاء سعادة وتزيد العمر (إبراهيم) أخرج ابن مردية عن ابن مسعود قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من أعطى الشكر لم يحرم الزيادة لأن الله تعالى يقول (لئن شكرتم لأزيدنكم) (وأخرج) أحمد والترمذي والنسائي والحاكم وصححه وغيرهم عن أبي امامة عن النبي صلى الله عليه وسلم في قوله (ويسقى من ماء صديد يتجرعه) قال يقرب اليه فيتكرهه فاذا أدنى منه شوى وجهه ووقع فروة رأسه فاذا شربه قطع أمعاءه حتى تخرج من دبره يقول الله تعالى (وسقوا ماء حميما فقطع أمعاءهم) وقال تعالى (وإن يستغيثوا يغاثوا بماء كالمهل يشوي الوجوه) (وأخرج) ابن أبي حاتم والطبراني وابن مردوية عن كعب بن مالك رفعه إلى النبي صلى الله عليه وسلم فيما أحسب في قوله تعالى (سواء علينا أجزعنا أم صبرنا ما لنا من محيص) قال يقول أهل النار هلموا فلنصبر فيصبرون خمسمائة عام فلما رأوا ذلك لا ينفعهم قالوا هلموا فلنجزع فيبكون خمسمائة عام فلما رأوا ذلك لا ينفعهم قالوا سواء علينا أجزعنا أم صبرنا ما لنا من محيص (وأخرج) الترمذي والنسائي والحاكم وابن حبان وغيرهم عن أنس

وإن كان النظم المختلف الشديد التباين إذا وجد أدرك اختلافه بالحاسة إلا الكل وزنا وقيل إذا أردنا تمييزه من غيره احتجنا فيه إلى الفكرة والتأمل فان قيل لو كان معجزا لم يختلف أهل الملة في وجه إعجازه قيل قد يثبت الشيء دليلا وإن اختلفوا في وجه دلالة البرهان كما قد يختلفون في الاستدلال على حدوث العالم من الحركة والسكون والاجتماع والافتراق فأما المخالفون فانه يتعذر عليهم أن يعرفوا أن القرآن كلام الله لأن مذهبهم أنه لا فرق بين أن يكون القرآن من قبل الرسول أو من قبل الله عز وجل في كونه معجزا لأنه إن خصه بقدر من العلم لم تجر العادة بمثله أمكنه أن يأتي به الله هذه الرتبة وكان متعذرا على غيره لفقد علمه بكيفية النظم وليس القوم بعاجزين عن الكلام ولا عن النظم والتأليف والمعنى المؤثر عندهم في تعذر مثل نظم القرآن علينا فقد العلم بكيفية النظم وقد بينا قبل هذا أن المانع هو أنهم لا يقدرون عليه والفحم قد يعلم كيفية الأوزان

عن رسول الله ﷺ فى قوله مثل كلمة طيبة كشجرة طيبة قال هى النخلة ومثل كلمة خبيثة كشجرة خبيثة قال هى الحنظل (وأخرج) أحمد وابن مردويه بسند جيد عن ابن عمر عن النبى صلى الله عليه وسلم فى قوله كشجرة طيبة قال هى التى لا ينتقص ورقها هى النخلة (وأخرج) الأئمة الستة عن البراء ابن عازب أن النبى صلى الله عليه وسلم قال المسلم إذا سئل فى القبر يشهد أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله فذلك قوله (يثبت الله الذين آمنوا بالقول الثابت فى الحياة الدنيا وفى الآخرة) (وأخرج) مسلم عن ثوبان قال جاء حبر من اليهود إلى النبى صلى الله عليه وسلم فقال أين تكون الناس يوم تبدل الأرض غير الأرض فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم هم فى الظلمة دون الجسر (وأخرج) مسلم والترمذى وابن ماجه وغيرهم عن عائشة قالت أنا أول الناس سأل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن هذه الآية (يوم تبدل الأرض غير الأرض) قلت أين الناس يومئذ قال على الصراط (وأخرج) الطبرانى فى الأوسط والبزار وابن مردويه والبيهقى فى البعث عن ابن مسعود قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم فى قول الله يوم تبدل الأرض غير الأرض قال أرض بيضاء كأنها فضة لم يسفك فيها دم حرام ولم يعمل فيها خطيئة (الحجر) أخرج الطبرانى وابن مردويه وابن حبان عن أبى سعيد الخدرى أنه سئل هل سمعت من رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول فى هذه الآية (ربما يود الذين كفروا لو كانوا مسلمين) قال نعم سمعته يقول يخرج الله ناسا من المؤمنين من النار بعدما يأخذ نقمته منهم لما أدخلهم النار مع المشركين قال لهم المشركون تدعون بأنكم أولياء الله فى الدنيا فما بالكم معنا فى النار فاذا سمع الله ذلك منهم أذن فى الشفاعة لهم فتشفع الملائكة والنبيون والمؤمنون حتى يخرجوا باذن الله تعالى فاذا رأى المشركون ذلك قالوا ياليتنا كنا مثلهم فتدركنا الشفاعة فنخرج معهم فذلك قول الله ربما يود الذين كفروا لو كانوا مسلمين وله شاهد من حديث أبى موسى الأشعرى وجابر بن عبد الله وعلى (وأخرج) ابن مردويه عن أنس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم فى قوله تعالى (لكل باب منهم جزء مقسوم) قال جزء أشركوا وجزء شكوا فى الله تعالى وجزء غفلوا عن الله تعالى (وأخرج) البخارى والترمذى عن أبى هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم أم القرآن هى السبع المثانى والقرآن العظيم (وأخرج) الطبرانى فى الأوسط عن ابن عباس قال سأل رجل رسول الله صلى الله عليه وسلم قال أرأيت قول الله (كما أنزلنا على المقتسمين) قال اليهود والنصارى قال الذين جعلوا القرآن عضين ما عضين قال آمنوا ببعض وكفروا ببعض (وأخرج) الترمذى وابن جرير وابن أبى حاتم وابن مردويه عن أنس عن النبى صلى الله عليه وسلم فى قوله (فوربك لنسألنهم أجمعين عما كانوا يعملون) قال عن قول لا إله إلا الله (النحل) أخرج ابن مردويه عن البراء ان النبى صلى الله عليه وسلم سئل عن قول الله زدناهم عذابا فوق العذاب قال عقارب أمثال النخل الطوال ينهشونهم فى جهنم (الإسراء) أخرج البيهقى فى الدلائل عن سعيد المقبرى أن عبد الله بن سلام سأل النبى صلى الله عليه وسلم عن السواد الذى فى القمر فقال كانا شمسين فقال الله (وجعلنا الليل والنهار آيتين فمحونا آية الليل) فالسواد الذى رأيت هو المحو (وأخرج) الحاكم فى التاريخ والديلمى عن جابر بن عبد الله قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ولقد كرمنا بنى آدم قال الكرامة الأكل بالأصابع (وأخرج) ابن مردويه عن على قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم فى قول الله (يوم ندعو كل أناس بامامهم) قال يدعو كل قوم بامام زمانهم وكتاب ربهم (وأخرج) ابن مردويه عن عمر بن الخطاب عن النبى صلى الله عليه وسلم أقم الصلاة لدلوك الشمس قال لزوال الشمس (وأخرج) البزار وابن مردويه بسند ضعيف عن ابن عمر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم دلوك الشمس زوالها (وأخرج) الترمذى وصححه النسائى عن أبى هريرة عن النبى صلى الله عليه وسلم فى قوله (إن قرآن الفجر كان مشهودا) قال

واختلافها وكيفية التركيب وهو لا يقدر على نظم الشعر وقد يعلم الشاعر وجوه الفصاحة وإذا قالا الشعر شعر أحدهما فى الطبقة العالية وشعر الآخر فى الطبقة الوضيعة وقد يطرد فى شعر المبتدى والمتأخر فى الحذف القطعة الشريفة والبيت النادر ومالا يتفق للشاعر المتقدم والعلم بهذا الشأن فى التفصيل لا يغنى ويحتاج معه إلى مادة من الطبع وتوفيق من الأصل وقد يتساوى العالمان بكيفية الصناعة والنساجة ثم يتفق لأحدهما من اللطف فى الصنعة مالا يتفق فى الآخر وكذلك أهل نظم الكلام يتفاضلون مع العلم بكيفية النظم وكذلك أهل الرمى يتفاضلون فى الاصابة مع العلم بكيفية الاصابة وإذا وجدت للشاعر بيتا أو قطعة أحسن من شعر امرىء القيس يدل ذلك على أنه أعلم بالنظم منه لأنه لو كان كذلك كان يجب أن يكون جميع شعره على ذلك الحد ويحسب ذلك البيت فى الشرف والحسن والبراعة ولا يجوز أن يعلم نظم قطعة ويجهل نظم مثلها وإن كان كذلك علم أن

تشهده ملائكة الليل وملائكة النهار (وأخرج) أحمد وغيره عن أبي هريرة عن النبي ﷺ في قوله (عسى أن يبعثك ربك مقاما محمودا) قال هو المقام الذي أشفع فيه لأمتي وفي لفظ هي الشفاعة وله طرق كثيرة مطولة ومختصرة في الصحاح وغيرها (وأخرج) الشيخان وغيرهما عن أنس قال قيل يارسول الله كيف تحشر الناس على وجوههم قال الذي أمشاهم على أرجلهم قادر أن يمشيهم على وجوههم (الكهف) أخرج أحمد والترمذي عن أبي سعيد الخدري عن رسول الله ﷺ قال لسرادق النار أربعة أجدر كثافة كل جدار مثل مسافة أربعين سنة وأخرجا عنه أيضا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم في قوله بماء كالمهل قال كعكر الزيت فاذا قربه اليه سقطت فروة وجهه فيه (وأخرج) أحمد عنه أيضا عن رسول الله ﷺ قال الباقيات الصالحات التكبير والتهليل والتسبيح والحمد ولاحول ولاقوة إلا بالله (وأخرج) أحمد من حديث النعمان بن بشير مرفوعا سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر هن الباقيات الصالحات (وأخرج) الطبراني مثله من حديث سعد بن جنادة (وأخرج) ابن جرير عن أبي هريرة أن قال رسول الله صلى الله عليه وسلم سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر هن الباقيات الصالحات (وأخرج) أحمد عن أبي سعيد عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ينصب الكافر مقدار خمسين الف سنة كما لم يعمل في الدنيا وأن الكافر ليرى جهنم ويظن أنها مواقعته من مسيرة أربعين سنة (وأخرج) البزار بسند ضعيف عن أبي ذر رفعه قال إن الكنز الذي ذكر الله في كتابه لوح من ذهب مصمت عجبت لمن أيقن بالقدر لم نصب وعجبت لمن ذكر النار كيف ضحك وعجبت لمن ذكر الموت ثم غفل لا اله إلا الله محمد رسول الله (وأخرج) الشيخان عن أبي هريرة أن النبي ﷺ قال إذا سألتم الله فاسألوه الفردوس فانه أعلى الجنة وأوسط الجنة ومنه تفجر أنهار الجنة (مريم) أخرج الطبراني بسند ضعيف عن ابن عمر عن رسول الله ﷺ قال إن السري الذي قال الله لمريم قد جعل ربك تحتك سريا نهر أخرجه الله لتشرب منه (وأخرج) مسلم وغيره عن المغيرة بن شعبة قال بعثني رسول الله ﷺ إلى نجران فقالوا رأيت ما تقرءون يا أخت هارون وموسى قبل عيسى بكذا وكذا فرجعت فذكرت ذلك لرسول الله ﷺ فقال الاأخبرتهم أنهم كانوا يسمعون بالأنبياء والصالحين قبلهم (وأخرج) أحمد والشيخان عن أبي سعيد قال قال رسول الله ﷺ إذا دخل أهل الجنة الجنة وأهل النار النار يجاء بالموت كأنه كبش املح فيوقف بين الجنة والنار فيقال يا أهل الجنة هل تعرفون هذا قال فيشرفون فينظرون ويقولون نعم هذا الموت فيؤمر به فيذبح ويقال يا أهل الجنة خلود ولا موت ويا أهل النار خلود ولا موت ثم قرأ رسول الله ﷺ (وأنذرهم يوم الحسرة إذ قضي الأمر وهم في غفلة) وأشار بيده وقال أهل الدنيا في غفلة (وأخرج) ابن جرير عن أبي أمامة عن رسول الله ﷺ قال غي وأثام بئران في أسفل جهنم يسيل فيهما صديد أهل النار قال ابن كثير حديث منكر واخرج أحمد بن أبي سمية قال اختلفنا في الورود فقال بعضنا لا يدخلها مؤمن وقال بعضهم يدخلونها جميعا ثم ينجي الله الذين اتقوا فلقيت جابر بن عبد الله فسألته فقال سمعت النبي ﷺ يقول لا يبقى بر ولا فاجر إلا دخلها فتكون على المؤمن بردا وسلاما كما كانت على ابراهيم حتى ان للنار ضجيجا من بردهم ثم ينجي الله الذين اتقوا ويذر الظالمين فيها جثيا واخرج مسلم والترمذي عن أبي هريرة ان النبي ﷺ قال إذا أحب الله عبدا نادى جبريل اني قد أحببت فلانا فاحبه فينادي في السماء ثم تنزل له المحبة في الأرض فذلك قوله (سيجعل لهم الرحمن ودا) طه اخرج ابن أبي حاتم والترمذي عن جندب بن عبدالله البجلي قال قال رسول الله ﷺ إذا وجدتم الساحر فاقتلوه ثم قرا (ولا يفلح الساحر حيث

هذا لا يرجع إلى ما قدروه من العلم أو لسنا نقول إنه يستغني عن العلم في النظم بل يكفي علم به في الجملة ثم يقف الامر على القدرة وهذا يبين لك بأنه قد يعلم الخط فيكتب سطرا فلو أراد أن يأتي بمثله بحيث لا يغادر منه شيئا لتعذر والعلم حاصل وكذلك قد يحسن كيفية الخط والجيد منه من الردىء ولا يمكنه أن يأتي بارفع درجات الجيد وقد يعلم قوم كيفية ادارة الاقلام وكيفية تصور الخط ثم يتفاوتون في التفصيل ويختلفون في التصوير والزمهم أصحابنا أن يقولوا بقدرتنا على إحداث الاجسام وإنما يتعذر وقوع ذلك منا لأنا لا نعلم الأسباب التي إذا عرفنا ايقاعها على وجوه اتفق لنا فعل الاجسام وقد ذهب بعض المخالفين إلى أن العادة انتقضت بأن أنزله جبريل فصار القرآن معجزا لنزوله على هذا الوجه ومن قبله لم يكن معجزا وهذا قول أبي هاشم وهو ظاهر الخطأ لأنه يلزم أن يكونوا قادرين على مثل القرآن وإن لم يتعذر عليهم فعل مثله وإنما تعذر بانزاله ولو

أتى) قال لا يؤمن حيث وجد (وأخرج) البزار بسند جيد عن أبي هريرة عن النبي ﷺ فان له معيشة ضنكا قال عذاب القبر (الأنبياء) أخرج أحمد عن أبي هريرة قال قلت يارسول الله أنبئني عن كل شيء خلق من الماء (الحج) أخرج ابن أبي حاتم عن يعلى بن أمية أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال احتكار الطعام بمكة الحاد (وأخرج) الترمذي وحسنه عن ابن الزبير قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم إنما سمي البيت العتيق لأنه لم يظهر عليه جبار (وأخرج) أحمد عن خريم بن فاتك الاسدي عن النبي ﷺ قال عدلت شهادة الزور بالاشراك بالله ثم تلا (فاجتنبوا الرجس من الاوثان واجتنبوا قول الزور) (المؤمنون) أخرج ابن أبي حاتم عن مرة البهزي قال سمعت رسول الله ﷺ يقول لرجل انك تموت بالربوة فمات بالربوة قال ابن كثير غريب جدا (وأخرج) أحمد عن عائشة أنها قالت يارسول الله (الذين يؤتون ما آتوا وقلوبهم وجلة) هو الذي يسرق ويزني ويشرب الخمر وهو يخاف الله قال لا يا ابنة الصديق ولكنه الذي يصوم ويصلي ويتصدق ويخاف الله (وأخرج) أحمد والترمذي عن أبي سعيد عن النبي ﷺ قال وهم فيها كالحون قال تشويه النار فتقلص شفته العليا حتى تبلغ وسط رأسه وتسترخي شفته السفلى حتى تضرب سرته (النور) أخرج ابن أبي حاتم عن أبي سورة ابن أخي أبي أيوب عن أبي أيوب قال قلت يارسول الله هذا السلام فما الاستئناس قال يتكلم الرجل بتسبيحة وتكبيرة وتحميدة ويتنحنح فيؤذن أهل البيت (الفرقان) أخرج ابن أبي حاتم عن يحيى بن أبي أسيد يرفع الحديث إلى رسول الله ﷺ سئل عن قوله تعالى وإذا ألقوا منها مكانا ضيقا مقرنين قال والذي نفسي بيده إنهم ليستكرهون في النار كما يستكره الوتد في الحائط (القصص) أخرج البزار عن أبي ذر أن النبي ﷺ سئل أي الاجلين قضى موسى قال أوفاهما وابرهما قال وإن سئلت أي المرأتين تزوج فقل الصغرى منها اسناده ضعيف ولكن له شواهد موصولة ومرسلة (العنكبوت) أخرج أحمد والترمذي وحسنه وغيرهما عن أم هانىء قالت سألت رسول الله ﷺ عن قوله (وتأتون في ناديكم المنكر) قال كانوا يحذفون أهل الطريق ويسخرون منهم فهو المنكر الذي كانوا يأتون (لقمان) أخرج الترمذي وغيره عن أبي امامة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لا تبيعوا القينات ولا تشتروهن ولا تعلموهن ولا خير في التجارة فيهن وثمنهن حرام في مثل هذا أنزلت (ومن الناس من يشتري لهو الحديث ليضل عن سبيل الله) الآية إسناده ضعيف (السجدة) أخرج ابن أبي حاتم عن ابن عباس عن النبي صلى الله عليه وسلم في قوله أحسن كل شيء خلقه قال أما ان است القردة ليست بحسنة ولكنه أحكم خلقها (وأخرج) ابن جرير عن معاذ بن جبل عن رسول الله صلى الله عليه وسلم في قوله تعالى (تتجافى جنوبهم عن المضاجع) قال قيام العبد من الليل (وأخرج) الطبراني عن ابن عباس عن النبي صلى الله عليه وسلم في قوله تعالى هدى لبني إسرائيل قال جعل موسى هدى لبني إسرائيل وفي قوله (فلا تكن في مرية من لقائه) قال من لقاء موسى ربه (الاحزاب) أخرج الترمذي عن معاوية سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول طلحة ممن قضى نحبه (وأخرج) الترمذي وغيره عن عمرو بن أبي سلمة وابن جرير وغيره عن أم سلمة ان النبي صلى الله عليه وسلم دعا فاطمة وعليا وحسنا وحسينا لما نزلت (إنما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيرا) فظللهم بكساء وقال والله وهؤلاء أهل بيتي فاذهب الرجس عنهم وطهرهم تطهيرا (سبأ) أخرج أحمد وغيره عن ابن عباس أن رجلا سأل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن سبأ أرجل هو ام امرأة أم أرض فقال بل هو رجل ولد له عشرة فسكن اليمن منهم ستة وبالشام منهم أربعة (وأخرج) البخاري عن أبي هريرة مرفوعا قال إذا أقضى الله الامر في السماء ضربت الملائكة بأجنحتها خضعانا لقوله

كانوا قادرين على مثل ذلك كان قد اتفق من بعضهم مثله وإن كانوا في الحقيقة غير قادرين قبل نزوله ولا بعده على مثله فهو قولنا وأما قول كثير من المخالفين فهو على ما بينا لأن معنى المعجز عندهم تعذر فعل مثله وكان ذلك متعذرا قبل نزوله وبعده فأما الكلام في ان التأليف هل له نهاية فقد اختلف المخالفون من المتكلمين فيه فمنهم من قال ليس لذلك نهاية كالعدد فلا يمكن أن يقال انه لا يتأتى قول قصيدة الا وقد قيلت من قبل ومنهم من قال ان ما جرت به العادة فله نهاية وما لم تجر به العادة فلا يمكن ان نعلم نهاية الرتبة فيه وقد بينا ان على أصولنا قد تقدر الكلامنا حد في العادة ولا سبيل إلى تجاوزه ولا يقدر فان القرآن خرق العادة فزاد عليها

(فصل) ان قيل هل من شرط المعجز أن يعلم انه أتى به من ظهر عليه قيل لابد من ذلك لانا لو نعلم ان النبي صلى الله عليه وسلم هو الذي أتى بالقرآن وظهر ذلك من

كانه سلسلة على صفوان فاذا (فزع عن قلوبهم قالوا ماذا قال ربكم قالوا الذى قال الحق وهو العلى الكبير)
(فاطر) اخرج أحمد والترمذى عن أبى سعيد الخدرى عن النبى صلى الله عليه وسلم قال فى هذه
الآية (ثم أورثنا الكتاب الذين اصطفينا من عبادنا فمنهم ظالم لنفسه ومنهم مقتصد ومنهم سابق
بالخيرات) قال هؤلاء كلهم بمنزلة واحدة وكلهم فى الجنة (واخرج) أحمد وغيره عن أبى الدرداء قال
سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول قال (الله ثم أورثنا الكتاب الذين اصطفينا من عبادنا فمنهم
ظالم لنفسه ومنهم مقتصد ومنهم سابق بالخيرات) فاما الذين سبقوا فأولئك يدخلون الجنة بغير حساب
واما الذين اقتصدوا فأولئك يحاسبون حسابا يسيرا واما الذين ظلموا أنفسهم فأولئك الذين يحبسون
فى طول المحشر ثم هم الذين تلافاهم الله برحمته فهم الذين يقولون (الحمد لله الذى اذهب عنا الحزن) الآية
(واخرج) الطبرانى وابن جرير عن ابن عباس أن النبى صلى الله عليه وسلم قال إذا كان يوم القيامة
قيل اين ابناء الستين وهو العمر الذى قال الله (أو لم نعمركم ما يتذكر فيه من تذكر) (يس) اخرج
الشيخان عن أبى ذر قال سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم عن قوله والشمس تجرى لمستقر لها قال
مستقرها تحت العرش واخرجا عنه قال كنت مع النبى صلى الله عليه وسلم فى المسجد عند غروب الشمس
فقال يا أباذر أتدرى أين تغرب الشمس قلت الله ورسوله اعلم قال فانها تذهب حتى تسجد تحت العرش
فذلك قوله والشمس تجرى لمستقر لها . الصافات . أخرج ابن جرير عن أم سلمة قالت قلت يارسول الله
أخبرنى عن قول الله حور عين قال العين الضخام العيون شفر الحوراء مثل جناح النسر قلت يارسول
الله أخبرنى عن قول الله كأنهن بيض مكنون قال رقتهن كرقة الجلدة التى فى داخل البيضة التى تلى
القشر قوله شفر هو بالفاء مضاف إلى الحوراء وهو هدب العين وانما ضبطته وان كان واضحا لانى
رأيت بعض المهملين من أهل عصرنا صحفه بالقاف وقال الحوراء مثل جناح النسر مبتدأ وخبر يعنى
فى الخفة والسرعة وهذا كذب وجهل محض والحاد فى الدين وجراءة على الله وعلى رسوله . وأخرج .
الترمذى وغيره عن سمرة عن النبى صلى الله عليه وسلم فى قوله (وجعلنا ذريته هم الباقين) قال حام
وسام ويافث (وأخرج) من وجه آخر قال سام أبو العرب وحام أبو الحبش ويافث أبو الروم (وأخرج)
عن أبى بن كعب قال سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم عن قول الله «وأرسلناه إلى مائة ألف أو
يزيدون» قال يزيدون عشرين ألفا «وأخرج» ابن عساكر عن العلاء بن سعد أن رسول الله صلى
الله عليه وسلم قال يوما لجلسائه أطت السماء وحق لها أن تئط ليس منها موضع قدم الا عليه ملك
راكع أو ساجد ثم قرأ وانا لنحن الصافون وانا لنحن المسبحون «الزمر» أخرج أبو يعلى وابن أبى حاتم
عن عثمان بن عفان انه سأل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن تفسير له مقاليد السموات والأرض
فقال ماسألنى عنها أحد قبلك تفسيرها لا اله الا الله والله أكبر وسبحان الله وبحمده أستغفر الله
ولاحول ولا قوة إلا بالله الأول الاخر الظاهر الباطن بيده الخير يحيى ويميت والحديث غريب وفيه
نكارة شديدة «وأخرج» ابن أبى الدنيا فى صفة الجنة عن أبى هريرة عن النبى صلى الله عليه
وسلم أنه سأل جبريل عن هذه الآية «فصعق من فى السموات ومن فى الأرض الا من شاء الله» من الذين
لم يشأ الله أن يصعقوا قال هم الشهداء «غافر» أخرج أحمد واصحاب السنن والحاكم وابن حبان عن
النعمان بن بشير قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الدعاء هو العبادة ثم قرأ ادعونى استجب لكم
ان الذين يستكبرون عن عبادتى سيدخلون جهنم دخرين) (فصلت) أخرج النسائى والبزار وأبو
يعلى وغيرهم عن أنس قال قرأ علينا رسول الله صلى الله عليه وسلم هذه الآية ان الذين قالوا ربنا الله
ثم استقاموا قد قالها ناس ثم كفر أكثرهم فمن قالها حتى يموت فهو ممن استقام عليها

جهة لم يمكن ان يستدل به على نبوته وعلى هذا لو تلقى رجل منه سورة فأتى بها بلدا وادعى ظهورها عليه وانها معجزة له لم تقم الحجة عليهم حتى يبحثوا أو يتبينوا انها ظهرت عليه وقد حققت ان القرآن اتى به النبى صلى الله عليه وسلم وظهر من جهته وجعله علما على نبوته وعلمنا ذلك ضرورة فصار حجة علينا

. (فصل) . قد ذكرنا فى الابانة عن معجز القرآن وجيزا من القول رجونا ان يكفى واملنا ان يقنع والكلام فى أوصافه ان استقصى بعيد الاطراف واسع الاكناف لعلو شأنه وشريف مكانه والذى سطرناه فى الكتاب وان كان موجزا وامليناه فيه وان كان خفيفا فانه ينبه على الطريقة ويدل على الوجه ويهدى إلى الحجة ومتى عظم محل الشىء فقد يكون الاسهاب فيه عيا والاكثار فى وصفه تقصير وقد قال الحكيم وقد سئل عن البليغ متى يكون عييا فقال متى وصف هوى أو حبيبا وضل اعرابى فى سفر له ليلا وطلع القمر فاهتدى به فقال ما أقول لك قول رفعك الله وقد

(حمعسق) أخرج أحمد وغيره عن علي قال ألا أخبركم بأفضل آية في كتاب الله وحدثنا رسول الله ﷺ قال ما أصابكم من مصيبة فبما كسبت أيديكم ويعفو عن كثير وسأفسرها لك ياعلى ما أصابكم من مرض أو عقوبة أو بلاء في الدنيا فبما كسبت أيديكم والله أحلم من أن يثنى عليه العقوبة في الآخرة وما عفا الله عنه في الدنيا فالله أكرم من أن يعود بعد عفوه (الزخرف) أخرج أحمد والترمذي وغيرهما عن أبي أمامة قال . قال رسول الله ﷺ ما ضل قوم بعد هدى كانوا عليه إلا أوتوا الجدل ثم تلا ما ضربوه لك إلا جدلا بل هم قوم خصمون (وأخرج) ابن أبي حاتم عن أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم كل أهل النار يرى منزله من الجنة حسرة فيقول لو أن الله هداني لكنت من المتقين وكل أهل الجنة يرى منزله من النار فيقول وما كنا لنهتدي لولا أن هدانا الله فيكون له شكر قال وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما من أحد الا وله منزل في الجنة ومنزل في النار فالكافر يرث المؤمن منزله من النار والمؤمن يرث الكافر منزله من الجنة فذلك قوله تعالى (وتلك الجنة التي أورثتموها بما كنتم تعملون) (الدخان) أخرج الطبراني وابن جرير بسند جيد عن أبي مالك الأشعري قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم أن ربكم أنذركم ثلاثا الدخان يأخذ المؤمن كالزكمة ويأخذ الكافر فينتفخ حتى يخرج من كل مسمع منه والثانية الدابة والثالثة الدجال له شواهد (وأخرج) أبو يعلى وابن أبي حاتم عن أنس عن النبي ﷺ قال ما من عبد الا له في السماء بابان باب يخرج منه رزقه وباب يدخل منه عمله وكلامه فاذا مات فقداه وبكيا عليه وتلا هذه الآية فما بكت عليهم السماء والأرض وذكر أنهم لم يكونوا يعملون على وجه الأرض عملا صالحا تبكي عليهم ولم يصعد لهم الى السماء من كلامهم ولا من عملهم كلام طيب ولا عمل صالح فتفقدهم فتبكي عليهم (وأخرج) ابن جرير عن شريح بن عبيد الحضرمي قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما مات مؤمن في غربة غابت عنه فيها بواكيه الا بكت عليه السماء والأرض ثم قرأ رسول الله صلى الله عليه وسلم فما بكت عليهم السماء والأرض ثم قال انهما لا يبكيان على كافر (الأحقاف) أخرج أحمد عن ابن عباس عن النبي صلى الله عليه وسلم أو أثارة من علم قال الخط (الفتح) أخرج الترمذي وابن جرير عن أبي بن كعب أنه سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول وألزمهم كلمة التقوى قال لا إله الا الله (الحجرات) وأخرج أبو داود والترمذي عن أبي هريرة قال قيل يارسول الله ما الغيبة قال ذكرك أخاك بما يكره قيل أفرأيت ان كان في أخي ما أقول قال إن كان فيه ما تقول فقد اغتبته وإن لم يكن فيه ما تقول فقد بهته (ق) أخرج البخاري عن أنس عن النبي صلى الله عليه وسلم قال يلقى في النار وتقول هل من مزيد حتى يضع قدمه فيها فتقول قط قط (الذاريات) أخرج البزار عن عمر بن الخطاب قال الذاريات ذروا هي الرياح فالجاريات يسرا هي السفن فالمقسمات أمرا هي الملائكة ولولا أني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقوله ما قلته (الطور) أخرج عبد الله بن أحمد في زوائد المسند عن علي قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم إن المؤمنين وأولادهم في الجنة وإن المشركين وأولادهم في النار ثم قرأ رسول الله صلى الله عليه وسلم والذين آمنوا واتبعناهم ذرياتهم بإيمان ألحقنا بهم ذرياتهم الآية (النجم) أخرج ابن جرير وابن أبي حاتم بسند ضعيف عن أبي أمامة قال تلا رسول الله صلى الله عليه وسلم هذه الآية وابراهيم الذي وفى ثم قال أتدرون ما وفى قلت الله ورسوله أعلم قال وفى عمل يومه بأربع ركعات من أول النهار وأخرجا عن معاذ بن أنس عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ألا أخبركم لم سمى الله ابراهيم خليله الذي وفى أنه كان يقول كلما أصبح وأمسى فسبحان الله حين تمسون وحين تصبحون حتى ختم الآية (وأخرج) البغوي من طريق أبي العالية

رفعك أم أقول نورك الله وقد نورك أم أقول اجلك الله وقد جلك ولو أن العقول تختلف والافهام تتباين والمعارف تتفاضل لم نحتج الى ما تكلفنا ولكن الناس يتفاوتون في المعرفة ولو اتفقوا فيها لم يحتاجوا ان يتفقوا في معرفة هذا الفن أو يجتمعوا في الهداية الى هذا العلم لاتصاله بأسباب وتعلقه بعلوم غامضة الغور عميقة القعر كثيرة المذاهب قليلة الطلاب ضعيفة الاصحاب وبحسب تأتي مواقعه يقع الافهام دونه وعلى قدر لطائف مسالكه يكون القصور عنه أنشدني أبو القاسم الزعفراني قال انشدني المتنبي لنفسه القطعة التي يقول فيها

وكم من عائب قولا صحيحا وآفته من الفهم السقيم
ولكن تأخذ الآذان منه على قدر القرائح والعلوم

وأنشدني الحسن بن عبد الله قال أنشدنا بعض مشايخنا للبحتري

هزبا لشعر اقواما ذوي سنة لوانهم ضربوا بالسيف ماشعروا
على نحت القوافي من مقاطعها وما علي لهم أن تفهم البقر

فاذا كان نقد الكلام كله صعبا وتمييزه شديدا

أبي بن كعب عن النبي صلى الله عليه وسلم في قوله وان إلى ربك المنتهى قال لا فكرة في الرب قال البغوي وهو مثل حديث تفكروا في مخلوقات الله ولا تفكروا في ذات الله (الرحمن) أخرج ابن أبي حاتم عن أبي الدرداء عن النبي صلى الله عليه وسلم في قوله تعالى كل يوم هو في شأن قال من شأنه أن يغفر ذنبا ويفرج كربا ويرفع قوما ويضع آخرين (وأخرج) ابن جرير مثله من حديث عبد الله بن منيب والبزار مثله من حديث ابن عمر (وأخرج) الشيخان عن أبي موسى الأشعري أن رسول الله (صلعم) قال جنتان من فضة آنيتهما وما فيهما وجنتان من ذهب آنيتهما وما فيهما (وأخرج) البغوي عن أنس بن مالك قال قرأ رسول الله ﷺ هل جزاء الاحسان إلا الاحسان وقال هل تدرون ما قال ربكم قالوا الله ورسوله أعلم قال يقول هل جزاء من أنعمت عليه بالتوحيد إلا الجنة (الواقعة) أخرج أبو بكر النجاد عن مسلم بن عامر قال أقبل اعرابي فقال يارسول الله ذكر الله في الجنة شجرة تؤذي صاحبها قال وماهي قال السدر فان له شوكا مؤذيا فقال رسول الله ﷺ أليس يقول الله في سدر مخضود خضد الله شوكه فجعل مكان كل شوكة ثمرة وله شاهد من حديث ابن عبد السلمي أخرجه ابن أبي داود في البعث (وأخرج) الشيخان عن أبي هريرة عن النبي ﷺ قال ان في الجنة شجرة يسير الراكب في ظلها مائة عام لا يقطعها اقرءوا ان شئتم وظل ممدود (وأخرج) الترمذي والنسائي عن أبي سعيد الخدري عن النبي ﷺ في قوله وفرش مرفوعة قال ارتفاعها كما بين السماء والأرض ومسيرة ما بينهما خمسمائة عام (وأخرج) الترمذي عن أنس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم انا أنشأناهن انشاء عجائز كن في الدنيا رمصا شمطا (واخرج) في الشمائل عن الحسن قال أتت عجوز فقالت يارسول الله ادع الله أن يدخلني الجنة فقال يا أم فلان ان الجنة لا يدخلها عجوز فولت تبكي قال أخبروها أنها لا تدخلها وهي عجوز ان الله يقول (إنا أنشأناهن انشاء فجعلناهن أبكارا) (واخرج) ابن أبي حاتم عن جعفر بن محمد عن أبيه عن جده قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم عربا كلامهن عربي (واخرج) الطبراني عن أم سلمة قالت قلت يارسول الله أخبرني عن قول الله تعالى حور عين قال حور بيض عين ضخام العيون شفر الحوراء بمنزلة جناح النسر (قلت أخبرني عن قوله تعالى كأمثال اللؤلؤ المكنون قال صفاؤهن كصفاء الدر الذي في الأصداف الذي لم تمسه الأيدي (قلت) أخبرني عن قوله فيهن خيرات حسان قال خيرات الاخلاق حسان الوجوه (قلت أخبرني عن قوله كأنهن بيض مكنون قال رقتهن كرقة الجلد الذي رأيت في داخل البيضة مما يلي القشر (قلت) أخبرني عن قوله عربا أترابا قال هن اللواتي قبضن في دار الدنيا عجائز رمصا شمطا خلقهن الله بعد الكبر فجعلهن عذارى عربا متعشقات محببات أترابا على ميلاد واحد (وأخرج) ابن جرير عن ابن عباس في قوله ثلة من الأولين وثلة من الآخرين قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم هما جميعا من أمتي (وأخرج) أحمد والترمذي عن علي قال قال رسول الله ﷺ وتجعلون رزقكم يقول شكركم انكم تكذبون يقول مطرنا بنوء كذا وكذا (الممتحنة) أخرج الترمذي وحسنه وابن ماجه وابن جرير عن أم سلمة عن رسول الله ﷺ في قوله ولا يعصينك في معروف قال النوح (الطلاق) أخرج الشيخان عن ابن عمر أنه طلق امرأته وهي حائض فذكر ذلك عمر لرسول الله صلى الله عليه وسلم فتغيظ منه ثم قال ليراجعها ثم يمسكها حتى تطهر ثم تحيض فتطهر فان بدا له أن يطلقها طاهرا قبل أن يمسها فتلك العدة التي أمر الله أن يطلق النساء ثم قرأ رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا طلقتم النساء فطلقوهن في قبل عدتهن (ن) أخرج الطبراني عن ابن عباس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان أول ما خلق الله القلم والحوت قال لما اكتب قال كل

والوقوع على اختلاف فنونه متعذرا وهذا في كلام الآدمي فما ظنك بكلام رب العالمين ق. أنبأنك ان من قدر على ان البلاغة في عشرة أوجه من الكلام لا يعرف من البلاغة إلا القليل ولا يفطن منها إلا اليسير ومن زعم أن البديع يقتصر على ما ذكرناه من قبل عنهم في الشعر فهو متطرف بلى ان كانوا يقولون ان هذه من وجوه البلاغة وغرر البديع وأصول اللطيف وان ما يجري مجرى ذلك ويشاكله ملحق بالأصل ومردود على القاعدة فهذا قريب وقد بينا في نظم القرآن ان الجملة تشتمل على بلاغة منفردة والاسلوب يختص بمعنى آخر من الشرف ثم الفواتح والخواتم والمبادي والمثاني والطوالع والمقاطع والوسائط والفواصل ثم الكلام في نظم السور والآيات في تفاصيل التفاصيل ثم في الكثير والقليل ثم الكلام الموشح والمرصع والمفصل والمصرع والمجنس والموشى والمحلى والمكلل والمطرق والمتول والموزون والخارج عن الوزن والمعتدل في النظم والمتشابه فيه ثم الخروج من فصل إلى

شيء كائن الى يوم القيامة ثم قرأن والقلم والنون الحوت والقلم القلم (وأخرج) ابن جرير عن معاوية بن قرة عن ابيه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ن والقلم وما يسطرون لوح من نور وقلم من نور يجرى هو وكائن الى يوم القيامة قال ابن كثير مرسل غريب (وأخرج) أيضا عن زيد بن أسلم قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم تبكى السماء من عبد أصح الله جسمه وأرحب جوفه وأعطاه من الدنيا مقضما فكان للناس ظلوما قال فذلك العتل الزنيم مرسل له شواهد (وأخرج) أبو يعلى وابن جرير بسند فيه مبهم عن أبى موسى عن النبى صلى الله عليه وسلم يوم يكشف عن ساق قال عن نور عظيم يخرون سجدا لله (سأل) أخرج أحمد عن أبى سعيد قال قيل لرسول الله صلى الله عليه وسلم يوما كان مقداره خمسين ألف سنة ما أطول هذا اليوم فقال والذى نفسى بيده انه ليخفف عن المؤمن حتى يكون أخف عليه من صلاة مكتوبة يصليها فى الدنيا (المزمل) أخرج الطبرانى عن ابن عباس عن النبى صلى الله عليه وسلم فاقرءوا ما تيسر منه مائة آية قال ابن كثير غريب جدا (المدثر) أخرج أحمد والترمذى عن أبى سعيد عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال الصعود جبل من نار يتصعد فيه سبعين خريفا ثم يهوى به كذلك (وأخرج) أحمد والترمذى وحسنه والنسائى عن أنس قال قرأ رسول الله صلى الله عليه وسلم هو أهل التقوى وأهل المغفرة فقال قال ربكم انا أهل أن اتقى فلا يجعل معى اله فمن اتقى ان يجعل معى الها كان اهلا ان أغفر له (النبأ) أخرج البزار عن ابن عمر عن النبى صلى الله عليه وسلم قال والله لا يخرج من النار أحد حتى يمكث فيها احقابا والحقب بضع وثمانون سنة كل سنة ثلاثمائة وستون يوما مما تعدون (التكوير) أخرج ابن أبى حاتم عن ابن بريد بن أبى مريم عن أبيه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال فى قوله تعالى (اذا الشمس كورت) قال كورت فى جهنم (واذا النجوم انكدرت) قال فى جهنم (وأخرج) عن النعمان بن بشير عن النبى صلى الله عليه وسلم (واذا النفوس زوجت) قال القرناء كل رجل مع كل قوم كانوا يعملون عمله (الانفطار) أخرج ابن جرير والطبرانى بسند ضعيف طريق موسى بن على بن رباح عن أبيه عن جده ان النبى صلى الله عليه وسلم قال له ماولدك قال ما عسى أن يولد لى اما غلام أو جارية فقال فمن يشبه قال من عسى أن يشبه إما أباه واما أمه فقال النبى ﷺ مه لا تقولن هذا ان النطفة اذا استقرت فى الرحم أحضرها الله تعالى كل نسب بينها وبين آدم أما قرأت فى أى صورة ما شاء ركبك قال سلكك (وأخرج) ابن عساكر فى تاريخه عن ابن عمر عن النبى ﷺ قال انما سماهم الله الأبرار لانهم بروا الآباء والأبناء (المطففين) أخرج الشيخان عن ابن عمر أن النبى ﷺ قال يوم يقوم الناس لرب العالمين حتى يغيب أحدهم فى رشحه إلى انصاف أذنيه (وأخرج) أحمد والترمذى والحاكم وصححه والنسائى عن أبى هريرة قال قال رسول الله ﷺ ان العبد اذا أذنب ذنبا كانت نكتة سوداء فى قلبه فان تاب منها صقل قلبه وان زاد زادت حتى تعلو قلبه فذلك الران الذى ذكر الله فى القرآن كلا بل ران على قلوبهم ما كانوا يكسبون (الانشقاق) أخرج أحمد والشيخان وغيرهما عن عائشة قالت قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من نوقش الحساب عذب وفى لفظ عند ابن جرير ليس يحاسب أحد الا عذب قلت أليس يقول الله فسوف يحاسب حسابا يسيرا قال ليس ذلك بالحساب ولكن ذلك العرض (وأخرج) أحمد عن عائشة قالت قلت يارسول الله ما الحساب اليسير قال ان ينظر فى كتابه فيتجاوز له عنه أنه من نوقش الحساب يومئذ هلك (البروج) أخرج ابن جرير عن أبى مالك الأشعرى قال قال رسول الله ﷺ اليوم الموعود يوم القيامة وشاهد يوم الجمعة ومشهود يوم عرفة له شواهد (وأخرج) الطبرانى عن ابن عباس ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ان الله خلق لوحا محفوظا من درة بيضاء صفحاتها من ياقوتة حمراء

صل ووصل الى وصل ومعنى الى معنى ومعنى فى معنى والجمع بين المؤتلف والمختلف والمتفق والمتسق وكثرة التصرف وسلامة القول فى ذلك كله من التعسف وخروجه عن التعمق والتشدق وبعده عن التعمل والتكلف والالفاظ المفردة والابداع فى الحروف والادوات كالابداع فى المعانى والكلمات والبسط والقبض والبناء والنقض والاختصار والشرح والتشبيه والوصف وتميز الابداع من الاتباع كتميز المطبوع عن المصنوع القول الواقع عن غير تكلف ولا تعمل وانت تتبينه فى كل ما تصرف فيه من الانواع أنه على سمت شريف ومرقب منيف يبهر اذا أخذ فى النوع الربى والامر الشرعى والكلام الهى الدال على أنه يصدر عن عزة الملكوت وشرف الجبروت ومالا يبلغ الوهم موافقة من حكمة وأحكام واحتجاج وتقرير واستشهاد وتقريع واعذار وانذار وتبشير وتحذير وتنبيه وتلويح واشباع وتصريح واشارة ودلالة وتعليم أخلاق زكية وأسباب رضية وسياسات جامعة ومواعظ نافعة وأوامر صادعة

فله نور وكتابه نور لله تعالى فيه كل يوم ستون وثلاثمائة لحظة يخلق ويرزق ويميت ويحى ويعز ويذل ويفعل مايشاء (الأعلى) اخرج البزار عن جابر بن عبد الله عن النبى ﷺ قد أفلح من تزكى قال من شهد أن لا إله إلا الله وخلع الأنداد وشهد أنى رسول الله وذكر اسم ربه فصلى قال هى الصلوات الخمس والمحافظة عليها والاهتمام بها (وأخرج) البزار عن ابن عباس قال لما نزلت إن هذا لفى الصحف الأولى قال النبى صلى الله عليه وسلم كان هذا أو كل هذا فى صحف إبراهيم وموسى (الفجر) أخرج أحمد والنسائى عن جابر عن النبى صلى الله عليه وسلم قال إن العشر عشر الأضحى والوتر يوم عرفة والشفع يوم النحر قال ابن كثير رجاله لا بأس بهم وفى رفعه نكارة (وأخرج) ابن جرير عن جابر مرفوعا الشفع اليومان والوتر اليوم الثالث (وأخرج) أحمد والترمذى عن عمران بن حصين ان رسول الله صلى الله عليه وسلم سئل عن الشفع والوتر فقال الصلاة بعضها شفع وبعضها وتر (البلد) أخرج أحمد عن البراء قال جاء أعرابى إلى النبى صلى الله عليه وسلم فقال علمنى عملا يدخلنى الجنة قال أعتق النسمة وفك الرقبة قال أو ليستا بواحدة قال أن أعتق النسمة أن تفرد بعتقها وفك الرقبة ان تعين فى عتقها « والشمس » أخرج ابن أبى حاتم من طريق جويبر عن الضحاك عن ابن عباس سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول فى قول الله قد أفلح من زكاها أفلحت نفس زكاها الله تعالى « ألم نشرح » أخرج أبو يعلى وابن حبان فى صحيحه عن أبى سعيد عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال أتانى جبريل فقال إن ربك يقول أتدرى كيف رفعت ذكرك قلت الله أعلم قال إذا ذكرت ذكرت معى « الزلزلة » اخرج أحمد عن أبى هريرة قال قرأ رسول الله صلى الله عليه وسلم هذه الآية . يومئذ تحدث أخبارها . قال أتدرون ما أخبارها قالوا الله ورسوله أعلم قال أن تشهد على كل عبد أو أمة بما عمل على ظهرها أن تقول عمل كذا فى يوم كذا وكذا « العاديات » اخرج ابن أبى حاتم بسند ضعيف عن أبى امامة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم. إن الإنسان لربه لكنود. قال الكنود الذى يأكل وحده ويضرب عبده ويمنع رفده « الهاكم » أخرج ابن أبى حاتم عن زيد ابن أسلم مرسلا قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ألهاكم التكاثر عن الطاعة حتى زرتم المقابر حتى يأتيكم الموت « وأخرج » أحمد عن جابر بن عبد الله قال أكل رسول الله صلى الله عليه وسلم وأبو بكر وعمر رطبا وشربوا ماء فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم هذا من النعيم الذى تسئلون عنه « وأخرج » ابن أبى حاتم عن ابن مسعود عن النبى صلى الله عليه وسلم ثم لتسئلن يومئذ عن النعيم قال الأمن والصحة « الهمزة » أخرج ابن مردويه عن أبى هريرة عن النبى صلى الله عليه وسلم « إنها عليهم مؤصدة » قال مطبقة « أرأيت » أخرج ابن جرير وأبو يعلى عن سعد بن أبى وقاص قال سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم عن « الذين هم عن صلاتهم ساهون » قال هم الذين يؤخرون الصلاة عن وقتها « الكوثر » أخرج أحمد ومسلم عن أنس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الكوثر نهر أعطانيه ربى فى الجنة له طرق لاتحصى « النصر » أخرج أحمد عن ابن عباس قال لما نزلت إذا جاء نصر الله والفتح قال رسول الله صلى الله عليه وسلم نعيت إلى نفسى (الاخلاص) أخرج ابن جرير عن بريدة لا أعلمه الا رفعه قال الصمد الذى لا جوف له (الفلق) أخرج ابن جرير عن أبى هريرة عن النبى صلى الله عليه وسلم قال الفلق جب فى جهنم مغطى قال ابن كثير غريب لايصح رفعه وأخرج أحمد والترمذى وصححه والنسائى عن عائشة قالت أخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم بيدى فارانى القمر حين طلع وقال تعوذى بالله من شر هذا الغاسق اذا وقب (وأخرج) ابن جرير عن ابى هريرة عن النبى صلى الله عليه وسلم ومن شر غاسق اذا وقب

وقصص مفيد وثناء على الله عز وجل بما هو أهله وأوصاف كما يستحقه وتمجيد كما يستوجبه وأخبار عن كائنات فى التأنى صدقت وأحاديث عن المؤتنف تحققت وزواجر زاجرة عن القبائح والفواحش وإباحة الطيبات وتحريم المضار والخبائث وحث على الجميل والاحسان تجد فيه الحكمة وفصل الخطاب مجلوة عليك فى منظر بهيج ونظم أنيق ومعرض رشيق غير متعاص على الاسماع ولا متلو على الافهام ولا مستكرة فى اللفظ ولا متوحش فى المنظر غريب فى الجنس غير غريب فى القبيل ممتلىء ماء ونضارة ولطفا وغضارة يسرى فى القلب كما يسرى السرور ويمر إلى مواقعه كما يمر السهم ويضىء كما يضىء الفجر ويزخر كما يزخر البحر طموح العباب جموح على المتناول المنتاب كالروح فى البدن والنور المستطير فى الأفق والغيث الشامل والضياء الباهر لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد من توهم أن الشعر يلحق شأوه بان ضلاله وصح جهله إذا الشعر سمت قد تناولته الألسن وتداولته القلوب والثالث عليه الهواجس وضرب الشيطان

قال النجم الفاسق قال ابن كثير لا يصح رفعه (الناس) اخرج أبو يعلى عن أنس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم إن الشيطان واضع خرطومه على قلب ابن آدم فان ذكر الله خنس أى أسكن وإن نسى التقم قلبه فذلك الوسواس الخناس (فهذا) ما احضرنى من التفاسير المرفوعة المصرح برفعها صحيحها وحسنها وضعيفها ومرسلها ومعضلها ولم أعول على الموضوعات والأباطيل وقد ورد من المرفوع فى التفسير ثلاثة أحاديث طوال تركتها (أحدها) الحديث فى قصة موسى مع الخضر وفيه تفسير آيات من الكهف وهو فى صحيح البخارى وغيره (الثانى) حديث الفتون طويل جدا فى نصف كراس يتضمن شرح قصة موسى وتفسير آيات كثيرة تتعلق به وقد أخرجه النسائى وغيره لكن نبه الحفاظ منهم المزى وابن كثير على أنه موقوف من كلام ابن عباس وأن المرفوع منه قليل صرح بعزوه إلى النبى صلى الله عليه وسلم قال ابن كثير وكان ابن عباس تلقاه من الاسرائيليات (الثالث) حديث الصور وهو أطول من حديث الفتون يتضمن شرح حال القيامة وتفسير آيات كثيرة من سور شتى فى ذلك وقد أخرجه ابن جرير والبيهقى فى البعث وأبو يعلى ومداره على إسمعيل بن رافع قاضى المدينة (وقد) تكلم فيه بسببه وفى بعض سياقه نكارة وقيل إنه جمعه من طرق وأماكن متفرقة وساقه سياقا واحدا وقد صرح ابن تيمية فيما تقدم وغيره بأن النبى صلى الله عليه وسلم بين لأصحابه تفسير جميع القرآن أو غالبه ويؤيد هذا ما أخرجه أحمد وابن ماجه عن عمر أنه قال من آخر ما نزل آية الربا وأن رسول الله صلى الله عليه وسلم قبض قبل أن يفسرها دل فحوى الكلام على أنه كان يفسر لهم كل ما نزل وأنه إنما لم يفسر هذه الآية لسرعة موته بعد نزولها وإلا لم يكن للتخصيص بها وجه . وأما . ما أخرجه البزار عن عائشة قالت ما كان رسول الله ﷺ يفسر شيئا من القرآن إلا آيا بعدد علمه إياهن جبريل فهو حديث منكر كما قاله ابن كثير وأوله ابن جرير وغيره على أنها إشارت إلى آيات مشكلات أشكلن عليه فسأل الله علمهن فأنزله اليه على لسان جبريل . وقد من الله تعالى بإتمام هذا الكتاب البديع المثال المنيع المنال الفائق بحسن نظامه على عقود اللآل الجامع لفوائد ومحاسن لم تجتمع فى كتاب قبله فى العصر الخوال أسست فيه قواعد معينة على فهم الكتاب المنزل وبينت فيه مصاعد يرتقى فيها الإشراف على مقاصده ويتوصل وأذكرت فيه مراصد تفتح من كنوزه كل باب مقفل فيه لباب المعقول وعباب المنقول وصواب كل قول مقبول مخضت فيه كتب العلم على تنوعها وأخذت زبدها ودرها ومررت على رياض التفاسير على كثرة عددها واقتطفت ثمرها وزهرها وغصت بحار فنون القرآن فاستخرجت جواهرها ودررها وبقرت عن معادن كنوز فخلصت سبائكها وسبكت فقرها فلهذا تحصل فيه من البدائع ما تبت عنده الاعناق بتاه وتجمع فى كل نوع منه ما تفرق فى مؤلفات شتى على أنى لا أبيعه بشرط البراءة من كل عيب ولا أدعى أنه جمع سلامة والبشر محل النقص بلا ريب هذا وإنى فى زمان ملأ الله قلوب أهليه من الحسد وغلب عليهم اللوم حتى جرى منهم مجرى الدم من الجسد

وإذا أراد الله نشر فضيلة . طويت أتاح لها لسان حسود

لولا اشتعال النار فيما جاورت . ما كان يعرف طيب عرف العود

قوم غلب عليهم الجهل وطمعهم وأعماهم حب الرياسة وأصمهم قد نكبوا عن علم الشريعة ونسوه وأكبوا على علم الفلاسفة وتدارسوه يريد الانسان منهم أن يتقدم ويأبى الله إلا أن يزيده تأخيرا ويبغى العز ولا علم عنده فلم يجد له وليا ولا نصيرا

فيه بسمه وأخذ منه بحظه وما دونه من كلامهم فهو ادنى محلا وأقرب مأخذ وأسهل مطلبا ولذلك قالوا فلان مفحم فأخرجوه مخرج العيب كما قالوا فلان عيى فأورد ومورد النقص والقرآن كتاب دل على صدق متحمله ورسالة دلت على صحة قول المرسل بها وبرهان شهد له براهين الأولياء المتقدمين وبينه على طريقة ما سلف الأولون

حديرهم به إذ كان من جنس القول الذى زعموا أنهم ادركوا فيه النهاية وبلغوا فيه الغاية فعرفوا عجزهم كما عرف قوم عيسى نقصانهم فى قدر وامن بلوغ أقصى الممكن فى العلاج والوصول إلى أعلى مراتب الطب بجاءهم بما بهرهم من إحياء الموتى وإبراء الأكمه والأبرص وكما أتى موسى بالعصا التى تلقفت ما دفقوا فيه من سحرهم وأتت على ما أجمعوا عليه من أمرهم وكما سخر لسليمان من الرياح والطير والجن حين كانوا يولعون بدقائق الحكمة وبدائع من اللطف ثم كانت هذه المعجزة مما يقف عليه الأول والآخر وقفا واحدا ويبقى حكمها إلى يوم القيامة انظر وفقك الله لما هديناك اليه وفكر فى الذى دللناك

أتمسى القوافل تحت غير لوائنا . ونحن على أفواهها أمراء

ومع ذلك فلا نرى الا أنوفا مشمخرة وقلوبا عن الحق مستكبرة وأقوالا تصدر عنهم مفتراة مزورة كلما هديتهم إلى الحق كان أصم وأعمى لهم كأن الله لم يوكل بهم حافظين يضبطون أقوالهم وأعمالهم فالعالم بينهم مرجوم تتلاعب به الجهال والصبيان والكامل عندهم مذموم داخل فى كفة النقصان وايم الله إن هذا لهو الزمان الذى يلزم السكوت والمصير حلسا من احلاس البيوت ورد العلم إلى العمل لولا ما ورد فى صحيح الاخبار من علم علما فكتمه ألجمه الله بلجام من نار ولله در القائل

إدأب على جمع الفضائل جاهدا . وأدم لها تعب القريحة والجسد

واقصد بها وجه الاله ونفع من . بلغته ممن جد فيها واجتهد

واترك كلام الحاسدين وبغيهم . هملا فبعد الموت ينقطع الحسد

وأنا أضرع الى الله جل جلاله وعز سلطانه كما من باتمام هذا الكتاب أن يتم النعمة بقبوله وأن يجعلنا من السابقين الاولين من أتباع رسوله وان لا يخيب أملنا فهو الجواد الذى لا يخيب من امله ولا يخذل من انقطع عن سواه وأمله وصلى الله على من لا نبى بعده سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم كلما ذكره الذكرون وغفل عن ذكره الغافلون

عليه فالحق منبح واضح والدين ميزان راجح والجهل لا يزيد الا عما ولا يورث الا ندما قال الله عز وجل (قل هل يستوى الذين يعلمون والذين لا يعلمون انما يتذكر أولوا الالباب) وقال) وكذلك أوحينا اليك روحا من أمرنا ما كنت تدرى ما الكتاب ولا الايمان ولكن جعلناه نورا نهدى به من نشاء من عبادنا) وقال (يضل به كثيرا ويهدى به كثيرا) على حسب ما آتى من الفضل وأعطى من الكمال والعقل تقع الهداية والتبيين فان الامور تتم باسبابها وتحصل بآلتها ومن سلبه التوفيق وحرمه الارشاد والتسديد فكانما خر من السماء فتخطفه الطير أو تهوى به الريح فى مكان سحيق لا يستطيعون حيلة ولا يهتدون سبيلا فاحمد الله على ما رزقك من الفهم إن فهمت وقل رب زدنى علما وقل رب أعوذ بك من همزات الشياطين وان ارتبت فيما بيناه فازدد فى تعلم الصنعة وتقدم فى المعرفة فسيقع بك على الطريق الارشد ويقف بك على الوجه الاحمد فانك اذا فعلت ذلك أحطت علما وتيقنت فهما ولا يوسوس اليك الشيطان

بأنه قدكان من هواعلم منك بالعربية وأرجح منك فى الفصاحة أقوام أقوام ورجال ورجال فكذبوا وارتابوا الان القوم لم يذهبوا عن الاعجاز ولكن اختلفت أحوالهم فكانوا بين جاهل وجاهد وبين كافر نعمة وحاسد وبين ذاهب عن طريق الاستدلال بالمعجزات وحائد عن النظر فى الدلالات وناقص فى باب البحث ومختل الآلة فى وجه الحصر ومستهين بأمر الاديان وغاو تحت حبالة الشيطـــان ومقذوف بخذلان الرحمن وأسباب الخذلان والجهالة كثير ودرجات الحرمان مختلفة وهلا جعلت بازاء الكفرة مثل لبيـــد بن ربيعة العامرى فى حسن اسلامه وكعب بن زهير فى صدق ايمانه وحسان بن ثابت وغيرهم من الشعراء والخطباء الذين أسلموا على أن الصدر الاول مافيهم الانجم زاهر أو بحر زاخر وقد بينا أن لاعتصام الا بهداية الله ولا توفيق الا بنعمة الله وذلك فضل الله يؤتيه من يشاء فتأمل ماعرفناك فى كتابنا وفرغ له قلبك واجمع له لبك ثم اعتصم بالله يهدك وتوكل عليه يعنك ويجرك واسترشده يرشدك وهو حسبى وحسبك ونعم الوكيل

(يقول راجى عفو القريب المجيب الصمد عبد الوصيف محمد)

نحمدك يامنزل الكتاب هدى وموعظة لاولى الالباب ونشكرك على ما أودعت فيه من الاسرار والحكم البالغة البازغة الانوار ونصلى ونسلم على سيدنا محمد معدن الفضائل والعرفان ومهبط الاسرار الالهية والعلم والاتقان وعلى آله نجوم الاسلام وأصحابه هداة الانام ※(وبعد). فقد تم بمعونة تعالى طبع كتاب الاتقان فى علوم القرآن وهو كتاب حوى من علوم القرآن ماتشتت فى جملة فنون ونهج منهجا لم يتيسر لاحد أن يشق غبار عليه المكنون فكم رصع صفحات درره بيواقيت انوار وكم سطعت فى سماء تحقيقاته شموس اسرار جمع فيه من انواع علوم القرآن ثمانين كل نوع ضمنه ما فى جملة مؤلفات المتقدمين فجاء بحرا زاخر الموارد ينهل من عذبه كل وارد وكيف لا وهو الامام الشهير امام المتحدثين فى الزمن الاخير العلامة الحافظ جلال الدين عبد الرحمن السيوطى رحمه الله واثابه فى دار رضاه وقد حليت طرره ووشيت غرره بكتاب اعجاز القرآن لامام المحققين وقدوة العلماء والمتكلمين القاضى الباقلانى رضى الله وارضاه وجعل الجنة مثواه وذلك الطبع الزاهى والوضع الباهى بالمطبعة الحجازية المصرية الكائنة بحى الجماليه بجوار الساحة الحسينيه الراجى من الله الغفران . (حضرة السيد محمد عبد اللطيف حجازى) . وفاح مسك الختام وتم سلك النظام اول الحجة بركة الاسلام سنة ١٣٦٨ هجريه على صاحبها افضـــل الصلاة وأزكى السلام